ويليام بلوم

الدولة المارقة

دليل إلى الدولة العظمى الوحيدة في العالم

ترجمة
كمال السيد



المشروع القومي للترجمة

463

المشروع القومى للترجمة

الدولة المارقة

دليل إلى الدولة العظمى الوحيدة فى العالم

تأليف : ويليام بلوم

ترجمة : كمال السيد



٢٠٠٢

المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٤٦٣
- الدولة المارقة : دليل إلى الدولة العظمى الوحيدة فى العالم
- ويليام بلوم
- كمال السيد
- الطبعة الأولى ٢٠٠٢

ترجمة كاملة لكتاب :

ROGUE STATE

(A Guide to the World's Only Superpower)

تأليف : William Blum

الصادر عن : Zed Books Ltd. U. K.

(New updated edition , 2002)

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House. El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 Fax : 7358084 E. Mail : asfour @ onebox. com

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

المحتويات

تصدير للمؤلف

ما يتعلق بأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١

وقصف أفغانستان بالقنابل

بعد نشر هذا الكتاب بفترة وجيزة، وقعت أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ الجسام. فقد تم اختطاف أربع طائرات فى الولايات المتحدة وشرع الإرهابيون فى تنفيذ أشد أنواع الهجوم التى وقعت على الأراضى الأمريكية تدميرا فى تاريخ ذلك البلد. وكان الدمار المادى والمعاناة الشخصية الناجمان عن الهجوم هائلين. وبالاضافة إلى معاقبة مرتكبى الحادث الذين لا يزالون أحياء، كانت المهمة الأشد إلحاحا التى تواجه الولايات المتحدة - أو كان ينبغى أن تكون - هى عدم السماح بألا يمضى ما حدث دون استخلاص الدروس المهمة منه للحيلولة دون تكراره. ومن الواضح أن من أهم هذه الدروس الإجابة عن السؤال القائل : " لماذا حدث هذا ؟ ".

وقد اتفق أن عنوان الفصل الأول من هذا الكتاب هو " لماذا يواصل الإرهابيون إزعاج أمريكا؟ ". وهو يحاج بأن الإرهابيين - أيا كانوا - قد يكونون هم أيضا بشراً راشدين لهم مبررهم وهو ما يعنى القول بأن لديهم فى عقولهم مبررا رشيدا لأعمالهم. ذلك أن معظم الإرهابيين هم أناس يقلقهم بصورة عميقة ما يعتبرونه ظلما اجتماعيا أو سياسيا أو دينيا ، ونفاقا، وتتمثل المبررات المباشرة لإرهابهم عادة فى الانتقام من عمل قامت به الولايات المتحدة.

ويحوى الفصل قائمة طويلة من أعمال كهذه ارتكبتها الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط، أودت بحياة الكثيرين، من قصف لبنان وليبيا إلى إغراق سفينة إيرانية، ومن إسقاط طائرة ركاب إيرانية والقصف الذى لا ينتهى لشعب العراق بالقنابل إلى دعم نظم الحكم الاستبدادية فى الشرق الأوسط ، والمعونة العسكرية الحاشدة لإسرائيل على الرغم من الدمار والتعذيب الروتينى الذى يوقعه هذا البلد بالشعب الفلسطينى.

إن المبانى التى استهدفها الإرهابيون لم تُختر بصورة عشوائية، كعقاب على القهر العسكرى والاقتصادى والسياسى الذى استمر مفروضا عقودا طويلة على الشرق الأوسط وأساسا على السكان المسلمين الذين يعيشون فيه على أيدى الإمبراطورية الأمريكية. فالبنتاجون ومركز التجارة العالمى يمثلان القدرة والسطوة العسكرية والاقتصادية للولايات المتحدة، فى حين أن الطائرة التى تحطمت فى بنسلفانيا ربما كانت فى طريقها إلى الجناح السياسى، البيت الأبيض.

إن مظهر الموضوع قد يعنى أى شىء. وإذا كان ما فعله الخاطفون غير قابل للتبرير، فإنه لا يستعصى على التفسير.

فالأمر لا يتعلق بمجرد أن الناس فى الشرق الأوسط وحده لديهم مبرر قوى لكراهية ما تفعله حكومة الولايات المتحدة؛ فقد خلقت الولايات المتحدة ؛ أعدادا ضخمة من الإرهابيين المحتملين فى كل أنحاء أمريكا اللاتينية خلال نصف قرن من الأعمال الأمريكية الأشد سوءا من تلك التى اقترفت فى الشرق الأوسط. ولو كان أهل أمريكا اللاتينية قد قاسموا كثيرين من المسلمين الاعتقاد بأنهم سيذهبون إلى الجنة مباشرة بالاستشهاد فى قتل الشيطان الأكبر لكنا شهدنا حتى الآن عقودا من الرعب الإرهابى تجىء من جنوب الحدود المكسيكية الأمريكية، ومع ذلك فعلى مر السنين أفرزت المنطقة هجمات عديدة على السفارات الأمريكية والدبلوماسيين الأمريكيين ومكاتب وكالة الاستعلامات الأمريكية وما إلى ذلك.

وهناك أيضا شعوب آسيا وأفريقيا، وينطبق كثير من نفس القول عليها.

لقد بلغ هجوم ١١ سبتمبر حدا من الضخامة جعل وسائل الإعلام الأمريكية - الأقسام الجادة فعلا أو الجادة بشكل معقول - تضطر إلى أن تنقب فى مناطق لا تزورها عادة. واكتشف عدد من الصحف والمجلات ومحطات الإذاعة العادية فى سعيها لفهم السبب فجأة - أو هكذا بدا الأمر - أن الولايات المتحدة متورطة فى أعمال مثل تلك التى سبق ذكرها ، وفى عدد لا يحصى من عمليات التدخل فى البلاد الأجنبية استمر عقوداً طويلة وهو ما يمكن أن ينتج حقا درجة كبيرة من العداء لأمريكا.

لقد كان هذا محصلة إيجابية للمأساة، بيد أن هذا " الإلهام " والاكتشاف يبدو أنه غاب عن جمهرة الشعب الأمريكى، الذى تحصل الغالبية العظمى منه على " نتف "

الأخبار الخارجية التى يتلقونها من صحف التابلويد، وبرامج الاذاعة التى يجمع بينها أقل قاسم مشترك، ونشرات أخبار التليفزيون السطحية بصورة مضحكة.

وهكذا، فبدلا من إثارة التفكير فيما تفعله الولايات المتحدة ويجعل العالم يكرهها على هذا النحو، تمت إثارة نزعة وطنية من أضيق الأنواع أفقا : فقد وقف أعضاء الكونجرس على سلالم الكابيتول وغنوا أنشودة " ليبارك الرب أمريكا "، وسارعت المتاجر ببيع رصيدها من الأعلام الأمريكية التى أخذت ترفرف عاليا فى أى اتجاه ينظر المرء إليه، وتقيأ المستمعون الذين يتصلون بالاذاعة سم الحقد والشهوة للدم، وأصبح من الواجب فى كل مناسبة ترفيهية أو رياضية البدء باحتفال عسكرى ووطنى ، أو عسكرى أو وطنى ، وأصبح من النادر أن يستطيع المرء تصفح جريدة أو تشغيل الراديو أو التليفزيون دون أن يجد نوعا من المديح للشجاعة الأمريكية، وأصبح الجميع وأقاربهم وأنسباؤهم " أبطالا " ، واستمرت هذه الظاهرة بلا وهن فى عام ٢٠٠٢.

وسرعان ما عادت " ريمة إلى عادتها القديمة " فى وسائل الإعلام الأمريكية الجادة التى استأنفت الحالة المزاجية الطبيعية، أى أنه كان فى مقدور المرء أن يجد – بصورة منتظمة – معلومات أكثر أهمية ودلالة تتعلق بالسياسة الخارجية الأمريكية فى صحف " لندن بيبرز " و " الجارديان " و " الأندبندنت " بأكثر مما يجده فى النيويورك تايمز " و " الواشنطن بوست ".

ويجد معظم الأمريكيين أنه من الصعب لأقصى حد قبول مقولة أن أعمال الإرهابيين ضد الولايات المتحدة يمكن اعتبارها انتقاما من سياسات أمريكا الخارجية؛ ذلك أنهم يعتقدون أن الولايات المتحدة مستهدفة بسبب حريتها وديمقراطيتها وثروتها. وقد روجت إدارة بوش – مثلما فعلت الإدارات السالفة لها إزاء الأعمال الإرهابية – لهذا باعتباره الخط الرسمى منذ وقوع الهجوم. وأعلن المجلس الأمريكى للأمناء والخريجين – وهو مجموعة محافظة للمراقبة أسستها لين تشينى، زوجة نائب الرئيس والسناتور جوزيف ليبرمان – فى نوفمبر إنشاء صندوق الدفاع عن الحضارة، وأوضح " أن أمريكا ليست وحدها هى التى هوجمت فى ١١ سبتمبر، إنما الحضارة. لقد تعرضنا للهجوم ليس بسبب نقائصنا وإنما بسبب فضائلنا "[١].

لكن المسئولين الحكوميين يدركون الأمور على نحو أفضل، فقد توصلت دراسة لوزارة الدفاع فى ١٩٩٧ إلى أن " البيانات التاريخية تبين وجود ارتباط قوى بين انخراط الولايات المتحدة فى الأوضاع الدولية وبين زيادة الهجمات الإرهابية على الولايات المتحدة "[٢].

وقد كان الرئيس السابق جيمى كارتر واضحا بجلاء فى اتفاقه مع هذا، عندما قال بعد بضع سنوات من تركه البيت الأبيض : لقد أرسلنا مشاة البحرية إلى لبنان، وليس عليكم إلا أن تذهبوا إلى لبنان أو إلى سوريا أو إلى الأردن لتروا على نحو مباشر الكراهية الشديدة التى يكنها أناس كثيرون للولايات المتحدة لأننا قصفنا بالقنابل والأعيرة وقتلنا بلا رحمة قرويين أبرياء تماما : نساء وأطفالاً ومزارعين وربات بيوت فى تلك القرى الواقعة حول بيروت ؛ ونتيجة لذلك ، أصبحنا نوعا من الشيطان فى أذهان أولئك الساخطين بصورة عميقة، وذلك هو ما عجل بأخذ رهائننا (فى إيران) وذلك هو ما عجل ببعض الهجمات الإرهابية والتى ليس لها ما يبررها والتى تعتبر إجرامية تماما[٣].

لقد بعث الإرهابيون المسؤولون عن التفجيرات الأولى فى مركز التجارة العالمى فى ١٩٩٣ رسالة إلى النيويورك تايمز جاء فى جزء منها : " إننا نعلن مسؤوليتنا عن تفجير المبنى المذكور. وقد تم هذا العمل ردا على الدعم السياسى والاقتصادى والعسكرى الأمريكى لإسرائيل دولة الإرهاب وإلى باقى البلدان الديكتاتورية فى المنطقة "[٤].

ويقدم الفصل الأول من هذا الكتاب، مزيدا من الأدلة على إدراك الحكومة ووسائل الإعلام للصلة بين الإرهاب المعادى للولايات المتحدة والسياسات الأمريكية.

مرتكبو الجريمة

لمدة شهرين ونصف الشهر عقب ١١ سبتمبر أمطرت أقوى دولة فى التاريخ وابلا يوميا من القذائف على أفغانستان، وهى واحدة من أفقر البلدان فى العالم وأكثرها تخلفا. وفى النهاية، فرض السؤال التالى نفسه على الساحة العالمية: من يقتل عددا أكبر من الناس الأبرياء الذين بلا حول ولا قوة ؟ هل هم الإرهابيون فى الولايات المتحدة فى ١١ سبتمبر بقنابلهم الطائرة ؟ أم الأمريكيون فى أفغانستان بما لديهم من قذائف كروز طراز ايه جى ام - ٦٨ دى، وقذائفهم طراز ايه جى ام - ١٣٠، أو قنابلهم

" الانشطارية الرائعة " التى يبلغ وزنها ١٥ ألف رطل، وقنابلهم التى يستخدم فيها اليورانيوم المستنفد وقنابلهم العنقودية ؟

وبحلول نهاية العام، وصل تعداد ضحايا الإرهابيين فى واشنطن وبنسلفانيا ونيويورك إلى نحو ٣٠٠٠ . وتجاهل المسؤولون الأمريكيون تعداد المدنيين الذين ماتوا فى أفغانستان من جراء القصف الأمريكى، لكن عملية تجميع مرهقة لعديد من التقارير المنفصلة من وسائل الإعلام الأمريكية والدولية ومن منظمات حقوق الإنسان قام بها أستاذ أمريكى وصلت إلى أن ما يزيد كثيرا على ٣٥٠٠ أفغانى ماتوا حتى أوائل سبتمبر، ومازال العدّاد يعدّ[٥].

ولا يشمل هذا الرقم من ماتوا بعد ذلك من جراء الإصابات الناجمة عن القصف، أو الذين ماتوا من الجوع والبرد نتيجة لتدمير القنابل لمنازلهم، أو الوفيات الناتجة عن التعرض للمخاطر والجوع بين مئات الألوف من اللاجئين الداخليين الذين فرّوا من القصف. كما لا يشمل آلاف الموتى " العسكريين " أو مئات الأسرى الذين تم إعدامهم أو ذبحهم فى غير ذلك على أيدى حلفاء واشنطن الجدد " المقاتلين من أجل الحرية " بالتعاون مع رجال المخابرات والعسكريين الأمريكيين. وفى التحليل الأخير، فإن التعداد سيغفل ضحايا القنابل العنقودية التى تتحول لألغام برية وأولئك الذين سيهلكون ببطء أكبر من الأمراض التى يسببها اليورانيوم المستنفد.

لن تكون هناك دقيقة صمت حدادا على الموتى الأفغان، ولا حفلات تأبين تذكارية يحضرها كبار المسؤولين الأمريكيين والمشهورون من الفنانين، ولا رسائل تعزية يرسلها رؤساء الدول، ولا ملايين الدولارات يتم جمعها لصالح أسر الضحايا. ومع ذلك، فإن ذلك إجمالا يمثل حماما للدم يتجاوز بزمان ما حدث فى ١١ سبتمبر.

ومن بين ألوف القتلى فى أفغانستان، كم عدد الذين لعبوا دورا واعيا فى الكارثة الأمريكية، والذى يمكن تحديده بأى قدر من الثقة ؟

ووفق شريط فيديو أسامة بن لادن الذى عرضته الحكومة الأمريكية على العالم، فإنه هو نفسه لم يعرف بتاريخ العمل الإرهابى إلا قبل وقوعه بخمسة أيام، وأن معظم الخاطفين لم يعرفوا أنهم جزء من مهمة انتحارية إلا وهم يستعدون لركوب الطائرات (وقد ورد أن مكتب التحقيقات الفيدرالى توصل إلى النتيجة الأخيرة قبل إعلان شريط

الفيديو بزمن طويل)[٦]. وفي ضوء هذا، يبدو من المأمون على نحو بارز القول أن عددا قليلا جدا من الأشخاص الآخرين فى العالم كانوا منخرطين فى المؤامرة عن علم، وهو عدد ربما يمكن عده على أصابع اليد الواحدة. ومن ثم، فإنه إذا كان القصد من حملة القصف الأمريكية فى أفغانستان هو قتل مرتكبى الجريمة الحقيقيين، فإنها ستكون مهمة بلهاء بصورة عنيفة.

ولو لم يقبض سريعا على تيموثى ماكفى، مرتكب حادث التفجير الرهيب للمبنى الفيدرالى فى مدينة أوكلاهوما فى ١٩٩٥، فهل كانت الولايات المتحدة ستقصف ولاية ميتشجان، أو أى أماكن أخرى كان يدعوها وطنه وداره ؟ كلا كانت ستنظم عملية قنص بشرى عملاقة حتى تجده وتعاقبه. ولكن فى أفغانستان، انطلقت الولايات المتحدة من افتراض مؤداه أن كل من أيدّ حكومة طالبان، سواء من رعاياها أو من الأجانب، كان (١) " إرهابيا " و (٢) ملوثة أيديه، بصورة معنوية إن لم تكن قانونية، بدماء ١١ سبتمبر - أو ربما بعمل إرهابى أو آخر ضد الولايات المتحدة فى الماضى - ومن ثم فهو طريدة مشروعة.

بيد أنه عندما يتعلق الأمر ببلدان أخرى، فإنه حتى المسؤولين الأمريكيين يستطيعون إدراك الطريق الجدير بالمسير فيه. ففى حديثه عن مشكلة روسيا مع الشيشان، حث ستروب تالبوت، وهو ثانى شخص فى قيادة وزارة الخارجية، موسكو على أن تظهر " كبح جماح النفس والحكمة ". وقال إن كبح جماح النفس يعنى اتخاذ اجراءات ضد الإرهابيين الحقيقيين، ولكنه لا يعنى استخدام القوة العشوائية التى تعرض الأبرياء للخطر "[٧].

والقول بالمساواة المعنوية بين الولايات المتحدة والإرهابيين (أو الشيوعيين خلال الحرب الباردة) يثير دوما حنق الأمريكيين. فقد علمونا أن الإرهابيين يهدفون عمدا إلى قتل المدنيين، فى حين أن سقوط ضحايا القصف الأمريكى من غير المقاتلين هو حادث غير مقصود تماما.

وكلما مضت الولايات المتحدة إلى نوبات القصف التى تنتابها دوريا وأودت قذائفها بحياة مدنيين كثيرين، فإن ذلك يسمى " دمارا فرعيا تبعيا " - توقعه مقادير الحرب - بالنسبة للأهداف الحقيقية، التى قالوا لنا على الدوام، إنها عسكرية.

ولكن إذا كان السيناريو نفسه يجرى يوما بعد آخر، وفى بلد تلو الآخر ـ إسقاط كميات هائلة من المعدات الحربية المميتة بصورة قوية من ارتفاعات عالية مع المعرفة الكاملة بأن أعدادا ضخمة من المدنيين سيهلكون أو يشوهون، حتى دون أن تنحرف القذائف عن هدفها ، فما الذى يمكن للمرء أن يقوله عن مقاصد المؤسسة العسكرية الأمريكية ؟ أفضل ما يمكن أن يقال – وعلى نحو أكثر ترفقا – هو أنها لا تبالى ، فهى تريد أن تقصف وتدمر تحقيقا لغايات سياسية معينة ولا تبالى بوجه خاص ما إذا كان السكان المدنيون سيعانون بصورة موجعة.

ففى أفغانستان عندما أطلقت مدافع الولايات المتحدة نيرانها طوال أيام متتالية فى شهر اكتوبر على قرية شوكار ـ كاريز الزراعية النائية، وقتلت ما يصل إلى ٩٣ مدنيا، بادر مسؤول فى البنتاجون فى مرحلة ما للقول بأن " الناس هناك ماتوا لأننا أردنا لهم الموت "، فى حين علق دونالد رامسفيلد وزير الدفاع بقوله : " لا أستطيع أن أتحدث عن هذه القرية المحددة "[٨].

وعادة، تريد الولايات المتحدة فعلا التسبب فى المعاناة بأمل أن يجعل ذلك الناس ينقلبون على الحكومة. وقد كان ذلك هو السمة المتكررة فى قصف يوغوسلافيا فى ١٩٩٩ . وكما سنرى فى فصل " مجرمو الحرب " من الكتاب الحالى ـ فإن مسؤولى الولايات المتحدة/ الناتو، اعترفوا بهذا المرة تلو الأخرى ـ فى عجرفة كاملة.

ولدينا فى أفغانستان نموذج الادميرال السير مايكل بويس رئيس الأركان البريطانى الذى أعلن أن القصف سيستمر حتى يدرك أهل هذا البلد أنفسهم أن ذلك سيستمر إلى أن يغيروا القيادة "[٩].

وتنطبق مثل هذه السياسة تماما على تعريف مكتب التحقيقات الفيدرالى للإرهاب الدولى، الذى يتحدث عن استخدام القوة ضد الأشخاص أو الممتلكات " لإكراه أو إجبار حكومة ما، والسكان المدنيين، أو أى قسم منهم، على تأييد أهداف سياسية واجتماعية معينة ".

لا تتحدث عن الشر، وبذلك لن يرى الأمريكيون أى شر

فى رد فعل إزاء عدد من الصور الرهيبة لضحايا قصف أفغانستان، والقلق الذى أعرب عنه الأوروبيون وأهل الشرق الأوسط بشأن الخسائر البشرية، جاهدت وسائل

الإعلام الأمريكية للتقليل من حجم وضخامة حالات القتل هذه. فقد أبلغ رئيس شبكة سى إن إن العاملين فى مجال الأخبار أنه " من الخطأ الجلى على ما يبدو التركيز كثيرا على الإصابات والأذى فى أفغانستان ".[١٠] وتعجب برنامج حوار فى شبكة فوكس عن الحرب من السبب الذى يجعل الصحفيين يهتمون أصلا بتغطية حالات موت المدنيين. وقال المضيف المتحدث فى هذا الحوار: " إن السؤال الذى يراودنى فى ضوء أن الإصابات هى تاريخيا جزء من الحرب بحكم تعريفها، هو : هل يجب أن تكون هذه الإصابات أخبارا مهمة مثلما هى عليه حاليا ". ورد عليه الضيف وهو من الاذاعة العامة الوطنية : " لا. اسمع ان الحرب هى أمر يتعلق بقتل الناس. وإصابات المدنيين أمر لا يمكن تحاشيه ". واتفق معه فى الرأى ضيف من المجلة الوطنية المسماة يو اس نيوز آند ورلد ريبورت بقوله : " إن إصابات المدنيين ، ليست أخبارا، فالحقيقة أنها أمر مصاحب للحروب "[١١].

لكن الواقع أن هجمات ١١ سبتمبر كانت عملا من أعمال الحرب، كما أخبر العالم مرارا وتكرارا جورج بوش وأتباعه، ومن ثم كانت إصابات مركز التجارة العالمى إصابات حرب للمدنيين بجلاء. ومن ثم، لماذا كرست وسائل الإعلام مثل هذا القدر الكبير من الوقت لحالات الوفاة الناجمة عنها ؟

بالطبع إن هذه هى حالات الوفاة الوحيدة التى يريد الأمريكيون أن يسمعوا بها، فى حين أنهم يستشيطون غضبا عند إخبارهم عن موت الأفغان. وقد حذرت مذكرة وزعت فى صحيفة هيرالد نيوز فى مدينة بنما فى فلوريدا، المحررين قائلة : " لا تستخدموا فى الصفحة الأولى الصور التى تبين إصابات المدنيين من جراء حرب الولايات المتحدة فى أفغانستان. لقد فعلت صحيفة شقيقة لنا فى فورت ولتون بيتش ذلك وتلقت مئات ومئات من رسائل التهديد بالبريد الاليكترونى وما يشابه ذلك "[١٢].

إن أصحاب السلطة الأمريكية يستطيعون حقا أن يعتمدوا على مساندة الشعب الأمريكى ووسائل الإعلام الأمريكية لحروبهم، ويقتضى الأمر بذل جهد نموذجى فى البحث للعثور على صحيفة يومية أمريكية واحدة تعارض بجلاء قصف الولايات المتحدة لأفغانستان.

أو صحيفة يومية أمريكية واحدة عارضت بجلاء قصف الولايات المتحدة/ الناتو ليوغوسلافيا قبل عامين.

أو صحيفة أمريكية واحدة عارضت قصف الولايات المتحدة للعراق فى ١٩٩١.

أليس هذا لافتا للنظر ؟ ففى مجتمع يفترض أنه حر، وبصحافة يفترض أنها حرة، وفى وجود نحو ١٥٠٠ صحيفة يومية، فإنه من الغريب أى يكون ذلك هو الحال.

كعبة للمنافقين

عقب الهجمات الإرهابية فى الولايات المتحدة، أدان كولن باول وزير الخارجية " الأشخاص الذين يعتقدون أنهم يستطيعون بتدمير المبانى وقتل الناس، أن يحققوا على نحو ما هدفا سياسيا "(١٢).

ألا يصف هذا على وجه الدقة ما فعلته الولايات المتحدة فى ١٩٩٩ عندما قصفت يوغوسلافيا لمدة ٨٧ يوما وليلة ؟ وأليس هذا هو كولن باول نفسه الذى قاد عمليات القصف الرهيبة لبنما والعراق ؟ هل يعتقد القادة الأمريكيون أن الناس ليس لهم ذاكرة؟ أم أنهم ببساطة لا يبالون بما يعتقده الناس ؟

وفيما يلى مزيد من النفاق الذى يجعل الأنفاس تتقطع : فقد أعلن الرئيس بوش وغيره من المسؤولين بصورة روتينية وفى غضب أن الولايات المتحدة لن تشن حربا ضد الإرهابيين وحدهم، وإنما ضد أى بلد يؤوى الإرهابيين. بيد أن القارئ سيرى فى الفصل الذى يتحدث عن " ملاذ للإرهابيين "، أن قلة من البلدان تؤوى عددا من الإرهابيين أكبر مما تؤويه الولايات المتحدة، ذلك إن كان هناك أصلا بلد يفوقها فى ذلك.

كسب عقول الأفغان وأفئدتهم

ليست القنابل هى كل ما يسقط من السماء من الطائرات الأمريكية، فهناك أيضا حزم من الطعام. أليس شيئا غريبا أن تسقط الولايات المتحدة القنابل والطعام على حد سواء على الشعب الأفغانى فى الوقت نفسه ؟

لو كان اليابانيون قد أسقطوا حزما لطيفة من مشويات ترياكى المتبلة إلى جانب القنابل على بيرل هاربور، فهل كان الأمريكيون والعالم سينظرون بشفقة أكبر لليابانيين؟

ربما لو كان إرهابيو ١١ سبتمبر قد أسقطوا بعض ساندوتشات البسطرمة الساخنة على وسط مانهاتن قبل أن تضرب الطائرات المختطفة مركز التجارة العالمى...

بيد أن هذه الأشياء تجدى بالطبع، فقد شعر ملايين الأمريكيين بفورة من الفخار إزاء شهامة بلدهم. لقد فعلت الولايات المتحدة، مخترع ومطور الإعلان الحديث والعلاقات العامة، ذلك مرة ثانية.

وفى العملية نفسها، كانت هناك منشورات كثيرة يتم إسقاطها على الشعب الأفغاني. وفيما يلي واحد أسقط في ٢٠ أكتوبر :

هل تستمتعون بحكم الطالبان ؟ هل تفخرون بأن تعيشوا حياة مملوءة بالخوف ؟ هل تسعدون عندما ترون مكانا امتلكته أسرتكم طوال أجيال عديدة وقد تحول لموقع لتدريب الإرهابيين ؟ هل تريدون نظاما يحول أفغانستان إلى العصر الحجرى ويشوه الإسلام ؟ هل تفخرون بأن تعيشوا تحت سيطرة حكومة تؤوى الإرهابيين؟ هل تفخرون بأن تعيشوا فى بلد يحكمه الأصوليون المتطرفون ؟ لقد جردت الطالبان بلادكم من الثقافة والتراث، لقد دمرت آثاركم القومية وابداعاتكم الثقافية، انها تحكم بالقوة والعنف والخوف استنادا إلى مشورة الأجانب، وهى تصر على أن شكل الإسلام الذى تدعو إليه هو الشكل الوحيد وليس هناك غيره، وانه الشكل الصادق والإلهى، إنهم يعتبرون أنفسهم خبراء فى الدين، رغم أنهم جاهلون، إنهم يقتلون، ويرتكبون المظالم، ويبقون عليكم فى فقر ويدعون أنهم يفعلون ذلك باسم الله.

وبنفس الروح، يمكن إسقاط المنشور التالى على الولايات المتحدة :

هل تفخرون بالعيش فى بلد يحكمه الرأسماليون المتطرفون ورجال الدين المحافظون ؟ لقد جرّد الرأسماليون بلادكم من المساواة والعدل، لقد دمروا متنزهاتكم وأنهاركم القومية وأفسدوا وسائل إعلامكم، وانتخاباتكم وعلاقاتكم الشخصية، إنهم يحكمون بالتهديد بالبطالة والجوع والتشريد استنادا إلى مشورة إله يدعونه السوق، إنهم يصرون على أن شكل التنظيم الذى يعطونه للمجتمع وطريقتهم فى إعادة تشكيل العالم هو الشكل الوحيد الصادق والإلهى، إنهم يقومون بالقصف والغزو والاغتيال والتعذيب والإطاحة بنظم الحكم وارتكاب المظالم، ويبقون عليكم وعلى العالم فى فقر ويدعون إنهم يفعلون ذلك باسم الرب.

إعادة بناء أفغانستان ؟

قرأنا في عدد يوم ٢١ نوفمبر من الواشنطن بوست ما يلي : " اجتماع بالولايات المتحدة لتدبير إعادة بناء أفغانستان ". وبعد اجتماع دام يوما واحدا عقده في واشنطن زعماء دستتين من البلدان والمنظمات الدولية، قال المسؤولون الأمريكيون واليابانيون أنهم وضعوا " برنامج عمل " لإعادة البناء طويل الأمد لبلد دمرته الحرب.

ربما يلقى هذا مزيدا من الوقود في نيران الرضا عن أمريكا التي أشعلت حماس المواطنين المرهقة أعصابهم منذ ١١ سبتمبر، لكن مثل الكثير غيره من الوقود من هذا النوع، كان قدر الدعاية أكبر كثيرا من الفعل المادي.

إنه نمط ملحوظ. فللولايات المتحدة سجل طويل في قصف الدول، وتحويل أحياء بكاملها، وكثير من المدن، إلى أنقاض، وتدمير البنية الأساسية، وإتلاف حياة من لم تقتلهم القنابل، وبعد ذلك لا تفعل شيئا لإصلاح الضرر.

فرغم الوعد كتابة بأن الولايات المتحدة ستواصل " سياستها التقليدية " الخاصة " بالتعمير فيما بعد الحرب "، لم يقدم أي تعويض لفيتنام بعد عقد من التدمير. وخلال السنة نفسها، أصبحت لاوس وكمبوديا بالمثل خرابا بسبب القصف الأمريكي. وأصبحتا بدورهما مؤهلتين لأن تكونا من المستفيدين من " السياسة التقليدية " لواشنطن التي تخصص صفرا للتعمير.

ثم جاء القصف الأمريكي لجرينادا وبنما في الثمانينيات. وتقدم مئات من أهل بنما بشكاوى إلى منظمة الدول الأمريكية التي تسيطر عليها واشنطن وكذلك إلى المحاكم الأمريكية، وصولا إلى المحكمة العليا للولايات المتحدة للحصول على " تعويض عادل " للدمار الناجم عن " عملية القضية العادلة " (وهذا هو الاسم الذي يدعو للسخرية الذي أطلق على الغزو القصف الأمريكي). ولم يحصلوا على شئ، مثلما لم يحصل أهل جرينادا على شئ.

وفيما بعد جاء دور العراق في ١٩٩١، ٤٠ يوما وليلة من القصف الذي لا يهدأ، وتدمير شبكات الكهرباء والمياه والصرف الصحي وكل شئ آخر تعتمد عليه مسيرة المجتمع الحديث، والجميع يعرفون مقدار ما فعلته الولايات المتحدة لإعادة بناء العراق.

وفي ١٩٩٩، كانت لدينا حالة يوغوسلافيا: قصف على مدار الأربع وعشرين ساعة لمدة ٧٨ يوما، وتحويل دولة صناعية متقدمة إلى بلد من بلدان العالم الثالث حقا؛ وكانت

متطلبات إعادة التعمير مروّعة. وبعد ذلك بعامين – في يونيو ٢٠٠١ وبعد أن خضع الصرب بإذعان لرغائب واشنطن بطرد سلوبودان ميلوسفتش وتسليمه إلى المحكمة الدولية في لاهاي – عقدت اللجنة الأوروبية والبنك الدولي " مؤتمر المانحين "، الذى كان من المفترض أن يعنى بإعادة تعمير يوغوسلافيا. وقد اتضح أنه كان مؤتمرا معنيا بديون يوغوسلافيا أكثر من أى شئ آخر.

فقد قال رئيس الوزراء الصربي، زوران دندتش،الذى يعتبر من كبار الموالين للغرب، في لقاء له في يوليو مع مجلة الأنباء الألمانية دير شبيجل، إنه يشعر بأن الغرب قد خانه، معلنا :

كان من الأفضل لو أن مؤتمر المانحين لم يعقد وقُدّم لنا ٥٠ مليون مارك ألمانى نقدا بدلا من ذلك . كان من المقرر أن نحصل في أغسطس على القسط الأول وهو ٣٠٠ مليون يورو. وفجأة أخبرونا بأنه سيتم حجز ٢٢٥ مليون يورو لسداد ديون قديمة كانت قد تراكمت جزئيا في زمن تيتو، ونسبة الثلثين من هذا المبلغ هى غرامات وفوائد مستحقة لأن ميلوسفتش رفض لمدة عشر سنوات سداد هذه الديون ، وسنحصل على الباقي وهو ٧٥ مليون يورو في نوفمبر على أقصى تقدير، تلك هى مبادئ الغرب كما أخبرونا. وهذا يعنى أن شخصا مريضا بصورة خطيرة سيتم إعطاؤه الدواء بعد موته. ان الشهور الحرجة التى سنواجهها هى يوليو وأغسطس وسبتمبر(١٤) .

وبحلول نهاية ٢٠٠١، كان قد مضى عامان ونصف العام على سقوط الكبارى اليوغوسلافية في الدانوب، وتدمير مصانع البلاد وبيوتها، وتمزيق مواصلاتها أشلاء، ومع ذلك، لم تتلق يوغوسلافيا أية أموال لإعادة التعمير من مهندس حملة القصف ومقترفها الأساسى، الولايات المتحدة.

وأيا كان من سينتهى به الأمر إلى حكم أفغانستان، فسيجد أنه من الصعب عليه لأقصى حد أن يمنع المؤسسة العسكرية الأمريكية من بناء ما تريد بناءه هناك لأغراضها الخاصة. ولكى تقيم الولايات المتحدة بعض المبانى للشعب الأفغانى، فربما يتعين على هذا الشعب أن ينتظر طويلا. وفى تناقض صارخ مع عنوان الواشنطن بوست في ١٢ نوفمبر السابق الإشارة إليه، جاء تقرير نشر في نفس الصحيفة بعد ذلك بخمسة أسابيع : " لقد أوضحت إدارة بوش بجلاء أنه نظرا لأنها دفعت معظم تكاليف

الحملة العسكرية التى جعلت إقامة حكومة جديدة أمرا ممكنا، فإنها تتوقع أن تتصدر دول أخرى، خاصة اليابان والدول الأوروبية، المسيرة لإعادة بناء هذا البلد "(١٥) .

وذلك كما لو أن حملة القصف الأمريكية قد نفذت بناء على طلب أوروبا واليابان ولمصلحتهما، وليس من أجل المصالح الخاصة للولايات المتحدة !

وفى أعقاب قصف الولايات المتحدة للعراق، انتهت إلى إقامة قواعد عسكرية فى السعودية والكويت والبلدان المجاورة فى منطقة الخليج الفارسى.

وفى أعقاب قصف الولايات المتحدة لأفغانستان، يبدو أنها فى طريقها لإقامة قواعد عسكرية فى أفغانستان وباكستان وأوزبكستان وطاجيكستان وربما فى أماكن أخرى فى المنطقة.

لقد تم قصف أفغانستان وغزوها واحتلالها ، إضافة إلى الانطلاق فى عملية انتقام عمياء ضد... شخص ما - فى المحل الأول بهدف ضمان إقامة حكومة جديدة مذعانة على نحو كاف لأهداف واشنطن الدولية، بما فى ذلك إقامة قواعد ومحطات اعتراض للاتصالات الاليكترونية وإدارة خطوط أنابيب النفط والغاز عبر البلاد من منطقة بحر قزوين.

وعلى النقيض من ذلك، فإن رفاهية شعب أفغانستان لا تهم كثيرا، أخذا فى الاعتبار أن العناصر التى وضعتها القوة العسكرية الأمريكية فى السلطة هى فى الأساس العناصر التى كان حكمها السابق لطالبان فاسدا بدرجة جعلت كثيرين من الأفغان يرحبون بوصول طالبان إلى السلطة؛ وتبين أحدث المذابح الفظيعة التى ارتكبتها هذه العناصر، تحت غطاء من قوة النيران الأمريكية، إنها لم تفقد صفتها ولمستها المميزة. إن حميد قرضاى رئيس الحكومة المؤقتة، وإن لم يبد هو نفسه جدّ خسيس، قد يواجه مشكلة تتعلق بالمصداقية، فى ضوء صلته الوثيقة الطويلة بوزارة الخارجية، ومجلس الأمن القومى والكونجرس فى الولايات المتحدة وغير ذلك من أعمدة مؤسسة السياسة الخارجية الأمريكية(١٦). ومع ذلك، فإن هذه الصلة قد لا تعمل إلا فى اتجاه واحد، لأنه عندما طالب قادة الحكومة المؤقتة الولايات المتحدة بأن توقف قصفها فى شهر ديسمبر بسبب تكرار قتل أناس أبرياء، رفضت واشنطن، قائلة أن لها جدولها الزمنى. وهذا لا يبشر بالخير بالنسبة لمستقبل الحكومة الأفغانية والمجتمع الأفغانى؛

كما لا يفعل ذلك تعيين قرضاى للجنرال عبد الرشيد دوستم نائبا لوزير الدفاع، وهو رجل من بين أوجه سحره وجاذبيته، عادته فى عقاب جنوده بربطهم بعجلات الدبابات ثم يقود الدبابات حول ميدان الثكنات ليحولهم إلى لحم مفروم[١٧].

التخويف بالإرهابيين

فى المقدمة التى تلى ذلك، والتى كتبت فى ١٩٩٩، طرحت فكرة أن شبح الأعداء الخطرين المتوعدين من نوع أو آخر كان يتم المبالغة فيه بصورة كبيرة عقودا كثيرة لتخويف الرأى العام الأمريكى حتى يقبل إنشاء وزارة الأمن القومى التى كان يجرى وضع نموذجها ولإقناع المواطنين بأن يسلموا زمامهم للسلطات التى تستطيع إنقاذهم مما كان يجرى التلاعب بهم لتخويفهم منه. إن وزارة للأمن القومى، بما يصحبها من ميزانيات ضخمة، تضاعف المزايا لمديريها، وتعد مبررا لزيادة سلطات الشرطة لإبقاء المتشككين فى الطابور، وهو وضع ترغب فيه الصفوة بشدة.

وفى ضوء ما حدث فى ١١ سبتمبر ٢٠٠١، قد يبدو للبعض ان التهديد لم تتم المبالغة فيه فى الواقع، بل إنه حقيقى جدا. لكن مقدمة هذا الكتاب لا تعنى ضمنا أنه لن يكون هناك أبدا هجوم كبير على الولايات المتحدة التى يلزمها مستوى معين من الاستعداد العسكرى وغيره. ففى ضوء عدوانية السياسة الخارجية الأمريكية وطابعها التدميرى المستمر، يتعين توقع الانتقام، فى وقت أو آخر، وفى مكان ما.

فطوال ما يقرب من خمسين عاما، غرس فى وعى الأمريكيين أن هناك تهديدا وشيكا بغزو سوفيتى لأوروبا الغربية وهجوما نوويا على الولايات المتحدة. لكن بالطبع، لم يحدث أبدا شئ من هذا النوع، ولم يفكر السوفيت أبدا فى شئ من هذا القبيل، لأسباب واضحة تتعلق بالحفاظ على النفس. وبعد ذلك، وعقب زوال الاتحاد السوفيتى، تم العثور على عدة بلدان " معادية " جديدة، إلى جانب خطر المخدرات وخطر الإرهابيين. وقد استخدمت الهجمات الإرهابية العارضة تماما على الولايات المتحدة، والتى تحدث غالبا فى الخارج وردا على سياسات واشنطن، لإثارة المخاوف وزيادة الميزانيات. إن هجوم سبتمبر لا يبرر أكثر من خمسين عاما من الأكاذيب. والواقع أن ما جرى فى الولايات المتحدة منذ الهجوم يضفى مصداقية كبيرة على مقولة أن الهدف

من كل عمليات الاتجار بالمخاوف كان يتمثل فيما اتهمها به نقادها - وهو ما أدركوه فى الواقع.

وبعد الهجوم كان كل يوم يمر هو يوم عيد بالنسبة لمؤسسة الأمن القومى والعصب الشريكة لها . فقد تحققت كل قوائم أمنياتها بل وأكثر مما كانت تتوقع. ففى المدى القصير، زاد الإنفاق على الدفاع بصورة ضخمة، وتم خنق الانفاق الاجتماعى بلا خجل، وجرى التشجيع بصورة داعرة على زيادة الإعفاءات الضريبية لأكبر الشركات؛ وزيادة سلطات الرقابة والملاحقة والاضطهاد على المواطنين، بما فى ذلك الترخيص لهم بدخول منازلهم كيفما شاءوا، لدرجة قد تحسدها عليها النظم الديكتاتورية، وبذلت جهود للانقضاض على التشريعات البيئية، وألغيت من جانب واحد معاهدة أساسية للحد من الأسلحة، وأعلنت خطط لتوسيع الامبراطورية الأمريكية، تحت شعار " حملة صليبية لمكافحة الإرهاب " على العراق وكوريا الشمالية والسودان، من بين دول أخرى.

وعانى من نتائج ذلك، كثير من منتقدى حملة القصف، الذين كانوا فى وضع ضعيف . فقد فقدَ عدد من مدرسى الجامعة الذين عارضوا الحرب مناصبهم أو وبخهم المسؤولون عن التعليم علانية. وتم إيقاف طلاب المدارس الثانوية للسبب نفسه، وتلقى عضو الكونجرس الوحيد الذى اقترع ضد " التصريح باستخدام القوة المسلحة " تهديدات لا تعد ولا تحصى ورسائل مملوءة كراهية بالبريد الاليكترونى؛ ومضى الحال على هذا النحو.

وكانت ثمرة كل ما سبق هو قيام دولة بوليسية، وعلى الرغم من انها لم تكن أسوأ دولة بوليسية فى العالم، فإنها كانت مع ذلك دولة بوليسية؛ وكانت الحرب على المخدرات قد أدت إلى ذلك بالفعل حتى قبل ١١ سبتمبر.

ومن الدوافع الرئيسية وراء هذا الهجوم على الحريات المدنية، رغبة الصفوة عميقة الجذور فى أن تتخلص من بلاء الحركة المناوئة للعولمة. وفى القانون الجديد لمكافحة الإرهاب (المرسوم الوطنى للولايات المتحدة) - والذى تم الدفع به خلال العملية التشريعية حتى قبل أن يستطيع أى عضو فى الكونجرس قراءة نصه المطوّل - فإن الأعمال التى يقصد بها على ما يبدو " إكراه أو إجبار السكان المدنيين " أو " التأثير

على سياسة الحكومة عن طريق الإكراه أو الإجبار " يمكن اعتبارها " إرهابا "، مع ما يترتب على ذلك من خطر اعتقال لا الفرد وحده بل مجموعته ومن شاركوا فى هذه المجموعة. وبموجب هذا سيتعرض الجميع لخطر مصادرة ممتلكاتهم الدنيوية، فى الحد الأدنى.

كم من الشباب سيعرض مستقبله لمثل هذا الخطر الكبير ؟ كم من المنظمات ستخاطر بأن تخسر كل شئ.

من يعرف ماذا سيحدث ومتى

لا غرو أنه ظهرت منذ ١١ سبتمبر تقارير كثيرة أثارت التساؤل حول الرواية الرسمية للأحداث؛ فقد تواردت تقارير تتعلق باجتماع لوكالة المخابرات المركزية مع أسامة بن لادن عقد فى يوليو ٢٠٠١ فى مستشفى فى دبى؛ وان الموساد كان وراء كل ما حدث أو أنه على الأقل كانت لديه معلومات عن الهجوم مسبقا ولم يبلغها، ولذلك فإن الأمريكيين استطاعوا أن يتبينوا تواطؤ اسرائيل مع الإرهابيين؛ وفشل شبكات تأمين الفضاء والدفاع الجوى فى تنفيذ الإجراءات طويلة العهد والتى تم التدريب عليها جيدا والروتينية وإسقاط الطائرتين الثانية والثالثة، فربما اختارت عمدا ألا تفعل ذلك؛ والصفقات التى أجراها المطلعون على بواطن الأمور قبل الهجوم بفترة قصيرة توقعا لأن تهوى أسهم شركتى أميركان ايرلاينز ويونيتد ايرلاينز من حالق مع طائراتهما، والاجتماعات والدعم الأمريكيين السريين لطالبان طوال سنوات كثيرة، والعلاقات بين أسرة بوش وأسرة بن لادن، وكثير غير ذلك[١٨]. وهناك الكثير مما يغذى أعمال الباحثين والناشرين لسنوات كثيرة قادمة. ولكن ليس فى مقدور هذا التصدير أن يتقصى الأسئلة المثارة على النحو المتعمق الذى يستحقه البعض منها.

وكل ما أستطيعه هو أن أضيف تحليلى التأملى لما هو متوافر بالفعل وله وزنه. فمن السذاجة الاعتقاد بأن وكالة المخابرات الأمريكية ومكتب التحقيقات الفيدرالى ووكالة الأمن القومى وغيرها، كانت غافلة، على الأقل فيما يتعلق ببعض التفاصيل، عن أن عملية إرهابية كبيرة وشيكة الحدوث فى الولايات المتحدة؛ ومثلما تبدت فظاعة هذه العملية، فإنه لا يمكن تصور أن هذه الوكالات لم تتحسب لطبيعتها، لأنه فى فبراير ٢٠٠٠، تلقت وكالة المخابرات المركزية فى المؤتمر الدولى الأول المعنى بالدفاع ضد

الهجمات الانتحارية الذى عقد فى اسرائيل، تحذيرات محددة بأن الإرهابيين يخططون لاختطاف طائرة تجارية لاستخدامها كسلاح لمهاجمة رموز مهمة فى الولايات المتحدة[١٩]. وبالإضافة لذلك، كشف إرهابى اعتقل فى الفلبين فى ١٩٩٥ عن تخطيط مجموعته لاختطاف طائرات صغيرة، وملئها بالمتفجرات وجعلها تصطدم بوكالة المخابرات المركزية وغيرها من الأهداف الحكومية الأمريكية[٢٠].

وكان اثنان أو ثلاثة من المختطفين على قائمة المراقبة فى مكتب التحقيقات الفيدرالى. وحسب مصادر المكتب، فإنه عمليا فى كل حالة منع فيها المكتب هجوما إرهابيا، اعتمد النجاح على تحريات وتحقيقات طويلة الأجل تمثلت سماتها فى الصبر وترك المؤامرة الإرهابية حتى تنضج. " من الواضح انه يتعين عليك أن تدع الأمور تسير إلى النهاية حتى تستطيع أن تحدد على نحو كامل مدى المؤامرة ونطاقها. ومن الجلى، ان أكفأ الطرق وأكثرها فاعلية لتحقيق ذلك هو تركها حتى المرحلة الأخيرة "[٢١].

ربما كانوا قد انتظروا أكثر من اللازم فى مرحلة ما.

ورغم أنه ليس هناك الكثير الذى يمكن للمرء أن يستبعده على أصحاب السلطان الأمريكيين من الناحية الأخلاقية، فإننى لا أعتقد أنهم ما كانوا ليسمحوا بحدوث ما حدث لو كانوا قد عرفوا على وجه الدقة ما الذى كان سيحدث ومتى. فالمؤكد أن البنتاجون لم يكن ليسمح بتدمير داره والعاملين فيه بمثل هذا العنف، بيد أنه تظل قائمة حقيقة أن كثيرا من قوائم رغائب الصفوة قد تحققت فى أعقاب هجوم سبتمبر وهو ما يكفل إثارة المزيد من الحديث عن نظريات المؤامرة.

هل هذا هو أسلوب القضاء على الإرهاب ؟

قد يتكشف أن القصف الأمريكى لأفغانستان هو بمثابة حماقة سياسية. إذ أنه لا يمكن الشك فى أن الآلاف عبر العالم الإسلامى قد تمت تعبئتهم عاطفيا وروحيا لصالح قضية ينادى بها أسامة بن لادن آخر من جراء التدمير المروع ؟ وهذا يعنى القول بنشوء جيل تال من الإرهابيين. والواقع أنه فى شهر ديسمبر، وفى حين كانت القنابل الأمريكية تسقط على أفغانستان، حاول رجل - يدعى ريتشارد ريد وهو مواطن بريطانى اعتنق الإسلام - أن ينسف طائرة تابعة لشركة أميركان ايرلاينز كانت فى طريقها إلى الولايات المتحدة بمتفجرات خبأها فى حذائه. وفى جامع لندن الذى كان

ريد يؤمه، حذر الإمام المسؤول من أن المتطرفين يجندون شبانا آخرين مثل ريد وأن عملاء مرتبطين بشخصيات إسلامية راديكالية قد صعدت جهودها فى التجنيد منذ ١١ سبتمبر. وقال الإمام إنه يعرف " مئات من أمثال ريتشارد ريد " تم تجنيدهم فى بريطانيا، وقد ورد أن ريد – الذى وصفته الصحف بأنه " مندفع "– سافر إلى اسرائيل ومصر وهولندا وبلجيكا قبل أن يصل إلى باريس ويركب طائرة شركة أميركان ايرلاينز[٢٢]. ويثير هذا سؤالا عمن كان يموله. ويبدو أن التجميد الذى قامت به الولايات المتحدة مؤخرا لعديد من الحسابات المصرفية للجماعات الإرهابية المزعومة فى كل أنحاء العالم كان محدود الأثر.

لم يعد الأمريكيون يشعرون بالأمن فى أماكن عملهم، وفى أماكن لهوهم، أو فى رحلاتهم بأكثر مما كانوا عليه فى اليوم السابق لبدء عملية القصف التى قامت بها حكومتهم.

هل تعلمت صفوة السلطة أى شئ ؟ فيما يلى كلام جيمس وولسى المدير السابق لوكالة المخابرات المركزية فى حديث له فى ديسمبر فى واشنطن يدعو فيه لغزو العراق وعدم المبالاة برد فعل العالم العربى، وقد جاء فيه : إن صمت الرأى العام العربى فى أعقاب الانتصارات الأمريكية فى أفغانستان، يثبت أن " الخوف وحده هو الذى سيعيد الاحترام للولايات المتحدة "[٢٣].

إذن، ما الذى تستطيع الولايات المتحدة أن تفعله للقضاء على الإرهاب الموجه ضدها ؟ إن الإجابة تكمن فى القضاء على دوافع العداء لأمريكا لدى الإرهابيين ، ولتحقيق هذا، يتعين أن تخضع السياسة الخارجية الأمريكية لتحول عميق، كما يبينه مضمون هذا الكتاب.

ولو كنت الرئيس، لاستطعت أن أوقف الإرهاب ضد الولايات المتحدة فى بضعة أيام قليلة، وعلى نحو دائم. ولتحقيق هذا، يتعين علىّ أولا الاعتذار لجميع الأرامل واليتامى، ومن جرى إفقارهم وتعذيبهم، وللملايين العديدة الأخرى من ضحايا الامبريالية الأمريكية. ثم يتعين علىّ أن أعلن بكل إخلاص، فى كل ركن من أركان العالم، أن تدخلات أمريكا العالمية قد انتهت، وأن أبلغ اسرائيل بأنها لم تعد الولاية ٥١ فى الولايات المتحدة الأمريكية، بل أصبحت من الآن فصاعدا بلدا أجنبيا ـ مهما كانت

غرابة ذلك. ثم يتعين على بعد ذلك أن أخفض الميزانية العسكرية بمقدار ٩٠ فى المائة على الأقل وأن استخدم الوفورات لدفع التعويضات للضحايا، فسيكون هناك أموال أكثر من اللازم. ان الميزانية العسكرية فى سنة واحدة والتى تبلغ ٣٣٠ مليار دولار تساوى إنفاق ١٨ ألف دولار كل ساعة من الساعات التى انقضت منذ مولد المسيح.

ذلك ما سأفعله فى الأيام الثلاثة الأولى لى فى البيت الأبيض، وفى اليوم الرابع سيتم اغتيالى !!

واشنطن العاصمة،

يناير ٢٠٠٢.

مقدمـــــة

كان يمكن لهذا الكتاب أن يحمل عنوانا هو قتلة الأطفال بالمنشار الكهربائى الدوار المتسلسل والنساء اللاتى وقعن فى غرامهم.

وهؤلاء النساء لا يعتقدن أن أحباءهن يقترفون شيئا كهذا، حتى لو عرض عليهن طرف آدمى مقطوع أو جذع إنسان بلا رأس، أو حتى إذا اعتقدن فى هذا، فإنهن يؤمن فى قرارة أنفسهن بأن أفضل النوايا هى التى حركت من يعشقوهن، وأن ما حدث ليس إلا نوعا ما من حوادث سوء الحظ، وخطأ وقع بحسن نية، بل الواقع عمل تم بوازع إنسانى على الأرجح.

فطوال ٧٠ عاما، أقنعت الولايات المتحدة جزءا كبيرا من العالم بأن هناك مؤامرة دولية تتربص به، مؤامرة شيوعية دولية، تسعى على أقل تقدير للسيطرة على الكوكب برمته، لأغراض ليس لها قيم تحقق الخلاص الاجتماعى، وجعلت العالم يعتقد أنه يحتاج إلى الولايات المتحدة بطريقة ما لإنقاذه من غياهب الظلمة الشيوعية، وطفقت واشنطن تقول : " اشتروا أسلحتنا فحسب، اتركوا عسكريينا ومسئولى شركاتنا يذرعون بلادكم طولا وعرضا بحرية، وامنحونا حق الاعتراض على القادة الذين تختارونهم، وفى المقابل سنقوم بحمايتكم ".

وكانت هذه أمهر خدعة بشأن الحماية منذ أقنع الرجل المرأة بأنها تحتاج إليه لحمايتها - فإذا اختفى كل الرجال بين عشية وضحاها، فكم عدد النساء اللاتى سيخشين السير فى الشوارع ؟

وإذا سدر شعب بلد أجنبى ما فى غياهب الظلام بما يكفى لجعله لا يدرك أنه فى حاجة إلى أن يتم إنقاذه، وإذا أخفق فى تقدير نبل الدوافع الأمريكية الكامنة وراء ذلك، يجرى تحذيره بأنه سيصلى نارا حامية فى جحيم الشيوعية، وترسل له وكالة المخابرات الأمريكية برقية بذلك، ومع ذلك سيتم إنقاذه حتى ولو لم يرد.

وبعد عقد من سقوط سور برلين، لاتزال أمريكا تنقذ بلدانا وشعوبا من هذا الخطر أو ذاك، وتتضمن بطاقة الأهداف المحرزة ما يلي: من ١٩٤٥ حتى نهاية القرن، سعت الولايات المتحدة إلى الإطاحة بأكثر من ٤٠ حكومة أجنبية، وسحق أكثر من ٣٠ حركة وطنية شعبية تناضل ضد نظم حكم لا تحتمل، وخلال هذه العملية تسببت الولايات المتحدة في إنهاء حياة ملايين عديدة من الأشخاص، وقضت على ملايين كثيرة بحياة الكرب واليأس.

وفي وقت عملي بهذا الكتاب في واشنطن العاصمة، في أبريل ١٩٩٩، تتخرط الولايات المتحدة في إنقاذ يوغوسلافيا، بأن تقصف مجتمعا عصريا متقدما لترده لعصر ما قبل الثورة الصناعية. والرأى العام الأمريكي العظيم - بحكمته غير المتناهية - مقتنع بأن حكومته تحركها نوازع " إنسانية ".

وتزخر واشنطن بالأعيان الأجانب الذين جاءوا إلى هنا للاحتفال بالذكرى الخمسين لقيام منظمة معاهدة شمال الأطلنطي، والذى استمر ثلاثة أيام من المواكب المهيبة والاحتفالات غير المسبوقة، ويشعر رؤساء الوزارات ورؤساء الجمهوريات ووزراء الخارجية - بغض النظر عن منزلتهم - بالحبور من جراء إدراجهم ضمن الأصدقاء الحميمين لبلطجى فناء المدرسة، وتمول الشركات الخاصة عطلة نهاية الأسبوع الوافرة بالمباهج؛ فقد دفعت دستة منها ٢٥٠ ألف دولار لكل منها ليصبح أحد مديريها التنفيذيين عضوا في لجنة ضيافة قمة الناتو، وقام عدد كبير من نفس هذه الشركات بالضغط والمراوضة لتوسيع الناتو بإضافة الجمهورية التشيكية والمجر وبولندا، والتى ستشترى كل منها كميات وفيرة من المعدات العسكرية من هذه الشركات.

إن هذا الزواج بين الناتو والشركات عبر القومية هو أساس النظام العالمى الجديد، وهو الاسم الذى أطلقه جورج بوش على الامبراطورية الأمريكية. وتتوقف مصداقية النظام العالمى الجديد على اقتناع العالم بأن العالم الجديد سيكون عالما أفضل للبشرية عامة وليس فقط بالنسبة لمن لا يكفيهم الكثير، والإيمان بحسن نية قائد النظام العالمى الجديد الولايات المتحدة.

لنلق نظرة سريعة على التاريخ الأمريكي الحديث، وهو ما يمكن أن تكون له دلالته، فهناك تقرير للكونجرس صادر في ١٩٩٤ يخطرنا بأنه :

تم استخدام ما يقرب من ٦٠ ألفا من العسكريين فى الأربعينيات كمادة بشرية لاختبار عاملين كيميائيين، غاز الخردل وغاز اللوزيرت (غاز يسبب الحروق والقروح)، ولم يتم إخطار معظم هؤلاء الذين كانوا مادة للاختبار بطبيعة التجارب، ولم يحصلوا مطلقا على متابعة طبية بعد مشاركتهم فى البحث. وبالإضافة لذلك، تم تهديد بعض من هؤلاء الذين كانوا مادة بشرية للاختبار بالسجن فى فورت لينفسورث إذا ناقشوا هذه التجارب مع أى شخص، بما فى ذلك زوجاتهم وآباؤهم أو أطباء أسرهم. وظل البنتاجون عقودا طويلة ينكر إجراء مثل هذا البحث، مما ترتب عليه عقود من المعاناة لكثيرين من قدامى المحاربين الذين أصبحوا مرضى بعد إجراء الاختبار السرى[١].

ولنقفز إلى التسعينيات، حيث عاد عدة آلاف من الجنود الأمريكيين إلى ديارهم من حرب الخليج بعلل غير مألوفة تنهك قواهم، وثار الشك فى تعرضهم لعوامل كيميائية أو بيولوجية ضارة، ولكن البنتاجون أنكر أن هذا قد حدث، ومضت السنون والجنود يعانون بشكل مروع : مشاكل عصبية، إرهاقا مزمنا، ومشاكل فى الجلد، ورئات بها قروح، وفقدان الذاكرة، وآلاما فى العضلات والمفاصل، وصداعا حادا وتغيرات فى الشخصية، وإغماء وكثير غير ذلك. وفى النهاية، اضطر البنتاجون وبجهد جهيد للتخلى عن إنكاره واعترف بأنه نعم لقد تم قصف مستودعات للأسلحة الكيميائية؛ ثم اعترف بأنه ربما تكون هناك انبعاثات من السموم القاتلة، ثم اعترف بأن الجنود الأمريكيين كانوا فعلا على مقربة من هذه الانبعاثات السامة (٤٠٠ جندى) ثم اعترف بأن العدد قد يبلغ ٥٠٠٠ ، ثم اعترف بأن " العدد كان كبيرا جدا "، ربما أكثر من ١٥ ألفا، وأخيرا أعلن العدد المضبوط ، ٢٠٨٦٧؛ ثم أعلن البنتاجون أن نموذجا أعد بالكومبيوتر وطال انتظاره يقدر أن نحو ١٠٠ ألف جندى أمريكى يمكن أن يكونوا قد تعرضوا لكميات ضئيلة من غاز السارين ... "[٢].

وتم إجبار الجنود على تناول لقاحات ضد الجمرة الخبيثة وغاز الأعصاب لم تجزها وكالة العقاقير الاتحادية باعتبارها مأمونة وفعّالة، وعندما كانوا يرفضون كان يجرى عقابهم، وأحيانا يعاملون باعتبارهم مجرمين. (خلال الحرب العالمية الثانية، أجبر جنود الولايات المتحدة على تناول لقاح الحمى الصفراء، مما أسفر عن إصابة نحو ٣٣٠ ألفا منهم بفيروس الالتهاب الكبدى ب)[٣]. وأخيرا ـ وفى نهاية ١٩٩٩ ـ بعد نحو تسع سنوات من انتهاء حرب الخليج ـ أعلنت وزارة الدفاع أنه " لا يمكن استبعاد عقار

أعطى للجنود لحمايتهم من غاز أعصاب معين، باعتباره سببا للأمراض التى لا تفارق بعض قدامى المحاربين[٤].

وبالإضافة لذلك، فإن بوق البنتاجون لم يطلق صيحة تحذير، لينبه الجنود الأمريكيين إلى الخطر المحدق للوجود على مقربة من أسلحة اليورانيوم المستنفد المستخدمة فى ميدان المعركة.

ولو كان البنتاجون أكثر استعدادا لتقديم المعلومات منذ البداية عما كان يعرفه تفصيلا عن هذه المواد والأسلحة، فربما كان الجنود سيحصلون على تشخيص سليم مبكرا ويتلقون الرعاية المناسبة سريعا. وكانت التكاليف من زاوية المعاناة الإنسانية غير قابلة للحصر. وقد يكمن أحد مقاييس هذه التكلفة فى التقدير القائل بأن ثلث المشردين فى أمريكا هم من قدامى المحاربين العسكريين.

والآن ماذا نجد فى السنوات الواقعة بين الأربعينيات والتسعينيات ؟ نجد تشكيلة مرموقة من البرامج الحكومية التى تستخدم الجنود - بصورة رسمية أو واقعية - كفئران تجارب بتسييرهم إلى مواقع للانفجار النووى، ثم إرسال الطيارين ليمروا عبر سحابات عيش الغراب الناتجة عنه، وإخضاعهم لتجارب الأسلحة الكيميائية والبيولوجية؛ وتجارب الإشعاع؛ وتجارب تعديل السلوك التى تغسل عقولهم بعقار إل اس دى، والتعرض للديوكسين السام الناتج عن العامل الكيميائى الأصفر فى كوريا وفيتنام ، وتستمر القائمة دواليك . وبالمعنى الحرفى فقد استخدم الملايين كمادة للتجارب، ونادرا ما كانوا يخيرون أو يزودون بالمعلومات الكافية، مع ما يترتب على ذلك من آثار كالكارثة على صحتهم الجسدية أو العقلية، ونادرا ما كانوا يلقون رعاية طبية ملائمة أو حتى رصدا لحالتهم[٥].

إن مغزى هذه الشريحة الصغيرة من التاريخ بسيط : إن لم تبال حكومة الولايات المتحدة بصحة ورفاهية جنودها هى نفسها، وإذا كان قادتنا لا تحركهم الآلام والمعاناة الطويلة للمحاربين البائسين الذين جندوا وحشدوا للقتال فى حروب الإمبراطورية، فكيف يمكن الإدعاء بأنهما يباليان بالشعوب الأجنبية، وكيف يمكن تصديق ذلك ؟ كلا البتة !

عندما سأل مسئول بالمخابرات المركزية الأمريكية الدلاى لاما فى ١٩٩٥ : " هل نفعل خيرا أم شرا بتقديمنا هذا الدعم (لأهل التبت)؟ "، رد الزعيم الروحى للتبت بأنه

رغم أن ذلك ساعد على دعم من يقاومون الصينيين، " فإن آلاف الأرواح ضاعت فى المقاومة " وأن حكومة الولايات المتحدة أقحمت نفسها فى شئون بلاده ليس لمساعدة التبت ولكن باعتبار ذلك تكتيكا للحرب الباردة، لتحدى الصينيين "(٦) .

لقد كتب سكوت فيتزجيرالد يقول : " دعنى أحدثك عن الأثرياء جدا، إنهم مختلفون عنك وعنى ".

كذلك قادتنا.

لنأخذ حالة زبجنيو بريجنسكى، مستشار الأمن القومى لجيمى كارتر. فقد اعترف فى حديث أجرى معه فى ١٩٩٨ بأن القصة الرسمية القائلة بأن الولايات المتحدة لم تقدم معونة عسكرية للمعارضة الأفغانية إلا بعد الغزو السوفيتى فى ١٩٧٩ كانت كذبة، وقال أن الحقيقة هى أن الولايات المتحدة كانت تساعد المجاهدين الإسلاميين الأصوليين قبل أن يبدأ الروس تحركهم بستة شهور، حتى على الرغم من أنه كان يعتقد وقد أخبر كارتر بذلك - بأن " هذه المعونة ستدفع إلى تدخل عسكرى سوفيتى ".

ووجه سؤال لبريجنسكى عما إذا كان نادما على هذا القرار، فقال علام أندم ؟ لقد كانت العملية السرية فكرة رائعة، فقد كان من نتيجتها جرّ السوفيت إلى الفخ الأفغانى فهل تريدنى أن أندم على ذلك ؟ ففى اليوم الذى عبر فيه السوفيت الحدود رسميا، كتبت إلى الرئيس كارتر : لدينا الآن الفرصة لنجعل الاتحاد السوفيتى يخوض حرب فيتنام الخاصة به. والواقع أنه طوال نحو ١٠ سنوات، كان على موسكو أن تواصل حربا لا تقدر الحكومة عليها، نزاع أدى إلى إرباك الإمبراطورية السوفيتية وتحطيمها فى النهاية (٧).

وإضافة إلى حقيقة أنه ليست هناك صلة يمكن إقامة الدليل عليها بين حرب أفغانستان وتحطم الإمبراطورية السوفيتية، فإننا واجهنا نتائج تلك الحرب : هزيمة حكومة التزمت بالوصول بأمة متخلفة على نحو غير عادى إلى القرن العشرين، والمذبحة التى تتقطع لها الأنفاس والتعذيب الذى اقترفه المجاهدون والذى أسماه حتى المسئولون الحكوميون الأمريكيون " الرعب الذى لا يمكن وصفه " (٨) ، وتحول نصف السكان إلى موتى أو عجزة أو لاجئين؛ وتفريخ آلاف من الإرهابيين الأصوليين المتأسلمين الذين ارتكبوا أعمالا شنيعة فى بلدان عديدة ، والقمع الذى لا يصدق للمرأة فى أفغانستان، والذى أضفى عليه حلفاء أمريكا فى زمن الحرب طابعا مؤسسيا.

لا يشعر زبجنيو بريجنسكى بأى ندم على القيام بدور أساسى فى التسبب فى كل هذا ! وأهون شىء يقال عن شخص كهذا - باعتباره مريضا اجتماعيا - هو أنه شخص غير أخلاقى على الأقل فى تجسده العام، وهو ما يعنينا هنا، ولو عاش فى العصور الوسطى لسمى زبجنيو الرهيب.

ما الذى ينبئنا به هذا عن جيمى كارتر ؟ والذى يعتقد كثيرون أنه الشخص الوحيد اللطيف جزئيا الذى احتل البيت الأبيض منذ روزفلت ؟ أو لينكولن ؟

لقد رد الرئيس كارتر عندما حاصره الصحفيون فى ١٩٧٧ بسؤال عما إذا كان على الولايات المتحدة التزام أخلاقى بالمساعدة فى إعادة بناء فيتنام، بقوله : حسنا لقد كان التدمير متبادلا[٩]. (ربما رد بذلك بعد أن شاهد دمار ساوث برونكس فى أواخر ذلك العام، تحت الانطباع بأن ذلك نجم عن قيام الفيتناميين بقصفه بالقنابل).

وفى الحوار التليفزيونى الذى أصبح حاليا شهيرا بين مادلين أولبرايت والمراسل ليزلى ستال، تحدث الأخير عن العقوبات على العراق وسأل سفيرة الولايات المتحدة حينذاك لدى الأمم المتحدة : " لقد سمعنا أن نصف مليون طفل لاقوا حتفهم، أعنى عددا من الأطفال أكبر ممن ماتوا فى هيروشيما. فهل تعتقدين أن هذا الثمن له ما يبرره ؟".

وردت أولبرايت : " أعتقد أن هذا خيار صعب، لكننا نعتقد أن الثمن له ما يبرره " [١٠].

ويمكن للمرء أن يعطى لأولبرايت مطلق الحرية الكاملة فى الاستفادة بالشك ويقول أنه لم يكن أمامها من خيار سوى الدفاع عن سياسة الإدارة. ولكن ما هو نوع الشخص الذى يقبل التعيين فى وظيفة يعرف تماما أنها ستكون جزءا لا يتجزأ من مثل هذه السياسات الجارية وأنه يتوقع منه أن يدافع عنها دون اعتذار عن الخطأ ؟ ولم يمض وقت طويل إلا وعينت أولبرايت وزيرة للخارجية !

ولورانس سومرز نموذج آخر فى هذا المجال، فقد كتب فى ديسمبر ١٩٩١، عندما كان خبيرا اقتصاديا رئيسيا فى البنك الدولى، مذكرة داخلية تقول أنه يتعين على البنك أن يشجع هجرة " الصناعات القذرة " إلى البلدان الأقل تطورا، لأن تكاليف التلوث الضارة بالصحة والمسببة للموت ستكون أقل، وذلك من بين أسباب أخرى. فبقدر

ما تستند هذه التكاليف إلى الإيراد الضائع على العمال المتأثرين بذلك، فى بلد الأجور فيه جدّ منخفضة، فإن التكاليف المحسوبة ستكون أقل كثيرا. وكتب يقول : " أعتقد أن المنطق الاقتصادى وراء دفن حمولة من النفايات السامة فى البلد الأقل أجرا معصوم عن الخطأ وعلينا مواجهة ذلك "[١١] . ورغم أن هذه المذكرة حظيت بتوزيع وإدانة واسعين، فقد عيّن الرئيس كلينتون سومرز فى ١٩٩٩ وزيرا للخزانة، وكانت تلك ترقية له من منصب نائب وزير الخزانة للشئون الدولية.

ولدينا أيضا كلينتون نفسه، الذى حذر من التسرع فى الحكم فى اليوم الثالث والثلاثين من التدمير الجوى ليوغوسلافيا - ٣٣ يوما وليلة من تدمير القرى والمدارس والمستشفيات والمبانى السكنية والبيئة وتقطيع أوصال الناس وأطرافهم، وإفقادهم بصرهم، ونثر أحشائهم، وإصابة الأطفال برضوض نفسية بقية حياتهم ... وهو تدمير للحياة لن يعرفه الصرب مرة أخرى مطلقا ، ففى اليوم الثالث والثلاثين، رأى ويليام جيفرسون كلينتون، وهو يحذر من الحكم على سياسة القصف قبل الأوان، أنه من المناسب أن يعلن : " قد يبدو هذا وقتا طويلا. (لكننى) لا أعتقد أن هذه الحملة الجوية قد استمرت وقتا طويلا بصفة خاصة "[١٢]. ثم كرر الرجل ذلك بعد ٤٥ يوما أخرى.

وقد بدا البرت آل جور - نائب الرئيس كلينتون - ملائما على نحو بارز لخلافته على العرش؛ ومارس فى ١٩٩٨ ضغطا كبيرا على جنوب أفريقيا، مهددا بفرض العقوبات التجارية إن لم تلغ حكومتها خططها لاستخدام عقاقير أرخص لا تحميها التسجيلات لمكافحة الايدز، وهو ما سيخفض مبيعات الشركات الأمريكية [١٣] . وينبغى ملاحظة أن لدى جنوب أفريقيا نحو ثلاثة ملايين شخص مصابين بفيروس نقص المناعة البشرية المكتسبة من بين سكانها الذين تم إفقارهم لحد كبير. وعندما حوصر جور، الذى كانت له فى ذلك الوقت علاقات كبيرة بصناعة الأدوية [١٤] ، بالأسئلة عما فعله أثناء خطاب له فى نيويورك، رفض أن يرد فى الموضوع، وصاح بدلا من ذلك : " اننى أحب هذا البلد. اننى أحب التعديل الأول "[١٥] .

ومما يثير الاهتمام أنه عندما حوصرت مادلين أولبرايت بالأسئلة فى كولومبوس فى أوهيو فى فبراير ١٩٩٨ إبّان دفاعها عن سياسة الإدارة تجاه العراق، صرخت قائلة : " إننا أعظم بلد فى العالم ! ".

والواقع أن الوطنية هى الملاذ الأخير لأى وغد، رغم أن كلمات جور وأولبرايت مجرد رنين لصيحة " ألمانيا فوق الجميع " أو " لتسد بريطانيا ".

وفى ١٩٨٥، حاول رونالد ريجان، وهو يبدى ذكاء مبرزا كان يلقى عليه تقديرا، أن يبين مدى شمولية الاتحاد السوفيتى بأن يعلن : " لست لغويا، لكن قيل لى : إنه فى اللغة الروسية لا توجد كلمة تقابل كلمة حرية "(١٦) . وفى ضوء شخصيات الرواية السابقين وتصريحاتهم، هل يمكننا أن نسأل عما إذا كانت هناك كلمة فى اللغة الانجليزية الأمريكية تقابل كلمة " الخجل ؟ ".

لا، ليست السلطة ببساطة هى التى تفسد وتلغى الطابع الإنسانى.

وليست السياسة الخارجية الأمريكية قاسية لأن الزعماء الأمريكيين قساة.

فالمسألة هى أن زعماءنا قساة لأن من يرغبون ويستطيعون أن يكونوا قساة وعديمى الرحمة بصورة متطرفة هم وحدهم الذين يستطيعون أن يحتلوا مناصب القيادة فى مؤسسة السياسة الخارجية؛ ربما كان ذلك منصوصا عليه فى مواصفات الوظيفة. إن الأشخاص القادرين على الإعراب عن قدر من التعاطف الإنسانى والتقمص العاطفى مع الأغراب البعيدين الذين لا حول لهم ولا قوة ـ ناهيك بالجنود الأمريكيين ـ لا يصلحون رؤساء للولايات المتحدة ولا نوابا للرئيس، ولا وزراء للخارجية، ولا مستشارين للأمن القومى ولا وزراء خزانة، كما أنهم لا يريدون ذلك.

وينطبق هنا نوعًا ما من مبدأ بيتر. لقد كتب لورنس بيتر إنه فى التسلسل الهرمى الوظيفى ينزع كل موظف للارتفاع إلى مستوى عدم كفاءته. وربما يمكننا افتراض أنه فى مؤسسة السياسة الخارجية ملتزمة بالهيمنة الإمبريالية بأى وسيلة ضرورية، فإن الموظفين ينزعون إلى الارتفاع لمستوى القسوة الذى يمكنهم أن يطيقوه.

بعد بضعة أيام قليلة من انتهاء قصف يوغوسلافيا، نشرت النيويورك تايمز، مقالا لمايكل واينز، باعتباره المقال الرئيسى فى باب استعراض أحداث الأسبوع، أعلن فيه أن " لقد رقيت حقوق الإنسان لتصبح أولوية عسكرية وقيمة غربية مبرزة . ولم تسجل الحرب سوى الانقسام الإيديولوجى العميق بين العالم المثالى الجديد المصمم على إنهاء البربرية والعالم القديم المؤمن بالجبرية بالمثل بشأن النزاع الذى لا ينتهى . وهناك أيضا فجوة غائرة بين الغرب وجزء كبير من العالم بشأن قيمة حياة فرد واحد ".

وهكذا دواليك، يمضى التسبيح بطبيعة الغرب وصلاحه، وعبقريته التى للأسف لا يشاركه فيها جزء كبير من باقى العالم الذى ينحى عليه واينز باللائمة لأنه " لا يؤمن فحسب بمفاهيم الحقوق والمسئوليات الغربية "[١٧]. وتسوق لنا التايمز هذه الموعظة الأخلاقية بعد أن أكمل " الغرب " أكثر عمليات القصف وحشية لبلد ما فى تاريخ كوكب الأرض، والتى أشرنا فيما سبق إلى جزء صغير فقط من عواقبها المدمرة.

وخلال القصف الأمريكى للعراق فى ١٩٩١ ـ وهو السجل السابق للوحشية المستديمة ـ تم تدمير مخبأ مدنى بفعل الغارات الجوية التى استخدمت فيها قذائف اليورانيوم المستنفد، مما أدى إلى احتراق مئات كثيرة من الأشخاص وتفحمهم تماما، كان عدد كبير منهم من النساء والأطفال. وقالت مارلين فيتز ووتر المتحدثة باسم البيت الأبيض وهى تكرر أن المخبأ كان مركزا للقيادة والسيطرة: " إننا لا نعرف لماذا كان المدنيون فى ذلك الموقع، لكننا نعرف أن صدام حسين لا يشاركنا قيمنا الخاصة بحرمة حياة الإنسان "[١٨].

وبالمثل ـ خلال حرب فيتنام ـ أكد لنا الرئيس جونسون ومسئولون

حكوميون آخرون أن الآسيويين لا يولون حياة الانسان نفس المنزلة العالية التى يوليها لها الأمريكيون. وبالطبع، فقد قال لنا هذا والقنابل والنابالم والعامل الأصفر ورشاشات الهليوكبتر الأمريكية تفتك بالفيتناميين وحياتهم التى تحظى بمنزلة عالية.

وفى الوقت نفسه فى يوم من شهر فبراير ١٩٦٦، تحمس دافيد لورنس رئيس تحرير يو اس نيوز آند ورلد ريبورت ليضع الكلمات التالية على الورق : " إن ما تفعله الولايات المتحدة فى فيتنام هو أروع مثال شهدناه فى عصرنا لعمل البرّ الذى يقدمه شعب لآخر ".

وقد أرسلت إلى السيد لورنس كتيبا جيد الإعداد عنوانه " الفظائع الأمريكية فى فيتنام "، قدم تفاصيل بيانية عن موضوعه ، وأرفقت بهذا مذكرة تحمل أولا قول لورنس وتحته اسمه، ثم أضفت : " إن أحدنا لمجنون " يلى ذلك اسمى.

ورد لورنس برسالة استغرقت صفحة كاملة، جاء فى الصميم منها : " أعتقد أن نظرة متأنية على (الكتيب) ستبرهن على الفكرة التى أحاول إبرازها ـ ألا وهى أن الشعوب البدائية التى تكمن الوحشية فى أعماق قلوبها يتعين مساعدتها على إدراك الأساس الحقيقى للوجود المتحضر ".

إن العقل الأمريكي - كما يمثله عقل مايكل واينز وديفيد لورنس من الناحية السياسية – قد تشكل بصورة عميقة على نحو يقتضي فيه تحريره مهارة فلسفية وجراحية غير مألوفة وربما لم تكتشف بعد ! والغالبية العظمى من الأمريكيين - حتى أكثرهم تشككا - والذين لا يحتاجون إلى إقناع بأن الكلمات التى تخرج من أفواه السياسيين هى توليفة من المعلومات الخاطئة والعكسية والمخفاة، وأنها يجب أن تصطحب دوما بتحذير من مدى صحتها - تفقد على ما يبدو ملكاتها الانتقادية عندما تواجه مقولة " أبنائنا الذين يفقدون أرواحهم ". وإذا كان الحب أعمى، فإن الوطنية فقدت حواسها الخمس.

وبقدر ما يتجه تشكك هؤلاء الأمريكيين صوب المغامرات الخارجية المعتادة لحكومتهم، فإنه يتعين التساؤل عما إذا كان التفسير الذى تذكره الإدارة لوضع ما سليما أو لا، وما إذا كانت الأهداف المذكورة جديرة بالعناء، وما إذا كان يمكن أو لا يمكن تحقيق الأهداف المذكورة ، ولكن لا يتعين التساؤل عن دافع الحكومة، ومن المفترض سلفا أن زعماءنا يضمرون مشاعر ودية تجاه الشعب الأجنبى المعنى أيا كان قدر إزهاق الأرواح والدمار والمعاناة التى تسفر عنها سياستهم من الناحية الموضوعية.

لقد رأس عضو الكونجرس أوتيس بايك (وهو نائب جمهورى عن نيويورك) لجنة فى ١٩٧٥ ، كشفت عن عدد من الأعمال السرية السوداء للسياسة الخارجية الأمريكية، والتى تسرب الكثير منها للرأى العام، فى حين ظل غيره طىّ الكتمان. وذكر فى حديث أجرى معه أن أى عضو فى الكونجرس يمكنه أن يرى التقرير بأكمله إذا وافق على ألا يكشف أى شئ مما ورد به، وأضاف : " لكن لم يرد كثيرون قراءته ".

وسأل محاوره : " لماذا ؟ "

ورد بايك بقوله :حسنا، إنهم يعتقدون أنه من الأفضل ألا يعرفوا ". وأضاف : " هناك أشياء جد كثيرة تزعج الأمريكيين فى هذا التقرير ، " اسمع " لقد مر هذا البلد بصدمة مروعة بسبب ووترجيت، وحتى عندئذ فإن كل ما طلب منهم هو الإيمان بأن الرئيس كان شخصا سيئا، وفى هذا الوضع الجديد يطلب إليهم ما هو أكثر من ذلك، يطلب منهم أن يؤمنوا بأن بلادهم شريرة، وليس هناك أحد يريد أن يعتقد هذا (١٩) .

ويشبه هذا ذهابك إلى استشارى لأن طفلك يتصرف بطريقة غريبة، فيقول لك : إن لديك مشكلة تتعلق بسفاح القربى فى أسرتك، ولما كان الناس لا يستطيعون تحمل سماع ذلك، فإنهم يذهبون إلى استشارى آخر ويتشبثون بأى تفسير آخر، إن ذلك جد مؤلم [٢٠] .

فى تاريخ الحرب البيلوبونيزية، يخبرنا ثيو سيديدس وهو يتحدث عن أسلوب نهب القرى – وهو المصدر الوحيد لرزق المحاربين – أنه " لم يوصم مثل هذا العمل بالعار، بل كان موضع فخار ".

لقد نشأنا جميعنا تقريبا فى بيئة تعلمنا فيها أنه يتعين عليك ألا تقتل، ألا تغتصب، ألا تسرق، وربما ألا ترشو موظفا عاما أو تغش فى ضرائبك، ولكننا لم نتعلم أن هناك خطأ فى الإطاحة بحكومة أجنبية، وسحق الثورات أو إسقاط قنابل قوية على شعب أجنبى، إذا كان ذلك يخدم " الأمن القومى " لأمريكا.

ولنتأمل حال مدرسينا، فخلال قصف يوغوسلافيا، أعلن دان رازر مذيع أنباء المساء فى سى بى اس : " إننى أمريكى، وإننى مراسل أمريكى، نعم عندما تكون هناك معركة يشترك فيها أمريكيون، يمكنك انتقادى إذا تعين عليك ذلك، أن تلعننى إذا تعين عليك ذلك، ولكننى دوما أساعد على أن ننتصر " [٢١] . (فى الماضى كان الصحفيون الأمريكيون يسارعون بانتقاد نظرائهم السوفيت بسبب تحدثهم بالنيابة عن الدولة).

فما الذى يعنيه هذا ؟ هل يعنى أنه سيساند أى مجهود حربى تقوم به الولايات المتحدة لا يهم فى ذلك المبرر القانونى أو الأخلاقى ؟ وألا يهتم بتأثير ذلك على الديمقراطية والحرية وحق تقرير المصير ؟ وألا يهتم بدرجة الرعب الناجمة عن ذلك ؟ وألا يهتم بأى شئ ؟ لقد اصطف الصحفيون الأمريكيون بالمثل باعتبارهم " هتيفة " العصور الحديثة فى خضم كل مسيرة من مسيرات البنتاجون المتكررة على طريق الحرب، وقاموا بوظيفة " أقرب إلى الاختزال منها للعمل الصحفى " [٢٢] . وخلال حرب الخليج، بدا أن كثيرا من وسائل الإعلام، بما فى ذلك السى إن إن، لديها ولع مرضى خطير بالقذائف بدرجة تكفى لبيان أنهم كانوا فى حاجة لاستشارة إخصائى.

إن كيفن كلوز، المسئول التنفيذى الرئيسى للإذاعة الوطنية العامة، هو الرئيس السابق لجميع منافذ الدعاية الرئيسية ـ على النطاق العالمى ـ التابعة للحكومة

الأمريكية، بما فى ذلك صوت أمريكا، وإذاعة أوروبا الحرة، وإذاعة الحرية وإذاعة مارتى المعادية لكاسترو، التى تبعث إرسالها لكوبا من فلوريدا. والإذاعة الوطنية العامة، والتى يمكن اعتبارها الفرع المحلى لصوت أمريكا، لم تصادف أبدا حربا أمريكيا ليست على هواها، وقد نزل عليها الالهام بأن تصف الحرب ضد يوغوسلافيا باعتبارها " أهم نجاحات السياسة الخارجية "(٢٣) لكلينتون.

ولروبرت كونرود رئيس هيئة الإذاعة العامة، ملخص يشبه بصورة مرموقة ملخص كلوز العامل فى صوت أمريكا وإذاعة مارتى.

هل يدعو للدهشة أن عددا لا ينتهى من الأمريكيين ـ والذين يحظون بعقليات لا تقل إذعانا عن عقليات الأعضاء الآخرين من نفس النوع ـ لا يدركون إلا بصورة غائمة حقيقة أن لهم حتى الحق فى أن يعارضوا صراحة أى مجهود حربى وأن يتساءلوا عن الأسباب الحقيقية التى تدفع الحكومة للقيام به، بدون أن يعتقدوا أنهم (ويا للشناعة) غير وطنيين ؟ إن الدعاية بالنسبة للديمقراطية تعادل ما يمثله العنف بالنسبة للدكتاتورية.

وخلال حرب الخليج فى ١٩٩١، كانت إدارة بوش تعقد ثلاثة مؤتمرات صحفية فى اليوم مستعينة بشخصيات لها ظهور جذاب فى التليفزيون مثل الجنرالين كولين باول ونورمان شورازكوف، وقد ذكرت مارلين فيتزووتر مؤخرا أنه عندما أجرى تليفزيون ايه بى سى لقاء مع مجموعة من كانساس كانت تتحلق حول مائدة فى مطبخ ، كان كل ردّ طرح على هذه المائدة يعكس أحد الأسباب التى قدمناها للاستمرار فيما نفعله (٢٤).

فى أسبانيا فى القرن السادس عشر كانت خيرة العقول منكبة على العمل فى استنباط مبررات للقسوة التى ينزلها فاتحوها بالهنود فى العالم الجديد، وتقرر : أن الهنود " عبيد طبيعيون "، خلقهم الله لخدمة الفاتحين، وقبل الرأى العام ذلك.

ومضت أمريكا القرن العشرين بهذا خطوة أبعد، فخير الأشخاص وألمعهم أكدوا لنا أن تدخلات الولايات المتحدة ـ وإن كانت عنيفة أحيانا ـ لا تمثل فقط الوضع الطبيعى للأمور، ولكنها من الناحية الفعلية أيضا لخير أهالى تلك البلاد.

والواقع أن وسائل الإعلام والرأى العام يستسيغان ملاحقة أكاذيب السياسيين، لكن هذه ليست سوى أكاذيب صغيرة ، أكاذيب عن النقود والجنس واستخدام

المخدرات والزلات الأخرى والكلام الخادع المعتاد وأحاديث الحملات المألوف، وقد توصل سيد معين اسمه أ. هتلر - وهو أصلا من النمسا ، على الرغم من انتقاده عادة بقسوة - فعلا إلى عدد من الرؤى البصيرة الفطنة للغاية بشأن الكيفية التى كان العالم يسير بها، وكان من بينها ما يلى :

إن الجموع الحاشدة من الناس ينزعون فى أعماق قلوبهم إلى أن يكونوا فاسدين لا أشرافا بصورة واعية وهادفة ومن ثم، ففى ضوء البساطة البدائية لعقولهم، يسقطون بسهولة ضحية للأكاذيب الكبرى بأكثر مما يفعلون بالنسبة للأكاذيب الصغرى، حيث إنهم هم أنفسهم يكذبون فى الأشياء الصغيرة، ولكنهم يخجلون من الأكاذيب التى تكون أكبر من اللازم [٢٥] .

وفى النهاية كم عدد الأمريكيين الذى يشكون فى المبرر الرسمى الذى قدم لإسقاط قنبلة ذرية على هيروشيما ونجازاكى - لتفادى الحاجة إلى غزو اليابان براً، وبذا يتم إنقاذ أرواح آلاف من الأمريكيين ؟ ومع ذلك فقد عرفنا منذ سنوات عديدة أن اليابانيين كانوا قد أخذوا يحاولون الاستسلام طوال عدة أشهر لكن الأمريكيين تجاهلوا باستمرار هذه العروض، وتم إسقاط القنابل ليس لتخويف اليابانيين، وإنما لزرع الخوف من الأمريكيين فى قلوب الروس. وقد قيل أن إلقاء القنبلة الذرية لم يكن الطلقة الأخيرة فى الحرب العالمية الثانية، وإنما كان الطلقة الأولى فى الحرب الباردة [٢٦] .

وفى ١٩٦٤، أعلن دين راسك وزير الخارجية عندما سئل عن تورط الولايات المتحدة فى الإطاحة بحكومة البرازيل: حسنا، ليست هناك ذرة من الحقيقة فى هذا، ليس الأمر كذلك بأى حال أو هيئة أو شكل . ومع ذلك، فقد كانت الولايات المتحدة متورطة فى الانقلاب بصورة وثيقة، وكان دورها لا غنى عنه بالمعنى الحرفى[٢٧] .

وفى الثمانينيات، أعلنت إدارة ريجان أن الروس يقومون برش كيماويات سامة على آسيا - ما يسمى " المطر الأصفر " - وتسببوا فى موت الآلاف. وكانت معلومات واشنطن جدّ محددة لدرجة أنها ذكرت فى مرحلة ما أن ٣٠٤٢ شخصا ماتوا فى أفغانستان فى ٤٧ حادثا منفصلا. وقد أدان الرئيس ريجان الاتحاد السوفيتى على ارتكاب هذه الفظائع أكثر من ١٥ مرة فى وثائق وخطب. وقد تبين أن " المطر الأصفر " كان غائطا محملا بحبوب اللقاح ألقت به أسراب من نحل العسل تحلق عاليا فى السماء [٢٨] .

تلك أمثلة ثلاثة اختيرت عشوائيا بالفعل. ويمكن إيراد أمثلة عديدة أخرى. ولكن هل يحتاج الشعب الأمريكى حقا فى بداية القرن ١٢ إلى تذكرته بأن الحكومات تكذب، وأن الدول الكبرى تكذب أكثر، وأن الدولة العظمى الوحيدة فى العالم لديها الكثير لتكذب بشأنه، أى لتغطيه ؟ هل يتعين على أن أنزل لحد الابتذال لأقول هذا لقرائى ؟

من الواضح أن الأمر كذلك، إذا ما تبينا ضخامة أعداد من ابتلعوا المبرر الإنسانى لقصف يوغوسلافيا بدون أن يتقيأوا، بما فى ذلك كثيرون من اليسار".

لقد كانت فكرة " الأثرة " سمة متكررة فى قصة حب أمريكا لنفسها، فمن ١٩١٨ إلى ١٩٢٠، كان للولايات المتحدة دور كبير فى غزو الغرب للاتحاد السوفيتى الوليد، وهو غزو حاول أن " يخنق فى المهد " كما قال تشرشل الثورة الروسية التى حرمت الاستثمار الرأسمالى الخاص من سدس مساحة الأرض فى العالم. وتم تدمير بلد كان لا يزال يتعافى من حرب عالمية مريعة، ويعيش فى أقصى حالة فوضى ناجمة عن ثورة اجتماعية أساسية، وعلى شفا مجاعة تذهب بأرواح ملايين عديدة، بلا رحمة على أيدى الغزاة، دون أن يقوم بأى استفزاز لهم.

وعندما انقشع الدخان، وضعت هيئة أركان الجيش الأمريكى تقريرا عن المهمة قال : " إن هذه الحملة تقدم مثلا من أروع الأمثلة فى التاريخ عن التصرفات المشرفة الإيثارية ... لمساعدة شعب يجاهد لتحقيق حرية جديدة " [٢٩] .

وبعد سبعين عاما تحمس رئيس هيئة الأركان الجنرال كولين باول ليخبر جمهورا من المستمعين فى كاليفورنيا بأن للولايات المتحدة " أصدقاء كثيرين جدا " فى منطقة المحيط الهادئ بسبب " قيمنا ونظامنا الاقتصادى وإيثارنا للغير " [٣٠] . (وكان ذلك بعد فترة قصيرة من إدارة باول لمذبحة شعب بنما) !!

وقد علق المؤلف جارى ويلز على هذه النزعة الأمريكية لعمل الخير تجاه الأجانب بقوله : إننا نعتقد أننا نستطيع حرفيا قتلهم بحنيّة، وأن نحرك مدافعنا للأمام فى نوبة من الإحسان المعتوه. وعندما تكون الولايات المتحدة فى مزاجها الأكثر إيثارا للغير، يصبح من الأفضل للدول الأخرى أن تلجأ إلى غرفها المحصنة تحت الأرض ".

هل ما يهمنى قوله هنا هو أن حكومة الولايات المتحدة لا تهمها حياة البشر أو حقوق الإنسان ؟

كلا، بل أود القول بأن القيام بالعمل الصحيح ليس مبدأ للسياسة الخارجية الأمريكية، وليس مثلا أعلى أو هدفا للسياسة فى ذاته وبذاته ، وإذا حدث واتفق القيام بالعمل الصحيح مع الطموحات الدولية الغالبة لواشنطن، أو كان غير ذى أهمية بالنسبة له، فلن يجد المسئولون الأمريكيون مشكلة فى الالتزام بالقواعد الأخلاقية، لكن نادرا ما يكون هذا هو الحال. وتبين دراسة لحالات التدخل الأمريكية الكثيرة - والتى لخصناها عدديا فيما سبق، وترد تفصيلا فى الفصل الخاص " بالتدخلات " - بوضوح أن الإخلاص لأى نوع من الأخلاق ليس هو وقود محرك للسياسة الخارجية الأمريكية، وإنما الوقود هو ضرورة خدمة سادة آخرين يمكن تقسيمهم إلى أربع ضرورات :

١ – جعل العالم مفتوحا وحسن الوفادة - بالتعبير الراهن - للعولمة وخاصة الشركات عبر القومية التى مقرها أمريكا.

٢ – تعزيز القوائم المالية لمقاولى الدفاع فى الداخل الذين أسهموا بكرم فى حملات أعضاء الكونجرس وقاطنى البيت الأبيض.

٣– منع قيام أى مجتمع يمكن أن يستخدم كنموذج ناجح بديل للنموذج الرأسمالى.

٤ – مد نطاق الهيمنة السياسية والاقتصادية والعسكرية على أكبر قدر ممكن من الكرة الأرضية، لمنع قيام أى قوة إقليمية يمكن أن تتحدى التفوق الأمريكى، وإقامة نظام عالمى على صورة أمريكا، ويفيد الدولة العظمى الوحيدة فى العالم.

وعند واضعى السياسة الأمريكيين، فإن هذه الغايات تبرر الوسائل، وقد كانت كل الوسائل متاحة [٣١] .

ففى أعقاب الانقلاب العسكرى فى شيلى عام ١٩٧٣ ، الذى أطاح بحكومة سلفادور الليندى الاشتراكية، حوصر جاك كيوبش مساعد وزير الخارجية لشئون الأمريكتين بالأسئلة وجاهد للرد على الاتهامات بأن الولايات المتحدة كانت متورطة فيه، وأصر على أنه " لم يكن من مصلحتنا أن يستولى العسكريون على شيلى، إذ كان من الأفضل أن يكمل الليندى مدته كاملة، ويأخذ الأمة والشعب الشيلى إلى الخراب الكامل والتام، وعندئذ فقط كانت الاشتراكية ستفقد مصداقيتها على نحو كامل. وقد أفسد استيلاء العسكريين وإراقة الدماء القضية " [٣٢] .

ورغم أن ملاحظة كيويش استندت إلى التزييف المختلق بشأن تلك المناسبة ـ وهو أن سياسات الليندى كانت تقود شيلى إلى الخراب ـ فقد أعربت بغير قصد عن ولاء الحكومة القوى للضرورة الثالثة السابق ذكرها.

وخلال الحرب الباردة، كانت السياسة الخارجية الأمريكية يجرى تنفيذها تحت العلم الخفاق لخوض حرب صليبية أخلاقية ضد ما أقنع به محاربو الحرب الباردة الشعب الأمريكى ومعظم العالم وأنفسهم عادة، وهو وجود مؤامرة شيوعية دولية حقود، لكن ذلك كان خداعا دائما، فلم يكن هناك مطلقا ذلك الوحش المسمى بالمؤامرة الشيوعية الدولية، لقد كان هناك ـ ولا يزال ـ شعب يعيش فى بؤس، هبّ معترضا على أحواله، ضد حكومة قمعية، حكومة يرجح أن تساندها الولايات المتحدة. وبالنسبة لواشنطن، كان هذا برهانا على أن الاتحاد السوفيتى (أو كوبا أو نيكاراجوا، الخ، يعمل كوكيل لموسكو) يعمل باعتباره " مهيجا خارجيا " على حد القول المألوف.

وفى التحليل الأخير، فإن هذا لابد أن يكون مدعاة للدهشة ، أى نوع من المؤامرة الدولية الموجودة فى كل مكان والكلية والشريرة الرامية للهيمنة على العالم يسمح لامبراطوريته أن تنهار تماما، مثل قصر الرمال المشهور، بدون أن يستخدم القوة العسكرية لمنع الدول التابعة من الخروج عليها ؟ وبدون غزو من الخارج يمسك بسكين يضعها على رقبة الامبراطورية ؟

أعداء بلا عدد، تهديدات بلا نهاية

بالطبع لا يستطيع رعاة البلبلة فى واشنطن أن يصرخوا حاليا قائلين : إن الروس قادمون، وإن طول الواحد منهم يبلغ عشرة أقدام ! (كحجة للتدخل) ولذلك فإنه يتعين عليهم على الدوام أن يجدوا عدوا جديدا . إن أمريكا تُعزّ أعداءها، فبدون أعداء، تتحول لأمة بلا هدف أو اتجاه، إن مختلف مكونات وزارة الأمن القومى، تحتاج إلى أعداء لتبرر ميزانياتها المتضخمة، وتضفى العظمة على عملها وتحمى وظائفها، وتخلق لنفسها رسالة بعد زوال الاتحاد السوفيتى، وأخيرا تعيد اختراع نفسها. وهى تفهم ذلك وحده جيدا، حتى وإن كان بصورة مؤلمة، ولنعرض هناك حديث الكولونيل دينيس لونج، الذى أدلى به فى ١٩٩٢، بعد عامين من انتهاء الحرب الباردة، عندما كان مديرا " لاستعدادات القوة المدرعة الشاملة " فى فورت نوكس :

طوال خمسين عاما، أهلّنا فريق كرة القدم الخاص بنا، وظل يتدرب خمسة أيام أسبوعيا دون أن يلعب مباراة مطلقا، كان لدينا عدو يمكن التحقق من وجوده وخصائصه، وكنا نرسله في رحلات كشفية، (والآن) سيتعين علينا أن نتدرب يوما ونستريح يوما دون أن نعرف أى شئ عن الفريق الآخر، لن يكون لدينا كتاب اللعب الخاص به، ولن نعرف مكان الأستاد، وكم عدد الفتيان الذين سيضعهم في الملعب، وذلك جدّ مزعج بالنسبة للمؤسسة العسكرية، خاصة عندما تحاول تبرير وجود منظمتك وأنظمتك(٣٣) .

وقد أجلت الولايات المتحدة هذا الوضع المزعج بأقصى ما استطاعت، وتم رفض سلسلة من الطلبات السوفيتية خلال الحرب الباردة لإقامة حوار مباشر مع كبار مسؤولى الناتو باعتبار ذلك " غير ملائم ويحتمل أن يسبب انقساما ". وتم تجاهل العروض السوفيتية المستمرة والمتكررة بحل حلف وارسو إذا فعل الناتو المثل، وبعد رفض أحد هذه العروض بإزدراء، علقت لوس انجلس تايمز بقولها : إن " العرض يزيد الصعوبة التي يواجهها صانعو السياسة الأمريكيون في إقناع الرأى العام الغربي باستمرار البرامج العسكرية المكلفة والتي لا تحظى بالشعبية عادة "(٣٤) .

وفي ١٩٩١، لمس كولين باول مفارقة التغيرات العالمية العميقة بتحذير زملائه من العسكريين المحترفين : " يجب ألا ... نأمل في أن تختفي (التغييرات) وتجعلنا نعود إلى الأفكار المريحة عن العدو الشرير عاقد العزم "(٣٥) .

لكن الأفكار مريحة حقا للمحترفين العسكريين ونظرائهم المدنيين، ومن ثم، ففي أحد الشهور يتمثل العدو الشرير عاقد العزم في كوريا الشمالية، في حين يتمثل التهديد الكبير في الشهر التالي في ليبيا، ثم الصين، أو العراق أو إيران أو السودان، أو أفغانستان، أو هتلر هذا الشهر، أو على الأقل في رجل مجنون أو كلب مجنون، درجة من إضفاء الطابع الشيطاني تلائم مجتمعا ثيوقراطيا بأكثر مما تلائم مجتمعا ديمقراطيا.

وبدلا من المؤامرة الشيوعية الدولية، تخبرنا واشنطن حاليا – في يوم أو آخر – أنها تخوض حربا ضد المخدرات أو التجسس العسكرى أو الصناعي، أو انتشار " أسلحة الدمار الشامل "، أو الجريمة المنظمة، أو نيابة عن حقوق الإنسان، أو بصفة

أخص ضد الإرهاب. إنهم يريدون بدرجة كبيرة أن يصدق الرأى العام الأمريكى هذا.
ويمكنك أن تدرج فى مجموعتك المتعلقة بالإرهاب والتهديد بعض العناوين التالية التى ظهرت فى الواشنطن بوست والنيويورك تايمز فى فترة ٧ أسابيع :

٢٢ يناير : " كلينتون يصف التهديد الإرهابى للقرن ٢١ "

٢٣ يناير : " الرئيس يصعد الحرب ضد الإرهاب الجديد "

٢٣ يناير : " إجهاض إرهاب الغد "

٢٩ يناير : " قوى مكافحة الإرهاب تتنامى "

أول فبراير : " البنتاجون يخطط لإنشاء فريق محلى لمكافحة الإرهاب "

أول فبراير : " الرجل الذى يحمى أمريكا من الإرهاب "

٢ فبراير : " الولايات المتحدة تستهدف الإرهاب بتخصيص مزيد من الأموال "

١٦ فبراير: " التدريبات العسكرية لمكافحة الإرهاب تتم فجأة فى أجزاء من تكساس "

١٧ فبراير : " هل أفقدت الولايات المتحدة بن لادن مضاءه "

١٩ فبراير: " الإنفاق لتفادى الهجوم على السفارات يهاجم على استحياء: التهديد الإرهابى يلوح للعيان "

١٩ فبراير : " بنجلاديش : الهدف التالى لبن لادن "

٧ مارس : " النشطاء الإسلاميون يهددون أرواح الأمريكيين "

٨ مارس : " مبنى ريجان مكشوف للهجوم "

١٤ مارس : " مجموعتان تستأنفان وصف الولايات المتحدة لهما كمنظمتين إرهابيتين "

١٦ مارس : " كلينتون يخطط للتدريب من أجل رجال الإطفاء لمواجهة الإرهاب "

وفى ٢٠ يناير، أعلن وليام كوهن وزير الدفاع - وهو رجل كتب حرفيا قصيدة غنائية عن النفاثة المقاتلة اف ١٥- إنه سيتم انفاق ٦ر٦ مليار دولار على إنشاء شبكة قومية للدفاع بالقذائف، وهو إحياء لنظام حرب النجوم الذى دعا إليه الرئيس ريجان، وفى تفسيره لهذا الانفاق، لم يذكر السيد كوهن سوى تهديد واحد ، من كوريا الشمالية. كوريا الشمالية ! بلد لا يستطيع أن يطعم شعبه يوشك أن يشن هجوما بالقذائف على الولايات المتحدة ! فما هو السبب الممكن ؟ التطلع الذى لا يقاوم والطاغى للانتحار الوطنى الشامل الذى قد يكون لدى كوريا الشمالية لكى تشن مثل هذا الهجوم؟ ومع ذلك، فإن الأمريكى العادى، عند قراءته لبيان كوهن، لابد أنه سيجد من الصعب جداً الاعتقاد بأن أحد " قادته " يستطيع أن يتقدم للأمام ويعلن مثل هذه القصة المجنونة على الملأ، وسيعتقد أنه لابد وأن هناك شيئا ما فيما يقوله الرجل.

تلك هى الطريقة التى يهرب بها من المشكلة.

هل يصدق هذا الرجل نفسه ؟ ليس أكثر مما يصدق به الرئيس كلينتون نفسه. ففى ١٩٩٣ أعلن كلينتون عندما كان فى كوريا : " من الحماقة أن يطوروا (الكوريون الشماليون) أسلحة نووية، لأنهم إذا ما استخدموها فى أى وقت فسيكون فى ذلك نهاية هذا البلد " [٣٦] . وقد تسبب فى نوبة الانفجار من الأمانة وسلامة الحكم فى هذه الحالة، سؤال وجهه أحد الصحفيين عن مدى احتمال امتثال كوريا الشمالية لمعاهدة عدم الانتشار [٣٧] . والغريب تماما أنه بعد ذلك بعام، بين مسح أن عدد الشبان الكوريين الجنوبيين الذين يخشون الولايات المتحدة يماثل ستة أمثال من يخشون منهم كوريا الشمالية.

ولنعد إلى ١٩٩٩ و " تهديداتها الجديدة " - ففى شهر أغسطس أعلنت وثيقة عن الاستراتيجية العالمية فى القرن القادم أصدرها مجلس الأمن القومى: " إن الأمة تواجه أكبر تهديد بالتجسس فى تاريخها " [٣٨] .

ذلك بيان مرموق. أيا كان ما حدث للكى جى بى. إن أى أمريكى تجاوز الثلاثين حاليا قد ألقى فى روعه منذ أن كان فى المهد صبيا أن هناك خنجرا سوفيتيا دائما موجها للقلب بيد جاسوس فى الباب المجاور. وقد فقد الألوف وظائفهم بزعم اتصالهم بهذا التهديد، وتم سجن مئات أو ترحيلهم، وتم إعدام اثنين، ولا شك أن السناتور جو مكارثى وادجار هوفر يحومان حول قبريهما [٣٩] .

وفى الوقت نفسه فإن التحذيرات المدوية كقرع الطبول عن أن تهديدا كيميائيا أو بيولوچيا محتملا على الولايات المتحدة تزداد صخبا مع مضى كل أسبوع. وتقوم وكالات الشرطة والحرائق والصحة بإجراء تدريبات منتظمة بكل أنواع المعدات المتقدمة، وتنخرط قوات الجيش والبحرية التى تقوم بالخدمة الفعلية فى نفس الشئ. ولدى مكتب التحقيقات الفيدرالى (اف بى آى) وحدة كبيرة للمواد الخطرة متأهبة للاندفاع إلى مسرح الهجوم. والآن انضم الحرس الوطنى لنوبة الجنود مجهزا بدروع وملابس للحماية تغطى البدن كله. وقد أعلن مكتب المحاسبة العامة أن وحدات الحرس الوطنى زائدة عن الحاجة وأن مهمتنا محددة بطريقة سيئة. وأوردت الواشنطن بوست أنه " فى الواقع، إن بعض النقاد يرون أن فرق (الحرس) هى إلى حد كبير محاولة لإيجاد وظيفة جديدة للحرس ومساعدته على تفادى التخفيضات الأعمق فى الميزانية فى عصر ما بعد الحرب الباردة "(٤٠) . وكما لاحظنا فإنه يمكن أن نقول الشئ نفسه عن عناصر أخرى فى وزارة الأمن القومى.

وفى أكتوبر ١٩٩٩، أذاع برنامج " نايت لاين " فى تليفزيون ايه بى سى مسلسلا من خمسة أجزاء حاكى فيه هجوما بالأسلحة البيولوچية على مدينة أمريكية كبيرة، مصورا جماعة من الإرهابيين يطلقون جراثيم الجمرة الخبيثة فى شبكة من الأنفاق، وكان المسلسل مليئا بالموت والذعر والفوضى الجائحة. وأدلى تيد كوبل ببيان صريح قال فيه مثل أن هذا الهجوم قمين بأن يحدث فى الولايات المتحدة فى زمن ما مستقبلا.، وكما هو متوقع فإن اعتماد البرنامج على الإثارة كان أكبر كثيرا من اعتماده على العلم ، وقد أعرب عن هذا لاحقا مدير مركز جونز هوبكنز لدراسات الدفاع البيولوچى المدنى(٤١) . والمفارقة هى أن وجود مثل هذا المركز دليل آخر على زمن (" التهديد ").

وبعد ذلك بوقت قصير، أعلن مكتب التحقيقات الفيدرالى أن منطقة واشنطن قد أصبحت " الهدف رقم واحد فى العالم " لهجوم إرهابى، كيف عرفوا ذلك ؟ حسنا، " إن وسط واشنطن يتلقى من ثلاثة إلى ستة طرود مشبوهة يوميا "، فهل هناك أى شيء إرهابى حقا فى هذه الطرود ؟ من الواضح أن الإجابة هى لا(٤٢) .

وفى التحليل الأخير، لا يسفر عن شئ كل ما يتخذونه كرد فعل لهجمات متوقعة بالأسلحة الكيميائية والبيولوچية أو الإشعاعية. لكن كانت هناك عدة تقارير زائفة عن

الجمرة الخبيثة، لا شك أن الذى أوحى بها هو كل حديث الرعب الذى يدور، وهو حديث لا يقدم للرأى العام مطلقا أى إلماع إلى مدى الصعوبة القصوى فى تدبير وإتمام هجوم بالجمرة الخبيثة وأنه أمر لا يمكن التكهن به عمليا، خاصة فى مساحة واسعة، وهو أيضا حديث للذعر يضفى المصداقية والقبول على قيام الولايات المتحدة فى ١٩٩٨ بقصف مصنع سودانى للأدوية على أساس ذرائع (زائفة) بأنه يصنع أسلحة كيميائية وبيولوجية.

والسفر جوا هو مجال آخر تلوح فيه قضية " التهديد " بأكثر من واقع الحياة وما تقبله الفطرة السليمة. فقد أوقف مكتب التحقيقات الفيدرالى رحلة من اطلانطا إلى تركيا فى ٤ أغسطس ١٩٩٩ كانت على وشك الإقلاع ، وأجبر الـ ٢٤١ راكبا جميعهم على مغادرة الطائرة، وتم استجواب البعض منهم، وجرى احتجاز رجل، وتم تفريغ كل العفش وتحديد الراكب صاحب كل قطعة منه بمثابرة، واندفعت الكلاب التى تكتشف القنابل عن طريق الشمم وخبراء المتفجرات، وتأخرت الطائرة أكثر من أربع ساعات، فما السبب ؟ لقد تلقى مكتب التحقيقات الفيدرالى إخبارية بأن أحد الركاب ربما يشكل " تهديدا محتملا للأمن القومى " ، وما السبب فى ذلك ؟ إن الرجل دفع ثمن تذكرته نقدا[٤٣] .

وبعد ذلك بثلاثة أسابيع، شوهد رجل فى مطار أوهير فى شيكاغو وهو يجرى خطأ فى ممر يستخدمه عادة من يخرجون من محطة المطار، واختفى فى الحشد المكتظ، ولم يتم العثور عليه أو على أى شئ مشبوه، وما يعرفه الجميع، هو أن الرجل كان ببساطة قد نسى شيئا ما فى مكان ما أو كانت به حاجة ملحة فى الوصول إلى ما كان يعتقد أنه أقرب مرحاض ، بيد أنه نتيجة هذا الوضع " الذى يتضمن تهديدا "، تم إخلاء ٦٠٠٠ راكب، وإلغاء ١٢٠ رحلة على الأقل، وشاع الاضطراب فى حركة المرور الجوى عبر البلاد لعدة ساعات[٤٤] .

مع كل حديث الرعب، ومع كل حديث " التهديد "، ما الذى تم فعلا فى عالم الواقع؟ حسبما أعلنت وزارة الخارجية، فإنه فى الفترة ١٩٩٣– ١٩٩٨ كان عدد الهجمات الإرهابية الفعلية حسب المناطق كالتالى :

أوروبا الغربية ٧٦٦، أمريكا اللاتينية ٥٦٩، الشرق الأوسط ٣٧٤، آسيا ١٥٨، أوراسيا ١٠١، إفريقيا ٨٤، أمريكا الشمالية ١٤[٤٥] .

ومن المعروف حاليا كم بالغت وكالة المخابرات ووزارة الدفاع فى تضخيم المستوى الفعلى للقوة العسكرية والاقتصادية السوفيتية، وكم من البيانات والأحداث تم اختلاقها للمغالاة فى تصوير التهديد السوفيتى، وكم من سيناريوهات الحالة الأسوأ تم تقديمه كما لو كانت محتملة ووشيكة، حتى وإن فشلت فى الوفاء بمتطلبات المصداقية والإقناع(٤٦) . وكان من أكثر قصص التهديد السوفيتى استمرارا - وهو التبرير المزعوم لقيام الناتو - هو الغزو الأحمر الوشيك لأوروبا الغربية وبحلول ١٩٩٩، إذا كان هناك من لايزال يؤكد هذه الحكاية الملفقة للتضليل، لتعيّن عليه أن يقرأ التقرير الذى نشرته الجارديان اللندنية بشأن وثائق الحكومة البريطانية التى ألغيت السرية عليها فى ١٩٦٨ . وكان من بين هذه الوثائق، وثيقة تستند إلى تحليل قامت به لجنة الاستخبارات المشتركة بالمكتب الخارجى، لخصتها الصحيفة كالتالى :

لم تكن لدى الاتحاد السوفيتى نية شن هجوم عسكرى على الغرب فى ذروة الحرب الباردة، هذا ما كان رؤساء القوات العسكرية والمخابرات البريطانيون يؤمنون به، فى تناقض صارخ مع ما كان السياسيون والقادة العسكريون الغربيون يقولونه علنا عن " التهديد السوفيتى ".

وقد أعلن فى يونيو ١٩٦٨، موجز موجه لرؤساء الأركان البريطانيين ، وصف بأنه سرى للغاية، لمخابرات المملكة المتحدة فقط ومعنون : التهديد : الأهداف والنوايا السوفيتية جاء فيه : " إن السوفيت لن يبدأوا عمدا حربا أو حتى حربا محدودة فى أوروبا ".

وحاجت الإدارة بأنه " لقد كانت السياسة الخارجية السوفيتية حذرة وواقعية "، وأنه رغم حرب فيتنام، فإن الروس وحلفاءهم " استمروا يجرون اتصالات فى كل الميادين مع الغرب واحتفظوا بحوار محدود لكنه متزايد مع دول الناتو(٤٧) .

إن اللطف ليس من شيم وقتنا الراهن، ففى ١٩٩٨ أنشأ البنتاجون جهازا بيروقراطيا جديدا هو " وكالة تقليل التهديد بوزارة الدفاع "، وميزانيتها تبلغ المليارات بالفعل، وعدد العاملين يعدّ بالآلاف، و " تتشكل أساسا من وكالات أنشئت لتقليل التهديد الذى يطرحه الاتحاد السوفيتى "(٤٨) . ويسمى ذلك إعادة تدوير.

التهديد السوفيتى، التهديد الإرهابى، الأعداء الجدد، " من فات قديمه تاه "، تلك هى عقلية البنتاجون ووكالة المخابرات المركزية ومكتب التحقيقات الفيدرالى وآخرين، التى تجرى التنشئة عليها بصورة محمومة فى الداخل والخارج، لتبرير مهامها الحاسمة المنقذة للحياة والمانعة للحوادث، والملقاة على عاتقها، هنا وهناك، وفى كل مكان، ونحن نكبح جماح هؤلاء المنقذين الذين يتحملون آلام الكوارث القومية والعالمية ... وهكذا تثار جلبة الحماية القديمة مرة ثانية.

ولقد أخبر جورج تينت مدير المخابرات المركزية مجلس الشيوخ فى ١٩٩٧ بقوله: " أعتقد أننا فى حالة حرب فعلا، لقد كنا فى حالة حرب منذ عدة سنوات حتى الآن "[٤٩] .

إن الهدف الشامل للسياسات العملية هو الإبقاء على الناس مستنفرين (ومن ثم يرحبون بقيادتهم لبر الأمان) بتهديدهم بسلسلة لا تنتهى من الغيلان، معظمها خيالى.

هـ . ا . منكن ، ١٩٢٠

لقد أبقت علينا حكومتنا فى حالة خوف دائم ، أبقت علينا فى حالة فرار مذعور دائم مصحوبا بحماس وطنى ، يقترن بصرخة عن حالة طوارئ وطنية خطيرة. لقد كان هناك على الدوام شر ما رهيب يتخطفنا إن لم نحتشد خلفه بصورة عمياء بتقديم الأموال الباهظة المطلوبة. ومع ذلك فباسترجاع الماضى، يتضح أن هذه الكوارث لم تكن لتحدث أبدا، ويتضح أنها لم تكن حقيقية تماما مطلقا.

الجنرال دوجلاس ماك آرثر، وهو يتحدث
عن ميزانيات البنتاجون الضخمة، ١٩٥٧[٥٠] .

النطاق السياسى والمؤامرات

إنها مفارقة، لكن أقصى اليمين فى الولايات المتحدة أكثر انفتاحا للاقتناع بمساوئ السياسة الخارجية الأمريكية من معظم الليبراليين، وقد يرجع هذا إلى أن أهل أقصى اليمين ـ وهم أنفسهم متطرفون ـ لا ينفرون بصورة غريزية من الاعتقاد بأن حكومتهم قادرة على ارتكاب السلوك المتطرف فى الداخل وفى الخارج، ويتقاسم اليسار واليمين الراديكاليون تشككا عميقا فى نوايا حكومتهم نفسها. ولكن من يقفون فى الوسط بين القطبين لا يرددون طبعا مثل هذه الآراء.

وبالنسبة لهؤلاء الأخيرين، لا تعد البيانات والأقوال الواردة هنا بالنسبة للولايات المتحدة حسنة النية، وقد تبدو كمثال لموضوع " نظرية المؤامرة " المضحكة الذى يتردد كثيرا، وهم (يضحكون ضحكة مكتومة) عندما يسمعوننى أقول أن قادتنا قد اجتمعوا معا، سرا فى منزل آمن منعزل ليخططوا بصورة خبيثة، لهجومهم التالى على كل ما هو مقدس، فى حين يطلقون إشارات القصد منها إثارة البلبلة وإخفاء نواياهم الحقيقية.

ولكن إذا جاهد زعماؤنا للوصول إلى استقامة لا لبس فيها، ألا يعد ذلك مؤامرة ؟ ألا يجتمعون لتخطيط الكيفية التى سيحققون بها أشياء طيبة ؟ أو ربما أنهم لا يتعين عليهم أن يفعلوا ذلك بصورة رسمية، لأنه نظرا لأن نواياهم طيبة ابتداء، فإن الذى يحدث بصورة آلية وطبيعية تماما أنها تلتحم بالنظام، نظام الحكم، نظام الشركات، النظام العسكرى، نظام المخابرات، الرابطة بين الحكومة - الشركات - المؤسسة العسكرية.

ولكن، لماذا إذن لا يصدق الأمر نفسه على سوء النية ؟

إن الأمر لا يتعلق بأن الأمريكيين لا يمكن أن يؤمنوا بأى نظرية للمؤامرة. يشهد على ذلك العمر الطويل الذى راجت خلاله نظرية المؤامرة الشيوعية الدولية. وهى لا تزال سلعة يمكن بيعها بكميات كبيرة.

وقد لاحظ الباحث والمؤلف فى موضوع المؤامرة جوناثان فانكين[٥١] :

إن الصحفيين يحبون أن يعتقدوا فى أنفسهم أنهم مجموعة من الشكاكين. وتلك صورة ذاتية معيبة ومهزوزة. إن أكبر مجموعة من الصحفيين تكون جدّ ساذجة وهى تتعامل مع المسئولين الحكوميين والخبراء التقنيين، والمصادر الرسمية الأخرى، وهم يوفرون " تشككهم " المتبجح للأفكار التى يشعرون أنها غير مألوفة لهم، ويعاملون نظريات المؤامرة بأقصى درجة من التشكك.

إن نظريات المؤامرة يتعين تناولها بتشكك، لكن ليس هناك انصاف. إن التشكك يجب أن ينطبق بالمثل على المعلومات الرسمية وغير الرسمية. ولتفسير نظريات المؤامرة الأمريكية، كان علىّ إصلاح هذا الخلل فى التوازن، وانفتحت على نظريات المؤامرة، وطبقت منهج التشكك التام على القصص الرسمية.

ومثل الستار الذى لا يصمد للريح، حصلنا فى أغسطس ١٩٩٩، فى النهاية على تأكيد رسمى بأن مكتب التحقيقات الفيدرالى قد أشعل أجهزة حارقة فى معسكر طائفة فرع داوود فى ١٩٩٣، حيث مات فى الحريق ٧٦ شخصا فى اليوم نفسه، وقد حدث هذا بعد ست سنوات من الإنكار الرسمى الجازم، فى حين قوبل " منظرو المؤامرة " و " المولعون بالحديث عن المؤامرة "، الذين أصروا على غير ذلك، بالسخرية أو قوبلوا - وهو الوضع المعتاد عادة - بالصمت، وهو أكثر أسلحة وسائل الإعلام مضاء.

هل يمكن أن نلقى وراء ظهورنا حقيقة ما حدث فى " مفاجأة اكتوبر "، ورحلة شركى تى دبليو ايه ٨٠٠، وجونز تاون، وميناء واركنصو، فى ظل الحاكم كلينتون ؟ نعم نلقيه وراءنا بعيدا، والمحتمل ألا نسمع مطلقا اعترافا رسميا بشأن هذه الحوادث إلى أن يمضى وقت طويل من القرن الجديد.

إن قانون ووترجيت الأول فى السياسة الأمريكية ينص على أنه " مهما كانت درجة إصابتك بالبارانويا ومهما كانت عقليتك تآمرية، فإن ما تفعله الحكومة فعلا أسوأ مما تتصور ".

وينص قانون ووترجيت الثانى فى السياسة الأمريكية على أنه " لا تصدق أى شئ إلى أن يتم إنكاره رسميا ".

لكن القوانين لا تزال فى الكتب.

اتصال سلسلة الحرب الباردة

رغم أن " التهديد الشيوعى " المزعوم قد اختفى، فإن دافعى الضرائب لا يزالون يشحنون المقطورات التى تجرها التراكتورات بالنقدية إلى حد الانفجار ويرسلونها إلى ما كان يعرف من قبل باسم وزارة الحرب، ثم أعيدت تسميتها بصورة تدعو للفكاهة باسم وزارة الدفاع ، وتستمر بلا وهن بحوث هذه الوزارة للتوصل إلى أسلحة أكثر تطلعا للمستقبل وطرق أفضل لقتل حشود من الناس، دون إلقاء نظرة واحدة للوراء على أجزاء وأشلاء الأجساد المبعثرة فى ساحات النصر ، لقد عاد الإيمان بالحياة بعد الموت بظهور النظام الجديد للدفاع بالقذائف الذى وضعته إدارة كلينتون، بعد التيقن الشامل من موت نظام حروب النجوم ودفنه ... كما انبعث الناتو مما كان ينبغى أن

يكون ميتا، أكثر قوة من ذى قبل ، ولا تزال مئات كثيرة من المنشآت العسكرية الأمريكية التى تعمل كدرع واسع من متطلبات خوض الحرب المتخصصة، تجعل خريطة العالم مرقّطة بمواقعها، بما فى ذلك قاعدة جوانتانامو فى كوبا، وللمرة الأولى قواعد فى ألبانيا ومقدونيا وكوسوفو والمجر والبوسنة وكرواتيا ، وتنتشر القوات المسلحة الأمريكية وقوات العمليات الخاصة الأمريكية، مثل ذوى البيريهات الخضراء، فيما يزيد على ١٠٠ بلد فى كل أنحاء العالم ، وتزود واشنطن كثيرا من هذه البلدان بكميات ضخمة من المعدات العسكرية المميتة بدرجة عالية، وتقوم بتدريب قواتها المسلحة وشرطتها على الفنون الوحشية، بغض النظر عن مدى الوحشية التى هى عليها بالفعل، ولا تزال القنابل الذرية الأمريكية مخزونة فى سبعة بلدان أوروبية، إن لم يكن فى أماكن أخرى ، ويحتفظ المسئولون الأمريكيون بإيمانهم الذى لا يتزعزع بأن لهم حقا منحه الله لهم فى القيام بأى شئ يريدونه، وللمدة التى يريدونها، وبالنسبة لمن يريدون، وحيثما يريدون.

بعبارة أخرى، إنه أيا كان ما يعتقد الدبلوماسيون وصانعو السياسة فى كل مرة أنهم يفعلونه، فإن متشككى الحرب الباردة قد ثبت سلامة موقفهم - لم يكن الأمر يتعلق باحتواء شيوعية شريرة توسعية فى نهاية المطاف، بل كان يتعلق بالإمبريالية الأمريكية، ولم تكن " الشيوعية " سوى اسم أطلق على من يقفون فى طريقها.

خلاصة القول إجمالا، إن كافة هذه الأوجه من بقاء الأوضاع على ما هى عليه فيما بعد الحرب الباردة تولد سيناريو مستمدا من واقع الأحوال فى الخمسينيات والستينيات والسبعينيات والثمانينيات. إن جون فوستر دلاس مازال حيًا، هل كان رونالد ريجان يتظاهر بالمرض وهو يختبئ خلف ستارة الساحر أوز ؟ لماذا سيستمر كل هذا فى القرن ٢١ ؟

إن صانعى السياسة الخارجية الأمريكية متوافقون ومتناغمون بصورة متقنة لمواجهة قيام حكومة ما وحركة ما يمكن أن تستولى على السلطة، وتستسلم وتغدو وهى سعيدة دولة تابعة لأمريكا، ولا تعتبر السوق الحرة أو الخصخصة فى العالم المعروفة باسم " العولمة " الخير الأسمى، ولا تغير قوانينها لمحاباة الاستثمار الأجنبى، ولا تبالى بآثار الاستثمار الأجنبى على رفاهية سكانها، ولا تنتج من أجل التصدير فى المحل الأول، ولا تسمح بإغراق شعبها بالاسبستوس ومبيدات الآفات المحظورة وغيرها من

المنتجات المقيدة فى العالم متقدم النمو، ولا تتساهل مع صندوق النقد الدولى ومنظمة التجارة العالمية وتسمح لهما بتطبيق سياسة تؤدى لانهيار الخدمات الاجتماعية أو مستوى المعيشة فى البلاد، ولا تسمح بقيام منشآت عسكرية تابعة لأمريكا أو للناتو على أراضيها، وبالنسبة لمنخار واضعى السياسة الخارجية المحنكين عالى الحساسية فى واشنطن، فإن رائحة يوغوسلافيا تشبه كثيرا رائحة إحدى هذه الحكومات.

وبتوافر الذريعة المناسبة، فإن مثل هذه الأمثلة السيئة يتعين جعلها مقيدة، أو حيثما يمكن الإطاحة بها مثلما حدث فى ألبانيا وبلغاريا فى مطلع التسعينيات؛ وعند الفشل فى تحقيق ذلك، يتعين جعل الحياة مستحيلة بالنسبة لهؤلاء المتمردين، كما لا يزال الحال مع كوبا، ومثلما لاحظ مايكل بارنتى لقد لوحظ أن تكلفة اعتقال لصّ بنوك تتجاوز أحيانا المبلغ المسروق، ولكن إذا سمح للصوص بأن يمضوا فى طريقهم طلقاء، فإن هذا سيشجع آخرين على أن يحذوا حذوهم ويعرض النظام المصرفى بأسره للخطر [٥٢].

وقد كان هذا هو الأساس - والشرط الضرورى - للسياسة الخارجية الأمريكية طوال القرن العشرين بأسره، قبل وبعد وجود الاتحاد السوفيتى على حد سواء، من الفلبين وبنما والجمهورية الدومينيكية فى العقد الأول من القرن إلى بيرو والسلفادور وكولومبيا فى العقد الأخير منه.

هل يمكننا حقا القول بأن الحرب الباردة انتهت فعلا ؟ إذا عرفنا الحرب الباردة بأنها صراع يجرى على النطاق العالمى بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى على عقول وأفئدة العالم الثالث (لأى دوافع كانت)، فمن المؤكد أنها انتهت، ولكن إن لم ينظر للحرب الباردة باعتبارها صراعا بين الشرق والغرب، بل صراعا بين " الشمال والجنوب"، واعتبرناها مسعى أمريكيا - كما سبق ذكره - لمنع قيام أى مجتمع يمكن أن يعمل كنموذج ناجح وبديل للنموذج الرأسمالى، ولمنع قيام أى قوة اقليمية يمكن أن تتحدى التفوق الأمريكى، نجد أن تلك الخريطة المحددة ذات الدبابيس المرشوقة فيها لا تزال معلقة على جدران حجرة الحرب فى البنتاجون. (تقول وثيقة تخطيط لوزارة الدفاع صادرة فى ١٩٩٢ : " إن هدفنا الأول هو الحيلولة دون عودة ظهور منافس جديد ... ينبغى أن نبقى على آليات ردع المنافسين المحتملين حتى من التطلع إلى القيام بدور إقليمى أو عالمى أكبر "[٥٣] . (التأكيد مضاف)

ويمكن اعتبار المظهر الراهن لاتصال السلسلة هذا، بأى اسم كان، فصلا جديدا فى الملحمة التى لا تنتهى عن حرب الأغنياء على الفقراء. ومع ذهاب الاتحاد السوفيتى ونفوذه، فإن التدخلات الأمريكية أصبحت خالية من المشاكل عن أى وقت مضى (لنتأمل أن صداقة الولايات المتحدة تجاه العراق ويوغوسلافيا استمرت طوال وجود الاتحاد السوفيتى).

وهناك كلمة تعكس اتصال سلسلة السياسة هذا، هى الإمبراطورية الأمريكية. وهى تسمية تدور بسهولة على اللسان الأمريكى ، فلا يعانى أى امريكى صعوبة فى الإيمان بوجود الإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية العثمانية والإمبراطورية النمساوية المجرية أو الإمبراطورية البريطانية وولعها بالتوسع الذى يحركها، فذلك موجود فى كتبهم المدرسية. ولكن بالنسبة للعقلية الأمريكية، وبالنسبة للكتب المدرسية الأمريكية ووسائل الإعلام الأمريكية، فإن تاريخ الإمبراطوريات قد توقف وقفة أحدثت صريرا.

الإمبراطورية الأمريكية ؟ لفظان متناقضان.

هل هو شبق طاغ إلى الهيمنة السياسية والاقتصادية والعسكرية، على باقى العالم، منفصلة عن الاعتبارات الأخلاقية ؟ مما يوحى بأن ذلك يماثل بالنسبة للأمريكيين لإخبارهم بعملية اختطاف قامت بها أجسام طائرة غير معروفة، فيما عدا أنه من الأرجح أن يصدقوا قصة الاختطاف.

الأرض لا تكفى

لم تكن الإمبراطوريات السابقة تستطيع حتى تخيل ذلك، لكن الإمبراطورية الأمريكية تضع خططا تفصيلية له : السيطرة على الفضاء الخارجى. ليس فقط السيطرة، وإنما التخطيط لخوض الحروب هناك. ولنستعرض كلمات السادة فى البنتاجون :

هيمنة الولايات المتحدة على الفضاء - السيطرة على البعد الفضائى للعمليات العسكرية لحماية مصالح واستثمارات الولايات المتحدة. إدماج قوات الفضاء فى قدرات خوض الحرب عبر الدائرة الكاملة للنزاع ... وخلال الجزء الأول من القرن ٢١، ستتطور القوة الفضائية إلى وسيلة منفصلة ومساوية للحرب ... وسيؤدى التعاون الناشئ بين التفوق فى الفضاء والتفوق البرى والبحرى والجوى إلى هيمنة مكتملة الدائرة ... ويتيح تطوير دفاعات بالقذائف التسيارية باستخدام الشبكات الفضائية

والتخطيط لتوجيه ضربات محددة ودقيقة من الفضاء موازنة مضادة لانتشار أسلحة الدمار الشامل ... إن الفضاء منطقة للمصالح والاستثمارات التجارية والمدنية والدولية والعسكرية المتزايدة، كما أن التهديد الذى تواجهه هذه الشبكات الحيوية آخذ فى التزايد .... والسيطرة على الفضاء هى القدرة على ضمان الوصول للفضاء، وحرية إجراء العمليات داخل وسيلة الفضاء والقدرة على حرمان الآخرين من استخدام الفضاء ـ إن تطلب الأمر ذلك، إن السيطرة على الفضاء مهمة معقدة تخلع على القائد الأعلى للفضاء القيام بدور المحارب الكلاسيكى وتضفى تفويضا على مجال مسئوليته[٥٤] . ... وفيما يتعلق بالسيطرة على الفضاء، فإنها متوافرة لنا، ونحن نحبها، وننوى الاحتفاظ بها[٥٥] . ... إننا سنوجه الأهداف الأرضية يوما ما ـ السفن، الطائرات، الأهداف البرية ـ من الفضاء ... إننا سنقاتل فى الفضاء. إننا سنقاتل من الفضاء وسنقاتل فى الفضاء[٥٦] . (التأكيد فى الأصل)

فى ١٩٦٣، اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة موافقة بالاجماع على قرار يدعو كل الدول " للامتناع عن أن تضع فى مدار حول الأرض أى أشياء تحمل أسلحة نووية أو أى نوع آخر من أسلحة الدمار الشامل، وتركيب هذه الأسلحة على أجرام سماوية أو وضع مثل هذه الأسلحة فى الفضاء الخارجى بأى طريقة أخرى ".[٥٧]

وهذا الأمل الذى تم الإعراب عنه لا يزال قائما وبشدة حاليا، وفى ٢٦ يناير ١٩٩٩، أعلن كوفى عنان الأمين العام للأمم المتحدة فى مؤتمر نزع السلاح المعقود فى جنيف : " هناك مفهوم يتقاسمه الجميع على نطاق واسع حاليا وهو الحفاظ على الفضاء الخارجى كبيئة خالية من الأسلحة ".

فلسفة الجنون

فى مارس ١٩٩٨، أعلنت على الملأ دراسة داخلية أجريت فى ١٩٩٥ بعنوان " أسس الردع فيما بعد الحرب البادرة "، أعدتها القيادة الاستراتيجية للولايات المتحدة، وهى هيئة القيادة المسئولة عن الترسانة النووية الاستراتيجية الأمريكية. وقد ذكرت الدراسة :

بسبب القيمة التى تترتب على غموض ما يمكن أن تفعله الولايات المتحدة لخصم إذا قام بالأعمال التى نسعى لردعها، فإنه من المضر أن نصور أنفسنا باعتبارنا

مبالغين فى العقلانية ورباطة الجأش بأكثر مما ينبغى. إن حقيقة أن بعض العناصر قد تبدو " خارجة عن السيطرة " احتمالا يمكن أن تفيد فى خلق وتدعيم المخاوف والشكوك داخل عقول متخذى القرار لدى الخصم، إن هذا الإحساس الجوهرى بالخوف هو القوة الفاعلة للردع، إن حقيقة الولايات المتحدة يمكن أن تصبح غير عقلانية وانتقامية إذا هوجمت مصالحها، يجب أن تصبح جزءا من الشخصية القومية التى نلقيها فى روع كافة الخصوم(٥٨).

إن مؤلف هذا الكتاب يود أن يقتنع العالم بأن الولايات المتحدة ادعت فحسب " أن الأمور تخرج عن السيطرة " وأنها " غير رشيدة وانتقامية ". بيد أنه يمكن المحاجة ـ استنادا إلى الحقائق الموضوعية عما ألحقته الولايات المتحدة بالعالم، كما جرى وصفه فى هذا الكتاب ـ بأن السياسة الخارجية الأمريكية كانت حقيقة سياسة مجنونة من الناحية الإكلينيكية طوال نصف قرن.

ومن ناحية أخرى، فإن الرغبة فى الهيمنة على العالم، فى حد ذاتها، ليست غير رشيدة بالضرورة، أيا كان ما يعتقده المرء فيها بغير ذلك. وقد أوضح مايكل بارنتى أن السياسة الخارجية للولايات المتحدة " قد تبدو غبية لأن المبررات التى تقدم لتأييدها تبدو عادة غير مقنعة، وتترك لدينا انطباعا بأن واضعى السياسة مرتبكون أو بعيدون عن الواقع. ولكن مجرد أن الرأى العام لا يفهم ما يفعلونه لا يعنى أن قادة الأمن القومى أنفسهم مجانين، إن كونهم مختلقين لا يعنى أنهم أغبياء "(٥٩).

لجنة تقصى الحقيقة

فى السنوات الأخيرة، شكلت شعوب جنوب أفريقيا وجواتيمالا والسلفادور

لجانا رسميا لتقصى الحقيقة لتنظر مباشرة فى الجرائم التى ارتكبتها حكوماتها وتمحصها، ولن تقام مطلقا مثل هذه الهيئة الرسمية لتقصى وتوثيق المجموعة الواسعة من جرائم واشنطن، على الرغم من أن عدة لجان غير رسمية من المواطنين فعلت ذلك على مر السنين من أجل تدخلات محددة، مثلما حدث فى فيتنام، وبنما والعراق؛ وبالطبع فقد تجاهلت وسائل إعلام المؤسسة النتائج التى توصلت إليها (والتى تتمثل إيديولوجيتها فى الإيمان بأنه ليست لها أى إيديولوجيا).

وفى ظل عدم وجود لجنة رسمية لتقصى الحقائق فى الولايات المتحدة، نقدم هذا الكتاب كشهادة بيّنة.

الباب الأول

سياساتنا وسياساتهم : علاقة الحب والكراهية بين واشنطن وبين الإرهابيين ومنتهكى حقوق الإنسان

الفصل الأول

لماذا يواصل الإرهابيون إزعاج الولايات المتحدة ؟

إن حرب واشنطن على الإرهاب مقضى عليها بالفشل مثلما حدث لحربها على المخدرات.

وقد أعلن ساندى برجر مستشار الأمن القومى بعد قصف سفارتين أمريكيتين بالقنابل فى ٧ أغسطس ١٩٩٨[١] : " أعتقد أن الشعب الأمريكى فى حاجة إلى أن يعرف أننا نعيش فى عالم، نصبح فيه هدفا، بحكم قيادة أمريكا بدرجة، وبحكم درجة ما من التعصب لدى بعض الشعوب ".

وعندما وجه السؤال التالى إلى ريتشارد هاس رئيس إدارة السياسة الخارجية فى مؤسسة بروكنجز : ما الذى يريده أولئك الإرهابيون من الولايات المتحدة ؟ أجاب: حسنا، لا تتمثل الإجابة ببساطة فى أى شئ نفعله، وإنما فيما نحن عليه. فى حقيقة أننا أقوى بلد فى العالم. فى حقيقة أننا بلد عالمى ... إن الأمر ببساطة يتمثل فيمن نكون وفى وجودنا، فهذا ما يضايقهم[٢] .

وكان لابد أن يقول توماس فريدمان من النيويورك تايمز آمين. فقد كتب أن الإرهابيين ليس لديهم أى برنامج إيديولوجى محدد أو أى مطالب محددة، وإنما تحركهم كراهية عامة للولايات المتحدة وإسرائيل وغيرهما من أعداء الإسلام المفترضين[٣] .

وأخيرا يجئ دور الرئيس كلينتون الذى يقول : إن الأمريكيين يمثلون أهدافا للإرهابيين، ويرجع ذلك جزئيا إلى أننا نعمل على ترسيخ السلام والديمقراطية ولأننا نقف متحدين فى مواجهة الإرهاب[٤] .

وهناك بعض الابتذال والتفاهات التى يغذينا قادتنا ونقادنا بها عقب كل هجوم إرهابى ضد منشأة أمريكية، هى :

إن صورة أمريكا، الجميلة الواقفة على التل يحسدها عليها الجميع مما يجعلها هدفا لهجمات الإرهابيين الذين لا يستطيعون تحمل أن تنتصر مثل هذه الطيبة المطلقة فى عالم ينتمى إلى سيدهم، ابن الصباح نفسه، الشيطان.

جور فيدال(٥)

والشئ الذى لا يدعه قادتنا ونقادنا يندّ عنهم هو أن الإرهابيين - أيا كان ما يمكن أن يكونوا عليه غير ذلك - قد يكونون أيضا بشرا راشدين، وهو ما يعنى أن فى عقولهم تبريرا رشيدا لأعمالهم. إن معظم الإرهابيين هم أناس مشغولون بصورة عميقة بما يرونه ظلما ونفاقا اجتماعيا، سياسيا أو دينيا، والدوافع المباشرة لإرهابهم تتمثل عادة فى الانتقام لأعمال اقترفتها الولايات المتحدة.

وفيما يلى بعض الأعمال التى يمكن أن تحول عربيا أو مسلما إلى متعصب، إلى إرهابى، وإلى أن يصرخ قائلا : إن أمريكا هى الشيطان الأكبر : إسقاط طائرتين ليبيتين فى ١٩٨١، قصف بيروت فى ١٩٨٣ و ١٩٨٤، قصف ليبيا فى ١٩٨٦، قصف وإغراق سفينة إيرانية فى ١٩٨٧، إسقاط طائرة ركاب إيرانية فى ١٩٨٨، إسقاط طائرتين ليبيتين أخريين فى ١٩٨٩، القصف الحاشد للشعب العراقى فى ١٩٩١، استمرار العقوبات والقصف على العراق، قصف السودان وأفغانستان فى ١٩٩٨، الدعم المألوف لإسرائيل رغم عدوانها وأعمال التعذيب التى تمارسها، وإدانة المقاومة العربية لها، الكيل بمكيالين المطبق على إرهاب اسرائيل مثل المذبحة المتعمدة لعدد ١٠٦ لبنانى فى قاعدة الأمم المتحدة فى قانا فى ١٩٩٦، استمرار اضطهاد ليبيا – الذى قارب حاليا نهاية عقده الثانى – اختطاف المطلوبين من البلدان الإسلامية مثل ماليزيا وباكستان ولبنان وألبانيا، الوجود العسكرى والتقنى العالى فى أرض الإسلام المقدسة، المملكة العربية السعودية وفى غيرها من الأماكن فى منطقة الخليج.

لكن من يغذوننا بالتفاهات والابتذال يعرفون ذلك . إنهم يقومون فحسب بعرض عام للتمثيل الصامت المتسم بقداسة القدم. لقد أخبر مير ايمال كانسى، الباكستانى

الذى أطلق النار على خمسة أشخاص خارج مقر وكالة المخابرات المركزية فى ١٩٩٣، رجال مكتب التحقيقات الفيدرالى بأنه فعل ذلك احتجاجا على سياسة الولايات المتحدة تجاه الشرق الأوسط، بما فى ذلك قصف العراق[٦] . وبعد أربعة أيام من إدانة كانسى فى ١٩٩٧، تم قتل أربعة أمريكيين بإطلاق النار عليهم فى كراتشى فى باكستان وهم يركبون سيارة، وقد قال خبير سابق فى مكافحة الإرهاب بوكالة المخابرات المركزية عن عمليات القتل فى كراتشى . أعتقد أن الصلة بين الأمرين جدّ واضحة .

ومن الواضح أن إيران هى التى دبرت تفجير طائرة بان آم رقم ١٠٣ للانتقام من إسقاط الولايات المتحدة لطائرة ركاب خاصة بها قبل ذلك ببضعة أشهر، والمسئولون الأمريكيون يعرفون ذلك جيدا، وقد جرى تفجير السفارتين الأمريكيتين فى أفريقيا فى الذكرى الثامنة لنفس يوم وصول القوات الأمريكية الأولى للمملكة العربية السعودية، فى أعقاب غزو العراق للكويت. وخلال قصف الولايات المتحدة للعراق فى ١٩٩١، وقعت عشرات من الهجمات الإرهابية على المؤسسات الأمريكية فى كل أنحاء الشرق الأوسط وأماكن أخرى، فهل التقط المسئولون ووسائل الإعلام فى الولايات المتحدة أى إلماع عن السبب والنتيجة ؟ لقد فعلوا ذلك، ولكن فى فترة لاحقة، عندما جاء وقت الابتذال والتفاهات، وأصبحوا فجأة فى مرحلة ما قبل الإصابة بالزهايمر. ومثلما لاحظ نورمان سولومون الناقد الإعلامى[٧] .

عندما يهاجم الإرهابيون فإنهم يرهبون، وعندما نهاجم نحن فإننا ننتقم.

وعندما يردون على انتقامنا بمزيد من الهجمات، فإنهم يرهبون مرة ثانية ، وعندما نرد بمزيد من الهجمات، فإننا ننتقم مرة ثانية.

الإرهابيون الطيبون والإرهابيون الأشرار

فى ٣١ مارس ١٩٩٦، جمعت الولايات المتحدة ٧٢ من قادة العالم فى مصر فى مؤتمر " لمكافحة الإرهاب " بعد موجة من قيام مفجرى القنابل الانتحاريين بقتل عشرات من الأشخاص فى إسرائيل ، وأكد الرئيس كلينتون : " يجب أن نكون واضحين فى إدانتنا لمن يلجئون للإرهاب. ليس للعنف مكان فى المستقبل الذى نسعى له جميعا فى الشرق الأوسط[٨] . وفى ذلك الوقت نفسه، فى العراق، كانت الولايات

المتحدة تساند الائتلاف الوطني العراقي بملايين الدولارات، وهو الائتلاف الذى كان يستخدم سيارات مفخخة بالقنابل وغيرها من أشكال تفجير القنابل فى بغداد وغيرها من المدن، فى محاولة لزعزعة استقرار صدّام حسين. وقد قدّر أن تفجيرات القنابل أودت بحياة ما يزيد على ١٠٠ مدنى فى بغداد وحدها خلال السنوات القليلة الماضية. وبعد أسبوعين من المؤتمر المصرى، التقت البلدان المشاركة فيه فى واشنطن لمتابعة مكافحة الإرهاب. وكان تدفق الأموال للمجموعات الإرهابية من بين الموضوعات التى نوقشت[٩] .

وفى الشهر التالى وقع الرئيس كلينتون، فى صخب و " هلّيلة " أكبر، مرسوم مكافحة الإرهاب، الذى يحظر إبرام الصفقات المالية بين الشركات الأمريكية والبلدان المهتمة بدعم الإرهاب، وبعد أربعة شهور أعفت الإدارة فى هدوء السودان، لتسمح لشركة نفط أمريكية بالتفاوض على صفقة نفط، وفى الوقت نفسه، منحت سوريا استثناء، لتشجيع دمشق على المشاركة فى عملية السلام فى الشرق الأوسط[١٠] .

وفى فبراير ٢٠٠٠، طرح اقتراح جديد بعقد مؤتمر دولى لمحاربة الإرهاب. وفى هذه المناسبة سارعت الولايات المتحدة بإلقاء ماء بارد على الفكرة نفسها قائلة إنه ليست لها " فوائد عملية "، وقد ساندت المؤتمر المقترح ١١٩ بلدا عضوا فى حركة عدم الانحياز من بلدان العالم الثالث. ومن القضايا التى كان من المأمول أن يبحثها المؤتمر، كيفية التمييز بين " الإرهابى " و " المقاتل من أجل الحرية "، وذكر كمثال لذلك مجموعة حزب الله ومجموعة حماس اللتين تقاتلان إسرائيل، كما لاحت مسألة " إرهاب الدولة " كقضية محتملة للمؤتمر على سبيل المثال، هل ينبغى اعتبار الهجمات العسكرية التى تقوم بها القوات المسلحة لأى دولة عملا من أعمال الإرهاب عندما يقتل فيها مدنيون ؟ ونوقش قصف الناتو ليوغوسلافيا فى ١٩٩٩ كمثال على هذا[١١] .

تعريف مكتب التحقيقات الفيدرالية للإرهاب

يعرف مكتب التحقيقات الفيدرالية الإرهاب الدولى بأنه " الاستخدام غير المشروع للقوة أو العنف من قبل مجموعة من الأفراد، لهم صلة ما بدولة أجنبية أو تتجاوز أنشطتهم الحدود القومية، ضد أشخاص أو ممتلكات لترويع أو إكراه حكومة ما، والسكان المدنيين أو أى جزء منهما، لتعزيز أهداف سياسية أو اجتماعية "[١٢] .

ويغطى تعريف مكتب التحقيقات الفيدرالى - رغم أن القصد منه هو وصف
أعمال الموجهة ضد الولايات المتحدة على ما يبدو - عددا لا نهاية له من أعمال
ولايات المتحدة نفسها، وسنجد كثيرا من هذه الأعمال فى صفحات هذا الكتاب،
حت عناوين تفجير القنابل، التدخلات، التعذيب، الحرب الكيميائية والبيولوجية، الخ.

الفصل الثانى

هدية أمريكا إلى العالم
خريجو كلية الإرهاب الأفغان

لم يكن أسامة بن لادن - الذى اتهم بأنه العقل المدبر وراء تفجير السفارتين لأمريكيتين فى إفريقيا فى ١٩٩٨ - على قائمة الكراهية التى وضعتها واشنطن بصورة ائمة، فقد كان هو وكثيرون غيره من الأصوليين الإسلاميين مفيدين بصورة بارزة خلال الثمانينيات فى حرب واشنطن التى سحقت الفرصة الأخيرة التى توافرت للشعب لأفغانى لإجراء إصلاح اجتماعى واقتصادى كان يحتاج إليه بصورة يائسة ولإقامة مجتمع علمانى. وكان الأصوليون - المجاهدون - إرهابيين طيبين بسبب قسوتهم لجامحة العنان والسادية ضد الحكومة والجنود السوفيت فى أفغانستان. هل كانوا رهابيين. وبعد نجاح جهادهم، أخذت هذه القوات تطوف بعيدا، ونفذت عمليات مروعة ى أركان عديدة من العالم، وانمسخت إلى إرهابيين أشرار حقا.

وأدار إجبار الاتحاد السوفيتى على سحب قواته العسكرية من أفغانستان، رءوس لمجاهدين حقا، فقد اعتقدوا أنهم لا يقهرون وأن لديهم رسالة أوكلها الرب إليهم، وبدا نهم يولون وزنا قليلا لحقيقة أن الولايات المتحدة كانت هى الشرط الضرورى لانتصار، عندما استخدمت وزنها العسكرى والسياسى والمالى لتحقيق النتيجة لمرجوة.

وفى ١٩٩٢، بعد ١٢ عاما من المعركة، استطاعت زمر المجاهدين

المختلفة أن تدعى أن أفغانستان ملك لها، رغم أنها كانت حينذاك يقاتل بعضها بعضاً البعض، لقد كانت الحرب نقطة الاحتشاد للمتعصبين المتحمسين الإسلاميين من كل أنحاء العالم - لواء ابراهام لينكولن الإسلامى - وأرست الأساس لتعاونهم وتساندهم

مستقبلا، وتفرق عشرات الألوف من قدامى المحاربين - شباب من جميع الدول الإسلامية، صقلتهم المعارك ومسلحون - فى بلدان كثيرة للقيام بجهاد آخر ضد الكفرة واستنفار وتدريب جيل جديد من الإسلاميين المناضلين والإرهابيين مستعدين لشرب كأس الشهادة، وكانوا فرقة أجنبية إسلامية حقيقية.

وفى خضم موجة أسلحة الهجوم والعنف (التى وصفت " بثقافة الكلاشنكوف ")، اشتكت بنظير بوتو رئيسة وزراء باكستان فى ١٩٩٦ من أن بلدها قد ابتلى بمناخ الجنون هذا كنتيجة مبشرة للتعاون مع الولايات المتحدة لطرد القوات السوفيتية من أفغانستان، وقالت : لقد تُركنا وحدنا لنتصدى لمخلفات الحرب الأفغانية، التى شملت تهريب الأسلحة والمخدرات والمتطرفين (الدينيين) الذين كانوا قادة فى زمن الحرب الأفغانية "[١] .

وقد اشتكى عالم اجتماع جزائرى لمراسل لوس انجلس تايمز فى الجزائر من أن " حكومتكم قد خلقت وحشا، تحول الآن ضدكم وضد العالم ، فقد تم تدريب ١٦٠٠٠ عربى فى أفغانستان، تحولوا إلى آلة قتل حقيقية "[٢] . ورقمه هذا قد يكون على الأصح منخفضا بقدر ما كان هناك ما يقدر بـ ١٥ ألفا من قدامى المحاربين فى أفغانستان - أو " الأفغان " كما أصبحوا معروفين فى كل مكان، سواء كانوا من أفغانستان أم لا - فى المملكة العربية السعودية وحدها[٣] .

وقد لاحظ إقبال أحمد أستاذ دراسات الشرق الأوسط :

أن الدعاية فى الغرب توحى بأن العنف والجهاد متأصلان فى الإسلام. والحقيقة هى أن الجهاد باعتباره حركة تمتد على النطاق العالمى، هو ظاهرة حديثة ، وخلال القرن العشرين كله وبدون استثناء يذكر، استخدم الجهاد فى سياق قومى، عالمانى، وسياسى حتى وقعت حرب مجاهدة السوفيت فى أفغانستان[٤] .

وفيما يلى نلقى بعض الأضواء على عمليات إراقة الدماء المشهورة التى ارتكبها " الأفغان " :

فى الولايات المتحدة

بلغ مير ايمال كانسكى - الباكستانى الذى قتل اثنين من مستخدمى وكالة المخابرات المركزية وأحد مستخدمى مقاول يتعامل مع الوكالة خارج مقرها فى

فيرجينيا في ١٩٩٣ ـ سن الرشد في محافظة تجاور أفغانستان، استخدمت كمنطقة أساسية لتجميع القوات وإعدادها قبل العمليات بالنسبة للمجاهدين. وكان لوالده وغيره من أقربائه صلات بعمليات الحرب التي نفذتها وكالة المخابرات المركزية والمخابرات الباكستانية. وقد قال من كانوا يعرفون كانسي إنه واحد من أبناء جهاد وكالة المخابرات المركزية(٥) .

وكان معظم الذين اشتركوا في تفجير مركز التجارة العالمي في نيويورك في ١٩٩٣ ـ الذي أدى لقتل ستة أشخاص وجرح أكثر من ألف وبلغ قيمة ما تم تدميره نصف مليار دولار ـ من قدامى المحاربين في الحرب الأفغانية(٦) .

وفي أكتوبر ١٩٩٥، أدين ١٠ أشخاص لتدبير تفجير أهداف في نيويورك، بما في ذلك مبنى الأمم المتحدة، ومكتب تابع لمكتب التحقيقات الفيدرالي ونفقي لنكولن وهولند. وكان القائد الروحي للمجموعة، وأحد المتهمين، هو الشيخ عمر عبد الرحمن الذي عمل مع المجاهدين في الحرب في أفغانستان، وقد حصل على تأشيرة دخول لأمريكا في ١٩٩٠ من عميل خفي لوكالة المخابرات المركزية،(٧) مما أدى إلى افتراض أنه كان في ذلك الوقت ـ ولا يزال ـ على صلة بالوكالة، وكان واحد على الأقل من المتهمين ـ الذين جاءوا أساسا من مصر ومن السودان ـ قد حارب في أفغانستان.

وقد أدين ثلاثة أشخاص في نيويورك في ١٩٩٥ لتدبير مؤامرة لتفجير ١٢ طائرة جامبو نفاثة أمريكية و ٤٠٠٠ مسافر في السماء فوق المحيط الهادئ، وكان رمزي أحمد يوسف – العقل المدبر المزعوم لتفجير مركز التجارة العالمي، والذي كان هاربا أحد المتهمين الثلاثة – وكان المجاهدون قد دربوه على استخدام المتفجرات، وقد وجد المحققون في جهاز الكومبيوتر الخاص به بيانا يتعهد بإرهاب وعقاب الأمريكيين لدعمهم لحكومة إسرائيل(٨) .

فـي أماكـن أخـرى

أدين رمزي أحمد يوسف غيابيا في الفلبين في ١٩٩٤ لتفجير طائرة نفاثة تابعة للخطوط الجوية الفلبينية وقتل أحد الركاب، وقد ورد أنه اشترك في أنشطة التدريب مع منظمة أبو سياف الإسلامية المتطرفة في الفلبين(٩) .

مارس ١٩٩٥، كراتشي، باكستان : تم قتل دبلوماسيين أمريكيين وجرح الثالث في هجوم على سيارة كانوا يركبونها، وأعلن مكتب التحقيقات الفيدرالي – الذي جاء

إلى باكستان للتحقيق فى الجريمة – أنه يعالج الهجوم باعتباره انتقاما محتملا للقبض على رمزى أحمد يوسف فى الشهر السابق فى باكستان من قبل عملاء أمريكيين وباكستانيين وتسليمه للولايات المتحدة[١٠] .

وفى نوفمبر ١٩٩٥ مات خمسة أمريكيين وهنديان عندما انفجرت سيارة بيك أب مفخخة بالمتفجرات خارج مبنى للجيش الأمريكى فى الرياض فى المملكة العربية السعودية، وأقر ثلاثة أو أربعة من السعوديين الذين اعترفوا بتنفيذ الهجوم بأنهم تلقوا تدريبا على الأسلحة النارية والمتفجرات فى أفغانستان وأنهم خاضوا القتال هناك[١١] .

وفى يونيو التالى، مات ١٩ من رجال القوات الجوية الأمريكية فى تفجير لمجمعهم السكنى فى الظهران، بالمملكة العربية السعودية ، وادعت نفس المجموعة لنفسها الفضل فى العمليتين.

وفى صيف ١٩٩٥، تعرضت فرنسا لسلسلة من ثمانية هجمات بالقنابل بدأت بانفجار فى محطة القطارات أدى لقتل ثمانية وجرح ١٦٠ ، وقال أحد مسئولى تنفيذ القانون الفرنسيين : إن كل قادة الأشخاص الذين ألقينا القبض عليهم بتهمة الإرهاب تقريبا، قد مروا بأفغانستان أو باكستان "[١٢] .

وقد تضخمت صفوف رجال حرب المغاوير الشيشان الذين نكلوا بالروس سنوات كثيرة بفضل تمردهم المسلح من أجل إقامة مجتمع إسلامى، " بالأفغان " القادمين من الشرق الأوسط وإفريقيا، وكذلك بفضل أنصارهم الذين تلقوا تثقيفا عسكريا فى أفغانستان[١٣] .

ويقدر المسئولون الروس أن من ٤٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ مناضل إسلامى من طاجيكستان وحدها مروا بمعسكرات فى شمالى أفغانستان ثم عادوا إلى الجمهورية السوفيتية السابقة فى وسط آسيا فى ١٩٩٣ لخوض القتال ضد حكومة عالمانية[١٤] . وتعرضت لمصير مماثل، جمهورية سوفيتية سابقة أخرى، هى أذربيجان[١٥] .

وفى المقاطعات الغربية من الصين، سلح قدامى المحاربين الأفغان ودربوا المسلمين الصينيين وقاتلوا إلى جانبهم ضد السلطات الصينية[١٦] .

ومنذ ١٩٩٢، اكتسحت مصر موجة من الإرهاب المناوئ للحكومة لعب الدور الرئيسى فيه خريجو معسكرات التدريب العسكرى فى أفغانستان وباكستان. ويعتقد أيضا أنهم كانوا وراء محاولة اغتيال الرئيس حسنى مبارك أثناء زيارته لأثيوبيا[١٧] .

وفى أغسطس ١٩٩٤، سطا ثلاثة " أفغان " على فندق سياحى فى المغرب، وقتلوا السياح فى محاولة لزعزعة استقرار صناعة السياحة الحيوية فى المغرب[١٨] .

وخلال جزء كبير من التسعينيات، قاتل الكشميريون وغيرهم من القوميات الأخرى الذين تدربوا فى أفغانستان ضد الهند فى جبال كشمير، وشنوا " حربا مقدسة " من أجل الانفصال عن نيودلهى[١٩] .

ومنذ إلغاء الجزائر لانتخابات ١٩٩٢، لعب قدامى المحاربيين فى أفغانستان الجزائريون دورا رئيسيا فى صعود الجماعة الإسلامية المسلحة والمسئولة عن آلاف كثيرة من عمليات الاغتيال التى تجمد الدم فى العروق فى حملتهم الصليبية لإقامة دولة إسلامية[٢٠] .

وفى البوسنة – وابتداء من ١٩٩٢ – حارب الأفغان بضراوة إلى جانب الجيش البوسنى الذى يسيطر عليه المسلمون لمدة سنتين، وهاجموا مواقع الصرب لتحرير القرى المسلمة،[٢١] وقد أشار إلى ما سبق أحد الذين اعترفوا بتدبير انفجار نوفمبر ١٩٩٥ فى المملكة العربية السعودية، قائلا إنه حارب مع المسلمين البوسنيين[٢٢] .

وفى لقاء تم فى ١٩٩٩، أخبر الزعيم الليبى معمر القذافى مراسل صحيفة عربية مقرها لندن أن حكومته قد سحقت حركة مناضلة إسلامية " للأفغان ". وقال : لقد عادوا يائسين تملؤهم الرغبة فى التدمير، وتبنوا القتل والتفجير مهنة لهم، حسب التدريب الذى تلقوه من المخابرات الأمريكية "[٢٣] .

وهناك كثير من الوقائع نفسها فى أماكن أخرى، ممن ظنهم رونالد ريجان " مقاتلين فى سبيل الحرية ".

ولقد أعلن ديبلوماسى أمريكى فى باكستان فى ١٩٩٦ : ذلك مثال مجنون من الدجاج الذى يعود لبيته ليجثم فيه. لا يمكنك صب بلايين الدولارات فى الجهاد المعادى للشيوعية، وتقبل المشاركة من كل أنحاء العالم وأن تتجاهل النتائج، لكننا فعلنا ذلك، لقد تمثلت أهدافنا فى السلام والوضع الطبيعى فى أفغانستان. لقد كان هدفنا هو قتل الشيوعيين وطرد روسيا "[٢٤] .

الفصل الثالث

الاغتيــالات

إننى لا أريد إبادة الجميع ... بل أعدائى فحسب.

مايكل كورليونى، الأب الروحى، الجزء الثانى

فى ٢٦ يونيو ١٩٩٣، ظهر الرئيس كلينتون أمام الشعب الأمريكى ليعلن أن الولايات المتحدة قد أطلقت عدة قذائف على العراق فى ذلك اليوم، وقد اتضح أن القذائف قتلت ثمانية أشخاص وجرحت عددا أكبر كثيرا، وقال الرئيس أن الهجوم كان للانتقام من مؤامرة عراقية لاغتيال الرئيس السابق جورج بوش الذى كانت زيارته متوقعة للكويت. (وبقيت المؤامرة المزعومة لا تزيد على صفتها هذه... مؤامرة مزعومة)[١] . وأعلن كلينتون أن الهجوم الأمريكى " كان ضروريا لإرسال رسالة لأولئك المتورطين فى إرهاب الدولة ولتأكيد توقع السلوك المتحضر بين الأمم "[٢] .

وفيما يلى قائمة بالأفراد الأجانب المبرزين الذين تورطت الولايات المتحدة فى اغتيالهم (أو خططت لذلك) منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. (وقد أشار ظرفاء وكالة المخابرات المركزية إلى هذا النوع من العمليات باعتباره " انتحارا يتم تعاطيه طوعا "، تنفذه لجنة تعديل الصحة بالوكالة).

١٩٤٩	الزعيم المعارض الكورى كيم كو
الخمسينيات	قائمة الاغتيالات التى وضعتها وكالة المخابرات الأمريكية/ النازية الجديدة لمائتى شخصية فى ألمانيا الغربية " لإزاحتها من الطريق " فى حالة حدوث غزو سوفيتى

الخمسينيات	عدة محاولات للاعتداء على حياة شواين لاى رئيس وزراء الصين
الخمسينيات ، ١٩٦٢	سوكارنو رئيس أندونيسيا
١٩٥١	كيم ايل سونج رئيس وزراء كوريا الشمالية
١٩٥٣	محمد مصدق رئيس وزراء ايران
الخمسينيات (منتصف)	كلارو قائد المعارضة الفلبينى
١٩٥٥	جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند
١٩٥٧	جمال عبد الناصر، رئيس جمهورية مصر
١٩٥٩ ، الستينيات	نوردوم سيهانوك، زعيم كمبوديا
١٩٦٠	اللواء عبد الكريم قاسم، زعيم العراق
الخمسينيات – السبعينيات	خوزيه فيجويرس، رئيس كوستاريكا، محاولتان للاعتداء على حياته
١٩٦١	فرانسوا " بابا دوك " دوفالييه، زعيم هايتى
١٩٦١	باتريس لومومبا، رئيس وزراء الكونغو
١٩٦١	الجنرال رفائييل تروخيللو، زعيم الجمهورية الدومينيكية
١٩٦٣	نجو دين ديم، رئيس فيتنام الجنوبية
الستينيات	فيدل كاسترو، رئيس كوبا، عدة محاولات للتآمر على حياته
الستينيات	راؤول كاسترو، مسئول كبير فى حكومة كوبا
١٩٦٥	فرانسسكو كامانو، قائد المعارضة فى الجمهورية الدومينيكية

٦٥ – ١٩٦٦	شارل ديجول، رئيس فرنسا
١٩٦٧	تشى جيفارا، الزعيم الكوبى
١٩٧٠	سلفادور الليندى، رئيس شيلى
١٩٧٠	الجنرال رينيه شنيدر، قائد الجيش، شيلى
السبعينيات ، ١٩٨١	الجنرال عمر ترويخوس، زعيم بنما
١٩٧٢	الجنرال مانويل نورييجا، رئيس مخابرات بنما
١٩٧٥	موبوتو سيسى سيكو، رئيس زائير
١٩٧٦	مايكل مانلى، رئيس وزاء جامايكا
١٩٨٠ – ١٩٨٦	معمر القذافى، زعيم ليبيا، عدة مؤامرات ومحاولات للاعتداء على حياته
١٩٨٢	آية الله خومينى، زعيم ايران
١٩٨٣	الجنرال أحمد الدليمى، قائد الجيش المغربى
١٩٨٣	ميجويل ديسكوتو، وزير خارجية نيكاراجوا
١٩٨٤	القادة التسعة لمجلس إدارة الساندنيستا الوطنية
١٩٨٥	الشيخ محمد حسين فضل الله، زعيم شيعى لبنانى (انظر المذكرة أدناه)
١٩٩١	صدام حسين، زعيم العراق
١٩٩٨	أسامة بن لادن، مناضل اسلامى قيادى
١٩٩٩	سلوبودان ميلوسفتش، رئيس يوغوسلافيا

فى حالة النقص فيمن يقومون بعمليات الاغتيال

فى ١٩٧٥، كشف القائد اللواء توماس ناروت عالم النفس بالبحرية الأمريكية أن عمله فى البحرية تضمن كيفية إقناع الجنود الذين لا ينزعون بصورة طبيعية للقتل، بأن يفعلوا ذلك فى ظل ظروف معينة. وأشار إلى هؤلاء الرجال باستخدام كلمات " الرجال الذين يلحقون الإصابات المهلكة " و " القتلة "، وأضاف ناروت أن القتلة المحكوم عليهم يطلق سراحهم من السجون العسكرية ليصبحوا قتلة، ويتراوح تدريب المجندين المختارين بعناية من تجريد العدو من صفاته الإنسانية، وأقلمتهم عاطفيا من خلال أفلام خاصة تبين أشخاصا يجرى قتلهم وإصابتهم بطرق عنيفة[٣] . وقد كشف ناروت عن هذا السر فى صدفة محضة، ولا يمكن إلا أن نتحرز البرامج التى تطبق أو تخطط حاليا فى المبنى ذى الجوانب الخمسة فى فيرجينيا.

التكفير على الطريقة الأمريكية

صُدم العالم الغربى عندما حكمت إيران على المؤلف سلمان رشدى بالموت بسبب كتاب وضعه " بالكفر "، ولكن الولايات المتحدة أيضا تحكم بالموت على من تعتبرهم كفارا، كاسترو، الليندى، سوكارنو، وحشد غيرهم ممن سبق ذكرهم الذين لا يؤمنون بالأهداف المقدسة للسياسة الخارجية الأمريكية.

هل هى انحراف ؟

قالت لجنة مجلس الشيوخ المسماة لجنة تشيرش فى تقرير عن الاغتيال صدر فى ١٩٧٥ : " إن اللجنة لا تعتقد أن أعمال (الاغتيال) التى بحثتها تمثل الشخصية الأمريكية الحقيقية. وهى لا تعكس المُثل التى قدمت لشعب هذا البلد والعالم الأمل فى حياة الأفضل، والمتسمة بالخصال المتميزة والأكثر عدلا، إننا نعتبر عمليات الاغتيال انحرافا "[٤] .

وفى الوقت الذى كتبت فيه اللجنة هذا، كانت على علم بنحو دستة من مؤامرات الاغتيال التى قامت بها وكالة المخابرات المركزية، ومع ذلك فقد استطاعت أن تسميها انحرافا، فهل يستطيع رجال الكونجرس حاليا، وقد عرفوا بأكثر من ٤٠ حادثة وردت قائمتها فيما سبق، أن يسموها انحرافا ؟

هل يستطيعون أن يفسروا كيف استمر هذا " الانحراف " خلال كل من الرئاسات العشرة، من ترومان حتى كلينتون ؟

وطوال السنوات التى أعقبت تقرير لجنة تشيرش، اهتم الرؤساء الأمريكيون بإصدار بيانات عامة عن الاغتيال، ربما فى محاولة لإقناع العالم " بأننا لا نعنى ذلك حقا ".

١٩٧٦ : وقع فورد أمرا رئاسيا نص على أنه : لن ينخرط أى موظف فى الولايات المتحدة فى اغتيال سياسى أو يتآمر للانخراط فيه .

١٩٧٨ : كما أصدر كارتر أمرا تنفيذيا يحظر الاغتيال.

١٩٨١، ٤ ديسمبر: أصدر ريجان أمرا رئاسيا بلغة مماثلة للغة الأمر الذى أصدره فورد.

ولكن فى ١٣ نوفمبر ١٩٨٤، ألغى وقد تسلط عليه هاجس مقاومة " المؤامرة الشيوعية الدولية " على عدة جبهات، الأمر التنفيذى الذى كان قد أصدره، مما خلق ما أسمته الصحافة حقا "ترخيصا بالقتل" ـ ترخيصا بقتل أى شخص يعتبر "إرهابيا".

وفى ١٠ ابريل ١٩٨٥، ألغى كارتر " الترخيص بالقتل " لأنه فى الشهر السابق لذلك كانت وكالة المخابرات المركزية قد دفعت أموالا لبعض الأشخاص فى بيروت لقتل الشيخ فضل الله، الذى لم تكن واشنطن تحبه، وقد استخدمت سيارة مفخخة بالقنابل وتم قتل ٨٠ شخصا، ولم يكن الشيخ ضمن هذا العدد.

١١ أغسطس ١٩٨٥ : أعيد " الترخيص بالقتل " بسبب اختطاف طائرة تى دبليو ايه فى يونيو.

١٢ مايو ١٩٨٦ : تم توقيع أمر تنفيذى جديد دون لغة متضاربة، مراعاة لاعتراضات الكونجرس على مايبدو(٥) .

ومن الواضح، أن ريجان لم يكن يعمل انطلاقا من أى مبدأ مجند للاغتيال أو معارض له ـ لقد كان كل ذلك نوعا من العلاقات العامة، ولم تختلف مطلقا السياسة الخارجية فى هذا المجال على مرّ السنين، فى كل الاحتمالات، بما يبرر الحديث عن ذلك، أيا كانت الرسالة الرئيسية " الرسمية " التى تصدر اليوم عن البيت الأبيض.

١٣ اكتوبر ١٩٨٩ : أضاف بوش التواء رئاسيا جديدا، فقد أصدر " مذكرة قانونية " يسمح فيها بالقتل " العارض " إذا كان نتاجا ثانويا لعمل قانوني . " إن قرارا يصدره الرئيس باستخدام القوة العسكرية الصريحة لن يشكل اغتيالا إذا استخدمت قوات الولايات المتحدة ضد القوات المقاتلة لبلد آخر، قوة حرب عصـابات، أو منظمة إرهابية أو غيرها يمثل عملها تهديدا لأمن الولايات المتحدة "[٦] . بعبارة أخرى: إن الاغتيال سيكون مباحا إذا قلنا " يا للا ! ".

ولم يصدر كلينتون على ما يبدو أى بيان رسمى فيما يتعلق بسياسة الولايات المتحدة تجاه الاغتيال.

تقرير دوليتل

أدرجت لجنة شكلها البيت الأبيض فى ١٩٥٤ لدراسة الأنشطة السرية لوكالة المخابرات المركزية فى تقريرها الفقرة التالية التى أصبحت مشهورة حاليا، والتى لها أهميتها بالنسبة لهذه المناقشة للاغتيال، وقد تكون ما يسميه علماء النفس " إسقاط ".

من الواضح حاليا أننا نواجه عدوا لا يلين هدفه المعلن هو السيطرة على العالم بأية وسيلة وبأية تكلفة، وليست هناك أى قواعد فى هذه اللعبة، ومن ثم فإن قواعد السلوك الإنسانى المقبولة لا تنطبق. وإذا كان للولايات المتحدة أن تواصل البقاء، فإنه يتعين إعادة النظر فى المفاهيم الأمريكية طويلة الأمد عن " اللعب العادل "، ينبغى أن نطور إدارات فعّالة للتجسس ومكافحة التجسس، وعلينا أن نتعلم هدم وتخريب وتدمير الأعداء بطرق أكثر مهارة وحنكة وفعّالية من تلك التى تستخدم ضدنا، وقد يغدو من الضرورى أن يألف الشعب الأمريكى هذه الفلسفة البغيضة وأن يفهمها ويساندها[٧] .

طريق يسير فى اتجاهين

إذا كانت الولايات المتحدة قد استشهدت عند تفجير مقر المخابرات العراقية ـ والتى كانت هدفا لها فى عمليات القصف السابق للإشارة إليها ـ بسبب مؤامرة الاغتيال المزعومة لزعيم أمريكى ـ بحق الدفاع عن النفس بموجب ميثاق الأمم المتحدة

كمـا فعلت واشنطن (وهو إدعـاء مـحل تسـاؤل مـثله مـثل المؤامـرة المزعـومـة)، فـإن ذلك يدفعنا للتفكير في الفرص المتاحة لبلدان مثل بنما وليبيا وكوبا على سبيل الاستشـهاد بالقلة. ذلك أن كوبا تستطيع إدعاء الحق في قصف مقر وكالة المخابرات المركزية، عدة مرات، ناهيك بميامي. ومن الصواب القول بأنه على الرغم من ذلك، فلن يقبل لا البيت الأبيض ولا المحـاكم الأمـريكيـة هذه الحـجـة القانونية؛ ولن يكـونا قـادريـن على رؤيـة ما وراء الستار الحديدي.

الفصل الرابع

مقتطفات من كتيبات التدريب للجيش الأمريكى ووكالة المخابرات المركزية

أو... بعض الأفكار الساحرة من عقول الفتية الطيبين

وكالة المخابرات المركزية، " دراسة عن الاغتيال "، كتبت فى مطلع الخمسينيات[١] .

" بالنسبة إلى الاغتيالات السرية ... يعد الحادث المدبر التقنية الأكثر فعّالية. فعندما ينفذ بنجاح، فإنه لا يسبب سوى قليل من الإثارة، ولا يتم التحقيق فيه إلا بصورة عارضة. والحادث الأكثر كفاءة ... هو السقوط من ٧٥ قدما أو أكثر على سطح صلب. وستفيد فى ذلك مهاوى المصاعد، وآبار السلالم، والنوافذ التى بلا حواجز والكبارى ... ويمكن تنفيذ العمل بالقبض فجأة وبقوة على الكاحلين، وقلب الشخص المستهدف ودفعه للحافة، وإذا أطلق القاتل صرخة عالية، ليرهب "الشهود المرعوبين"، فلن تكون هناك ضرورة لشاهد نفى أو انسحاب مستتر ".

" ويمكن أن تكون المخدرات فعّالة للغاية، فلو تم تدريب القاتل كطبيب أو ممرض، وكان الشخص المستهدف قيد الرعاية الطبية، فإن هذا يعتبر أسلوبا سهلا ومضمونا، إن جرعة زائدة من المورفين تعطى كمسكن ستسبب الموت بدون إزعاج ويصعب اكتشافها، وسيتوقف حجم الجرعة على ما إذا كان الشخص المستهدف يستخدم المخدرات بصورة منتظمة أو لا، فإن لم يكن يستخدمها، فتكفى حبتان، وإذا كان الشخص المستهدف ممن يشربون المسكرات حتى الثمالة، يمكن حقن المورفين أو مخدر مماثل فى مرحلة الإغماء، وغالبا ما سيعتبر إدمان المسكرات الحاد هو سبب الوفاة ".

" الأسلحة الماضية : أى أداة ماضية يتم الحصول عليها يمكن أن يتم استخدامها بنجاح، وللوثوق من الأمر، فإن الأمر يتطلب حدا أدنى معينا من المعرفة بالتشريح، فالجروح الناجمة عن إحداث ثقب فى تجويف الجسم قد لا يمكن التعويل عليها

إلا بالوصول للقلب، والقلب يحميه قفص من الضلوع ولا يسهل دوما تحديد مكانه، ويمكن الوصول لليقين المطلق بقطع الحبل الشوكى فى منطقة العنق، ويمكن إتمام ذلك بطرف السكين المدبب أو بضربة خفيفة من بلطة أو فأس صغيرة، وهناك طريقة أخرى يعول عليها هى قطع كل من الأوعية الوداجية والسباتية على جانبى القصبة الهوائية ".

" تقنية غرفة المؤتمرات : # (١) يدخل [القاتل] الغرفة بسرعة ولكن بهدوء. # (٢) يقف فى المدخل. # (٣) يطلق النار على أول شخص ينجم عنه رد فعل، يدور على طرفى المجموعة متجها نحو مركز الحشد، يؤقت الطلقات لتفرغ الذخيرة فى نهاية عملية الدوران # (١) يغطى المجموعة ليحول دون ردود الأفعال الفردية الخطرة، ويطلق - إذا اقتضى الأمر - عدة طلقات فى ٣ جولات. # (٢) ينهى الزخات، يسيطر على تغيير " المواضع "، ينسل خارجا من الباب، يبدل الخزنة الفارغة. يغطى المر. # (١) عند تغيير الوضع، يفتح النار على الجانب المقابل للهدف، يطلق زخّة دوارة على المجموعة، يترك مواد دعاية (لتوريط المعارضة) ".

الجيش الأمريكى، " الإرهاب وفرق حرب العصابات فى الحضر ". الستينيات[٢]

" إجراءات للسيطرة على السكان والموارد :

١ - بطاقات الهوية. النظام الفعال للتحقق من الهوية أساسى بالنسبة للبرنامج...

٢ - التسجيل. يستخدم برنامج لتسجيل العائلات لاستكمال نظام بطاقات الهوية، وهذا نظام لجرد العائلات فى كل منزل، ووضع قائمة بكل أعضاء العائلة الذين يعيشون فى المنزل إلى جانب موارد العائلة، ويمكن للمرء أن يلاحظ أيضا وجود اتجاهات وانتماءات متمردة بين السكان.

٣ - السيطرة حسب الصف من البيوت، يتمثل هدف السيطرة عن طريق كل صف بيوت على حدة فى اكتشاف الأفراد الذين يساندون أو يتعاطفون مع المتمردين ونوع المساندة الذى يقدمونه.

٤ - دوريات الشرطة، هدفها هو اكتشاف مصادر دعم المتمردين، والمتعاطفين معهم، والطرق التى تستخدمها قوات المتمردين لجمع الاستخبارات والتسهيلات اللوجستية والأنشطة الروتينية ...

حظر التجول : الهدف هو إتاحة الفرصة للسلطات للتحقق من منتهكيه واتخاذ الإجراءات استنادا لفرضية أن كل من ينتهك حظر التجول هو متمرد أو متعاطف مع المتمردين حتى يستطيع أن يثبت العكس.

نقاط التفتيش. لن تكون فائدتها كبيرة فى وضع برنامج لتصاريح المرور وبطاقات تحديد الهوية إلا إذا كان هناك نظام للتحقق من هذه الأوراق الرسمية. ولذلك، فإن إقامة نقاط تفتيش فى كل طرق السفر أمر ضرورى بمجرد بدء استخدام تصاريح المرور .

الجيش الأمريكى، " معاملة المصادر "، الستينيات[٢]

" ينبغى أن يعمل عميل مكافحة التجسس على القبض على والدى المستخدم [المخبر الحكومى بأجر] ، وسجن المستخدم أو ضربه علقة كجزء من خطة وضع المستخدم المذكور فى منظمة لحرب العصابات "[ليس من الواضح ما إذا كان القيام بهذه الأمور يتم لإجبار الشخص على أن يصبح مخبرا أو لإضفاء المصداقية عليه فى حد ذاته .]

" يمكن زيادة قيمة المستخدم عن طريق عمليات الاعتقال والإعدام أو تهدئة الأوضاع، والحرص على كشف المستخدم كمصدر للمعلومات ".

" لضمان ترقية مستخدم ما ... يتعين القضاء على المنافس المحتمل له فى صفوف حرب العصابات ".

" (إن المستخدمين مطلوبون) لأن الحكومة لا تستطيع الاعتماد فقط على المعلومات التى يقدمها طواعية المواطنون المخلصون أو المعلومات التى يتم الحصول عليها غصبا من المتمردين الذين يتم أسرهم ".

وكانت وجهة نظر وزارة الدفاع الرسمية فى هذه الكتيبات هى أن المواد التى يمكن الاعتراض عليها فيها قد سقطت ببساطة خلال التجربة، وذكرت وزارة الدفاع أنه: ليس هناك أى دليل على أنه كانت هناك محاولة متعمدة لانتهاك سياسات الجيش أو وزارة الدفاع عند إعداد أو استخدام هذه الكتيبات . ومع ذلك، فقد أعلن مكتب النائب جوزيف كنيدى الذى كان يتابع القضية عن كثب، أنه فى "مدرسة الأمريكتين"،

التى تستخدم فيه هذه الكتيبات، أثار ضابطان على الأقل التساؤل حول المواد التى يمكن الاعتراض عليها مع رؤسائهم فى مطلع الثمانينيات، ولكن تم صدهم.[٤]

وكالة المخابرات المركزية، تحقيق كوبارك المتعلق بمكافحة التجسس ـ يوليو ١٩٦٣ "[٥]

" تتوقف فعالية التقنيات التى لا تقوم على القسر على تأثيرها الباعث على الاضطراب، إن موقف الاستجواب فى حد ذاته يبعث على الاضطراب فى نفوس الأشخاص الذين يواجهونه لأول مرة، والهدف هو تعزيز هذا التأثير... (وخلق) تجربة تمثل صدمة أو شبه صدمة، تؤدى إلى تفجر العالم المألوف للشخص المستهدف وكذلك صورته عن نفسه فى ذلك العالم .

وعادة تؤخذ ملابسه عنه لأن ملابسه المألوفة تدعم الهوية ومن ثم القدرة على المقاومة .

" وفيما يلى تقنيات القسر الأساسية التى تستخدم فى الاستجواب : الاعتقال، الاحتجاز، الحرمان من المنبهات الحسية عن طريق الحبس الانفرادى أو الوسائل المماثلة، التهديد والتخويف، إنهاك القوى، الألم، إعلاء القابلية للإيحاء عن طريق التنويم المغناطيسى، التخدير، الرجعة لتصرفات السن المبكرة المستحثة .

وكالة المخابرات المركزية، كتيب التدريب على استغلال الموارد البشرية ١٩٨٣"[٦]

" السيطرة ـ القدرة على إحداث أو تغيير أنواع من السلوك البشرى بالتلميح إلى أو استخدام وسائل بدنية أو سيكولوجية للدفع إلى الإذعان. وقد يتحقق الإذعان طوعا أو كرها .

" يتم إحضار الشخص المستهدف إلى المرفق وهو معصوب العينين ومقيد اليدين وينبغى أن يظل كذلك طوال العملية كلها، ويجرد من ملابسه كاملة ويؤمر بأن يأخذ دشا، وتظل العصابة على عينيه وهو يأخذ الدش ويراقبه الحارس أثناء ذلك. ويخضع الشخص المستهدف لفحص طبى دقيق، بما فى ذلك جميع تجاويف الجسد .

" إن السماح للشخص المستهدف بتلقى رسائل مختارة بعناية من أهله قد يفيد فى خلق التأثير الذى يرغب فيه " القائم بالاستجواب "، على سبيل المثال قد يحصل

الشخص المستهدف على فكرة عن أن أقاربه يتعرضون للإكراه أو المعاناة، ويمكن أن يكون الإيحاء فى الوقت المناسب بأن تعاونه أو اعترافه يفيد فى المساعدة فى حماية الأبرياء، فعالا ".

" يجب أن تكون تجهيزات النوم فى أدنى حدّ لها - سرير نقال وبطانية - بدون مرتبة. (والفكرة هى منعه من الاسترخاء أو الإبلال من الصدمة). ويجب ألا تكون هناك مرافق (مراحيض داخلية)، ويتعين على الشخص المستهدف أن يستأذن لقضاء حاجته، وعندئذ يعطى له ولو أو يتم اصطحابه إلى المرحاض، ويظل الحارس إلى جواره طوال وقت بقائه فى المرحاض ".

" يسبب الحرمان من المنبهات الحسية الإجهاد والقلق. وكلما زاد الحرمان اكتمالا، زادت سرعة وعمق تأثر الشخص المستهدف ".

وكالة المخابرات المركزية، " كتيب المقاتلين من أجل الحرية "، ١٩٨٤(٧)

وهو " كتاب بالرسوم الهزلية " من ١٦ صفحة مخصصة لأهل نيكاراجوا، يبين ما يزيد على ٤٠ رسما فيه للقارئ كيف يستطيع أن " يحرر نيكاراجوا من القهر والبؤس " اللذين فرضهما " الطغيان الماركسى " وذلك عن طريق " سلسلة من تقنيات التخريب، كان من بينها :

سدّ المراحيض بأسفنجة ... قطع أسلاك الكهرباء ... وضع القاذورات فى صهاريج الغاز ... وضع المسامير على الطرق والطرق السريعة ... قطع وثقب تنجيد المركبات ... قطع الأشجار على الطرق السريعة... إجراء مكالمات تليفونية لإجراء حجز زائف بالفنادق وتقديم إنذار زائف بالحرائق والجرائم ... اختزان وسرقة المواد الغذائية من الحكومة ... ترك الأنوار وحنفيات المياه مفتوحة ... سرقة البريد من صناديق البريد ... التأخر فى الذهاب للعمل ... الإبلاغ بالمرض ... قطع الدوائر الكهربائية ... كسر مصابيح الإنارة ... تمزيق الكتب ... نشر الشائعات ... تهديد المشرفين والمسئولين عن طريق الهاتف ...

وكالة المخابرات المركزية، " العمليات السيكولوجية فى حرب العصابات "، ١٩٨٤(٨)

وهو كتاب موجه لقوات الكونترا التى كانت الولايات المتحدة تواجهها (فرق حرب العصابات) والتى كانت تقاتل فى نيكاراجوا ضد حكومة الساندنيستا اليسارية. وقد أوصى بما يلى :

" خطف كل المسئولين أو العملاء التابعين لحكومة الساندنيستا ووضعهم فى ، أماكن عامة ، ".

" تشويه سمعة، والسخرية من وإذلال " الرموز الشخصية " لحكومة القهر فى وجود الناس ودعم المشاركة الشعبية من خلال حرب العصابات داخل الحشود، وإطلاق الشعارات والملاحظات الساخرة .

" إذا أطلقت فرق حرب العصابات النار على شخص ما، اجعل المدينة ترى أنه كان عدو الشعب " و " إذا استطاع ذلك المواطن أن يهرب، فلابد أنه سينذر العدو القريب من البلدة أو المدينة، والذى قد يقوم بأعمال انتقام مثل الاغتصاب والنهب والتدمير والأسر، الخ ... اجعل الناس يدركون أن نظام القمع الذى أقامه نظام الحكم هو الذى قتل الواشى حقا، وأن السلاح الذى تم إطلاقه هو سلاح تمت استعادته فى معركة ضد نظام الساندنيستا ".

" يمكن تحييد أهداف مختارة ومخططة بعناية، مثل قضاة المحاكم، مسئولى الشرطة وأمن الدولة، لجان الساندنيستا للدفاع، الرؤساء، الخ ". (ومثلما لاحظ هولى سكلار : " أن قائمة بالاغتيالات تبدأ بقضاة المحاكم وتنتهى بأعداد مختلفة، تعد ترخيصا واسعا ضخما بالاغتيال) ".

" إبلاغ الشرطة ، واتهام الهدف الذى يرفض الانضمام لفرق حرب العصابات، أمر يمكن القيام به بسهولة من خلال خطاب يتضمن أقوالا زائفة لمواطنين غير متورطين فى الحركة ".

" إذا أمكن، يتم استئجار مجرمين محترفين للقيام ، بمهام ، محددة مختارة ".

" يعهد إلى آخرين بمهام محددة بهدف إيجاد " شهيد القضية "، بجعل المتظاهرين يواجهون السلطات، بهدف إحداث انتفاضة أو التسبب فى إطلاق النار مما يؤدى إلى وفاة شخص أو أكثر، ليصبحوا شهداء، وهو وضع ينبغى استغلاله فورا ضد النظام، بهدف خلق مصادمات كبيرة ".

" قوات الصدام. يتعين تجهيز هؤلاء الأشخاص بالأسلحة (السكاكين، الأمواس، السلاسل، الهراوات، والمضارب) ويجب أن يسيروا بخفة وهدوء وراء المشاركين الأبرياء السذج ".

والكتيب يورد فى كل صفحاته ما كان الغرب يعلن أنه أسلوب الشيوعيين فى التخطيط والتلقين .

وقد توصلت المحكمة العالمية إلى أن الولايات المتحدة بإنتاج ونشر هذا الكتيب " قد شجعت على ارتكاب ... أعمال تناقض المبادئ العامة للقانون الإنسانى "، بما فى ذلك اتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩[٩] .

الفصل الخامس

التعذيب

" كانت الصدمة القاصمة الأولى سيئة لدرجة أننى وددت لو أموت ".

جلوريا اسبرانزا رايس، وهى تتحدث عن تعذيبها فى هندوراس حيث ربطت الأسلاك الكهربائية بثدييها ورحمها

" كان يطلبون دوما قتلهم، فقد كان التعذيب أسوأ من الموت ".

خوزيه باريرا، أحد القائمين بالتعذيب فى هندوراس[١]

تركيا فى ١٤ يوليو ١٩٩٩

اقتحمت الشرطة منزل أسرة كردية وأعلنت أنها تريد اصطحاب البنتين - مدين ١٤ سنة، واختها الأصغر منها، ديفران - للاستجواب. قالت ديفران فيما بعد " توجهت لحجرة النوم لارتداء ملابسى، لكن مادلين ... جرت مباشرة للنافذة وألقت بنفسها ".

وتشرح والدة مادلين ما حدث : " لقد فضلت ابنتى - كما ترى - الموت على أن يعذبوها مرة أخرى "[٢] .

" قد يستمر التعذيب فترة قصيرة، لكن الشخص لن يعود كما كان أبدا ".

تقرير منظمة العفو الدولية[٣]

لا يمكن التعلل فى تبرير التعذيب، بأى ظروف استثنائية، مهما كانت، سواء كانت حالة حرب أو تهديد بحرب، عدم استقرار سياسى داخلى أو أى طارئ عام آخر ".

اتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من أنواع المعاملة أو العقاب القاسية وغير الإنسانية أو التى تحط من كرامة البشر، المادة ٢، القسم ٢[٤] .

أعلن ريتشارد ستولتز مدير عمليات وكالة المخابرات المركزية فى ١٩٨٨ : أن سوء المعاملة البدنية وغير ذلك من المعاملة المهينة تم رفضه ليس فقط لأنه خاطئ، ولكن لأنه ثبت تاريخيا أنه غير فعال "(٥) .

وتحب وكالة المخابرات المركزية قول أشياء كهذه لأنها تعتقد أنها تبدو مثل الإنكار المقنع بصورة جيدة. ولكن من يعتقد أن التعذيب لا يحل عقدة الألسنة، وأنه ليس فعالا بصورة مفرطة لهذا الغرض ؟ إن ريتشارد ستولتز ووكالة المخابرات يريدوننا أن نعتقد أن " مدين " على سبيل المثال، لو كانت قد تخلت عن فرصة قتل نفسها، لما تكلمت تحت التعذيب، بل إن فعالية التعذيب آخذة فى التزايد، لأن هدفها عادة ليس استنطاق المعلومات بقدر ما هو إنزال العقاب، لإكراه الضحايا فى أى نشاط منسق آخر باقتلاع النزعة المثالية من كيانهم نفسه، وكتحذير لرفاقهم.

ولهذه الغايات، تعايشت وكالة المخابرات المركزية مع التعذيب عقودا كثيرة (يجب أن نتذكر أن تركيا من أقرب حلفاء واشنطن الاستراتيجيين؛ وبالنسبة لهندوراس، انظر ما يلى). ولقد كان التغاضى عن-عمليات التعذيب التى يقوم بها الأصدقاء سرا مصونا بصورة وثيقة فى الوكالة، ولهذا السبب فإن التفاصيل المؤلمة الفعلية كان من الصعب الحصول عليها على مرّ السنين، ولكن بعض السجلات شق طريقه إلى ضوء النهار.

اليونـــان

خلال أواخر الأربعينيات، لعبت وكالة المخابرات الأمريكية دورا كبيرا فى إنشاء وكالة جديدة للأمن الداخلى، هى وكالة كى واى بى. وقبل أن يمضى وقت طويل، كانت هذه الوكالة تضطلع بكل الممارسات المحببة للشرطة السرية فى كل مكان، بما فى ذلك التعذيب المنهجى، وأصبحت أشد نشاطا خلال نظام الطغمة العسكرية (٦٧– ١٩٧٤) وهى فترة للتعذيب المروّع الروتينى. وقد أوردت منظمة العفو الدولية فيما بعد أن " السياسة الأمريكية بشأن مسألة التعذيب كما تعرب عنها البيانات الرسمية والشهادات الرسمية تمثلت فى إنكاره حيثما يمكن والتقليل منه لأدنى حدّ حيث لا يمكن إنكاره، وقد نبعت هذه السياسة طبعا من التأييد العام للنظام العسكرى "(٦) .

وقد كتب جيمس بيكت وهو محام أمريكى أرسلته منظمة العفو الدولية إلى اليونان، فى ١٩٦٩، أن بعض القائمين بالتعذيب أخبروا السجناء أن بعض معداتهم

جاء من المعونة العسكرية الأمريكية.وكان أحد البنود هو سوط من " سلك مزدوج سميك أبيض " وأنه عملى، يجعل عملهم أسهل "، وكان هناك بند آخر يتمثل فى حلقة بها مسمار ملولب تضغط على الرأس، عرفت باسم " الاكليل الحديدى "، ويتم تضييقها بصورة مطردة حول الرأس أو الأذنين[٧] . وقد أورد بيكت أن الدعم الأمريكى كان حيويا بالنسبة إلى القائمين بالتعذيب .

أصغى مئات السجناء إلى الخطاب القصير الذى ألقاه المفتش باسيل لامبرو، الذى كان يجلس إلى مكتبه الذى يظهر عليه رمز المعونة الأمريكية المتمثل فى اليد المصافحة ذات الألوان الأحمر والأبيض والأزرق. وكان يحاول أن يبين للسجين عدم جدوى المقاومة مطلقا : لقد جعلتم من أنفسكم مدعاة للسخرية باعتقادكم أن فى مقدوركم أن تفعلوا شيئا، إن العالم مقسم إلى قسمين: هناك الشيوعيون فى ذلك الجانب والعالم الحر فى هذا الجانب، الروس والأمريكيون، ولا أحد آخر، فمن نحن ؟ أمريكيون. وورائى حكومة، ووراء الحكومة الناتو، ووراء الناتو الولايات المتحدة، إنكم لا تستطيعون محاربتنا، إننا أمريكيون "[٨] .

إيـــران

أنشئت إدارة الأمن الإيرانية سيئة السمعة، السافاك، التى استخدمت التعذيب بصورة روتينية، تحت إشراف وكالة المخابرات المركزية واسرائيل فى الخمسينيات[٩] . وحسبما يقول جيسى ليف وهو محلل سابق للشؤون الإيرانية فى وكالة المخابرات المركزية، فإن السافاك تلقت دروسا فى التعذيب على أيدى الوكالة الأمريكية[١٠] . وبعد ثورة ١٩٧٩، عثر الإيرانيون على فيلم أنتج للسافاك حول تعذيب النساء[١١] .

ألمانيـــا

فى الخمسينيات، فى ميونخ، قامت وكالة المخابرات المركزية بتعذيب متسللين مشتبه فيهم من منظمة اللاجئين السوفيت فى أوروبا الغربية، التى كانت الوكالة تستخدمها فى عملياتها المعادية للسوفيت. وكان من بين التقنيات التى استخدمتها وكالة المخابرات المركزية أساليب تعذيب معدة لفئات بعينها مثل دهن خصيتى الرجل بزيت التربنتينه، أو حبس الشخص فى حجرة وتشغيل الموسيقى الأندونيسية بمستويات تسبب الصمم حتى ينهار[١٢] . وربما ظهرت هذه المعلومات للسطح لغرابة رناتها لدرجة

أنها تبعث على الضحك؛ وكانت هناك بالمثل أساليب أخرى للتعذيب المنتظم الحديث عنها غير مناسب.

فيتنــــام

علمت فرق أصحاب البيريهات الخضراء أعضاءها الذين اختيروا للخدمة في فيتنام في الستينيات كيف يستخدمون التعذيب كجزء من الاستجواب(١٣) . وأخضعت عملية فونيكس سيئة السمعة، التي نفذتها وكالة المخابرات المركزية لسحق البنية الأساسية للفيدكونج، المشتبه فيهم لأنواع من التعذيب مثل الصدمات الكهربائية على الأعضاء التناسلية للرجال والنساء وإدخال وتد طوله ست بوصات في الأذن، والذي يمتد ليصل إلى المخ حتى تموت الضحية، كما كان يتم إلقاء المشتبه فيهم من طائرات هليكوبتر وهي محلقة لإقناع المشتبه فيهم الأكثر أهمية بالكلام، على الرغم من أن ذلك ربما يجب تصنيفه باعتباره اغتيالا لمن يتم الإلقاء بهم وتعذيبا لمن لا يتم معهم ذلك(١٤) . وفي انتهاك لاتفاقية جنيف، سلمت الولايات المتحدة السجناء إلى حلفائها في جنوب فيتنام وهي تعرف تماما أنه سيجرى تعذيبهم، وغالبا ما كان عسكريون أمريكيون يحضرون مثل هذا التعذيب(١٥) .

بوليفيـــا

في ١٩٦٧، أقام الكوبيون المعادون لكاسترو العاملون مع وكالة المخابرات المركزية للعثور على تشي جيفارا، منازل للاستجواب يتم إحضار البوليفيين المشتبه في مساعدتهم لفرق حرب العصابات التي يقودها جيفارا إليها لاستجوابهم وتعذيبهم أحيانا، وعندما علم وزير داخلية بوليفيا بالتعذيب، استشاط غضبا وطلب من وكالة المخابرات المركزية أن توقف ذلك(١٦) .

أورجــــواى

في أواخر الستينيات، تم وضع دان متيريون، وهو موظف في مكتب السلامة العامة الأمريكي (جزء من وكالة التنمية الدولية)، الذي يدرب ويسلح قوات الشرطة الأجنبية، في مونتفيديو، في أورجواى. وكان تعذيب السجناء السياسيين في أورجواى قائما قبل وصول متيريون، بيد أنه في لقاء صحفي يدعو للدهشة أجرى مع صحيفة برازيلية بارزة، *جورنال دو برازيل*، في ١٩٧٠، أعلن اليخاندرو أوتيرو رئيس مخابرات

الشرطة السابق فى أورجواى، أن المستشارين الأمريكيين، ومتيريون بصفة خاصة، سنّوا التعذيب باعتباره الإجراء الروتينى بدرجة أكبر، وأضافوا إلى وسائل إنزال الألم، تحسينا علميا، سيكولوجية خلق اليأس، مثل تشغيل شريط فى الغرفة المجاورة تصرخ فيه امرأة وأطفال ويخبرون السجين أن تلك أسرته يتم تعذيبها[١٧] .

وضايق الحديث الذى ورد بالصحيفة المسئولين الأمريكيين فى أمريكا الجنوبية وواشنطن كثيرا، وحاول مدير المكتب فى واشنطن أن ينفى المسألة بتأكيد أن " المراسلين البرازيليين الثلاثة فى مونتفيديو أنكروا جميعهم أنهم أرسلوا تلك القصة للنشر. وقد اكتشفنا فيما بعد أنها دُست فى الأوراق من قبل شخص ما فى حجرة الجمع فى صحيفة *جورنال دو برازيل* "[١٨] .

وقد بنى متيريون حجرة عازلة للصوت فى قبو منزله فى مونتفيديو، كان يجمع فيها ضباط شرطة أورجواى لمشاهدة عرض لتقنيات التعذيب، وتم اصطياد أربعة شحاذين ليكونوا موضع التجربة التى يبين عليها متيريون آثار مختلف مقادير الجهد الكهربائى على أجزاء مختلفة من الجسم، وقد مات الأربعة جميعهم.

وكان شعار متيريون هو الألم الصحيح، فى المكان الصحيح، بالقدر الصحيح، لإحداث التأثير المرغوب ".

وقد قال : عندما تحصل على ما تريد ـ وأنا أحصل عليه دائما ـ قد يكون من المفيد أن تطيل الجلسة قليلا، للحصول على قدر آخر من الاستسلام، ليس لاستخراج المعلومات الآن، ولكن فقط كإجراء سياسى، لخلق حالة من الخوف القوى من التورط فى أنشطة تخريبية "[١٩] .

البرازيل

قبل أن يعين مكتب السلامة العامة متيريون فى أورجواى، كان قد وُضع فى البرازيل، وهناك، عمل هو وأمريكيون آخرون مع مكتب السلامة العامة ووكالة التنمية الدولية ووكالة المخابرات المركزية فى تزويد قوات الأمن البرازيلية بالمعدات والتدريب لتسهيل تعذيب السجناء. كما قدم الأمريكيون المشورة بشأن مقدار الصدمة الكهربائية التى يمكن إعطاؤها بدون قتل الشخص، إذا كان قتله أمرا غير مناسب[٢٠] .

جـواتيـمـــالا

من الستينيات وحتى الثمانينيات، كانت قوات الأمن فى جواتيمالا، خاصة وحدة الجيش المسماة " جى - تو "، تعذب بصورة روتينية " المخربين ". وكان من أساليب ذلك توجيه صدمة كهربائية لمنطقة أجهزة التناسل، باستخدام تليفونات الميدان العسكرية المثبتة بكلاّب بمولدات صغيرة، وقدم العم سام المعدات والتعليمات بشأن استخدامها. وكانت الولايات المتحدة وعملاؤها فى مختلف البلدان قد أصبحوا خبراء فى هذه التقنية. وقد قدمت وكالة المخابرات المركزية المشورة والأسلحة والمعدات لوحدة جى - تو، التى كانت تدير شبكة من مراكز التعذيب، والتى ورد أن أساليبها تضمنت بتر الأطراف وحرق اللحم، إضافة للصدمات الكهربائية. بل لقد كان لوحدة الجيش هذه المحرقة الخاصة بها، التى من المفترض أن تتخلص فيها من أى أدلة تدينها. وقد تغلغلت وكالة المخابرات الأمريكية عميقا فى وحدة جى - تو، فكان ثلاثة على الأقل من رؤسائها فى الثمانينيات ومطلع التسعينيات، وكذلك عدد كبير من مسئولى المستوى الأدنى، على كشف مرتبات الوكالة(٢١) .

كما استفاد من كرم الوكالة، الجنرال هيكتور جراماخو موراليس (انظر فصل " ملاذ الإرهابيين ") الذى كان وزيرا للدفاع خلال اختطاف القوات المسلحة فى ١٩٨٩ للأخت ديانا أورتيز – وهى راهبة أمريكية – وقد تم إحراقها بالسجائر، وجرى اغتصابها مرارا، وتم إنزالها لحفرة مليئة بالجثث. وعلى نحو نموذجى، كان القائمون بالتعذيب ينتشون باستعراض السلطة التى يتمتعون بها على الضحايا - وضع أحدهم سكينا كبيرا أو مدية ضخمة فى يد أورتيز، وأمسك يديها بيديه وأجبرها على طعن سجينة أخرى، وتعتقد أورتيز أنها ربما تكون قد قتلت امرأة، وقالت إنه كان هناك رجل أجرد تماما، يشير إليه الآخرون باسم " اليخاندرو " باعتباره " رئيسا " لهم، ويبدو أنه المسئول. كان يتحدث الإسبانية بلكنة أمريكية ويوجه لعناته بالانجليزية، وأضافت أورتيز أنه فيما بعد عندما عرف هذا الرجل أنها أمريكية، أمر بوقف التعذيب. ومن الواضح أنه لو كانت دوافعه إنسانية، وليس لمجرد محاولة تفادى صفعة سياسية محتملة، لكان قد أوقف التعذيب بغض النظر عن جنسيتها(٢٢) .

وفى ١٩٩٦، تلقت أورتيز – وهى فى الولايات المتحدة – عددا من الوثائق من وزارة الخارجية ردا على طلب قدمته بموجب قانون حرية المعلومات، ولم تحو سوى

وثيقة واحدة تاريخها ١٩٩٠، إشارة لها مغزاها بالنسبة إلى اليخاندرو، وقد جاء فيها ما يلي :

مهم جدا : إننا نريد إغلاق الحلقة حول " الأمريكي الشمالي " الذي حددته أورتيز باعتباره متورطا في القضية ... والسفارة حساسة جدا لهذه القضية لكنها قضية يتعين علينا أن نتعامل معها على الملأ ...[٢٣]

وكانت الصفحتان التاليتان قد أعيد تنقيحهما بالكامل.

السلفادور

خلال فترة التمرد المضاد في الثمانينيات، انتشر التعذيب الذي مارسته قوات الأمن المختلفة في السلفادور، والتي كان لها جميعها علاقات عمل وثيقة مع وكالة المخابرات المركزية والدوائر العسكرية الأمريكية، وفي يناير ١٩٨٢، نشرت النيويورك تايمز لقاء من شخص هارب من الخدمة في جيش السلفادور وصف فيه فصلا كان يتم فيه عرض أشد أساليب التعذيب قسوة ويستخدم فيه بسجناء من المراهقين، وقال إن ثمانية من المستشارين العسكريين الأمريكيين - من أصحاب البيريهات الخضراء على ما يبدو - كانوا حاضرين. وأخبر ضابط في جيش السلفادور مجندي الجيش أن مشاهدة هذا " ستجعلكم تشعرون أنكم رجال بدرجة أكبر "، وأضاف أنه يتعين عليهم " ألا يشعروا بالشفقة تجاه أي أحد " بل فقط " بالكراهية لمن هم أعداء بلادنا "[٢٤] .

وشهد شخص آخر من السلفادور - عضو سابق في الحرس الوطني - في فيلم وثائقي قدمه التليفزيون البريطاني في ١٩٨٦ بما يلي : " كنت أنتمي إلى سرية مكونة من اثني عشر شخصا، وكنا قد كرسنا أنفسنا للتعذيب والعثور على الأشخاص الذين قيل لنا إنهم من فرق حرب المغاوير، كان قد تم تدريبي في بنما لمدة تسعة شهور على يد (كلمة غير واضحة) التابعة للولايات المتحدة على حرب مكافحة فرق العصابات، وكنا نتلقى تدريبا على التعذيب في جزء من الوقت "[٢٥] .

هندوراس

خلال الثمانينيات قدمت وكالة المخابرات المركزية دعما لا غنى عنه للكتيبة ٣١٦ سيئة السمعة التي اختطفت وعذّبت وقتلت مئات من المواطنين، باستخدام الأدوات

المسببة للصدمات والاختناق فى الاستجواب، من بين تقنيات أخرى. وقد وردّت وكالة المخابرات المركزية لها أدوات التعذيب، وكتيبات التعذيب، وعلمت أعضاء الكتيبة فى هندوراس والولايات المتحدة على حد سواء أساليب التعذيب النفسى والجسدى. وفى مناسبة واحدة على الأقل، اشترك ضابط من وكالة المخابرات المركزية فى استجواب ضحية للتعذيب. كما مولت الوكالة خبراء الأرجنتين فى مكافحة التمرد لكى يقدموا بدورهم مزيدا من التدريب لضباط هندوراس. وفى ذلك الوقت، كانت الأرجنتين مشهورة " بحربها القذرة، وبسجلها المروع فى التعذيب، وخطف الأطفال والاختفاء. وعمل المعلمون من الأرجنتين ومن وكالة المخابرات المركزية معا فى تدريب الكتيبة ٣١٦ . واستمر دعم الولايات المتحدة للكتيبة حتى بعد أن أخبر مديرها الجنرال جوستافو ألفاريز مارتينيز، السفير الأمريكى أنه يعتزم استخدام الأساليب الأرجنتينية فى استئصال شأفة المخربين. وفى ١٩٨٣ منحت إدارة ريجان وسام الاستحقاق لألفاريز " لتشجيعه على نجاح العملية الديمقراطية فى هندوراس "[٢٦] . وفى الوقت نفسه، كانت الإدارة تضلل الكونجرس والرأى العام الأمريكى بإنكار الفظائع التى ارتكبتها الكتيبة أو التقليل من شأنها لأدنى حد.

بنمــا

خلال احتلال الولايات المتحدة لبنما فى أعقاب غزوها لها فى ديسمبر ١٩٨٩، شارك الجنود الأمريكيون فى تعذيب جنود القوات المسلحة البنميّة. وفى إحدى الحالات، تم إدخال سلك معدنى فى جرح مفتوح، مما أحدث ألما لا يطاق. وفى حالة أخرى وردت أنباؤها، تم تعليق جندى فى القوات المسلحة البنمية من أحد ذراعيه الذى كان قد أصيب بجرح فيه بالفعل يصل حتى الكوع وتمت خياطته[٢٧] .

فى الداخــل

بالنسبة للقراء الذين يجدون صعوبة فى الاعتقاد بأن عاملين عسكريين ومدنيين فى الحكومة الأمريكية يمكن أن يشاركوا بصورة وثيقة فى تعذيب الأجانب، نشير إليهم بأن ينظروا فيما فعله هؤلاء الأمريكيون بأمريكيين غيرهم.

ففى مدرستى البحرية الأمريكية فى سان دييجو ومابن خلال الستينيات والسبعينيات، كان من المفترض أن يدرس الطلاب أساليب " البقاء، والتملص،

والمقاومة، والهرب "[٢٨] . والتى يمكنهم استخدامها إذا ما وقعوا أسرى حرب فى أى وقت. وكان هناك فى المقرر شئ ما عن البقاء فى الصحراء، حيث كان الطلاب يجبرون على أكل السحالى، بل كان ضباط البحرية والطلاب يتعرضون للضرب، ويقومون بشقلبات الجودو، ويوضعون فى قفص " النمر " - يوضع غطاء على رءوسهم يغمى عيونهم ويتركون فى صندوق مساحته ١٦ قدما مربعا لمدة ٢٢ ساعة مع علبة قهوة لبرازهم. وتستخدم معهم آلة تعذيب تسمى " لوح الماء " : كان الشخص المستهدف يربط إلى لوح خشبى، ورأسه لأسفل، وفوطة موضوعة فوق وجهه ويصب ماء بارد عليها؛ وكان يختنق ويمتلئ فمه بالماء ويقئ ويقرقر وهو يعانى إحساسا بالغرق.

وقد ادعى ويندل ريتشارد يونج – الملازم أول مرشد فى البحرية، والطالب السابق – أن ظهره انكسر خلال دراسة هذا المقرر وأن الطلبة كانوا يعذبون حتى يبصقوا على العلم الأمريكى ويتبولون ويتغوطون عليه أمام الحراس ويستمنون باليد، وفى إحدى المرات أجبروهم على ممارسة الجنس مع المعلم.

وفى ١٩٩٢، كشف مجلس مراقبة مدنى، أنه طوال فترة ١٣ عاما (١٩٧٣–١٩٨٦) شارك ضباط وقادة شرطة شيكاغو فى تعذيب المشتبه فيهم وإساءة معاملتهم، بما فى ذلك استخدام الصدمات الكهربائية على القضيب والخصيتين وغيرهما من المناطق والضرب، والخنق (وضع أكياس بلاستيك محكمة على الرأس، وقف تدفق الأكسجين، وقد مات بعض الأشخاص المستهدفين فى هذا، وعندما كانوا يفيقون، كانت الأكياس توضع على رءوسهم مرة ثانية)، وإقحام البنادق فى الأفواه وشد الزناد، وتعليق السجناء بخطاطيف عن طريق قيود حديدية مربوطة بالرسغين وضربهم على بطن أقدامهم وعلى خصياتهم، وكذلك التعذيب النفسى، وقد تم إطلاق سراح كثيرين بعد تعذيبهم ولم يوجه لهم الاتهام مطلقا، وجرى إحصاء ما يزيد على ٤٠ قضية، وحسب قول أحد المحامين : " كان كل الضحايا من السود أو من الأمريكيين اللاتينيين، مثلما شاهدناه إلى الآن، وكان الأشخاص القائمون بالتعذيب ضباطا بيضا[٢٩] .

وقد بين تحقيق أجرته هيئة " مراقبة حقوق الإنسان " لما يزيد على ٢٠ سجنا ومحبسا أمريكيا فى نيويورك، كاليفورنيا، فلوريدا وتنيسى، وفحص دقيق لقاضاة السجون خلال فترة عشر سنوات حدوث " انتهاكات واسعة لمعايير الحد الأدنى التى حددتها الأمم المتحدة لمعاملة السجناء ... بما يصل للتعذيب " ، وأن سجينا مصفد

الذين أجبر على النزول فى حوض به ماء تبلغ درجة حرارته ١٤٥ ، وأن سجناء ماتوا بعد تلقى ضربات متكررة من بنادق تفقد الوعى أو أحزمة تفقد الوعى (صدمة قوتها ٥٠ ألف فولط فى الثانية)، وكان السجناء يحبسون فى أقفاص فى العراء، أو فى المطر أو فى ضوء الشمس ، وكان السجناء يحتجزون فى عزلة شاملة عن البشر الآخرين مددا طويلة من الزمن مع حرمانهم حسيا[٣٠] .

وقد نشرت منظمة العفو الدولية تقارير مثل " التعذيب وسوء المعاملة والإفراط فى استخدام القوة من قبل الشرطة فى لوس انجلس، كاليفورنيا " (١٩٩٢)، و " وحشية الشرطة والإفراط فى استخدام القوة فى إدارة شرطة مدينة نيويورك " (١٩٩٦)، إضافة إلى تقارير أخيرة تتناول شيكاغو ومدنا أخرى، وذكرت منظمة العفو الدولية أن قوات الشرطة الأمريكية مدانة " بانتهاك معايير حقوق الإنسان الدولية من خلال نمط من القوة المفرطة طليقة العنان بما يصل للتعذيب وغيره من صنوف المعاملة القاسية وغير الإنسانية والمهينة[٣١] .

وخشية أن يعطى أى مما سبق انطباعا بأن حكومة الولايات المتحدة لا تهتم بممارسة التعذيب ولا تقلق بشأنها، ينبغى الإشارة إلى أن الكونجرس أصدر قانونا فى ١٩٩٦ يسمح للمواطنين الأمريكيين - لأول مرة - بمقاضاة حكومة أجنبية ما فى المحاكم الأمريكية لتعرضهم للتعذيب فى بلد أجنبى، بيد أنه تم فرض قيد صغير واحد، وهو أن البلدان الوحيدة التى يمكن مقاضاتها هى البلدان التى تعتبرها واشنطن رسميا من الأعداء، تلك التى صنفت على أنها " الدول الإرهابية[٣٢] .

أما بالنسبة للدول الأخرى، فقد يماثل الوضع ما حدث فى مطلع التسعينيات فى قضية سكوت نيلسون، وهو أمريكى قاضى المملكة العربية السعودية فى محكمة أمريكية لتعذيبه، وقضت محكمة الاستئناف الطوافة أن من حقه رفع دعوى، لكن وزارة الخارجية ساعدت السعوديين فى نقض الحكم فى المحكمة العليا[٣٣] .

الفصل السادس

الكريهـــون

فى الثمانينيات، تم الكشف عن عدد من حالات وقعت فى الماضى والحاضر تبين تورط الولايات المتحدة مع القائمين بالتعذيب، وسرايا الموت، ومهربى المخدرات وأنماط أخرى لا ينبغى ذكرها فى الكتب الدراسية الأمريكية. وفى لحظة غير مسجلة، توصلت حالة من دوار الرأس الحكومى إلى تعبير " الأشخاص الكريهون "، مما يعنى أن الحكومة تنفر من هذه الأنواع مثلما يجدر بأى مواطن أمريكى محترم أن يفعل.

وأذعنت وسائل الإعلام لهذا والتقطت الخيط وأضافت إليه. ومع كل كشف جديد عن صلة وكالة المخابرات المركزية بانتهاكات حقوق الانسان فى صحبة بعض الأشخاص الجديرين بالازدراء فى الخارج، الذين كانوا على كشف مرتبات الوكالة، كان يقال لنا ، ويقال لنا رسميا : إن الوكالة لم يكن لها خيار سوى التعامل مع أشخاص " كريهين " إذا كانت تود الحصول على معلومات مهمة معينة فى بلدان أجنبية، معلومات، بالطبع حيوية " لأمننا القومى "، وهو كليشيه جديد يبيض الصفحة ولد ولايزال حيًا بقوة.

وحتى عندما كانت وسائل الإعلام تنتقد وكالة المخابرات المركزية لعملها مع الأشخاص الكريهين، لم يكن هناك أى بيان لأن الغلاقة تزيد على دفع ثمن المعلومات مع قيام من يدفع بسدّ أنفه حتى لا يشم الرائحة الكريهة.

ولكن ينبغى أن نفهم بوضوح أن هؤلاء الأشخاص الكريهين لم يكونوا مجرد وشاة.

فبالنسبة لوكالة المخابرات المركزية والدوائر العسكرية الأمريكية، فإن هؤلاء الأشخاص حلفاء لأمريكا يقفون إلى نفس جانبها فى النزاع المدنى.

وتصر الدعاية الأمريكية على أن الجانب الذى يحارب فيه هؤلاء الأشخاص هو جانب الحرية والديمقراطية.

إننا نناصر قضيتهم، لأنها قضيتنا أيضا.

ونحن نختار البعض منهم ليلتحقوا بالمدارس العسكرية الأمريكية ونمنحهم شهادات التخرج.

إننا نطعمهم ونسكرهم فى الولايات المتحدة، ونمنحهم الهدايا، ونقدم لهم العاهرات.

إننا ندربهم ونمنحهم أسلحتهم وستراتهم الرسمية.

إننا نعلمهم أساليب صنع القنابل، وأساليب الاغتيال وأساليب الاستجواب (نقصد التعذيب).

إننا نزودهم بالمعلومات عن الأشخاص من القواعد الدولية الضخمة للبيانات التابعة للوكالة. وينتهى الأمر بتعذيب أو اغتيال هؤلاء الأشخاص.

إننا نتستر على الفظائع التى يرتكبونها.

إننا نسهل ونتستر على تهريبهم للمخدرات.

إننا نقيم علاقات اجتماعية معهم، إنهم أصدقاؤنا، لقد خانوا بلدهم عادة من أجلنا.

وبالطبع، فإن النقود التى تدفع للأشخاص الكريهين تتاح لهم لتمويل أغراضهم الوضيعة، وعندما يفعل شخص مثل القذافى الرئيس الليبى هذا، يتهم " بمساندة الإرهاب ".

إن المدفوعات التى تقدمها الوكالة لهؤلاء الأشخاص الكريهين تحقق بالضرورة ما يزيد على الحصول على المعلومات، تحقق النفوذ والسيطرة. وعندما ينظر المرء إلى مستويات معاداة الديمقراطية والقسوة التى يتصف بها من يتلقونها، لابد أن يتساءل عن أى نفوذ وتأثير كان لوكالة المخابرات المركزية عليهم. وفى الوقت نفسه لابد للمرء من أن يطرح السؤال التالى : إذا كان على الولايات المتحدة أن تأخذ جانبا ما فى حرب أهلية أجنبية، لماذا يتعين عليها باستمرار أن تأخذ الجانب الذى يقف فيه الأشخاص الكريهون ؟

هياكل عظمية كريهة أخرى فى خزانة واشنطن

فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، شملت سياسة الولايات المتحدة الخارجية أشخاصا كريهين آخرين : النازيون " السابقون " (بما فى ذلك مجرمو الحرب مثل كلاوس باربى)، والفاشيون الإيطاليون، وأشخاص من القوات المسلحة اليابانية المعادية، وعلماء يابانيون كانوا قد أجروا تجارب مروعة على الأسرى، بما فيهم الأمريكيون، وآلاف كثيرون غيرهم ممن تعاونوا مع هؤلاء الأشخاص خلال الحرب. وفى كثير من أنحاء أوروبا وآسيا، تم تجريس وسجن الخونة المتعاونين مع العدو علانية، أو جرى إعدامهم على أيدى حكومات ما بعد الحرب أو جماعات المواطنين، لكن فى الصين وإيطاليا واليونان والفلبين وكوريا والبانيا وألمانيا الغربية وإيران والاتحاد السوفيتى وفيتنام وأماكن أخرى، أصبح كثيرون ممن أفلتوا من العقاب حلفاء لأمريكا فى إقامة حكومات جديدة، ومحاولة الإطاحة بحكومات، وشن الحروب الأهلية، وقمع اليسار، وجمع الاستخبارات والتلاعب بسياسات الانتخابات، والواقع أن كثيرين منهم أفلتوا من العقاب لأنهم أصبحوا حلفاء لأمريكا[١] .

وحتى فترة متأخرة ترجع إلى ١٩٨٨، كان هناك عدد من الموالين للنازى الحقيقيين وأنواع من المعادين للسامية من شرقى ووسط أوروبا فى المجلس الوطنى لمجموعات التراث الجمهورى التابع للحزب الجمهورى، وكان عدد كبير من هؤلاء الأفاضل قادة تحالف القوميات الأمريكية، وهو ذراع الوصول للأعراق فى حملة جورج بوش الرئيسية، على الرغم من أن ماضيهم الملطخ لم يكن سرًا، وكان واحد منهم، وهو - لازلو بازتور (أو باستور) - قد عمل فى سفارة حكومة المجر الموالية للنازيين فى برلين خلال الحرب. وقد تم كشف هذا فى قصة من صفحة واحدة نشرت فى الواشنطن بوست فى ١٩٧١[٢] . وعندما أثير هذا الماضى مرة أخرى فى ١٩٨٨، اضطر الجمهوريون للتخلص من بازتور وأربعة آخرين من نوعه من حملة بوش[٣] .

وعند النوم فى الفراش مع أشخاص كريهين لهم مثل هذا الميراث الطويل، فإن ادعاء واشنطن أن الأمر ليس سوى زواج مصلحة وملاءمة مؤقتة مع عروس غير جذابة (لسوء الحظ)، يعد أسلوبا لا يرقى إلى ما فوق الدعاية التى تعتمد التبسيط الباعث

على التضليل، وكان ما جذب الجانبين إلى بعضهما البعض على مرّ السنين هو الوعى الطبقى المشترك، والذى تبدى فى بغض الحركات التقدمية، أو شىء ما يسمى " الشيوعية " أو أى شىء أو أى شخص يعتبر تهديدا للوضع القائم الذى يرغب الطرفان فى الحفاظ عليه على نحو متبادل. إن الملازم الجواتيمالى المتواضع الجلف يستطيب التسكع حول باب المسرح الأمريكى الخلفى أكثر مما يحدق فى الفلاحين الهنود أبناء بلده، وزميله اليانكى الذى يشرب النخب مقتنع بأن من واجبه أن يساعده على قتلهم.

الفصل السابع

تدريب أشخاص كريهين آخرين

طوال ٢٤ عاما قضيتها فى الكونجرس لم أر أى دليل على وجود حالة واحدة أدى فيها تورط المؤسسة العسكرية الأمريكية مع مؤسسة عسكرية فى بلد آخر إلى إيقاف ذلك الجيش الأجنبى عن ارتكاب الفظائع ضد شعب بلده، لم أر أى دليل، ولا دليل واحد.

– السيناتور توم هاركين (ايوا)، ١٩٩١[1]

مدرسة الأمريكتين

تعرضت مدرسة الأمريكتين – وهى مدرسة للجيش فى فورت بيننج جورجيا – لحصار المعارضين سنوات كثيرة لأن كثيرين من خريجيها تورطوا فى أعمال خطيرة جدا لانتهاك حقوق الإنسان فى أمريكا اللاتينية، تضمنت عادة التعذيب والقتل، وتصر المدرسة على أنها تعلم طلابها احترام حقوق الإنسان والديمقراطية، ولفحص هذا الإدعاء يتعين علينا ملاحظة أن الحروب بين الدول فى أمريكا اللاتينية نادرة لأقصى حد؛ ومن ثم، فإن السؤال الذى يثار هو : من هم هؤلاء العسكريون الذين يتم تدريبهم على القتال إن لم يكونوا جيش بلد آخر ؟ ومن يواجهونهم غير مواطنيهم أنفسهم.

وعلى مدار السنين، دربت المدرسة عشرات الألوف من العسكريين ورجال الشرطة فى أمريكا اللاتينية فى موضوعات مثل مكافحة التمرد، وتاكتيكات المشاة، والاستخبارات العسكرية، وعمليات مكافحة المخدرات وعمليات مقاومة الفدائيين، كما تم تعليم الطلاب كراهية شىء اسمه الشيوعية والخوف منه، وفيما بعد شىء اسمه " الإرهاب "، مع قليل من التمييز بين الأمرين - إن وجد أى تمييز - ومن ثم توفير المبرر الإيديولوجى لقمع شعبهم وخنق المنشقين، واستئصال شأفة أى شئ يتضمن أى تشابه

مع حركة للتغيير الاجتماعي قد تتعارض مع جدول الأعمال العالمي لواشنطن، رغم أن العسكريين قد لا يفكرون على هذا النحو.

وسيواجه أولئك الذين يمثلون الطرف المتلقي للعقاب الذي يهدف لمكافحة الشيوعية، وقتا صعبا في التعرف على أنفسهم من المقطع الفلسفي التالي الذي يدرس في فصول المدرسة : " إن الديمقراطية والشيوعية يتصادمان، مع التصميم الحازم للبلدان الغربية على الحفاظ على طريقتها التقليدية الخاصة للحياة ".[٢] ويبدو هذا كما لو أن المنشقين جاءوا من بلد ما بعيد جدا، وأن لهم قيما غريبة وأنه ليس لديهم مظالم يستطيع العقل " الغربي " أن يفهمها باعتبارها مظالم مشروعة.

وفي يوم رأس السنة الجديدة ١٩٩٤، تولى الفلاحون في ولاية تشيباس في المكسيك السلطة بصورة بيضاء في المجتمعات المحلية القريبة تحت راية جيش التحرير الوطني زاباتيستا. وكان ذلك هو نفس اليوم الذي بدأ فيه سريان اتفاقية التجارة الحرة لأمريكا الشمالية، مثلما حرص أنصار الزاباتيستا، على بيانه، وتصدت المؤسسة العسكرية لذلك بصورة وحشية. ومع إطراد الصراع، فإن القوى المهيمنة على الاتفاقية التي كانت ستترسخ في واشنطن، اعتبرت أن الوضع يهدد بأن يصبح عقبة مزعجة أمام التنفيذ السلمي للاتفاقية التجارية.

وسواء كان ذلك مصادفة أم لا ، فإنه مع استمرار تمرد الزاباتيستا حتى الوقت الراهن، زاد عدد المكسيكيين الملتحقين بالمدرسة وفق ذلك، وفيما يلي أرقام عدد الطلاب: ١٩٩٤ – ١٥ ؛ ١٩٩٥ – ٢٤ ؛ ١٩٩٦ – ١٤٨ ؛ ١٩٩٧ – ٣٣٣ ؛ ١٩٨ ، ١٩٩٨ – ٢١٩ . والمفترض أنه بحلول ١٩٩٨، كان لدى المكسيك عدد كاف من الضباط المدربين يمكنها من تخفيض الملتحقين بالمدرسة، لكن عدد الملتحقين ظل هو الأعلى بين كل البلدان في تلك السنة ، وقد شكل هؤلاء " المحترفون " الجدد الذين أعدتهم المدرسة، " جيش احتلال " تسبب في عسكرة تشيباس، وأقام معسكرات يجري فيها ضرب وتعذيب، وعادة قتل، وبتر أطراف السكان المحليين ومنع حرية الانتقال بإقامة متاريس على الطرق.

وفي سبتمبر ١٩٩٦، وتحت إصرار متزايد من الجماعات الدينية والجماهيرية، كشف البنتاجون عن سبعة كتيبات للتدريب باللغة الأسبانية كانت تستخدم في المدرسة حتى ١٩٩١، وأعلنت افتتاحية في النيويورك تايمز :

إن الأمريكيين يستطيعون الآن أن يقرءوا بأنفسهم بعض الدروس البغيضة التى كان جيش الولايات المتحدة يعلمها للعسكريين من أمريكا اللاتينية ولضباط الشرطة فيها فى مدرسة الأمريكتين خلال الثمانينيات، فقد أوصى كتيب للتدريب كشف عنه البنتاجون مؤخرا بتقنيات للتدريب مثل التعذيب والإعدام والابتزاز واعتقال أقارب من يجرى استجوابهم(٣) .

وقد قاد خريجو المدرسة عددا من الانقلابات العسكرية، بلغ من الضخامة جدا جعل الواشنطن بوست تورد فى ١٩٦٨ أن المدرسة " مشهورة فى كل أنحاء أمريكا اللاتينية بأنها " مدرسة الانقلابات "(٤) - وهم المسئولون عن اغتيال آلاف الأشخاص، خاصة فى الثمانينيات، مثل مذبحة أورابا فى كولومبيا؛ ومذبحة الموزوتى، واغتيال الأسقف أوسكار روميرو، واغتصاب وقتل أربع نساء عضوات فى الكنيسة ومذبحة اليسوعيين فى السلفادور، ومذبحة لا كانتوتا فى بيرو؛ وتعذيب وقتل أحد العاملين فى الأمم المتحدة فى شيلى؛ ومئات أخرى من حالات انتهاك حقوق الإنسان.

وفى قرية الموزوتى فى السلفادور، تم فى ديسمبر ١٩٨١ قتل ما بين ٧٠٠ و ١٠٠٠ شخص – كما أوردت الأنباء – معظمهم من كبار السن والنساء والأطفال، بطرق قاسية وشنيعة لأقصى حد(٥) . وكان عشرة من الاثنى عشر جنديا الذين اتهموا بارتكاب المذبحة من خريجى المدرسة. وفى حادثة ذبح ستة من القسس اليسوعيين واثنين غيرهم فى نوفمبر ١٩٨٩، وكشفت لجنة الأمم المتحدة لتقصى الحقائق أن ١٩ من ٢٦ ضابطا من السلفادور اتهموا فى المذبحة، كان قد تم تدريبهم فى المدرسة(٦) .

والمرجح أننا لن نعرف مطلقا المدى الكامل للفظائع التى ارتكبها خريجو المدرسة لأن العسكريين فى أمريكا اللاتينية بصفة عامة فوق القانون. ونادرا ما تم التحقيق فى الجرائم التى ارتكبها أعضاء هذه المؤسسات العسكرية، والأكثر ندرة هو الكشف عن أسماء المشتبه فيهم.

لقد ادعت المدرسة دوما أنها لا تعلّم طلابها كيفية التعذيب أو كيفية ارتكاب انتهاكات حقوق الإنسان الأخرى. وعندما تكشفت الحقيقة بالكشف عن كتيبات التدريب، ادعت المدرسة أنها قد تغيرت. ولكن مقررا دراسيا واحدا من ٤٢ مقررا دراسيا فى كتالوج مقررات ١٩٩٦ - مؤامرة الديمقراطية - هو الذى يركز على قضايا

الديمقراطية وحقوق الإنسان. وفى ١٩٩٧، لم يدرس هذا المقرر سوى ١٣ طالبا، مقابل ١١٨ درسوا مقرر " الاستخبارات العسكرية ". ولا يشمل " العنصر الإجبارى المتعلق بحقوق الإنسان " فى المقررات الأخرى، سوى جزء صغير جدا من إجمالى ساعات المقرر. وقد أورد معلم حقوق الإنسان السابق فى المدرسة ـ تشارلس كول ـ أن التدريب الخاص بحقوق الإنسان لا ينظر إليه بجدية فى المدرسة، وأنه يشمل جزءا لا شأن له من إجمالى تدريب الطلاب(٧) .

فرص الوصول

لماذا يتشبث البنتاجون بمدرسة الأمريكتين، فى وجه عقود من الدعاية الرهيبة، والاحتجاجات الأكثر اتساما بالطابع النضالى بصورة متزايدة، وآلاف الاعتقالات، والتناقص الحاد فى تأييد الكونجرس ؟ ما هو الأمر الحيوى فى ذلك بهذه الدرجة بالنسبة لكبار ضباط المؤسسة العسكرية ؟ قد تكمن الإجابة فى هذا : إن المدرسة وطلابها، إلى جانب إمداد لا ينتهى مطلقا من المعدات العسكرية الأمريكية إلى بلدان فى مختلف أنحاء العالم، تمثل حزمة تخدم جدول أعمال السياسة الخارجية الأمريكية بصفة خاصة، وتسمى هذه الحزمة " فرصة الوصول ". فإلى جانب المعدات، يأتى الفنيون والمعلمون الأمريكيون وقطع الغيار الأمريكية وغير ذلك. وفيما يلى الشهادة التى أدلى بها أمام الكونجرس الجنرال نورمان شوارتزكوف القائد الأعلى للقيادة المركزية الأمريكية، فى ١٩٩٠ :

إن المساعدات الأمنية تحقق فرصة الوصول مباشرة، وبدون فرصة الوصول التى يقدمها أصدقاؤنا لا نستطيع أن نستعرض القوات العسكرية الأمريكية فى منطقة (ما) وأن نظل هناك فترة من الزمن يمكن تقديرها . (وإذا) تناقصت برامجنا لتقديم المساعدة العسكرية، فإن نفوذنا سيتآكل وسنصل إلى الحد الذى لا تتوافر لنا فيه سوى قدرة ضئيلة، أو لا تتوافر لنا فيه أى قدرة، على السيطرة على استخدام الأسلحة وتصاعد المعارك ، والدعامة الثانية فى استراتيجيتنا هى الوجود، وهو رمز اهتمام أمريكا المستمر بالاستقرار فى المنطقة والتزامها به، والدعامة الثالثة لاستراتيجية القيادة المركزية هى التدريبات (العسكرية) المشتركة. فهى تظهر عزمنا والتزامنا تجاه المنطقة. وهى تدعم التعاون المتزايد، وتعزز قدرتنا على العمل مع أصدقائنا فى مناخ من الائتلاف "(٨) .

وهكذا، فإن المعونة العسكرية، والتدريبات العسكرية، وزيارات الموانئ البحرية، الخ - مثلها مثل مدرسة الأمريكتين - تعنى توفير الفرص لدعم الروابط الوثيقة بين الضباط الأمريكيين والعاملين بالمؤسسات العسكرية الأجنبية، وفي الوقت نفسه توفر فرصة إنشاء ملفات تدريجيا حول آلاف كثيرة من هؤلاء الأجانب، وكذلك اكتساب مهارات لغوية، وخرائط وصور عن المنطقة. وإجمالا : تتم إقامة صلات شخصية، والحصول على معلومات شخصية، وإنشاء قواعد بيانات قطرية، وتلك أصول لا غنى عنها في زمن الانقلابات، والانقلابات المضادة والثورات والثورات المضادة أو الغزو.

وقد خدم الوجود العسكرى الأمريكي - في الواقع - هدف " تغطية رابطة الجريمة "، وسهل أيضا اختيار المرشحين، ليس فقط من ضباط أمريكا اللاتينية للالتحاق بمدرسة الأمريكتين، وإنما أيضا آلاف من العاملين بالجيش والشرطة من قارات أخرى يجيئون للولايات المتحدة من أجل التدريب في عشرات من المدارس العسكرية الأخرى ، وتجدد عملية توفير فرص الوصول نفسها تلقائيا. وليس من غير المألوف أن تزدهر الاتصالات بين العسكريين بعضهم البعض حتى عندما تكون العلاقات الدبلوماسية بين واشنطن وحكومة بلدان الطلاب فاترة (على سبيل المثال في السنوات الأخيرة، الجزائر، سوريا، ولبنان)، وذلك دليل آخر على الأولوية المعطاة لهذه الاتصالات(٩) .

ومن الناحية التاريخية، وكما يتضح في هذا الفصل وفي غيره، فقد نزعت الروابط القوية بين العسكريين بعضهم البعض إلى تقويض المؤسسات المدنية وأشعلت انتهاك حقوق الإنسان - خاصة في أمريكا اللاتينية - حيث تسعى الديمقراطيات البازغة حاليا إلى إبقاء العسكريين في ثكناتهم.

كما أن دولارات مبيعات المعدات التي تتيحها فرصة الوصول ليست سيئة هي الأخرى.

مدرسة الأمريكتين المحسنة الجديدة :

عندما قارب الكونجرس إنهاء تمويل المدرسة في خريف ١٩٩٩، تبينت وزارة الدفاع في النهاية ما أغمضت عينيها عنه من قبل، لذلك أعلنت في نوفمبر أنها تخطط لإجراء تغييرات جمة في ربيع ٢٠٠٠ بتقليل التركيز على الجانب العسكرى وزيادته على

الجانب الأكاديمي، وقبول طلاب مدنيين وكذلك عسكريين، وتدريس مبادئ الديمقراطية ... الخ ، وتغيير الاسم إلى مركز التعاون الأمني بين البلدان الأمريكية.

وظل السؤال قائما : لماذا الإبقاء على المدرسة أصلا ؟ أليس هناك ما يكفي من المدارس الأكاديمية هنا وفي أمريكا اللاتينية للقيام بالمهمة المطلوبة ؟ إن التعليم الجامعي المجاني لا يتوافر للأمريكيين، فلماذا يتعين علينا أن نقدمه للأجانب ؟

يبدو أن الإجابة تتمثل في العامل الذي لن تؤثر التغييرات عليه وهو فرص الوصول، ربما فرص محسنة جديدة للوصول، بقدر ما ستتوافر إلى جانب فرص الوصول للطلاب العسكريين، فرص للوصول للقادة السياسيين والمدنيين حاليا ومستقبلا باعتبارهم طلابا(١٠) .

وعلى أية حال، ستظل هناك مرافق التدريب العسكري العديدة الأخرى للطلاب الأجانب في الولايات المتحدة، بالإضافة إلى التدريب الموسع الذي يقوم به البنتاجون في الخارج.

مدارس مكتب السلامة العامة

من مطلع الستينيات إلى منتصف السبعينيات، أدار مكتب السلامة العامة (وهو جزء من وكالة التنمية الدولية)، أكاديمية الشرطة الدولية، أولا في بنما، ثم في واشنطن. وهو يقدم لضباط الشرطة الأجانب ما تقدمه مدرسة الأمريكتين للعسكريين، فقد قدم المكتب التدريب في الخارج لأكثر من مليون رجل شرطة في العالم الثالث تم اختيار عشرة آلاف منهم ليأتوا إلى واشنطن للحصول على تدريب متقدم. وربما يكون عدد منتهكي حقوق الإنسان بين طلاب الشرطة الذين يدربهم المكتب أكبر من نظرائهم من خريجي مدرسة الأمريكتين بسبب صلات الأول الأوثق والأكثر تواترا مع الجماهير، بالإضافة إلى أن معظم الدورات الدراسية كانت تعقد في الخارج، حيث يشعر المعلمون أنهم أقل تقيدا منهم في واشنطن أو جورجيا، في إلقاء المحاضرات بطريقة أكثر إقداما عن " التهديد الشيوعي " واستخدام أي وسيلة لمحاربته، وكان التعذيب أحيانا من بين الطرق التي يتم تعليمها (انظر الفصل الخاص بالتعذيب).

وقد زود المكتب الشرطة بالأسلحة والذخيرة وأجهزة الإرسال وعربات الدوريات والغاز المسيل للدموع وأقنعة الوقاية من الغاز وغير ذلك من وسائل السيطرة على

الحشود - وهناك دروس عن أسلحة الاغتيال - " مناقشة مختلف الأسلحة التى يمكن للقاتل أن يستخدمها " كما يسميها المكتب؛ ودروس عن كيفية تصميم وصناعة واستخدام القنابل ومعدات إشعال الحرائق، يتم تعليمها فى " مدرسة القنابل " فى لوس فرسنوس، تكساس. وكان التفسير الرسمى الذى قدمه المكتب لمقررات القنابل هو أن رجال الشرطة يحتاجون لمثل هذا التدريب بغية التعامل مع القنابل التى يضعها الإرهابيون، بيد أنه لم تكن هناك دروس عن تفجير وتدمير القنابل وإنما كانت عن صنعها "(١١) .

وعندما ألغى الكونجرس برنامج السلامة العامة فى ١٩٧٥ بسبب النقد المتصاعد لهذا الجانب المظلم من السياسة الخارجية الأمريكية، تقدمت بهدوء إدارة مكافحة المخدرات، بمساعدة من مكتب التحقيقات الفيدرالى ووزارة الدفاع، لمواصلة تنفيذ البرنامج، (١٢) والبرنامج مستمر، متجسدا فى أشكال مختلفة، تماما مثلما فعلت مدرسة الأمريكتين فى القرن ٢١(١٣) .

البرازيل

أتاحت المدرسة الحربية العليا التى تأسست فى ريو دى جانيرو فى ١٩٤٩، الفرصة للولايات المتحدة لدعم علاقة مع ضباط البرازيل مماثلة للعلاقة مع طلاب مدرسة الأمريكتين، فى حين طفقت تغرس عقلية سياسية مماثلة، وقد لاحظ توماس سكيدمور المؤرخ الأمريكى اللاتينى أنه :

بموجب الاتفاقيات العسكرية الأمريكية البرازيلية المبرمة فى أوائل الخمسينيات، حصل الجيش الأمريكى على حقوق حصرية فى تقديم المساعدة فى تنظيم وإدارة الكلية، التى صيغت على نموذج الكلية الحربية الوطنية فى واشنطن. وفى ضوء حقيقة أن الكلية الحربية البرازيلية أصبحت نقطة تجمع للخصوم العسكريين للسياسيين الشعبيين المدنيين، فإنه يجدر بحث المدى الذى تدعمت به (أو اعتدلت به) أيديولوجية العداء القوى للشيوعية - التى تشابه موقفا معاديا للسياسة والسياسيين - من جراء اتصالاتهم المتكررة بضباط الولايات المتحدة(١٤) .

وبالإضافة لذلك، كان هناك برنامج المساعدة العسكرية الأمريكى القائم، الذى وصفه لينكولن جوردون السفير الأمريكى فى برقية أرسلها فى مارس ١٩٤٩ إلى وزارة

الخارجية باعتباره "أداة رئيسية لإقامة علاقات وثيقة مـــع الــعاملين بالقوات المســلحة" و " عاملا مـهما بدرجة عالية فى التـأثير على العسكريين البرازيليين ليصبـحوا موالين للولايات المتحدة "(١٥) .

وبعـد أســابيع فـحـسب من إرسـال هـذه البـرقـيـة، أطاح العـسكر فى البـرازيل بالحكومة الشعبية التى كانت على قائمة واشنطن للكراهية والإطاحة.

الفصل الثامن

مجرمو الحرب : عندهم وعندنا

فى ٣ ديسمبر ١٩٩٦، أصدرت وزارة العدل الأمريكية قائمة من ١٦ مواطنا يابانيا يحظر دخولهم إلى الولايات المتحدة بسبب " جرائم حرب " ارتكبوها خلال الحرب العالمية الثانية، وكان البعض من بين الذين حرموا من الدخول قد ادعى بأنهم كانوا أعضاء فى " الوحدة ٧٣١ " سيئة السمعة التى قالت وزارة العدل : إنها " أجرت تجارب طبية غير إنسانية ومميتة فى أحيان كثيرة على آلاف من الأسرى والمدنيين "، بما فى ذلك تشريح بشر أحياء[١] . والغريب بقدر مذهل، أنه بعد الحرب تم منح الرجل الذى كان مسئولا عن برنامج الوحدة ٧٣١ - والتى شمل ضحايا اختباراتها جنودا أمريكيين أسرى - وهو الجنرال شيرو ايشى، إلى جانب عدد من زملائه، الحصانة والحرية مقابل تزويد الولايات المتحدة بتفاصيل تجاربهم، ووعدوا بعدم كشف جرائمهم للعالم مطلقا، وكان التبرير الذى قدمه العلماء والمسئولون العسكريون الأمريكيون لهذه السياسة، هو بالطبع " الأمن القومى " الذى ذهب مثلا وأصبح سلطانه مطلقا.

وإضافة إلى نفاق وزارة العدل بإدراجها أعضاء الوحدة ٧٣١ فى هذه القائمة، فإننا نواجه حقيقة أنه يمكن لأى عدد من البلدان أن يبرر إصدار قائمة من الأمريكيين المحرومين من الدخول إليها بسبب ارتكابهم " جرائم حرب " و "جرائم ضد الإنسانية"[٢] . وقد تشمل مثل هذه القوائم ما يلى :

الرئيس ويليام كلينتون، لقصفه بلا رحمة شعب يوغوسلافيا طوال ٧٨ يوما وليلة، مما أزهق أرواح عدة مئات من المدنيين، وأحدث واحدة من أكبر الكوارث الإيكولوجية فى التاريخ، ولاستمراره دون هوادة فى فرض العقوبات على شعب العراق وقصفه بالصواريخ، ولقصفه غير القانونى والمهلك للصومال والبوسنة والسودان وأفغانستان.

الجنرال ويسلى كلارك، القائد الأعلى لقوات الحلفاء فى أوروبا، لتوليه إدارة قصف يوغوسلافيا الذى قام به حلف الناتو بتعصب سادى تقريبا ، " كان ينهض من مقعده ويخبط المائدة بيده ويقول : علىّ أن أحصل على أقصى حد من العنف من هذه الحملة الآن ! "[٣] .

الرئيس جورج بوش، لقتل مئات الآلاف من المدنيين العراقيين الأبرياء، بما فيهم عدة آلاف من الأطفال، نتيجة للقصف الذى أمر به واستمر ٤٠ يوما، وفرض عقوبات شديدة القسوة عليهم، وقصفه بنما بدون وازع من ضمير، مما أدى لانتشار الموت والتدمير والتشرد على نطاق واسع ، دون سبب محدد يصمد فى محاكمة عادلة.

الجنرال كولين باول، رئيس هيئة الأركان المشتركة، لدوره البارز فى الهجوم على بنما والعراق، وشمل الهجوم على البلد الأخير تدمير مفاعلات نووية وكذلك مصانع لإنتاج العناصر الكيميائية والبيولوجية. وكانت تلك هى المرة الأولى على الإطلاق التى يتم فيها قصف مفاعلات حية، والمخاطرة بإرساء سابقة خطيرة، وكان قد مر بالكاد شهر منذ أن أصدرت الأمم المتحدة ـ التى كان من المفترض أن الولايات المتحدة تعمل تحت ولايتها – فى العراق قرارا يؤكد مجددا : " حظر أى هجوم عسكرى على مرافق نووية " فى الشرق الأوسط.[٤] ، وفى أعقاب التدمير، أعلن باول فى حبور بعد طول تفكير فى الأمر : " لقد انتهى المفاعلان العاملان كلاهما، لقد سقطا، لقد انتهيا "[٥] . لقد تملكه الغرور والخيلاء فحسب تجاه أرواح الناس فى العراق، ففى رد على سؤال يتعلق بعدد العراقيين الذين قتلوا فى الحرب، أجاب الجنرال الطيب القلب : " إنه حقا لا يمثل عددا اهتم به بصورة كبيرة "[٦] .

وينبغى أيضا مساءلته عن دوره فى التغطية على جرائم الحرب فى فيتنام التى ارتكبتها قوات نفس الفرقة التى ارتكبت مذبحة ماى لاى[٧] .

الجنرال نورمان شوارتزكوف، القائد الأعلى للقوات المسلحة (القيادة المركزية الأمريكية) على قيادته العسكرية للمجزرة العراقية، وعلى استمرار المجزرة لمدة يومين بعد وقف إطلاق النيران، وللاستمرار فيها ضد العراقيين الذين كانوا يسعون للاستسلام.

الرئيس رونالد ريجان، على ثماني سنوات من الموت والتدمير والتعذيب وسحق الأمل الذى أوقعه بشعوب السلفادور وجواتيمالا ونيكاراجوا وجرينادا من جراء سياساته، ولقصفه للبنان وليبيا وإيران، لقد نسى هو كل هذا، لكن العالم يجب ألا ينساه !

اليوت ابرامز، مساعد وزير الخارجية فى ظل ريجان، على إعادة كتابته للتاريخ، وتغيير ما حدث، وذلك بتقنين الكذب كسياسة عامة، ولم يكن فى الإمكان الاستغناء عن دوره لخلع أفضل وجه ممكن على الفظائع التى كانت الكونترا ترتكبها يوميا، وكذلك على فظائع حلفاء واشنطن الآخرين فى أمريكا الوسطى، وبذا شجع على استمرار تقديم الدعم لهم، إنه من كبار المتسببين فى دوار العقول وتشوشها على مر العصور الذين أخضعوا الحقائق للإيديولوجيا، فقد أعلن: " عندما يكتب التاريخ، سيصبح رجال الكونترا أبطالا شعبيين "[٨] .

كاسبار واينبرجر، وزير الدفاع لسبع سنوات فى ظل ريجان، لمسؤوليته الرسمية والفعلية عن عديد من الجرائم التى ارتكبت بحق الإنسانية الولايات المتحدة فى أمريكا الوسطى ومنطقة الكاريبى، ولقصف ليبيا فى ١٩٨٦، وقد عفا جورج بوش عنه فى قضية إيران ـ الكونترا، لكن ينبغى ألا يتم العفو عنه بالنسبة لجرائم الحرب.

المقدم أوليفر نورث، الذى عين فى مجلس الأمن القومى فى ظل ريجان، ليصبح المحرك الأول للكونترا فى نيكاراجوا ولتورطه فى تخطيط غزو جرينادا الذى أزهق أرواح مئات من المدنيين الأبرياء.

هنرى كيسنجر، الذى جمع بنجاح بين ثلاثة مناصب : عالم وحاصل على جائزة نوبل للسلام ومجرم حرب، مستشار الأمن القومى فى ظل نيكسون وفورد، على أدواره المكيافيلية اللا أخلاقية الفاسقة فى تدخل الولايات المتحدة فى أنجولا وشيلى وتيمور الشرقية والعراق وفيتنام وكمبوديا، مما تسبب فى حالة رعب وبؤس لا توصف بالنسبة لشعوب هذه البلدان.

الرئيس جيرالد فورد، لمنحه أندونيسيا الموافقة على استخدام الأسلحة الأمريكية لقمع شعب تيمور الشرقية بصورة وحشية، مما أطلق العنان لعملية إبادة أجناس استمرت ربع قرن.

روبرت ماكنمارا، وزير الدفاع فى ظل الرئيسين كنيدى وجونسون، وهو المهندس الأول، وحامل المسئولية الرئيسى، للمذبحة التى وقعت فى الهند الصينية، من أيامها الأولى حتى عمليات التصعيد غير العادية، وللقمع العنيف للحركات الشعبية فى بيرو.

الجنرال وليام ويستمورلند، رئيس أركان الجيش، لجرائم الحرب العديدة التى تمت تحت قيادته فى فيتنام. وفى ١٩٧١، استشهد تلفورد تايلور المدعى العام الأمريكى الرئيسى فى محكمة نورمبرج التى عقدت عقب الحرب العالمية الثانية، بقضية " ياماشيتا " كأساس لاتهام وستمورلند. ففى أعقاب الحرب، قضت لجنة تابعة للجيش الأمريكى بالإعدام على الجنرال اليابانى توما يوكو ياماشيتا على الفظائع التى ارتكبتها قواته فى الفلبين، فقد قررت اللجنة أن ياما شيتا - باعتباره القائد الأعلى - كان مسئولا عن وقف هذه الفظائع، وبالطبع يمكن إصدار الحكم نفسه على الجنرال باول والجنرال شوارتزكوف.،وكان ياما شيتا قد قدم فى دفاعه أدلة كثيرة على أنه كان يفتقر إلى وسائل الاتصال التى تمكنه من السيطرة على قواته على النحو الواجب، ومع ذلك فقد تم شنقه. وقد أوضح تايلور، أن ويستمورلند لم يواجه هذه المشكلة، فى وجود طائرات الهليكوبتر والاتصالات الحديثة[٩] .

جريمة القصف

كما ورد ذكره فى الفصل الخاص " بالقصف "، فإن قصف المدن بالطائرات لم يمض دون عقاب فحسب بل مضى دون توجيه اتهام عمليا، وذلك من ميراث الحرب العالمية الثانية. فقد صمت قضاة نورمبرج وطوكيو عن موضوع القصف الجوى. فنظرا لأن الطرفين لعبا لعبة تدمير الحواضر الرهيبة - وإن كان الحلفاء أكثر نجاحا بزمان - فلم يكن هناك أساس لتوجيه تهم جنائية ضد الألمان أو اليابانيين. والواقع أنه لم تطرح مثل هذه التهم. ولكن مثلما تساءل تايلور[١٠] : " هل هناك فرق يذكر بين قتل رضيع بين ذراعى أمه من جراء قنبلة تسقط من طائرة تحلق عاليا، وبين قتله ببندقية جندى مشاة تطلق من مسافة قريبة ؟... إن عمل الطيار (يوصف) بأنه " غير شخصى " بدرجة أكبر من عمل جندى القوات البرية، قد يكون هذا سليما من الناحية السيكولوجية، لكنه بالتأكيد ليس مرضيا من الناحية الأخلاقية.

لم يفكر أحد فى أنهم مدينون بأى شىء ... إنهم وطنيون صالحون جميعهم

" عندما سئل عما إذا كان يود الاعتذار عن المعاناة التى تسبب فيها، بدا متحيرا حقا، وعندما كرر المترجم السؤال، أجاب بقوله : لا، أود أن تعرفوا أن كل ما فعلته كان فى سبيل بلدى ". حديث للصحفى نات ثاير مع بول بوت وهو يحتضر ١٩٩٧(١١) .

التعامل مع غير المتصور

عند نهاية الحرب العالمية الثانية، عقدت المحكمة العسكرية الدولية للشرق الأقصى، وفى محاكمة هيديكى توجو رئيس الوزراء اليابانى السابق فى طوكيو، تساءل محاموه عن السبب فى اعتبار جرائم توجو أسوأ من إسقاط قنبلة ذرية على هيروشيما ونجازاكى، وعندئذ قاطع الادعاء الترجمة اليابانية وأمر بحذف هذه الملاحظة من السجلات الرسمية للمحاكمة ومن الصحف(١٢) .

أمر آخر لا يمكن تصوره

تؤكد اتفاقية حظر جريمة إبادة الأجناس والمعاقبة عليها (اتفاقية إبادة الأجناس) التى اعتمدتها الجمعية العامة للأمم المتحدة . " أن الأطراف المتعاقدة تؤكد أن إبادة الأجناس - سواء ارتكبت وقت السلم أو وقت الحرب - هى جريمة بمقتضى القانون الدولى وتتعهد بمنعها والعقاب عليها ". وبعد ذلك تمضى الاتفاقية إلى تحديد الإبادة باعتبارها أعمالا معينة، تورد قائمة لها " ترتكب بنّية التدمير، الكلى أو الجزئى، لمجموعة عرقية، عنصرية أو دينية فى حد ذاتها ".

وربما تفتقر هذه القائمة إلى أهم مظهر لإبادة الأجناس فى العصر الحديث : إبادة الناس بسبب أيديولوجيتهم السياسية. لقد شاهت سمعة النازى بسبب مذابحهم لليهود والغجر، ولكن الفاشية الألمانية - مثلما كانت فى ايطاليا واسبانيا واليونان وشيلى واندونيسيا وأماكن أخرى - كانت موجهة فى المحل الأول وفى الأساس ضد الشيوعيين والاشتراكيين، بغض النظر عن أية خصائص أخرى. (وعلى أية حال، كان هتلر يسوى بين اليهود والشيوعيين).

وكما يمكن تبينه من فصل " التدخلات " وفى الفصول الأخرى، من الصين والفلبين فى الأربعينيات إلى كمبوديا والمكسيك فى التسعينيات، فإن الولايات المتحدة تمارس هذه الإبادة السياسية، ويمكن لكبار المسئولين التنفيذيين فى الدولة العظمى

الوحيدة فى العالم أن يهنئوا بالا، فلن تكون هناك اتفاقية دولية ضد ذلك، ولن يتعين على أى مسئول أمريكى أن يمثل أمام المحكمة بسبب ذلك(١٣) .

يوغوسلافيا ـ لن تعقد أبدا محكمة جرائم حرب أخرى

بدءا من نحو أسبوعين بعد قيام الناتو بقصف يوغوسلافيا الذى شرع فيه فى مارس ١٩٩٩، بدأ المشتغلون بالقانون الدولى من كندا والمملكة المتحدة واليونان ورابطة القانونيين الأمريكية يقدمون شكاوى إلى المحكمة الجنائية الدولية المعنية بيوغوسلافيا السابقة فى لاهاى بهولندا، يتهمون فيها قادة بلدان الناتو ومسئولى الناتو نفسه بجرائم مماثلة لتلك التى أصدرت المحكمة بشأنها أحكاما بالإدانة على قادة الصرب قبل ذلك بقليل، وكان من بين التهم المرفوعة للمحكمة " انتهاكات خطيرة للقانون الدولى الإنسانى "، بما فى ذلك " القتل العمد، والتسبب عمدا فى معاناة كبيرة وإصابات خطيرة بالجسد والصحة، واستخدام الأسلحة السامة وغيرها من الأسلحة بما يتسبب فى معاناة لا موجب لها، والتدمير المتعمد للمدن والبلدان والقرى، والهجمات غير المشروعة على الأعيان المدنية، والتخريب الذى لا تتطلبه الأهداف العسكرية، والهجمات على المبانى والمساكن المحرومة من وسائل الدفاع عنها، والتدمير والتخريب المتعمد للمؤسسات المكرسة للدين وأعمال البرّ والتعليم والفنون والعلوم ".

وحددت الدعوى الكندية أسماء ٦٨ قائدا، منهم : ويليام كلينتون، ومادلين أولبرايت، ووليام كوهين، وتونى بلير، ووزير الخارجية الكندى جان كريتيان، ومسئول الناتو خافير سولانا، وويسلى كلارك، وجامى شى. كما ادعت الشكوى بوقوع " انتهاك فاضح " لميثاق الأمم المتحدة، ولمعاهدة الناتو نفسها، ولاتفاقيات جنيف ومبادئ القانون الدولى التى اعترفت بها المحكمة العسكرية الدولية فى نورمبرج.

وقدمت الشكوى مرفقة بقدر كبير من الأدلة لتأييد الاتهامات، وأظهرت الأدلة ما يؤيد النقطة الرئيسية وهى أن حملة القصف التى قام بها الناتو هى التى تسببت فى الحجم الأساسى من حالات الوفاة فى يوغوسلافيا، وهى التى استثارت معظم الفظائع التى ارتكبها الصرب، وتسببت فى حدوث كارثة بيئية وتركت ميراثا خطيرا من اليورانيوم المستنفد غير المفجر والقنابل العنقودية.

وفى يونيو، اجتمع بعض من مقدمى الشكاوى فى لاهاى مع المدعية العامة الرئيسية للمحكمة (لويس آربور من كندا) ، ورغم أنها تلقت بصورة ودية مذكرتهم بشخصها، إضافة إلى ثلاثة مجلدات سميكة من الأدلة التى توثق جرائم الحرب المدعاة، فلم يسفر الاجتماع عن شئ محدد، رغم طلبات ورسائل المتابعة المتكررة التى قدمها الشاكون. وفى شهر نوفمبر، التقت خليفتها (كارلا ديل بونتى من سويسرا) هى أيضا ببعض الشاكين وتلقت أدلة موسعة.

وقد أوضحت مذكرة الشاكين المقدمة فى نوفمبر أن اتهامهم لهذه الأسماء " لا يتفق ومقتضيات القانون فحسب، بل يتفق أيضا ومقتضيات تحقيق العدالة ولردع الدول القوية، مثل دول الناتو، التى تفتقر – فى قدرتها العسكرية وسيطرتها على وسائل الإعلام – لأى كابح طبيعى آخر مثل ذلك الذى يردع الدول الأقل قدرة ". وقيل أن توجيه الاتهامات إلى المنتصرين فى الحرب – وليس المهزومين وحدهم – سيكون علامة فارقة فى القانون الجنائى الدولى.

وفى أحد الخطابات الموجهة إلى آربور، ذكر مايكل ماندل أستاذ القانون فى تورنتو ومقدم الدعوة الكندية :

لسوء الحظ – كما تعرفون الآن – فقد أثيرت شكوك كثيرة حول نزاهة محكمتكم. ففى الأيام الأولى من النزاع – وبعد تقديم شكوى رسمية، لها ما يبررها فى رأينا، ضد قادة الناتو من قبل أعضاء كلية الحقوق فى جامعة بلجراد – ظهرتم فى مؤتمر صحفى مع أحد المتهمين، روبن كوك وزير الخارجية البريطانى، الذى قام بحركة استعراضية كبيرة وهو يسلم لكم ملفا عن جرائم الحرب الصربية، وفى مطلع مايو، ظهرتهم فى مؤتمر صحفى آخر مع مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية، وفى ذلك الوقت كانت هى نفسها محل اتهام شكويين رسميتين بارتكاب جرائم حرب باستهداف المدنيين فى يوغوسلافيا. وقد أعلنت أولبرايت على الملأ فى ذلك الوقت أن الولايات المتحدة كانت هى المورّد الرئيسى للأموال إلى المحكمة وتعهدت بتقديم مزيد من الأموال إليها[١٤] .

وقد بذلت آربور نفسها محاولة صغيرة لإخفاء تحيزها للناتو الذى تستره تحت ردائها، فقد وثقت بأن يكون الناتو هو الشرطة التى تحميها، وهو القاضى والمحلف

وحارس السجن. وخلال عام أحيا فيه اعتقال الجنرال بينوشيه الأمل فى إعلاء قضية القانون الدولى والعدالة الدولية، قضت المحكمة الجنائية الدولية ليوغوسلافيا السابقة تحت قيادة آربور، بأن تستمر الدول الكبرى فيما تعمله كالمعتاد، خاصة الدولة الكبرى الأشد عرضة للاتهام، والتى للمصادفة دفعت معظم أجرها، وفيما يلى كلماتها بنصها :

من الواضح أننى لا أعلق على أى إدعاءات بانتهاك القانون الدولى الإنسانى التى أفترض أن رعايا بلدان الناتو قد ارتكبوها، وأننى أقبل التطمينات التى قدمها قادة الناتو بأنهم يعتزمون القيام بعملياتهم فى جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية فى مراعاة كاملة للقانون الدولى الإنسانى. وقد ذكّرت الكثيرين منهم، عندما أتيحت الفرصة، بالتزامهم بإجراء تحقيقات عادلة وبعقلية منفتحة لأى خروج محتمل على تلك السياسة، والتزام القادة بمنعه والعقاب عليه، إذا اقتضى الأمر ذلك[١٥] .

مؤتمر صحفى موجز للناتو ، ١٦ مايو ١٩٩٩ :

سؤال : هل يعترف الناتو بولاية القاضية آربور على أنشطته ؟

جامى شى : أعتقد أنه يتعين علينا أن نميز بين النظرى والعملى. وأعتقد أن القاضية آربور عندما بدأت تحقيقها (مع الصرب) ، فإنها قامت بذلك لأننا سمحنا لها به . إن بلدان الناتو هى التى قدمت التمويل اللازم لإنشاء المحكمة، إننا بين ممولى الحصة الأكبر.

كما تعتمد المحكمة ـ التى أنشئت فى ١٩٩٣ وكانت الولايات المتحدة هى الأب الروحى لها ومجلس الأمن هو الأم ومادلين أولبرايت هى القابلة ـ على الأصول العسكرية لدول الناتو لتعقب والقبض على المشتبه فيهم الذين تحاكمهم بسبب جرائم حرب.

ولم يحدث شئ بالنسبة للشكوى فى ظل ديل بونتى أكثر مما حدث فى ظل آربور، ولكن فى أواخر ديسمبر، وجه سؤال إلى ديل بونتى فى حديث أجرته معها الأوبزرفر اللندنية، عما إذا كانت مستعدة لتقديم اتهامات ضد مسئولى الناتو. وأجابت : " إن لم أكن مستعدة للقيام بذلك، فلن أكون فى المكان الصحيح، ويتعين على أن أتخلى عن مهمتى ".

وعندئذ أعلنت المحكمة أنها استكملت دراسة عن جرائم حرب الناتو المحتملة، وأن ديل بونتي تفحصها، وأن الدراسة رد ملائم على قلق الرأى العام بشأن تاكتيكات الناتو. " فمن المهم جدا لهذه المحكمة أن تؤكد سلطتها على أى السلطات وجميع السلطات فى النزاع المسلح الذى يدور داخل يوغوسلافيا السابقة .

هل كانت هذه إشارة من السماء بأن الألفية الجديدة ستكون ألفية عدالة أكثر مساواة ؟ هل يمكن أن يحدث هذا حقا ؟

لا، لا يمكن ذلك، فقد جاء من الدوائر الرسمية العسكرية والمدنية فى الولايات المتحدة وكندا، الشجب والإنكار والتعبير عن الصدمة والغضب والاستنكار ، ووصف ذلك بأنه " مروع " ... " لا يمكن تبريره "، واستوعبت ديل بونتى الرسالة. فبعد أربعة أيام من صدور الأوبزرفر، أصدر مكتبها بيانا جاء فيه : " إن الناتو ليس موضع تحقيق من قبل مكتب المدعى العام للمحكمة الجنائية الدولية ليوغوسلافيا السابقة، وليس هناك تحقيق رسمى فى أعمال الناتو خلال النزاع فى كوسوفو[١٦] ، ومن غير الضرورى أن نضيف أنه لن يكون هناك تحقيق.

لكن الادعاءات الموجهة للناتو - التى كان يتم حتى الآن تجاهلها من قبل وسائل الإعلام الأمريكية لحد كبير – أصبحت الآن معلنة على رءوس الأشهاد، وأصبحت فجأة تحظى بقدر عادل من الإعلام، وانتقل مساندو القصف إلى موقف الدفاع، وكانت الحجة الأكثر شيوعا فى دفاع الناتو – وضد الاتهام بارتكاب جرائم حرب – هى أن حالات القتل والتدمير التى أنزلت بالقطاع المدنى كانت " غير مقصودة "، بيد أن هذا الادعاء يتعين تمحيصه فى ضوء تقارير معينة. فعلى سبيل المثال، أعلن قائد حرب الناتو الجوية - الفريق مايكل شورت - فى أحد المراحل :

لو استيقظت فى الصباح وليس لديك كهرباء فى منزلك ولا غاز لفرنك ووجدت أن الكوبرى الذى يوصلك لعملك قد سقط وسيظل قابعا فى الدانوب للعشرين سنة القادمة، أعتقد أنك ستبدأ فى التساؤل " هيه يا سلوبو، ما جدوى كل هذا ؟ ما القدر الذى تستطيع أن نتحمله فوق ذلك ؟[١٧] .

وقالت النيويورك تايمز : إن الجنرال شورت، يأمل فى أن يقوض الكرب الذى يشعر به الرأى العام اليوغوسلافى التأييد الذى تلقاه السلطات فى بلجراد[١٨] .

وفى مرحلة أخرى، أضاف جامى شى المتحدث باسم الناتو : لو كان الرئيس ميلوسفتش يريد حقا توافر المياه والكهرباء لكل شعبه، فإن كل ما عليه هو أن يقبل شروط الناتو الخمسة وعندئذ سنوقف هذه الحملة[١٩] .

ويعد قصف الناتو لمبنى المكاتب فى بلجراد فى أبريل - وهو المكتب الذى يؤوى الأحزاب السياسية ومحطات الإذاعة والتليفزيون و ١٠٠ شركة خاصة وما يزيد على ذلك - أوردت الواشنطن بوست :

خلال الأيام القليلة الماضية، نقل عن المسئولين الأمريكيين أنهم أعربوا عن الأمل فى أن يبدأ أعضاء الصفوة الاقتصادية فى صربيا فى الانقلاب على ميلوسفتش بمجرد أن يدركوا قدر ما سيخسرونه باستمرارهم فى مقاومة طلبات الناتو[٢٠] .

وقبل إطلاق القذائف على هذا المبنى، حدد مخططو الناتو المخاطر : " تقدر الإصابات بـ ٥٠ - ١٠٠ من موظفى الحكومة/ الحزب، وتقدر الخسائر المدنية غير المقصودة بـ ٢٥٠ شقة فى دائرة الانفجار المتوقعة[٢١] .

وقال المخططون أن نحو ٢٥٠ مدنيا يعيشون فى المبانى السكنية المجاورة قد يقتلون فى القصف.

فما الذى لدينا هنا ؟ لدينا رجال راشدون يقولون لبعضهم البعض : إننا سنعمل أ، ونعتقد أن ب قد تكون هى النتيجة. ولكن أن حدثت ب فى الواقع، فقد قلنا مقدما وسنصر بعد ذلك على أن هذا لم يكن مقصودا.

فى أعقاب الحرب العالمية الثانية، كانت هناك حاجة ملحة لإقامة محكمة جنائية دولية دائمة لمحاكمة المتهمين بجرائم حرب، جرائم ضد الإنسانية وإبادة الجنس، لكن الحرب الباردة تدخلت فى الأمر، وأخيرا، وضعت دول العالم فى روما عام ١٩٩٨ مشروع ميثاق المحكمة الجنائية الدولية، بيد أن المفاوضين الأمريكيين أصروا على إدراج أحكام فى هذا الميثاق تعطى للولايات المتحدة فى الأساس سلطة الاعتراض على إقامة أى دعوى من خلال مقعدها فى مجلس الأمن. وتم رفض الطلب الأمريكى. وفى المحل الأول فإنه بسبب هذا رفضت الولايات المتحدة أن تنضم إلى ١٢٠ دولة أخرى أيدت الميثاق. إن المحكمة الجنائية الدولية أداة لا تستطيع واشنطن أن تسيطر عليها بدرجة كافية لمنعها من محاكمة العسكريين والمسئولين الحكوميين الأمريكيين، وقد

اعترف مسئولون أمريكيون كبار صراحة بأن هذا الخطر هو السبب فى نفورهم من المحكمة الجديدة المقترحة (٢٢) . ولكن من الواضح أن هذا لم يكن هو الحال بالنسبة للمحكمة الجنائية الدولية ليوغوسلافيا السابقة، إنها نوع المحكمة الدولية الذى تريده واشنطن، محكمة النظام الدولى الجديد.

وقد لاحظ الصحفى سام سميث من واشنطن فى ١٩٩٩ أنه : يبدو أن محكمة جرائم الحرب الدولية طفقت تأخذ دروسا فى الإنفاذ الانتقائى للقانون من شرطة ولاية نيوجيرسى، إذ كان مجرمو الحرب الوحيدون الذين أدانتهم هذا الأسبوع من أصحاب الأسماء الأجنبية التى تصعب تهجئتها. ولم يتهم من بينهم اسم انجليكانى - مثل كيلنتون أو بلير .

وخلال عملياتها العسكرية المدمرة فى يوغوسلافيا، لم تكن الولايات المتحدة معنية بإمكانية أن يفكر أى شخص فى تقديم شكوى ضد الناتو فى لاهاى، ومع ذلك فإننا نعرف الآن أنه " فى منتصف الطريق خلال الحرب مع يوغوسلافيا، أصدر المكتب القانونى الأعلى فى وزارة الدفاع مبادئ توجيهية تحذر من أن إساءة استخدام الهجمات المتعلقة بفضاء المعلومات يمكن أن يعرض السلطات الأمريكية للاتهام بارتكاب جرائم حرب . وكانت تلك إشارة إلى حقيقة أن مسئولى البنتاجون كانوا يبحثون التدخل فى شبكات الكومبيوتر الصربية لإشاعة الاضطراب فى العمليات العسكرية والخدمات المدنية الأساسية(٢٣) .

الفصل التاسع

مــلاذ للإرهابيين

فى ١٩٩٨، أصدرت وزارة الخارجية تقريرها السنوى عن حقوق الإنسان، الذى وضع كوبا فى قائمة الدول المدعى أنها " ترعى الإرهاب "، ولإحساسى بغرابة ذلك، اتصلت بوزارة الخارجية وأحالونى إلى ما يسمونه " مكتب الإرهاب " حيث أخبرنى سيد اسمه جور يب بأن كوبا أدرجت فى القائمة لأنها " تؤوى الإرهابيين ".

وردت عليه بقولى : " إن ذلك ما تفعله الولايات المتحدة هى الأخرى، فالمنفيون الكوبيون فى ميامى ارتكبوا مئات الأعمال الإرهابية، فى الولايات المتحدة وفى الخارج".

وانفجر السيد ريب غاضبا وهو يرفع صوته : " يا سيدى، هذه ملاحظة سخيفة ولن أصغى لمثل هذا الهراء ! " ووضع السماعة.

وباعتبارى مثيرا للمتاعب لا يعرف التوبة، فقد اتصلت فى العام التالى – وعلى سبيل الدقة فى ٤ مايو ١٩٩٩– عندما تم إصدار التقرير الجديد لحقوق الإنسان (هل كلمة " برّ فى عين نفسه " تومئ لشئ لدى القوم فى وزارة الخارجية ؟) مرة ثانية بالرقم ٨٦٨٢ – ٦٤٧ – ٢٠٢، ومرة ثانية كان جو ريب هو الذى رد، وأشك فى أنه عرف أننى كنت نفسى الشخص الذى اتصل به قبل ذلك بعام، لكنه على أية حال مضى فى خطوات نفس الرقصة مرة ثانية، وعندما كررت تعليقى عن الإرهابيين الكوبيين الذين يتم إيواؤهم فى ميامى أصبح ساخطا على الفور وقال أنهم ليسوا بإرهابيين.

وقلت : " لكن مكتب التحقيقات الفيدرالى وصف البعض منهم بأنهم كذلك ".

فرد جو " إذن أبحث المسألة مع هذا المكتب ".

فأوضحت : " لكننا نناقش تقريراً لوزارة الخارجية ".

فارتفع صوته : " لن أصغى لأناس يسمون هذه الحكومة بأنها راعية للإرهاب ! " وأغلق التليفون بعنف. ولم تجعل السنة المنقضية بين الاتصالين جواً ليّن العريكة بقدر ما لم تجعلنى كذلك.

إنه لأمر ساحر دوما، ملاحظة رد فعل المؤمنين الحقيقيين إزاء تهديد مفاجئ غير متوقع ولا يمكن دحضه للدعائم الأساسية لايديولوجيتهم.

إن المنفيين الكوبين هم فى الواقع مجموعة من أقدم المجموعات الإرهابية فى العالم وأكثر نسلا، وهم لايزالون كذلك. وخلال ١٩٩٧، نفذوا مقدارا وافرا من عمليات تفجير القنابل فى هافانا التى تم توجيهها من ميامى(١) .

إن خطف الطائرات يعتبر بصفة عامة جريمة دولية خطيرة، ولكن على الرغم من أنه كان هناك العديد من عمليات خطف الطائرات والسفن على مرّ السنين من كوبا إلى الولايات المتحدة والذى تم فى ظل السلاح المشرع من من مدافع ومدى ، وباستخدام القوة الجسدية ، بما فى ذلك قتل أحد الأشخاص على الأقل، فإنه من الصعب العثور على مثال واحد وجهت فيه الولايات المتحدة اتهامات جنائية للخاطفين ففى أغسطس ١٩٩٦، وجه الاتهام إلى ثلاثة كوبيين اختطفوا طائرة إلى فلوريدا وهم يشرعون مداهم وقدموا للمحاكمة فى فلوريدا. ويشبه هذا محاكمة شخص ما على المقامرة فى محكمة فى نيفادا، ورغم أنه تم إحضار الطيار الذى جرى اختطافه من كوبا ليشهد ضد هؤلاء الأشخاص، فإن الدفاع أخبر المحلفين ببساطة أن الرجل يكذب، وتداولت هيئة المحلفين مدة تقل عن ساعة قبل أن تبرأ المتهمين(٢) .

والكوبيون ليسوا هم الإرهابين الأجانب الوحيدين أو منتهكى حقوق الإنسان بصورة خطيرة الوحيدين الذين وجدوا ملاذا آمنا فى الولايات المتحدة فى السنوات الأخيرة، فمثلهم مثل الكوبيين، فإن الأشخاص الآتية أسماؤهم معادون للشيوعية يتقدون حماسا، أو بعبارة أخرى ينسجمون مع أهداف السياسة الخارجية الأمريكية فى الماضى والحاضر. (بالنسبة للمصادر غير المبينة، انظر هذا الهامش(٣) .

هناك وزير دفاع جواتيمالا السابق هكتور جراماخو موراليس ففى ١٩٩٥، أمرت محكمة أمريكية جراماخو بدفع ٤٧,٥ مليون دولارا تعويضا لثمانية من أهل جواتيمالا

ومواطن أمريكى لمسئوليته عن تعذيب مواطن أمريكى (الأخت ديانا أورتيز - انظر الفصل عن " الإرهاب ") وقتل أفراد أسرة من جواتيمالا (من بين آلاف من الهنود الآخرين الذين كان مسئولا عن موتهم). وقد وجه لجراماخو أمر استدعاء أمام المحكمة فى ١٩٩١، حيث أنه خريج مدرسة كنيدى لشئون الحكم فى هارفارد، حيث درس بمنحة قدمتها له الحكومة الأمريكية. وذكر القاضى : " إن الأدلة تشير إلى أن جراماخو قد ابتدع ووجه تنفيذ حملة عشوائية للإرهاب ضد المدنيين ". ولم تسحب وزارة الدفاع دعوتها لجراماخو للحديث فى ندوة عسكرية إلا بعد إصدار المحكمة حكمها[٤]، وعقب ذلك عاد جراماخو لجوتيمالا بدون أن يدفع ما قضت به المحكمة. وفى حديثه عن إقامته السابقة فى جواتيمالا، قال إنه طبق ما وصفه بأنه " أكثر (الأساليب) إنسانية " فى التعامل مع المنشقين المشتبه بهم، وأضاف : " لقد أنشأنا الشئون المدنية (فى ١٩٨٢) التى وفرت التنمية بالنسبة إلى ٧٠ فى المائة من السكان، فى حين قتلنا ٣٠ فى المائة، ومن قبل كانت الاستراتيجية تقضى بقتل ١٠٠ فى المائة "[٥].

إن فلوريدا هى دار التقاعد المفضلة لمنتهكى حقوق الإنسان الخطرين الذين يلتمسون الرحيل عن مسرح جرائمهم، فقد عاش الجنرال السابق خوزيه جويلرمو جارسيا - رئيس القوات المسلحة فى السلفادور فى الثمانينيات - عندما قتلت سرايا الموت المرتبطة بالعسكريين آلافا من الأشخاص المشتبه فى أنهم " مخربون "، فى فلوريدا منذ مطلع التسعينيات.

وخليفة جارسيا، الجنرال كارلوس أوجنيو فيدس كازانوفا، الذى عمل أيضا كرئيس للحرس الوطنى الذى كان الجميع يشعرون بالرعب منه، يقيم حاليا فى ولاية مشمسة أيضا. وحسب ما قررته لجنة الأمم المتحدة لتقصى الحقائق فى السلفادور، فقد تستر فيدس على من اغتصبوا وقتلوا ثلاث راهبات أمريكيات وعاملا عاديا وحماهم فى ١٩٨٠، وكان حاضرا بشخصه فى مناسبتين على الأقل أثناء تعذيب الدكتور خوان روماجوزا آرس؛ وفى النهاية، فإن الإصابات التى أوقعت بآرس قد تركته عاجزا عن إجراء الجراحات (وفى لقاء فى ١٩٩٩ اضطر فيدس إلى أن يعلن " إننى أفكر المرة تلو الأخرى عما إذا كان هناك أى خطأ ارتكبته، ولا أستطيع التوصل لشىء").

وخلال الوقت الذى كان جارسيا وفيدس يعيشان فيه فى الولايات المتحدة، كانت إدارة الهجرة الأمريكية تنكر وضع اللاجئ على كثيرين من اللاجئين من السلفادور حتى وإن قالوا بأنهم يخشون تعذيبهم أو إزهاق أرواحهم إذا أعيدوا.

وقد أقام فى الولايات المتحدة فى السنوات الأخيرة، كثيرون من منتهكى حقوق الإنسان فى هاييتى دون أن تضايقهم السلطات. إن أيديهم وأرواحهم ملطخة بالدماء لقيامهم بعمليات القمع فى ظل أسرة دوفالييه، أو الإطاحة بالرئيس الأب جان برتراند - ارستيد المنتخب ديمقراطيا فى ١٩٩١، أو العودة للقمع بعد الانقلاب، ومن بين أعدادهم:

لوكنر كامبرونى: وزير الداخلية والدفاع فى هاييتى فى ظل فرانسوا " بابا دوك " دوفالييه ومستشار إبنه وخلفه جان كلود " بيبى دوك " دوفالييه.

العميد بالجيش: بول صمويل جيريمى. فبعد إجبار بيبى دوك على التنازل فى ١٩٨٦، أدين جريمى بتعذيب خصوم دوفالييه وحكم عليه بـ ١٥ سنة سجنا، وهرب فى ١٩٨٨ .

الجنرال بروسبر افريك، دكتاتور آخر فى هاييتى، مسئول عن تعذيب نشطاء المعارضة، والذين عرضهم وهم ملطخون بالدماء فى التليفزيون. وعندما أجبرته الجماهير الغاضبة على الرحيل فى ١٩٩٠، نقلته حكومة الولايات المتحدة جوا إلى فلوريدا، حتى يستطيع أن يعيش سعيدا بعد ذلك، إلا أن بعض ضحايا تعذيبه السابقين رفعوا دعوى ضده. وفى مرحلة ما من القضية، تخلف عن المثول أمام المحكمة، ومن ثم تمت إدانته، وفرّ إلى عدة عدة بلدان محاولا أن يجد ملاذا، وفى الوقت نفسه، حكم قاضى فيدرالى أمريكى فى ١٩٩٤، بمنح تعويض قدره ٤١ مليون دولار لستة من أهل هاييتى يقيمون فى الولايات المتحدة.

وخلال فترة نفى ارستيد، ١٩٩١- ١٩٩٤، كان الكولونيل كارل دورلين يشرف على قوة قوامها ٧٠٠٠ رجل شمل سجلهم الموثق جيدا فى مجال الجزارة، عمليات اغتيال واغتصاب وخطف وتعذيب، مما أدى إلى وفاة نحو ٥ آلاف من المدنيين فى هاييتى، وقد وجد الكولونيل الطيب داراله فى فلوريدا هو أيضا.

كمـا أن لدينـا قـائدا بارزا لسـرايا الموت فى هاييـتى هو إيمانويل كـونسـتـانت، الرئيس السـابق لمجموعة شبـه عسكرية من البلطجية التى أشـاعت خوفا عميقا فى نفوس شعب هاييتى بعملياتها المنتظمة فى الاغتيال والتعذيب وحملات الضرب العامة، والغارات المتعمدة لإحراق مجاورات الفقراء وتشويه الأجساد بالمناجل فى أعقاب الانقلاب على ارستيد. وقد كان اسمه فى جدول مرتبات وكالة المخابرات المركزية وهو يعيش حاليا فى نيويورك، وقد رفضت وزارة الخارجية طلبا من هاييتى بتسليم كونستانت وأوقفت ترحيله عائدا إلى بلاده، ومن الواضح أن كونستانت يعرف الكثير من فضائح الخلوة الأمريكية.

وهناك أشخاص آخرون من هاييتى من هذا النوع يقطنون الولايات المتحدة منهم اللواء جـان كلود دويرفـال، وأرنست بـرودوم، وهو عضـو سابق عالى المرتبة فى مكتب الإعلام والتنسيق، وهو وحدة للدعاية العنيفة سيئة السمعة.

ويعيش أرماندو فيرنانديز لاريوس - عضو السرية العسكرية الشيلية المسئولة عن تعذيب وإعدام ٧٢ سجينا سياسيا على الأقل فى الشهر التالى للانقلاب - حاليا فى الولايات المتحدة. وقد اعترف فرنانديز علنا بعمله كعضو فى السرية العسكرية، وكذلك بدوره كعميل للشرطة السرية سيئة السمعة فى شيلى، " الدينا "، خلال حكم بينوشيه. وأبرم صفقة مع المدعين العامين فى الحكومة الأمريكية، قدم فيها التماسا بالعفو، اعترف فيه بأنه مذنب فى كونه " كان حاضرا أثناء الجريمة ولم يشارك فيها " فى العملية السرية التى رعتها الشرطة السرية لاغتيال المسئول الشيلى المنشق أورلاندو ليتلييه بتفجير قنبلة فى واشنطن العاصمة فى ١٩٧٦ . وقد ورد أن حكومة شيلى تود تسلم فيرنانديز من الولايات المتحدة، لكن محاميه قال : " إن اتفاق العفو المبرم فى ١٩٨٧ بين عميله وبين وزارة العدل ينص على ألا يعاد فيرنانديز أبدا إلى شيلى. وقد رفض مسئولو وزارة العدل التعليق على درجة الحماية التى يتمتع بها فيرنانديز بموجب الاتفاق، الموجود فى عهدة المحكمة[٦] .

وقد لعب مايكل تاونلى من شيلى دورا أكثر أهمية فى اغتيال ليتلييه، وقد أمضى بعض الوقت فى سجن أمريكى وهو حاليا فى البرنامج الفيدرالى لحماية الشهود، لذلك فإنه - إن رأيته - فلن تعرفه !

أما الأدميرال الأرجنتيني خورجي انريكو- الذى ارتبط بالمدرسة الميكانيكية فى بونيس ايرس - وهو مركز التعذيب سئ السمعة فى فترة " الحرب القذرة " (٧٦ - ١٩٨٣)، فهو يستمتع بهاواى على حريته حينما يريد.

ومن المعروف أيضا أن عضوين سابقين على الأقل فى الكتيبة ٣١٦ فى هندوراس (انظر الفصل الخاص " بالتعذيب ")، وهى وحدة استخبارات دربتها وكالة المخابرات المركزية واغتالت مئات من اليساريين المشتبه فيهم فى الثمانينيات، يعيشان أيضا حياة هنية فى ساوث فلوريدا.

لقد كان كيباسا نيجاوا من أثيوبيا متهما فى قضية للتعذيب فى أطلانطا، وعندما خسر القضية، وبدأت عاقبته تسوء، اختفى.

كما يقطن الولايات المتحدة سنتونج بانجاتيان، وهو جنرال اندونيسى مسئول عن مذبحة سانتاكروز فى ١٩٩١ فى تيمور الشرقية التى أزهقت فيها مئات الأرواح.

وبناء على إلحاح واشنطن، كان ثيوون براسيت هو مبعوث الخمير الحمر بقيادة بول بوت إلى الأمم المتحدة من ١٩٧٩ إلى ١٩٩٣، رغم أن الخمير الحمر كان قد أطيح بهم من السلطة فى ١٩٧٩، وكان براسيت المدافع والمبرر الرئيسى لجرائم بول بوت المروعة ولعب دورا كبيرا فى التستر عليها (انظر الفصل عن " بول بوت "). وهو يعيش فى سلام وراحة فى ماونت فيرتون فى نيويورك(٧) .

وقد عاش الجنرال منصور موهاراري الذى كان مسئولا عن السجون فى ظل الشاه، ومن ثم لا غرو فى أنه كان يمارس التعذيب، فى الولايات المتحدة سنوات طويلة على الرغم من الثمن الذى حدده ملالى إيران لرأسه.

ويعيش - بصورة قانونية فى كاليفورنيا- عشرون من ضباط فيتنام الجنوبية السابقين الذين اعترفوا بارتكاب التعذيب وغيره من انتهاكات حقوق الانسان خلال الحرب الفيتنامية(٨) .

وطوال الثمانينيات وحتى التسعينيات، شن عدد كبير آخر من الفيتناميين فى كاليفورنيا حملة إرهاب عنيفة ضد بنى وطنهم الذين رأوا أن عداءهم للشيوعية غير كاف، أحيانا لمجرد الدعوة لاستئناف الاتصالات مع هانوى، وتعرض آخرون للهجوم

لمجرد التساؤل عن أعمال الإرهابيين. وتحت أسماء مثل " منظمة الفيتناميين المعادين للشيوعية " و " المنظمة الفيتنامية لإبادة الشيوعيين وإحياء الأمة "، قاموا فى مئات المناسبات بعمليات هجوم واغتيال وإحراق مشروعات أعمال ومركبات، وأجبروا الصحف الفيتنامية على التوقف عن الصدور، وأصدروا تهديدات بالموت، وانخرطوا فى الابتزاز وغير ذلك من جوانب الجريمة المنظمة، ومر كل ذلك دون عقاب، حتى مع وجود شهود عديدين على عمليات الاغتيال. وفى الحالات القليلة التى تمت فيها عمليات اعتقال، جرى بصفة عامة إطلاق سراح المشتبه فيهم أو تمت تبرئتهم، والقلة التى أدينت تم الاكتفاء بضربها على أيديها. ويبين هذا النمط الواضح للإهمال فى إنفاذ القانون نوعا من التفاهم مع أصحاب المنزلة الرفيعة فى واشنطن. ولو كانت هناك سياسة فيدرالية " لا ترى أن هناك شرا حدث "، فإن التفسير الأكثر احتمالا هو الكراهية القوية المستمرة تجاه أى فيتنامى يفترض تطلعه إلى هانوى.

وبالإضافة لذلك، يعيش عدد من الأشخاص الذين اتهمهم مواطنوهم من بنى جلدتهم بارتكاب جرائم حرب، يعيشون أيضا فى الولايات المتحدة، على الرغم من أن ذلك يبدو فى معظم الأحوال راجعا إلى قصور بيروقراطى أمريكى، وليس تقديم ملاذ لأتباع الحلفاء السابقين اعترافا بالجميل(٩) .

وما سبق لا يشمل كل الأشخاص الديكتاتوريين مثل الإرهابيين الذين كانت الولايات المتحدة رحيمة بهم لدرجة نقلهم جوا إلى بلدان ثالثة (تمكينهم من لمّ شملهم مع حساباتهم المصرفية)، مثل هؤلاء من هاييتى الذين لايزالون على قيد الحياة : الجنرال راؤول سيدراس والرئيس جان كلود " بيبى دوك " دوفالييه، وكذلك جوزيف ميشيل فرانسوا رئيس الشرطة الشنيع.

وفى ١٩٩٨، ذهب الرئيس كلينتون إلى الأمم المتحدة ليتحدث عن الإرهاب، وتساءل : ما هى التزاماتنا العالمية ؟ هى ألا نقدم للإرهابيين دعما أو ملجأ(١٠) .

التسليم أو المحاكمة

يغطى نظام المحاكمة الجنائية الدولية إبادة الأجناس، الإرهاب، جرائم الحرب والتعذيب ويجعل كل الحكومات مسئولة عن المحاكمة الجنائية للمذنبين، وبموجب هذا المبدأ الأساسى " للإنفاذ العالمى للقانون "، فإن البلدان التى يدعى وجود مذنبين بها

ملزمة إما بتسليمهم للمحاكمة من قبل الحكومة المتضررة بصورة مباشرة بدرجة أكبر (مثل البلد الذى ارتكبت فيه الجرائم، أو البلدان التى يتمتع الضحايا أو منتهكو القانون بالمواطنة فيه)، أو الشروع فى محاكمتهم بنفسها. وتؤيد الولايات المتحدة بقوة مبدأ " التسليم أو المحاكمة " هذا من الناحية النظرية، والواقع أنها استخدمته منذ بضع سنوات قليلة مضت للتقدم بدعوى أمام محكمة العدل الدولية كأساس لمحاولة أن تتسلم من ليبيا شخصين ادعت أنهما مسئولان عن تفجير رحلة طائرة بان أميركان رقم ١٠٣ . كما تؤيد الولايات المتحدة بقوة تطبيق هذا المبدأ على من إدانتهم المحاكم الدولية لجرائم الحرب فى يوغوسلافيا السابقة ورواندا. وقد تم اكتشاف أن واحدا ممن أدانتهم محكمة رواندا لارتكاب جرائم حرب موجود فى تكساس، وتم اعتقاله، وأصبح معرضا لتسليمه كمجرم بأمر من محكمة فيدرالية فى هذه الوكالة(١١) .

ومع ذلك، فعندما يتعلق الأمر بمخلفات جثث الحرب الباردة الذين منحوا ملاذا فى الولايات المتحدة - كما سبق ذكره - فإن واشنطن اختارت عدم تسليمهم أو محاكمتهم، رغم أن كوبا مثلا، طلبت تسليم عدد من الأشخاص(١٢) .

عدم التسامح إطلاقا مع الملاذات الأخرى

ينص القرار الإدارى الرئاسى رقم ٣٩، الذى وقعه الرئيس كلينتون على :

إن لم نحصل على تعاون مناسب من الدولة التى تؤوى إرهابيا طلبنا تسليمه، فإننا سنتخذ الإجراءات الملائمة لدفعها للتعاون، ويمكن القيام بإعادة المشتبه فيهم باستخدام القوة بدون تعاون الحكومة المضيفة.

لقد كانت إدارة كلينتون مصممة على عقاب الدول الأخرى التى تنافس الولايات المتحدة فى إيواء الإرهابيين، لدرجة أنها أكدت فى فبراير ١٩٩٩ الحق فى قصف المرافق الحكومية فى مثل هذه الدول، وأعلن ريتشارد كلارك - منسق الرئيس كلينتون لمكافحة الإرهاب - ربما لا نكتفى بمجرد توجيه ضربة لمرفق إرهابى، بل يمكننا أن نقرر الانتقام من مرافق البلد المضيف، إذا كان هذه البلد المضيف ملاذا يتعاون معهم عمدا "(١٣) .

وقد حاولت الوصول إلى السيد كلارك فى مكتبه فى البيت الأبيض لأسأله عما يعتقده فى مقولة أن كوبا يمكنها أن تصف الولايات المتحدة عن حق باعتبارها " ملاذا

للإرهابيين يتعاون معهم عمدا " وتقصف مقر وكالة المخابرات المركزية أو مكتب للمنفيين الكوبيين فى ميامى، بين مواقع أخرى، بيد أنهم أخبرونى أنه " ليس متوفرا للحديث للجمهور العام ". ومن ثم، بعثت إليه برسالة تطرح هذه الأسئلة، رغم ضآلة الأمل فى أن أتلقى منه ردا، ولم يضايقنى ذلك.

الفصل العاشر

تأييد بول بوت

حقول القتل ، الحدود المغلقة بإحكام ، المدن التى تم تفريغها بحد السلاح، المسيرة القسرية إلى الريف ، كون المرء مهنيا ، معرفة لغة أجنبية، ارتداء نظارة، أى شىء تقريبا، قد يكون سببا كافيا للمحاكمة والإعدام " ، أو أن الإرهاق فى العمل سيقتلك، أو الضرب أو الجوع أو المرض، أيا كان السبب : نقص الطعام، خلق مجتمع زراعى منيع أمام النظام العالمى، سلطة الحزب الداخلية، الأمن ، ما يزيد على مليون قتيل على أيدى الحزب الشيوعى الكمبودى، الخمير الحمر بقيادة بول بوت، بعد الإطاحة بنظام لون نول الذى كانت الولايات المتحدة تؤيده ... العالم مرتعب، تتكاثر المقارنات مع إبادة الجنس التى قام بها النازى، أن بول بوت " أسوأ من هتلر "...

وبعد ذلك، بأربع سنوات (يناير ١٩٧٩) غزت فيتنام ـ ردا على سنوات من هجوم الخمير الحمر على ذوى العرق الفيتنامى فى كمبوديا وغارات عبر الحدود فى فيتنام نفسها ـ كمبوديا وأطاحت بحكومة بول بوت، وأقامت حكومة صديقة لفيتنام، وتراجعت قوات الخمير الحمر إلى الطرف الغربى لكمبوديا، على الحدود مع تايلند، وفى مرحلة لاحقة أقام البعض معسكرات فى تايلند نفسها.

ولم يتمثل رد فعل واشنطن فى أى نوع من الابتهاج لأن الكابوس الكمبودى بلغ نهايته، وإنما تمثل فى استياء غير مستتر من أن الفيتناميين البغيضين أصبحوا يسيطرون وأن الفضل يعود لهم فى الإطاحة بالخمير الحمر المروعة. ولسنوات طويلة تالية، ظلت الولايات المتحدة تدين الإجراءات الفيتنامية باعتبارها " غير قانونية ". ويبدو أن المرارة المتبقية لدى أنصار الحرب الباردة الأمريكيين تجاه أمة صغيرة لم تستطع أمريكا العملاقة أن تهزمها، هى التفسير الوحيد لهذا الموقف، فالإذلال راسخ فى الأعماق، خاصة بالنسبة للدولة العظمى الوحيدة فى العالم.

هكذا ترسخت جذور سياسة أمريكية، تقضى بتزويد الخمير الحمر بالغذاء والمعونة المالية والمعونة العسكرية، وبدأ ذلك فور الإطاحة بها[١] . وكان الهدف - فى اتفاق مع الصين وتايلند الدولة العميلة للأمريكين منذ زمن طويل - هو جعل قوات بول بوت تستعيد قدراتها العسكرية باعتبارها القوة الوحيدة القادرة على جعل الفيتناميين يسحبون جيشهم، مما يؤدى للإطاحة بالحكومة الكمبودية.

وقد ذكر زبجنيو برجنسكى مستشار الرئيس كارتر للأمن القومى، فى ربيع ١٩٧٩ : " لقد شجعت الصينيين على مساندة بول بوت، وشجعت التايلنديين على مساعدة (الخمير الحمر) وكانت القضية هى كيفية مساعدة الشعب الكمبودى. (وردت هكذا) لقد كان بول بوت شيئا بغيضا، ولم نكن نستطيع مطلقا مساندته، لكن الصين كانت تستطيع "[٢] .

وفى نوفمبر ١٩٨٠، زار راى كلين نائب المدير السابق لوكالة المخابرات المركزية، الجيب الذى يحتله الخمير الحمر داخل كمبوديا بصفته مستشارا أقدم للسياسة الخارجية للرئيس المنتخب رونالد ريجان، وأعلن بيان صحفى للخمير الحمر أن كلين " قوبل بترحاب حار من قبل آلاف من القرويين "[٣] . ومن الواضح أن إدارة ريجان كانت مستعدة لمواصلة سياسة معارضة حكومة بنوم بن التى يؤيدها الفيتناميون.

ورأى بعض منظمات الإغاثة العاملة فى كمبوديا أن مساندة فرق حرب العصابات التابعة للخمير الحمر لا يتفق مع أهدافها الإنسانية، بالإضافة إلى أن توزيع المعونة على الأفراد العسكريين لم يكن مسموحا به عند مثل تلك المنظمات، كاليونيسيف واللجنة الدولية للصليب الأحمر. ولكن مثلما كتب فيما بعد اثنان من الأمريكيين العاملين فى مجال معونة الإغاثة، هما ليندا ماسون وروجر براون : " لقد أصرت تايلند، البلد المضيف لعملية الإغاثة، وحكومة الولايات المتحدة التى مولت الجانب الأساسى فى عملية الإغاثة، على إطعام الخمير الحمر "[٤] .

وفى الفترة (٧٩- ١٩٨١) ، قدم برنامج الأغذية العالمى، الذى كان يخضع بقوة لنفوذ الولايات المتحدة، ما قيمته نحو ١٢ مليون دولار أغذية للجيش التايلندى ليوزعها على المعسكرات القائمة على الحدود التى يسيطر عليها الخمير الحمر.

وفى محاولة لإزالة الرائحة النتنة للخمير الحمر فى ١٩٨٢، ولفت الولايات المتحدة تحالفا مكونا من الخمير الحمر ومجموعتين " غير شيوعيتين تعارضان أيضا الحكومة الكمبودية، إحداهما يرأسها الأمير سيهانوك حاكم كمبوديا السابق(٥) .

وأصبح التحالف هو المتلقى معظم المعونة القادمة من الولايات المتحدة والصين، والتى توجه إليه أساسا من خلال تايلند. وفى أواخر الثمانينيات وصلت المعونة الأمريكية إلى ٥ ملايين دولار رسميا، وقدمت وكالة المخابرات المركزية ما بين ٢٠ و ٢٤ مليون دولار من وراء ظهر الكونجرس(٦) . وكان يشار إلى المعونة عادة على أنها " غير مميتة " أو " إنسانية "، لكن أى معونة توفر نقودا أخرى وتحررها للاستخدام فى شراء المعدات العسكرية فى أسواق السلاح العالمية. ومن الناحية الرسمية، لم تكن واشنطن تقدم أيا من هذه المعونة للخمير الحمر، لكنها كانت تعرف جيدا أن قوات بول بوت كان من المرجح أن تكون هى المستفيد الأخير. ومثلما طرح المسألة أحد المسئولين الأمريكيين : " بالطبع، إذا انتصر التحالف، فإن الخمير الحمر سيلتهمون الآخرين أحياء "(٧) . وعلى أية حال، فقد كانت وكالة المخابرات المركزية والصينيون يوردون السلاح مباشرة للخمير الحمر أيضا(٨) .

ومن ١٩٨٥ فصاعدا، كان هناك قانون فيدرالى يحظر على الحكومة تقديم أية نقود لكمبوديا يمكن أن يكون لها تأثير على تدعيم قدرة الخمير الحمر على القتال، سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة(٩) . وبعد ورود تقارير فى ١٩٩٠ بأن المعونة المقدمة إلى التحالف تصل إلى أيدى الخمير الحمر، أعلنت إدارة بوش وقف البرنامج رسميا(١٠) . وسواء كان ذلك محاولة جادة للالتزام بالقانون، أم مجرد السعى للسيطرة على الضرر فهو أمر غير معروف ، كما أنه ليس من الواضح المدة التى سيسرى فيها الوقف، إذا حدث أصلا. وفى فبراير التالى، اعترفت الإدارة أمام الكونجرس بأنه كان هناك " تعاون عسكرى تكتيكى " بين القوات غير الشيوعية التى تساندها الولايات المتحدة والخمير الحمر خلال مدة غير محددة(١١) .

وفى الوقت نفسه كان الخمير الحمر يستخدمون هذه المعونة فى الهجوم المنتظم على القرى الكمبودية، وزرع حقول الألغام، وقتل الفلاحين والهروب بأرزهم وماشيتهم، لكنهم لم يهددوا بنوم بن بصورة خطيرة مطلقا.

كذلك دافعت الولايات المتحدة بنجاح عن حق الخمير الحمر فى مقعد كمبوديا فى الأمم المتحدة، على الرغم من أن حكومتهم كفّت عن الوجود فى يناير ١٩٧٩ ، وقد احتفظوا بالمقعد حتى ١٩٩٣ ، وابتداء من ١٩٩٢، كان المقعد يمثل بصورة مزعومة التحالف، لكن الممثل الرئيسى لدى الأمم المتحدة - ثيوون براسيت - كان مدافعا رئيسيا عن جرائم بول بوت الرهيبة ومبررا لها ولعب دورا كبيرا فى التستر عليها، وعندما سألته النيوزويك عن تقارير جاءت بأن مليون كمبودى هلكوا فى ظل حكم بول بوت، قال : " نحن نقدّر أن ما بين ١٠ آلاف و ٢٠ ألفا قد قتلوا، ٨٠ فى المائة منهم على أيدى العملاء الفيتناميين الذين تسللوا إلى حكومتنا "[١٢] .

وخلال أواخر الثمانينيات وأواخر التسعينيات، ضغطت الولايات المتحدة لحلّ الحكومة الكمبودية وضمّ الخمير الحمر إلى حكومة مؤقتة وإجراء انتخابات،[١٣] على الرغم من استمرار نفور الشعب الكمبودى والمجتمع الدولى من بول بوت، وعلى الرغم من حقيقة أن الفيتناميين كانوا قد سحبوا عمليا كل قواتهم من كمبوديا فى سبتمبر ١٩٨٩ .

لقد جذب موت بول بوت زعيم الخمير الحمر الانتباه الدولى إلى واحد من أكثر فصول إنعدام الإنسانية مأساوية فى القرن العشرين . إن زعماء الخمير الحمر الذين مارسوا القيادة من ١٩٧٥ إلى ١٩٧٩، كانوا - ولايزالون - يتحملون ويتقاسمون المسئولية عن انتهاكات حقوق الإنسان الوحشية التى ارتكبت خلال هذه الفترة. ويجب ألا نسمح لموت أسوأ قادة الخمير الحمر سمعة بأن يمنعنا من القيام بمهمتنا فى محاكمة هؤلاء الآخرين.

الرئيس وليام كلينتون، ١٦ أبريل ١٩٩٨[١٤]

الباب الثانى

استخدام الولايات المتحدة

أسلحة الدمار الشامل

الفصل الحادى عشر

القصف بالقنابل

لا تنسوا أنها فضيحة فى القانون الدولى المعاصر، إنه فى حين يعتبر " التدمير المتعمد للبلدان والمدن والقرى " جريمة حرب قديمة العهد، فإن قصف المدن بالقنابل من الطائرات لا يمضى فقط دون عقاب بل ودون توجيه اتهام أيضا. إن القصف بالقنابل من الجو هو إرهاب دولة، إرهاب الأغنياء. لقد أحرق وفرّق أشلاء أبرياء فى العقود الستة الماضية أكثر مما فعله الإرهابيون المناوئون للدولة على مرّ الزمان. لقد خدّر شئ ما ضميرنا لعدم رؤية هذا الواقع. إننا فى الولايات المتحدة لن نقبل أن يُرشح للرئاسة شخص ألقى قنبلة فى مطعم مكتظ بالناس، لكننا نسعد لانتخاب شخص أسقط قنابل من الطائرات لم تدمر المطاعم فقط بل المبانى التى تضمها والمجاورات التى تحيط بها، لقد ذهبت بعد حرب الخليج ورأيت بنفسى ما فعلته القنابل، " تدمير متعمد " ذلك هو التعبير الصحيح عن ذلك.

دوجلاس لوميس، عالم فى الشئون السياسية[١] .

لقد كتب ما سبق فى ١٩٩٤، قبل التدمير المتعمد ليوغوسلافيا بقصفها بالقنابل، وهى الأخيرة فى قائمة طويلة من البلدان التى قصفتها الولايات المتحدة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وهو ما نعرض له فيما يلى :

يبدو أن هناك شيئا ما فى إلقاء القنابل وإطلاق الصواريخ من بعد على المدن والناس، يجتذب القادة العسكريين والسياسيين الأمريكيين، ويرجع ذلك فى جزء منه إلى الرغبة الواعية فى عدم تعريض أرواح الأمريكيين للخطر فى معارك برية، ويرجع جزئيا، وربما ـ دون وعى كامل ـ إلى عدم الرغبة فى النظر إلى بقايا الضحايا الملطخة بالدم،

مما يسمح لمشاهدى التليفزيون الأمريكيين فى البيوت بالتشبث بمشاعرهم ومعتقداتهم الملتبسة حول أنفسهم وحكومتهم.

والمسئولون فى واشنطن حريصون على التمييز بين المتفجرات التى تسقطها الولايات المتحدة من السماء و " أسلحة الدمار الشامل " التى لا يستخدمها سوى الأعداء الفاسدين أخلاقيا والذين يتم تحديدهم بصورة رسمية. إن حكومة الولايات المتحدة تتحدث بوجه عبوس عن أسلحة الدمار الشامل، وتحددها بأنها ذات طبيعة نووية وكيميائية وبيولوجية، وأنها " عشوائية " (مما يعنى أن استخدامها لا يمكن قصره على الأهداف العسكرية) على النقيض من نظائرها الأمريكية مثل قذائف كروز " دقيقة التوجيه ". والواقع أن هذه دعامة مهتزة فى الاستناد إلى الألفاظ يصعب الاعتماد عليها، فى ضوء التدمير واسع النطاق لحد مفرط والمعروف جيدا الذى يصيب أهدافا غير عسكرية، بما فى ذلك العديد من المساكن والمدارس والمستشفيات فى أثناء قصف القنابل الأمريكية " الذكية " للعراق ويوغوسلافيا.

وبالإضافة لذلك، فإن واشنطن لا تطبق تعبير " أسلحة الدمار الشامل على أسلحة أخرى تستخدمها الولايات المتحدة بانتظام، مثل الألغام البرية والقنابل العنقودية (المضادة للأفراد)، والعشوائية بدرجة عالية.

وفى أحيان أخرى تُعّرف أسلحة الدمار الشامل بأنها تلك التى تستمر آثارها طويلا فى البيئة، وتسبب ضررا لاحقا بالسكان. ولا شك أن ذلك ينطبق على الألغام البرية والقنابل العنقودية وأسلحة اليورانيوم المستنفد، والأخيرة تظل مشعة بصورة خطيرة بعد انفجارها. وينطبق بدرجة أقل على القنابل " التقليدية "، ولكن حتى بالنسبة لتلك هناك القنابل التى لم تنفجر والتى تنتشر فى كل الأنحاء، وخطر أن تنهار لاحقا المبانى التى لحق بها الدمار. ولكن الأكثر أهمية، أن محاولة إضفاء وجه إنسانى على قذائف كروز توماهوك التى تصل شحنتها المتفجرة ألف رطل من مادة تى ان تى والتى تنفجر فى وسط مدينة كثيفة السكان، مع استخدام اليورانيوم فى رأسها الحربى، هى محاولة تسعى لخدمة نفسها بنفسها وهى محاولة خادعة، ناهيك بأنها صعبة بصورة استثنائية

إن الإرهابى شخص لديه
قنبلة لكن ليس لديه قوة جوية

الصين ٤٥ – ١٩٤٦

كوريا والصين ٥٠ – ١٩٥٣ (الحرب الكورية)

جواتيمالا ١٩٥٤

اندونيسيا ١٩٥٨

كوبا ٥٩ – ١٩٦١

جواتيمالا ١٩٦٠

الكونغو ١٩٦٤

بيرو ١٩٦٥

لاوس ٦٤ – ١٩٧٣

فيتنام ٦١ – ١٩٧٣

كمبوديا ٦٩ – ١٩٧٠

جواتيمالا ٦٧ – ١٩٦٩

جرينادا ١٩٨٣

لبنان، ١٩٨٣ ، ١٩٨٤ (أهداف لبنانية وسورية فى المرتين)

ليبيا ١٩٨٦

السلفادور الثمانينيات

نيكاراجوا الثمانينيات

إيران ١٩٨٧

بنما ١٩٨٩

العراق ١٩٩١

الكويت ١٩٩١

الصومال ١٩٩٣

البوسنة ١٩٩٤ ، ١٩٩٥

السودان ١٩٩٨

أفغانستان ١٩٩٨

يوغوسلافيا ١٩٩٩

هل من مزيد ؟

الصين ١٩٩٩ ، إن سفارتها فى بلغراد التى تم قصفها بصورة مفرطة هى قانونا أرض صينية، ويتضح حاليا أنه من المؤكد أن القصف لم يتم عرضا (انظر الفصل ٢٥).

بلغاريا ومقدونيا ١٩٩٩ ، أصابتهما كلتيهما القذائف خلال قصف يوغوسلافيا.

باكستان ١٩٩٨ ، سقطت عليها قذيفة على الأقل خلال قصف أفغانستان.
فيلادلفيا، بنسلفانيا، ١٣ مايو ١٩٨٥ ، تم إسقاط قنبلة من طائرة شرطة هليكوبتر أحرقت صفا كاملا من المبانى، وجرى تدمير نحو ٦٠ منزلا، ووفاة ١١، بما فى ذلك عدة أطفال صغار، وقد اشتركت الشرطة ومكتب العمدة ومكتب التحقيقات الفيدرالى جميعا فى هذه المحاولة لإخلاء منظمة سوداء من المنزل التى تقطنه.

إن فتيتهم الآخرين يبعثون على الصدمة

" يجب أن نتوقع صراعات يلجأ فيها الخصوم، بسبب انتماءات ثقافية تختلف عن انتماءاتنا، إلى أشكال ومستويات من العنف تبعث على الصدمة فى أحاسيسنا ".

وزارة الدفاع ١٩٩٩[٢]

هكذا الطبيعة

ما الذى ستصف به وسائل الإعلام موت ١٠ آلاف شخص فى أمريكا الوسطى بسبب إعصار ؟ " مأساة إنسانية كبرى ".

وما الذى سيقوله البنتاجون عندما يموت ١٠ آلاف شخص فى العراق بسبب هجمات القصف الأمريكية ؟ " سيناريو الحالة الوسطى " !

ذلك هو التقدير الذى قدم خلاله مناقشة داخلية أجراها فى ١٩٩٨ مسئولون من ذوى المناصب العالية فى إدارة كلينتون بشأن كيفية الرد على اعتراض العراق على نطاق وطبيعة التفتيش الذى تقوم به الأمم المتحدة على الأسلحة[٣] .

الولايات المتحدة فى مواجهة بن لادن

حدث شئ متميز بصورة أساسية عندما أطلقت الولايات المتحدة قذائف كروز على فرد بعينه ـ أسامة بن لادن ـ فمتى شنت حكومة فى أى وقت حربا على فرد ؟

الناجــون

تقول دراسة أجرتها الرابطة الطبية الأمريكية : " الاضطرابات الطبية النفسية بين الناجين من تفجيرات مدينة أوكلاهوما " :

يعانى النصف تقريبا من الناجين من التفجيرات الذين تمت دراستهم من اضطراب طبى نفسى فيما بعد الكارثة، وقد توافرت لدى ثلث الناجين اضطرابات إجهاد ما بعد الصدمة، وكانت أعراض اضطرابات إجهاد ما بعد الصدمة عامة تقريبا، خاصة أعراض معاناة مشاعر التجربة من جديد بطريقة اقتحامية وفرط الاستثارة[٤] .

يقول مارتن كيلى وهو ناشر لموقع لمكافحة العنف على الانترنت :

لم نر الدخان والنار مطلقا، لم نشم رائحة الدم مطلقا، لم نر مطلقا الرعب فى عيون الأطفال، الذى ستصور كوابيسهم الحالية لهم قذائف يطلقها إرهابيون غير مرئيين، يعرفون فقط أنهم أمريكيون.

الفصل الثانى عشـــر

اليورانيوم المستنفد

منذ عدة سنوات خلت كتبت الدكتورة هيلين كالديكوت المناضلة فى سبيل البيئة الدولية تقول : " لقد شنت الولايات المتحدة حربين نوويتين : الأولى ضد اليابان فى ١٩٤٥، والثانية فى الكويت والعراق فى ١٩٩١ ".

ونستطيع أن نضيف حربا ثالثة، فى يوغوسلافيا عام ١٩٩٩ .

إن اليورانيوم المستنفد هو نتاج ثانوى لإنتاج الوقود المخصب للمفاعلات والأسلحة النووية، وهو يستخدم فى صناعة أسلحة مثل خراطيش الدبابات، والقنابل، والصواريخ والقذائف.

ونظرا لأن اليورانيوم المستنفد أشد كثافة من الصلب، فإن الطلقات التى تحتويه قادرة على حفر حفرة فى أقوى دروع الدبابات، لكن لليورانيوم المستنفد عيبا هو أنه مشع. واليورانيوم سام كيميائيا مثل جميع المعادن الثقيلة، وعند إطلاقه على هدف، فإنه يتحول إلى رذاذ دقيق من ضباب رقيق من الجزيئيات، يمكن استنشاقه أو بلعه ومن ثم يتم احتباسه فى الرئتين والكليتين أو أماكن أخرى فى الجسم، ويمكن أن يسفر هذا عن الإصابة بسرطان الرئة، سرطان العظام، مرض الكلى، عيوب وراثية ومشاكل طبية خطيرة أخرى، أو قد يصاب المرء بشظايا قذائف اليورانيوم المستنفد، وتنغرز بداخله قطعة صغيرة غليظة من المعدن المشع، وقد أكد أحد علماء الذرة أن جزيئات اليورانيوم المستنفد التى تنطلق فى الجو بتأثير الطلقات، أو الحرائق والانفجارات الناجمة، يمكن أن تحملها الرياح مسافة ٥٢ ميلا أو أكثر[١] .

وفى حرب الخليج، استنشق عدد لا يحصى من الجنود العراقيين والأمريكيين غبار اليورانيوم المستنفد المميت، والذى كان نتاجا لعشرات الآلاف من طلقات اليورانيوم المستنفد التى أطلقتها الدبابات والطائرات الأمريكية. وقد كشفت دراسة أجرتها رابطة

عاصفة الصحراء / عملية درع الصحراء أن من بين ١٠٠٥١ من قدامى المحاربين فى حرب الخليج الذين أبلغوا عن إصابتهم بمرض خطير، كان ٨٢ فى المائة منهم قد دخلوا إلى مركبات العدو التى تم الاستيلاء عليها، والتى كانت الهدف الرئيسى لأسلحة اليورانيوم المستنفد، وقد فعلوا ذلك وهم على جهل تام بوجود اليورانيوم المستنفد، ناهيك بخطره[٢] .

وفى ١٩٩١، حذر تقرير لهيئة الطاقة الذرية فى المملكة المتحدة، من أن هناك قدرا من اليورانيوم المستنفد المشع والكسارة السامة خلفته الحرب فى الكويت وجنوبى العراق يكفى لقتل ٥٠٠ ألف شخص من خلال زيادة معدلات الإصابة بالسرطان. وهذا الحساب ليس واقعيا لأنه لكى يحدث ذلك يجب أن يتم سحق كل ذخيرة اليورانيوم المستنفد وتحويلها إلى تراب وأن يصطف نصف مليون شخص فى الصحراء ويستنشقوا كميات متساوية، لكن تظل قائمة حقيقة أن بقايا اليورانيوم المستنفد قد تركت ملقاة هناك، فى حالات مختلفة من التهشم، عرضة لأى حادث مؤسف أو حظ عاثر، مع نشاط إشعاعى سطحى سيظل قائما للأبد – وبالإضافة إلى ذلك – فإنه إذا وصل اليورانيوم المستنفد إلى السلسلة الغذائية أو للمياه، فستتضاعف المشكلات الصحية المحتملة[٣] .

وهو الآن قد يكون موجودا فى التربة، فى المياه الجوفية وفى الهواء وفى رئات الناس فى يوغوسلافيا.

وفى ١٩٩٥، أبلغ المسئولون عن الصحة فى العراق وعلى نحو ينذر بالخطر عن حدوث زيادات كبيرة من أمراض نادرة وغير معروفة، فى المحل الأول فى الأطفال، وقدموا دراسة عن وضع الأمور هذا إلى الأمم المتحدة، وقد حدثت الزيادة فى اللوكيميا والأورام السرطانية، وسرطان الرئة والجهاز الهضمى، وحالات إجهاض متأخرة، وأمراض خلقية، وتشوهات فى الأجنة، مثل " غيبة المخ " (عدم وجود مخ)، والأصابع الملتصقة فى اليدين والقدمين، وهى حالات لا تختلف عن تلك التى وجدت فى أطفال قدامى المحاربين فى حرب الخليج. وقد ذكر الدكتور سيجوارت جونثر الرئيس النمساوى للصليب الأصفر الدولى أنه كان هناك قاسم مشترك مهم : هو استخدام الحلفاء لليورانيوم المستنفد فى قصف العراق[٤] .

وفى اسكتلندا أيضا، تم الربط بين اليورانيوم المستنفد وعدة حالات من الإصابة باللوكيميا حول ميدان الرماية التابع لوزارة الدفاع فى دندرنان، قرب سولواى فيرث. وقد ورد أنه ظهر فى المجتمعات المحيطة بميدان الرماية، حيث تم اختبار ٧ آلاف طلقة منذ ١٩٨٣، أعلى معدل للوكيميا الأطفال فى المملكة المتحدة(٥) .

الضحايا فى الداخل

تصيب الولايات المتحدة بالإشعاع والتسمم أبناءها هم أيضا، ففى تمرينات التدريب، يتم إسقاط اليورانيوم المستنفد على جزيرة سان كليمنت المواجهة لساحل كاليفورنيا، وربما لن ندرك سوى يوم ما فى المستقبل ما هى الآثار التى جرفها إلى البر، الهواء والبحر. والجزيرة غير مأهولة على الأقل، على خلاف جزيرة فيكس فى بورتوريكو، حيث يعيش ٩ آلاف مواطن أمريكى، والذين كان عليهم أن يتحملوا لنحو ٦٠ عاما من تدريبات التهديف الجوى وتمارين الحرب، مثل إلقاء النابالم، وفى السنوات الأخيرة، طلقات اليورانيوم المستنفدة. ويدعى نشطاء بورتوريكو أن فيكس قد أصبحت ملوثة بالإشعاع، مما جعل معدل الإصابة بالسرطان بين سكان الجزيرة يبلغ ضعف المتوسط القومى، وقد بينت الدراسات فى الواقع أن معدل الإصابة بالسرطان فى فيكس هو الأعلى حتى الآن فى ٧٨ بلدية تضمها بورتوريكو(٦) . وبالإضافة لذلك، فقد ورد أن مياه الشرب فى الجزيرة ملوثة بفعل الحساء الكيميائى المكون من أعداد ضخمة من أجزاء المعدات الحربية التى تساقطت من السماء على مرّ السنين، وقد قتل حارس أمن مدنى وجرح أربعة فى ١٩٩٩ من جراء قنبلة أخطأت هدفها المحدد بثلاثة أميال؛ والمشهد مكسو بأغلفة القنابل والطلقات المبعثرة، بما فى ذلك بعض طلقات التخدير التى تطلقها البحرية الأمريكية التى مازالت حية؛ وقد تم العثور على حاوية بها ثلاثة صواريخ مضادة للدبابات لم تنفجر (يفترض أن رءوسها تحمل يورانيوم مستنفدا) فى قطاع مدنى فى ١٩٩٧ ، ومن بين أحداث سوء الحظ، انه تم قبل أربع سنوات إسقاط قنابل زنة ٥٠٠٠ رطل وانفجرت، على بعد ميل ونصف الميل من مساكن المدنيين(٧) .

وردا على الاحتجاجات المتصاعدة، أخبر مسئولون عسكريون أمريكيون أعضاء فى مجلس الشيوخ فى بورتوريكو أنهم لم يستطيعوا إجراء التدريبات على الشاطئ الشرقى للولايات المتحدة لأن المراكز السكانية كانت قريبة جدا. ولأسباب واضحة، فإن

هذه الملاحظة لم تفد إلا فى زيادة سخط الكثيرين فى الولايات المتحدة[٨] . بيـد أن الرئيس كلينتون أبدى حساسية أكبر قليلا، وأعلن أن البحرية ستتخلى عن ميدان الرماية فى فيكس خلال خمس سنوات[٩] . وفى أعقاب ذلك، قدمت واشنطن ٤٠ مليون دولار للجزيرة، و ٥٠ مليون دولار أخرى، إذا اقترع السكان فى استفتاء مزمع لصالح التوقف عن وضع صحتهم وسلامتهم قبل " الأمن القومى ".

وفى حين كنا نواصل جميعنا حياتنا بهدوء وبدون وعى خلال تلك العقود الماضية، كان المجمع العسكرى الصناعى، يرشو أعضاء الكونجرس والمشرعين فى الولايات المتحدة، وأى شخص آخر كان يستطيع أن يغمز ويلمز، للسماح له بشراء مساحات واسعة من الأراضى العامة، خاصة فى الولايات الغربية، والإذن له بالتحايل على قوانين البيئة وغيرها من القوانين القائمة، وكذلك نشطاء البيئة المزعجون، ثم تم تحويل هذه المئات من آلاف الأفدنة إلى ميادين اختبار لأسلحة اليورانيوم المستنفد فى كاليفورنيا ونيفادا وواشنطن ونيو مكسيكو وغيرها من الولايات.

وفى نيو مكسيكو، استمر اختبار اليورانيوم المستنفد فى العراء فى بعض الأنحاء منذ ١٩٥٠ . ويعد مختبر لوس الأموس الوطنى، وميدان إطلاق القذائف فى هوايت ساندز، ومعهد نيو مكسيكو للتعدين والتكنولوجيا فى سوكورو، ومختبرات سانديا الوطنية فى البوكيرك، بعض المؤسسات المشهورة التى تفجر ذخيرة اليورانيوم المستنفد فى التربة والجبال، مما يلوث الأرض والمياه والهواء، وفى الوقت نفسه، تستخدم نفوذها الكبير لإقناع مواطنى الولاية بأن مستويات الإشعاع لا تزيد عن " المستوى الأساسى " المثلى، أو فى حدود الأمان" الخ. ومثلما يقول المثل السائر القديم، " لا تستنشق الهواء ولا تشرب الماء فحسب، ولا تنشّئ أطفالك فى أى مكان قريب ".

وفى سوكورو، لم يعرف السكان إلا فى ١٩٨٦ أن اختبار اليورانيوم المستنفد كان يجرى منذ ١٩٧٢ على مسافة تبعد عن وسط المدينة بأقل من ميلين، والذى يقع فى مهبّ الريح القادمة من ميدان الاختبار. وعلى مرّ السنين، تمت بضعة مسوح قليلة وتوافرت أدلة مروية عن تزايد تفشى عيوب المواليد الخلقية لاستسقاء الدماغ، لكن عام ١٩٩٩ شهد تحركا متزايدا من مواطنى سوكورو يطالبون فيه بإجراء مسوح عن انتشار الأوبئة والتلوث فى المنطقة[١٠] .

وفى أبريل ١٩٩٥، لاحظ بيير مارى جالوا - الجنرال والمؤلف العسكرى الفرنسى - " إننا إذا جهزنا هذه الدبابات بتلك الأنواع من الذخيرة (اليورانيوم المستنفد) ، فإن هذا يعنى أن الحرب الكيميائية النووية أمر مسموح به أخلاقيا "[١١] . وربما يكون أمرا مسموحا به من الناحية القانونية، حيث إن الولايات المتحدة ترسى سوابق، وإن كان بقانون القوة بأكثر مما هو بقوة القانون، وتسهل القيام بسوابق أخرى ، إذ تزهر أعمال واشنطن فى بيع أسلحة اليورانيوم المستنفد، ولفترة متأخرة ترجع إلى ١٩٩٦، باع البنتاجون بالفعل ذخيرة من اليورانيوم المستنفد لتايلند وتايوان والبحرين واسرائيل والمملكة العربية السعودية وكوريا وتركيا والكويت وبلدان أخرى[١٢] .

الفصل الثالث عشر

القنابل العنقودية

يضعها البنتاجون فى فئة " الذخيرة ذات الآثار المجمعة ". ويصفها صانعوها بأنها أنظمة أسلحة عنقودية تطلق من الجو وتستخدم " لكل الأغراض "، ويقول منظموا حملات حماية حقوق الإنسان ومكافحة الألغام البرية أن القنابل العنقودية هى أسلحة عشوائية للتدمير الشامل، وطالبوا بأن توضع صراحة فى قائمة اتفاقية جنيف للأسلحة المحظورة.

لقد تم تصميم الأسلحة العنقودية بطريقة عبقرية، فبعد إسقاطها من طائرة، تتحطم هذه الأسلحة الثقيلة فى منتصف الجو وتتفجر وتتبعثر منها ٢٠٠ " قنيبلة " أو أكثر فى حجم علب الصودا، وعندئذ تتفجر القنيبلات، مطلقة مئات من القطع عالية السرعة من الشظايا الصلب المثلمة بما يغطى حتى الاشباع منطقة واسعة جدا. ويقول وصف للقنابل العنقودية " إنها يمكن أن تنشر مادة حارقة لبدء الحرائق، وقطعا غليظة من المعادن المصهورة التى تستطيع اختراق الدبابات وغيرها من المدرعات أو شظايا يمكن أن تقطع بسهولة إلى شرائح، لوحا معدنيا سمكه ربع بوصة - أو لحم الإنسان وعظامه "[1] .

وتساعد القنيبلات الصفراء، بارشوتات صغيرة تبطئ من نزولها وتبعثرها لكى تصيب وفرة مما يسميه صناعها " أهدافا سهلة "، أى الناس، عسكريين أو مدنيين.

وحسبما أعلنته وزارة الدفاع، فقد أسقطت الطائرات الأمريكية ١١٠٠ قنبلة عنقودية على يوغوسلافيا فى ١٩٩٩، يحمل كل منها ٢٠٢ قنيبلة، وهكذا فإن ٢٠٠ ٢٢٢ من هذه الأسلحة اندفعت للأرض لتندسر فيها. ومع احتساب معدل إخفاق مقرر قدره ٥ فى المائة (تدعى تقارير أخرى أنه يبلغ من ١٠ إلى ٣٠ فى المائة)، فإن هذا يعنى أن ٠١١ ١١ قنيبلة تركت ملقاة دون أن تنفجر[2]، جاهزة لتنفجر بعنف مفاجئ عند لمسها،

وتصبح فى الواقع ألغاما برية. ويعارض بعض أعضاء المؤسسة العسكرية الأمريكية توقيع المعاهدة الدولية التى تحظر استخدام وإنتاج وتخزين ونقل الألغام البرية المضادة للأفراد لأن تعريف الاتفاقية للألغام البرية واسع بما يكفى ليشمل القنابل العنقودية، وبموجب المعاهدة، فإن اللغم المضاد للأفراد هو لغم مصمم ليتفجر بوجود أو قرب أو لمس شخص ما وهو سيصيب بالعجز ويجرح أو يقتل شخصا أو عدة أشخاص ". ويحاج نشطاء حقوق الإنسان بأنه حيث إن صناع القنابل العنقودية يقدرون " معدلات عدم انفجار " فى تصميمهم، فإن هذه القنابل تندرج تحت هذا التعريف[٣]، وقد بدأ سريان الاتفاقية فى الأول من مارس ١٩٩٩، دون أن تكون الولايات المتحدة من الموقعين عليها.

إن القنيبلات غير المنفجرة أكثر إثارة للقلق من الألغام البرية لأن الأطفال بصفة خاصة تجذبهم هذه الأجهزة الملونة المزودة ببراشوتات صغيرة، (ففى ٢٤ أبريل ١٩٩٩ - حتى قبل أن ينتهى قصف يوغوسلافيا - قُتل خمسة فتيان أشقاء كانوا يلعبون بقنبلة عنقودية لم تنفجر، وأصيب اثنان من أولاد العم إصابة خطيرة، قرب دوجانو فتش فى جنوبى كوسوفو)[٤]. إن الألغام البرية يتم دفنها فى أماكن متوقعة بدرجة أو أخرى عادة، فى حين أن القنيبلات التى لم تنفجر يمكن أن تحملها الريح إلى الساحات الخلفية للبيوت، وإلى ملاعب المدارس، أو أى مكان آخر– وبالإضافة إلى ذلك – فإن زرع الألغام البرية يتم تسجيله ويمكن تعقبه ويجرى وضع خرائط له، وتوضع علامات على حقولها، لكن الأمر ليس كذلك بالنسبة إلى القنيبلة العنقودية غير المنفجرة. والبعض منها مصمم ليدمر نفسه ذاتيا بعد فترة محددة من الزمن، لكن لم ترد أنباء عن أن أيًا من تلك التى بعثرت فى يوغوسلافيا كان من هذا النوع. وعلى أية حال، فإن معاهدة الألغام البرّية لا تعترف بالتمييز بين الألغام البرية " الذكية " و " الغبية ".

وعندما انتهى القصف فى يونيو ١٩٩٩، كانت مناطق كثيرة من القرى قد أصبحت غير صالحة للسكنى عمليا، وفى حاجة ماسة ويائسة لخبراء من المتفجرات يستطيعون العثور على وإبطال كل البقايا الحية المتطايرة. وسيعرقل هذا إعادة الإصلاح الزراعى والاقتصادى لفترة طويلة مستقبلا. وبعد انتهاء القصف بفترة قصيرة، وعندما بدأ الناس فى العودة إلى قراهم ومزارعهم، وقعت عدة حوادث انطوت على هذه الأجهزة التى لم تكن قد انفجرت، منها حادث فقد فيه اثنان من جنود حفظ السلام البريطانيين وثلاثة من الألبان حياتهم فى قرية فى كوسوفو[٥] .

يقول أحد مجبرى العظام اليوغوسلاف : " لم نر مطلقا لا أنا ولا زملائى مثل هذه الجروح المروعة كتلك الناجمة عن القنابل العنقودية، إنها جروح تؤدى للعجز بقدر كبير، وتنسحق الأطراف بحيث يظل الخيار الوحيد الباقى هو البتر. إنه أمر مريع، مريع ".[٦]

إن المعدات الحربية التى لم تنفجر ـ أساسا القنابل العنقودية ـ لاتزال تقتل وتشوه الناس فى لاوس بعد جيل من القصف الحاشد الذى قامت به الولايات المتحدة واتخذ شكل فرش سجادة فى ٦٥ – ١٩٧٣ . ويقدر أن ما يصل إلى ٣٠ فى المائة من القنابل التى بلغ وزنها مليونى طن والتى ألقتها الولايات المتحدة قد فشلت فى الانفجار، ووقع ١١٠٠٠ حادث حتى الآن، " ويموت أكثر من نصف الضحايا بصورة فورية تقريبا عقب الحادث. وإذا عاشت الضحية، فإن الانفجار يسبب عادة جروحا وصدمات عنيفة خاصة فى النصف العلوى من الجسم "[٧] . وتكمن مخاطر مماثلة فى فيتنام وكمبوديا، ونفس الحال فى الخليج الفارسى. ويقول تقرير لهيئة مراقبة حقوق الإنسان صدر فى ١٩٩٩ : إن من بين ما يقدر بـ ٢٤ إلى ٣٠ مليون قنيبلة ألقيت خلال حرب الخليج، لم ينفجر منها ما بين ١,٢ و ١,٥ مليون قنيبلة، مما أسفر حتى الآن عن ١٢٢٠ حالة وفاة بين الكويتيين و ٤٠٠ حالة بين العراقيين[٨] .

وقد امتدت آثار الذخيرة التى لم تنفجر والناجمة عن قصف يوغوسلافيا لما وراء حدود ذلك البلد. وبعد شهرين من انتهاء الحرب، اكتشف خبراء تفجير الألغام فى الناتو ١٦١ جهازا متفجراً، تفجرت منها ٩٧ قنيبلة فى بحر الأدرياتيك. وتسببت هذه الذخيرة فى قتل وإصابة الصيادين الإيطاليين وكلفت آخرين غالبية أرباحهم السنوية، وتم فرض حظر على صيد الأسماك فى الأدرياتيك للسماح لخبراء تفجير الألغام بجمع المزيد من هذه المعدات – وبالإضافة لذلك – هجر السياح الشواطئ على امتداد ساحل الأدرياتيك خلال فترة الصيف خوفا من الاصطدام بقنابل لم تنفجر[٩] .

وفى الوقت نفسه، يعمل البنتاجون على تطوير قنابل عنقودية أحدث وأفضل ـ أعلى تقنية ـ تبحث عن الحرارة، تنشر شظايا فائقة الحرارة، وتنتج قدرة أكبر على الإهلاك ... قنابل عنقودية مناسبة للألفية الجديدة، فأمريكا لا تستحق أقل من ذلك !

الفصل الرابع عشر

الولايات المتحدة تستخدم الأسلحة الكيميائية والبيولوچية فى الخارج

إن الغازات السامة والأسلحة الجرثومية تقلب الحضارة رأسا على عقب، فلا تتم مكافحة الأمراض، وإنما استثمارها بحرص؛ ويستخدم الأطباء معلوماتهم عن وظائف جسم الإنسان لاستنباط وسائل أكثر فاعلية لإيقاف هذه الوظائف، ويبتدع خبراء الزراعة عمدا فطريات ويطورون مواد مدمرة للمحاصيل. لقد صممت غازات الأعصاب الحديثة أصلا لمساعدة الجنس البشرى على قتل الخنافس والقمل، وأصبحت الآن فى أيدى العسكريين مبيدات حشرية للبشر بالتعبير الحرفى، إن الحرب الكيميائية والبيولوجية - كما أوضح أحد الكتاب - " مقلوب الصحة العامة "[(١)] .

جزر البهاما

من الأربعينيات حتى وقت ما فى الخمسينيات، قام فريق مشترك أمريكى كندى بريطانى برش البكتريا المعروفة خطورتها فى هذه المنطقة من الكاريبى، ونفقت آلاف من الحيوانات نتيجة للاختبارات، وليس من المعروف ما إذا كان هناك ضحايا من البشر أو لا، فمازالت تفاصيل الاختبار محظورة[(٢)] .

كنــدا

فى ١٩٥٣، استخدم الجيش الأمريكى أجهزة نفخ بمراوح موضوعة فوق شاحنات لرش كبريتيد كادميوم الزنك خلال مدينة واينبج كجزء من اختبار الأسلحة الكيميائية والبيولوچية[(٣)] .

الصين وكوريا

فى الجزء الأول من عام ١٩٥٢، خلال الحرب الكورية (١٩٥٠ – ١٩٥٣)، ادعى الصينيون أن الولايات المتحدة تلقى بكميات من البكتريا والحشرات والريش والحيوانات المتحللة وأجزاء من السمك وأشياء غريبة أخرى تحمل المرض على كوريا وشمال شرق الصين، وأعلنت الحكومة الصينية أنه وقعت إصابات وحالات وفاة سريعة من جراء الإصابة بالطاعون والجمرة الخبيثة والتهاب الدماغ بين أمراض أخرى، وحصلت على شهادات من ٦٠ من الأسرى الأمريكيين من رجال القوات الجوية الذين طاروا بطائرات محملة بحمولة مميتة، ونشرت ٢٥ من هذه التقارير، ومضى كثيرون من هؤلاء الرجال يرددون تفاصيل ضخمة عن العملية بكاملها: أنواع القنابل والحاويات الأخرى التى تم إلقاؤها، أنواع الحشرات، الأمراض التى تحملها، ... ألخ. كما تم نشر صور عن القنابل الجرثومية والحشرات المدعاة.

وبعد ذلك، عينت فى أغسطس " لجنة علمية دولية "، مكونة من علماء من السويد وفرنسا وبريطانيا العظمى وإيطاليا والبرازيل والاتحاد السوفيتى، وبعد تحقيق فى الصين استمر أكثر من شهرين، وضعت اللجنة تقريرا من نحو ٦٠٠ صفحة، وصور كثيرة، وانتهت إلى أن " شعوب الصين وكوريا كانت هدفا للأسلحة البكتريولوچية، وقد استخدمت هذه الأسلحة وحدات من القوات المسلحة الأمريكية، التى استعانت بتشكيلة كبيرة من الأساليب المختلفة لهذا الغرض ".

بيد أن بعض أقوال رجال القوات الجوية الأمريكية تضمنت قدرا كبيرا من المعلومات البيولوچية الفنية وامتلأت بالرطانة الشيوعية - " تجار الحرب الأمبراليون الرأسماليون فى وول ستريت - بدرجة تثير التساؤل بصورة جادة عن شخصية مؤلفى هذه الأقوال – وبالإضافة لذلك - فقد عرف فيما بعد أن معظم رجال القوات الجوية لم يعترفوا إلا بعد أن تعرضوا لإكراه عقلى وبدنى كبير بالتهديد، وأنه تم ضرب واحد منهم على الأقل، ولم يكن البعض يعرف بالضرورة ما يلقيه فى قنابله المتفجرة المفترضة أو قنابل الكتيبات. وعندما عاد الطيارون بعد الحرب، سجلوا اعترافاتهم، ولكن ذلك تم تحت التهديد بالمحاكمة العسكرية وحتى " بالاتهام بالخيانة "، كما قال المدعى العام الأمريكى، والتهديد بعقوبات أخرى - باختصار، تحت اكراه عقلى كبير[٤] .

ينبغى ملاحظة أنه تم فى ١٩٧٩ اكتشاف أن الجيش الأمريكى كان يجرى تجارب فى الولايات المتحدة على استخدام ريش الديوك الرومية لشن حرب بيولوچية[٥] .

وبالإضافة لذلك، ففي ديسمبر ١٩٥١، أمرت وزارة الدفاع الأمريكية " بتحقيق الاستعداد الفعلي في وقت مبكر لأقصى حد يمكن التنبؤ به " لاستخدام الأسلحة البيولوچية في الهجوم، وخلال أسابيع، أفاد رئيس أركان القوات الجوية أن هذه القدرات " تتجسد سريعا "(٦) .

كما ألقت الولايات المتحدة بكميات ضخمة من النابالم على كوريا، بمتوسط ٧٠ ألف جالون يوميا ١٩٥٢(٧) .

واكتشف لأول مرة في ١٩٨٠ أنه خلال الفترة ٦٧- ١٩٦٩، رشت الولايات المتحدة العنصر الأصفر على ٧ ٦٠ ٢٣ اكر على الحدود الجنوبية للمنطقة منزوعة السلاح بين شمال كوريا وجنوبها، بغية إزالة الحياة النباتية وإحباط تسلل الكوريين الشماليين(٨) .

فيتنـــام

لنحو عقد يبدأ من مطلع الستينيات، رشت الولايات المتحدة الآلاف من الأطنان من مبيدات الأعشاب فوق ثلاثة ملايين من الأفدنة في جنوب فيتنام (وكذلك أجزاء من لاوس وكمبوديا لتدمر غطاء أوراق الشجر الذي يستخدمه العدو في الاستتار وكذلك لتدمير المحاصيل). وقد أدت مبيدات الأعشاب، خاصة العنصر الأصفر الذي استخدم بكثافة، إلى تلويث فيتنام بنحو خمسمائة رطل من الديوكسين – وهو مادة ملوثة غير قابلة للفناء تقريبا تعتبر من أكثر المواد سمية في العالم ـ على الأقل بنفس سمية غاز الأعصاب، وتسبب السرطان بدرجة عالية. ومن الآثار الصحية الأخرى المرتبطة بالتعرض للديوكسين ، اضطرابات الأيض، وأنواع الشذوذ المناعية، وأنواع الشذوذ الإنجابية، والاضطرابات العصبية النفسية(٩) . ويعتقد أن ثلاث أوقيات منها توضع في إمدادات المياه تكفي للقضاء على كل سكان نيويورك(١٠) .

وقد أثرت هذه السموم علي ما يصل إلى مليوني نسمة في فيتنام (بالإضافة إلى عدة آلاف كثيرة من الجنود الأمريكيين)، وقد وردت تقارير عن ارتفاع مستويات عيوب المواليد الخلقية في المناطق التي تشبعت بالعنصر الأصفر، وتقدر حكومة فيتنام أن مختلف الكيماويات أسهمت في حدوث عيوب خلقية في المواليد في نصف مليون طفل، رغم أن هذا لم يوثق(١١)، ولم تدفع الولايات المتحدة مطلقا تعويضات للشعب الفيتنامي أو الحكومة الفيتنامية عن أي إضرار بالصحة.

وبالإضافة لذلك استخدم الجيش الأمريكي غازات CS, DM, CN التى يصر المسئولون فى واشنطن على أنها لا تمثل " حربا باستخدام الغازات ". لقد وصفوا هذه الغازات بأنها عوامل " لمكافحة الشغب "[١٢]، وقد ضخ الجيش غاز CS ـ وهو مطهر عنيف يسبب قيئا يتعذر التحكم فيه ـ فى الأنفاق والكهوف الفيتنامية، مما أدى لاختناق وموت كثيرين من الفيتكونج من جراء القئ الذى أصيبوا به فى مساحات ضيقة، وقد أورد الفرع الفيتنامى الشمالى للصليب الأحمر الدولى وغيره من المصادر الدولية أخبارا عن حدوث وفيات كثيرة بين النساء والأطفال من جراء هذه الغازات، وكذلك حدوث إصابات مثل تدمير مقلة العين وقروح الوجه وحروق وتنقط الجلد[١٣] . وقد اعترف سايروس فانس نائب وزير الدفاع بأنه تم استخدام مركبات السيانيد والزرنيخ أيضا[١٤] ، وكان النابالم وقاذات لهب النفثالين من بين الكيماويات الأخرى التى استخدمتها الولايات المتحدة فى فيتنام.

لاوس

فى سبتمبر ١٩٧٠، استخدمت القوات الأمريكية فى لاوس – العاملة بمقتضى عملية تيلوند – غاز السارين المدمر للأعصاب الذى يتم رشه كرذاذ استعدادا لدخولها فى هجوم على معسكر قاعدة فى قرية لاوسية، بغرض قتل عدد من العسكريين الأمريكيين الهاربين من الجندية وردت أنباء عن وجودهم فيه ، ونجحت العملية فى قتل أكثر من ١٠٠ شخص، عسكريين ومدنيين، منهم أمريكيان على الأقل، وليس من المعروف كم منهم مات قبل الهجوم من الغاز وكم منهم مات من الهجوم نفسه.

إن السارين – الذى تم ابتكاره فى ألمانيا فى الثلاثينيات – يمكنه أن يقتل بعد دقائق من استنشاق بخاره، وتفعل الشئ نفسه نقطة صغيرة منه تسقط على الجلد – بل يمكنه أن يتسرب خلال الملابس العادية، وهو يفعل فعله بأن يثبط انزيما مطلوبا للتحكم فى حركة العضلات، فبدون هذا الأنزيم، لا تتوفر للجسم أية وسيلة لوقف تنشيط العضلات، ويمكن أن يحدث أى رعب جسدى.

وعندما كان الغزاة الأمريكيون يقومون بانطلاقتهم، واجهوا قوة أكثر تفوقا من جنود فيتنام الشمالية وجنود الباثيت لاو الشيوعيين، وطلب الأمريكيون المساعدة جوا، وبعد فترة قصيرة جدا، كانت الطائرات الأمريكية فوق الرءوس تلقى علبا صغيرة من

السارين على العدو، ومع انفجار العلب الصغيرة، كان جنود العدو الذين سقطوا أرضا، يتقيئون ويتشنجون، وانتشر بعض الغاز ووصل للأمريكيين، فلم يكونوا جميعا محميين بصورة كافية، وبدأ البعض منهم يتقيأ بصورة عنيفة، واليوم يعانى واحد منهم من شلل زاحف، شخصه طبيبه بأنه إصابة ناجمة عن غاز الأعصاب[١٥] .

وقد وردت هذه القصة فى ٧ يونيو ١٩٩٨، فى البرنامج التليفزيونى، " نيوزستاند: سى ان ان آند تايم "، وظهرت فيها صورة الأدميرال توماس مور، الذى كان رئيسا للأركان فى ١٩٧٠، وكذلك فرد عسكرى أقل رتبة، وهما يقتربان من الكاميرا ويبتعدان عنها، واللذين أيدا الحوادث السابق وصفها.

وعندئذ فتحت أبواب جهنم على مصراعيها، إذ كانت هذه القصة تتعارض بصورة كبيرة - وجدّ مؤلمة - مع الكتب الدراسية الأمريكية، مع الريدرز دايجست الأمريكية، مع العلم الأمريكى، وفطيرة التفاح الأمريكية، ومـاما أمريكا. وكانت تلك فترة تقتضى السيطرة على الضرر الذى حدث، واستدعت المدفعية الثقيلة - هنرى كيسنجر، كولن باول، وقدامى المحاربين ذوى البيريهات الخضراء، والصفوة الصحفية، والبنتاجون نفسه، وصاح الجميع: إن القصة خاطئة وسخيفة وتشويه للسمعة، وتراجعت الـ سى ان ان، وتراجع مور، وتم فصل منتجى العرض ... وأقيمت القضايا فى كل الأنحاء ...[١٦]

ومثل المنشقين الذين أصبحوا " أشخاصا لم يوجدوا فى ظل ستالين "، فإن عملية تايلوند " حدث لم يقع " رسميا.

ورغم هذا، فإن منتجى البرنامج، أبريل أوليفر وجاك سميث، وضعا معا وثيقة من ٧٧ صفحة تؤيد الجانب الذى اتخذاه فى القصة، مع شهادة فعلية من عسكريين تؤيد استخدام غاز الأعصاب[١٧] .

بنمـا

من الأربعينيات حتى الثمانينيات، استخدمت الولايات المتحدة أجزاء مختلفة من بنما كساحة اختبار لكل أنواع الأسلحة الكيميائية، بما فى ذلك غاز الخردل - VX - والسارين، وسيانيد الهيدروجين وغيره من غازات الأعصاب، فى أشكال مثل الألغام والصواريخ والقذائف، ربما بما يصل إلى عشرات الآلاف من الذخائر الكيميائية

إجمالا. واستخدم بعض من الاختبارات المبكرة، الجنود الأمريكيين كحيوانات تجارب، وترتبت على ذلك نتائج مروعة بالنسبة لبعض الجنود. وعندما جلت القوات العسكرية الأمريكية عن بنما فى نهاية ١٩٩٩، تركت وراءها مواقع كثيرة تحتوى على مخلفات الأسلحة الكيميائية والتقليدية، بما فى ذلك كثير من الأسلحة الكيميائية (التى أسقطت من الطائرات) والتى فشلت فى أن تنفجر، ومنذ ١٩٧٩، مات ٢١ من أهل بنما من حوادث الأسلحة التقليدية التى لم تكن قد انفجرت[١٨] .

كما أجرت الولايات المتحدة اختبارات سرية على العامل الأصفر ومبيدات حشائش سامة أخرى خلال الستينيات والسبعينيات الأمر الذى يحتمل أنه أدى إلى تعريض كثيرين من المدنيين والعسكريين لهذه الكيماويات المميتة، وقد تم شحن مئات البراميل من العامل الأصفر المحتوى على الديوكسين إلى بنما. وجرى رشها فى مناطق الأدغال وفى مواقع قريبة من العراء تحظى بالشعبية فى محاولة لمحاكاة ظروف ميادين المعارك المدارية فى جنوب شرق آسيا[١٩] .

وأثناء غزو بنما فى ديسمبر ١٩٨٩، جاء أنه جرى قصف قرية باكورا شبه الجبلية - بالقرب من مدينة بنما - بمواد كيميائية من طائرات هليكوبتر وطائرات عادية تابعة للقيادة الجنوبية الأمريكية فى بنما، وقدم قاطنوها شكاوى إلى منظمات حقوق الإنسان والصحافة بأنه هذه المواد حرقت جلودهم، وأحدثت لسعات كثيفة وتسببت فى إصابتهم بالإسهال، وربما تم القصف بهدف منع القرويين من تقديم أية مساعدة لجنود بنما الذين كانوا يعسكرون فى الجبال المجاورة[٢٠] ، والآثار طويلة الأجل للتعرض للكيماويات غير معروفة.

كوبا

فى أغسطس ١٩٦٢، تعرضت مروحة سفينة الشحن البريطانية المؤجرة للسوفيت للعطب لاصطدامها بسلسلة من الصخور، وتم سحبها إلى مرفأ سان خوان/ بورتوريكو لإصلاحها. وكانت متجهة إلى ميناء سوفيتى وعليها ٨٠ ألف جوال من السكر الكوبى، وتم وضع السفينة فى الحوض الجاف وتفريغ ١٤ ١٣٥ جوال سكر فى مخزن لتسهيل الإصلاح، وبينما كان السكر فى المخزن، قام عملاء وكالة المخابرات المركزية بتلويثه بمادة زعموا أنها غير ضارة غير مستساغة الطعم، وعندما علم الرئيس

كنيدى بالعملية استشاط غضبا لأنها تمت فى أراض أمريكية وأنها إذا اكتشفت قد توفر للاتحاد السوفيتى ميدانا للدعاية وترسى سابقة رهيبة للتخريب الكيميائى فى الحرب الباردة، وأصدر توجيهاته بعدم إعادة ذلك السكر إلى الروس، بالرغم من أن التفسير الذى قدم لهم غير معروف على الملأ.(٢١) ومن الواضح أن عمليات مماثلة لم يتم إلغاؤها. وقد كشف مسئول وكالة المخابرات المركزية – الذى ساعد فى إدارة جهود التخريب ضد كوبا على النطاق العالمى – أنه " كانت هناك مقادير كبيرة من السكر الذى يتم إرساله من كوبا إلى الخارج، وكنا نضع فيه مقادير وافرة من المواد الملوثة "(٢٢) .

١ – وفى السنة نفسها دفع " عميل للمخابرات العسكرية الأمريكية " مبلغ ٥ آلاف دولار لفني زراعي كندى كان يعمل مستشارا للحكومة الكوبية، ليصيب الديوك الرومية الكوبية بفيروس يحدث مرض نيوكاسل المميت للدواجن، وبعد ذلك مات ٨٠٠ ديك رومي، وادعى الفنى فيما بعد أنه علي الرغم من أنه كان فى المزرعة التى ماتت فيها الديوك الرومية، فإنه لم يعطها الفيروس عمليا، لكنه دس النقود فى جيبه بدلا من ذلك، وأن الديوك ماتت من الإهمال ومن أسباب أخرى لا ترتبط بالفيروس. ربما يكون هذا قولا من قبيل الخدمة الذاتية. وقد أوردت الواشنطن بوست أنه : وفقا لتقارير المخابرات الأمريكية، فإن الكوبيين - وبعض الأمريكيين - يعتقدون أن الديوك الرومية ماتت نتيجة التجسس "(٢٣) .

٣ – حسب أقوال أحد المشاركين فى المشروع :

خلال ١٩٦٩ و ١٩٧٠، نشرت وكالة المخابرات المركزية تكنولوچيا مستقبلية لتغيير المناخ لتدمير محصول السكر الكوبى وتقويض الاقتصاد، وطارت طائرات من مركز الأسلحة البرية فى تشيناليك فى صحراء كاليفورنيا، حيث يتم تطوير التكنولوچيا الرقمية، فوق الجزيرة، ونثرت سحابا ممطرا ببلورات عجلت بسقوط سيل من الأمطار الجارفة فوق المناطق غير الزراعية وتركت حقول القصب جرداء (وسبب انهمار المطر فيضانات مفاجئة قاتلة فى بعض المناطق)(٢٤) .

وبعد قول هذا يتعين الإشارة إلى أنه فى حين لا يدعو لدهشة كبيرة أن تحاول وكالة المخابرات الأمريكية القيام بأشياء كهذه، فإنه من غير المرجح بدرجة كبيرة أن تنجح إلا بضربة حظ كبيرة، مثل سقوط الأمطار الغزيرة فى الوقت المناسب.

٤ – فى ١٩٧١ ، وأيضا وفقا لأقوال المشاركين، سلمت وكالة المخابرات المركزية إلى المنفيين الكوبيين فيروسا يسبب حمى الخنازير الإفريقية. وبعد ذلك بستة أسابيع، اضطر تفشى المرض كوبا إلى إعدام نصف مليون خنزير لمنع انتشار الوباء على الصعيد الوطنى، ووصفت منظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة تفشى المرض والذى كان الأول من نوعه فى أى وقت فى نصف الكرة الغربى، بأنه " الحادث (العام) الأكثر إثارة للانزعاج "(٢٥) .

٥ – وبعد ذلك بعشر سنوات، أصبح البشر هم الهدف، حيث اكتسحت جائحة حمى الدنج النزفية مختلف أنحاء الجزيرة، فالمرض الذى ينتقل عن طريق الحشرات التى تتغذى بالدم - البعوض عادة - يحدث أعراضا حادة تشبه الإنفلونزا وألما فى العظام يسبب العجز، وفيما بين مايو وأكتوبر ١٩٨١، ورد حدوث ما يزيد على ٣٠٠ حالة إصابة فى كوبا مع وفاة ١٥٨ حالة، كان ١٠١ حالة فيها من الأطفال دون الخامسة عشرة(٢٦) .

وقد أورد مركز مكافحة المرض فيما بعد أن ظهور هذه السلالة المحددة من الدنج فى كوبا، والمعروفة باسم دن –٢ وموطنها جنوب شرق آسيا، قد تسبب فى حدوث أول جائحة من هذا النوع فى الأمريكتين(٢٧)، وأعلن كاسترو أن كوبا قد طلبت من الولايات المتحدة مبيدات للآفات للمساعدة فى استئصال البعوض الناقل للمرض لكن لم يقدم لها أى منها(٢٨) .

وفى ١٩٥٦ و ١٩٥٨ كشفت وثائق ألغيت عنها السرية، أن الجيش الأمريكى أطلق أسرابا من البعوض الذى تم استيلاده بطريقة خاصة فى چورچيا وفلوريدا ليعرف ما إذا كانت الحشرات الناقلة للمرض يمكن أن تكون سلاحا فى الحرب البيولوجية، وكان البعوض الذى تم استيلاده من أجل الاختبارات من نوع البعوض الناقل للحمى الصفراء، وهو على وجه الدقة النوع الحامل لحمى الدنج وأمراض أخرى(٢٩) .

وأوردت مجلة ساينس فى ١٩٦٧ : أنه فى المركز الحكومى الأمريكى فى فورت ديتريك، ماريلاند، كانت حمى الدنج من بين "الأمراض التى كانت على الأقل موضع بحوث طويلة والتى يبدو أنها كانت من بين تلك التى اعتبرت عوامل محتملة للحرب البيولوجية"(٣٠) . وبعد ذلك – فى ١٩٨٤ – شهد أحد المنفيين الكوبيين فى محاكمة

جرت فى نيويورك بشأن أمر لا يتصل بذلك، بأنه فى الجزء الأخير من ١٩٨٠، رحلت سفينة من فلوريدا إلى كوبا وحددت لها :

مهمة حمل بعض الجراثيم لإدخالها إلى كوبا لاستخدامها ضد السوفيت وضد الاقتصاد الكوبى، لبدء ما سمى بالحرب الكيميائية، التى حققت فيما بعد نتائج غير تلك المتوقعة، لأننا كنا نعتقد أنها ستستخدم ضد القوات السوفيتية، لكنها استخدمت ضد شعبنا نفسه، وهذا ما لم نوافق عليه(٣١) .

وليس من الواضح من الشهادة ما إذا كان الرجل الكوبى يعتقد أن الجراثيم ستستطيع على نحو ما أن تقصر تأثيرها على الروس وحدهم، أو أنه تم تضليله من قبل الأشخاص الذين كانوا يقفون خلف العملية.

٦ – وفى يوم صاف - ٢١ اكتوبر ١٩٩٦ - لاحظ طيار كوبى يحلق فوق محافظة ماتانزاس طائرة تطلق ضبابا رقيقا من مادة ما نحو سبع مرات. وقد تبين أنها طائرة أمريكية لرش المحاصيل تستخدمها وزارة الخارجية الأمريكية، لديها إذن بالتحليق فوق كوبا فى رحلة إلى كولومبيا عن طريق جزيرة جراند كايمان، وردا على تقرير الطيّار الكوبى، سأل المراقب الجوى الكوبى الطيّار الأمريكى عما إذا كان يعانى من أى مشكلة، وكان الرد هو " لا ". وفى ١٨ ديسمبر، لاحظت كوبا أول علامات الإصابة بوباء حشرة Thrips Palmi، وهى حشرة آكلة للنبات لم تكتشف مطلقا من قبل فى كوبا. وهى تدمر عمليا كل المحاصيل بصورة شديدة وتقاوم عددا من مبيدات الآفات وطالبت كوبا الولايات المتحدة بتوضيح حادثة ٢١ اكتوبر، ومضت سبعة أسابيع قبل أن ترد الولايات المتحدة بأن طيّار وزارة الخارجية، لم يطلق سوى دخان، ليحدد موقعه للطيّار الكوبى(٣٢) ، وفى ذلك الوقت، كانت الحشرة قد انتشرت سريعا وأثرت على الذرة والفول والقرع والقثاء وغير ذلك من المحاصيل.

وفى رد على استجواب، ذكرت إدارة الطيران الفيدرالية أن إطلاق دخان لتحديد الموقع " ليس ممارسة تتبعها إدارة الطيران الفيدرالية " وأنها لا تعرف أية لوائح تدعو لهذه الممارسة "(٣٣) .

وفى أبريل ١٩٩٧، قدمت كوبا تقريرا إلى الأمم المتحدة يتهم الولايات المتحدة "بالعدوان البيولوجى" وقدمت وصفا تفصيليا لحادث ١٩٩٦ والخلاف الذى نجم

عنـه[٣٤] . وفى أغسطس، اجتمع الموقعون على اتفاقية الأسلحة البيولوجية فى چنيف النظر فى اتهامات كوبا ورد واشنطن. وفى ديسمبر، قدمت اللجنة تقريرا بأنه نظرا " للتعقيد التقنى " المحيط بالمسألة، فإنه لم يثبت أنه فى الإمكان التوصل إلى استنتاج حاسم، ومنذ ذلك الوقت، لم تحدث أية تطورات أخرى بشأن هذه القضية[٣٥] .

إن النطاق الكامل للحرب الكيميائية والبيولوجية الأمريكية ضد كوبا لن يعرف مطلقا، وعلى مرّ السنين، لامت حكومة كاسترو الولايات المتحدة فى الواقع على عدد آخر من النكبات التى حلت بحيوانات ومحاصيل مختلفة[٣٦] . - وفى ١٩٧٧، كشفت وثائق أعلن عنها مؤخرا لوكالة المخابرات المركزية أن " الوكالة أجرت برنامجا سريا للبحوث لحرب إبادة المحاصيل اتجه فى الستينيات نحو عدد من البلدان فى كل أنحاء العالم "[٣٧] .

العسكرية الأمريكية فى الخارج ـ ثرات سام مميت

إنها ليست مجرد أسلحة كيميائية أو بيولوچية، لكنها أسلحة سامة، تصيب بالمرض وتقتل. إنها ما خلفته وراءها آلاف المنشآت العسكرية الأمريكية فى كل أركان العالم (مئات فى ألمانيا وحدها) ، تدمير خطير للبيئة، والتلوث منتشر بصورة ملحوظة، والسجل طويل جدا بما يفوق مجرد تقديم فكرة عن الموضوع هنا، مثل تلك النتفة من تقرير مطول نشر فى لوس انجلس تايمز :

لقد لوثت المنشآت العسكرية الأمريكية مياه الشرب فى جزيرة جوام الواقعة فى المحيط الهادى ، وصبت أطنانا من الكيماويات السامة فى خليج سوبيك فى الفلبين، وتسببت فى تسرب المواد المسببة للسرطان إلى مصدر للمياه فى مدينة ألمانية، وأطلقت أطنانا من دخان الكبريت والفحم فى سماوات أوروبا الوسطى وضخت ملايين الجالونات من مخلفات الصرف الصحى فى المحيطات[٣٨] .

وقد فعلت المؤسسة العسكرية الشئ نفسه فى الولايات المتحدة فى عدد لا يحصى من المنشآت[٣٩] .

الفصل الخامس عشر

الولايات المتحدة تستخدم الأسلحة الكيميائية والبيولوجية فى الداخل

فى حديث صحفى فى يناير ١٩٩٩، قال الرئيس كلينتون إن الخوف من وقوع حرب جرثومية يحرمه من النوم ليالى طوالا[1] ، ومن السلامة القول أنه لم يضع فى ذهنه وزارة الدفاع ووكالة المخابرات المركزية باعتبارهما المتعهد الأصلى الذى يزرع هذا الخوف، ومع ذلك، فطوال عقدين، أجرت هاتان المؤسستان اختبارات فى العراء فى الولايات المتحدة، مما عرض ملايين الأمريكيين لسحابات ضخمة من البكتريا والجزيئات الكيميائية التى يحتمل أن تكون خطرة، وقد فعلتا ذلك دون إخطار السكان الذين يحتمل تأثرهم من جراء ذلك، وبدون اتخاذ أية احتياطات لحماية صحة وسلامة هؤلاء الناس، وبدون رصد الآثار للمتابعة.

وقد أنكر المسئولون الحكوميون باستمرار أن العوامل البيولوجية المستخدمة يمكن أن تكون ضارة على الرغم من وفرة الأدلة التى قدمها الخبراء والأدلة الموضوعية العلمية والتى تبين أن التعرض لتركزات ثقيلة من الكائنات الحية الحميدة على ما يبدو يمكن أن يسبب المرض، على الأقل للأقسام الأكثر تعرضا للمعاناة من السكان كبار السن والأطفال والذين يعانون من طائفة من العلل. وقد شهد جورج كورنيل، وهو مساعد مدير مراكز مكافحة الأمراض والوقاية منها، أمام مجلس الشيوخ فى ١٩٧٧ بقوله : " ليس هناك شئ اسمه كائنات عضوية دقيقة لا يمكن أن تسبب مشاكل، فإذا وضعت التركيز الصحيح، فى المكان الصحيح، وفى الوقت الصحيح، وللشخص الصحيح، فإن شيئا ما سيحدث "[2] .

وقد اعترف الجيش بأنه فيما بين ١٩٤٩ و ١٩٦٩، تم تغطية ٢٣٩ منطقة مأهولة من الساحل للساحل بدثار من الكائنات الحية الدقيقة المختلفة خلال اختبارات مصممة لقياس أنماط الانتشار فى الهواء، وتأثيرات المناخ، والجرعات، وتحديد المكان الأمثل

للمصدر وعوامل أخرى. والمفترض أنه تم وقف إجراء الاختبارات فوق مثل هذه المناطق بعد ١٩٦٩، ولكن ليس هناك من سبيل للتيقن من هذا، وعلى أية حال، فقد استمر الرش فى العراء فى ساحة داجواى فى يوتاه[٣] .

وفيما يلى عينة صغيرة للاختبارات التى أجريت فى الفترة ٤٩– ١٩٦٩

ووتر تاون، منطقة نيويورك وجزر فيرجن

١٩٥٠ : استخدم الجيش طائرة وحماما زاجلا لإسقاط ريش الديوك الرومية الملوث بجراثيم مرض صدأ الحبوب لتلويث محصول الشوفان، لإثبات أن " جائحة مرض صدأ الحبوب " يمكن أن تنتشر وتستخدم كسلاح للحرب البيولوجية.

منطقة خليج سان فرانسسكو

٢٠ – ٢٧ سبتمبر ١٩٥٠ : تمت ست هجمات تجريبية للحرب البيولوجية قام بها الجيش الأمريكى من سفينة مستخدما Serratia Marcescens, Bacillus Glabigii مما شكل فى إحدى المرات سحابة طولها نحو ميلين حيث كانت السفينة تبحر ببطء على امتداد شاطئ الخليج، وكان من الأهداف المعلنة للتدريب دراسة " الإمكانات الهجومية لمهاجمة مدينة تمثل ميناء بحريا برذاذ الحرب البيولوجية "[٤] من البحر. وابتداء من ٢٩ سبتمبر، تبين أن المرضى فى المستشفى الجامعية فى سان فرانسسكو قد أصيبوا بالـ Serratia Marcescens، ولم يشاهد هذا النوع من الإصابة من قبل مطلقا فى هذا المستشفى، لقد أصبح أحد عشر مريضا مصابين ومات واحد[٥] ، وحسب تقرير قدمه إلى لجنة بمجلس الشيوخ، أستاذ للميكروبيولوجى فى جامعة نيويورك الحكومية فى ستونى بروك : " أن زيادة عدد الـ Serratia Marcescens يمكن أن يسبب المرض للأشخاص الأشخاص ، والمرض الخطير للأشخاص المعلولين "[٦] .

وفيما بين ١٩٥٤ و ١٩٦٧، تم إجراء تجارب أخرى فى منطقة الخليج، بما فى ذلك بعض الأماكن التى كانت تضم قاعدة العمليات فى فورت كرونكيت فى مارين كونتى[٧] .

مينا بوليس

١٩٥٣ : تم إطلاق كبريتيد كادميوم الزنك ٦١ مرة فى أربعة قطاعات من المدينة، وشمل ذلك تعرض الناس فى البيوت والأطفال فى المدارس لكميات هائلة منه، وقد

وصفت هذه المادة فيما بعد بأنها : " يحتمل أن تكون خطرة لمحتواها من الكادميوم "، وقال عالم سابق فى الجيش، كان يكتب فى صحيفة بيئة الغلاف الجوى المتخصصة، فى ١٩٧٢، أن مركبات الكادميوم، بما فى ذلك كبريتيد كادميوم الزنك، "عالية السمية ويمثل استخدامها فى تجارب الغلاف الجوى المفتوح خطرا على صحة البشر ". وذكر أن الأعراض الناجمة عن التعرض لكبريتيد كادميوم الزنك تشمل تلف الرئة، التهاب حاد فى الكلى، وتحلل الكبد الدهنى[٨] .

سان لويس

١٩٥٣ : تم إطلاق كبريتيد كادميوم الزنك ٣٥ مرة فوق المناطق السكنية والتجارية ووسط المدينة، بما فى ذلك بناية الفنون الطبية، والتى يفترض أنها تضم عددا من المرضى يمكن أن يتفاقم مرضهم باستنشاق جزئيات سامة[٩] .

منطقة واشنطن العاصمة

١٩٥٣ : تم رش كبريتات كادميوم الزنك من الجو مختلطة بجراثيم Lycopodium من على ارتفاع ٧٥ قدما. وشملت المنطقة التى تم رشها وادى نهر مونوكاسى فى ماريلاند وليسبورج فيرجينيا ، التى تبعد ٣٠ ميلا عن العاصمة[١٠] .

وفى ١٩٦٩، أجرى الجيش ١١٥ اختبارا فى العراء على كبريتيات كادميوم الزنك قرب كمبردج، ماريلاند[١١] .

وفى مطلع الستينيات، نشر الجيش سرا عددا ضخما من البكتريا فى ميناء واشنطن الجوى الوطنى لتقييم مدى السهولة التى يستطيع بها عميل للعدو نشر الجدرى فى كل أنحاء البلاد من خلال إصابة المسافرين بالطائرات به، وكانت البكتريا المستخدمة Bacillces Sultills يحتمل أن تضر المرضى وكبار السن الذين أصاب الضعف جهازهم المناعى، والمصابين بالسرطان، وأمراض القلب وحشد من العلل الأخرى، حسبما قال أستاذ الميكروبيولوجى فى المركز الطبى بجامعة جورجتاون، وأجريت تجربة مماثلة فى محطة حافلات جراى هاوند فى واشنطن.

وفى مرحلة ما من تولى ريتشارد نيكسون لمنصبه (من الواضح فى ١٩٦٩)، جرب الجيش " اغتياله " بجراثيم أطلقها من خلال شبكة تكييف الهواء فى البيت الأبيض[١٢] .

وفى مبنى تستخدمه إدارة الأغذية والعقاقير، وضع الجيش سرا صبغة ملونة (يفترض أنها غير ضارة) فى شبكة المياه، وليس من المعروف ما إذا كان أى شخص قد عانى من شرب كمية معينة من هذا الماء[١٣] .

فلوريــدا

١٩٥٥ : أجرت وكالة المخابرات اختبارا واحدا على الأقل فى العراء على بكتريا كحة السعال الديكى حول منطقة خليج تامبا. وقفز عدد حالات الإصابة بالسعال الديكى المسجلة فى فلوريدا من ٣٣٩ حالة إصابة وحالة وفاة واحدة فى ١٩٥٤ إلى ١٠٨٠ حالة إصابة و ١٢ حالة وفاة فى ١٩٥٥، وكانت منطقة خليج تامبا واحدة من ثلاثة أماكن أظهرت زيادة حادة فى هذا الصدد فى ١٩٥٥[١٤] .

السافانا، جورجيا وآفون بارك، فلوريدا

١٩٥٦ - ١٩٥٨ : أطلق الجيش الذى كان يرغب فى اختبار " جدوى استخدام البعوض الناقل للحمى الصفراء فى نقل عامل للحرب البيولوجية "، فوق مناطق واسعة مئات الآلاف - إن لم يكن ملايين - من هذه البعوضة، والتى يمكن أن تنقل الحمى الصفراء وحمى الدنج، وكلاهما مرض خطير جدا، وذكر الجيش أن البعوض لم يكن مصابا بالعدوى، لكن علماء بارزين قالوا إنه لعدة أسباب لم تخل التجربة من المخاطر، وأنها كانت " فكرة رهيبة "[١٥] ، وربما لن نعرف أبدا التأثيرات الفعلية على السكان المستهدفين.

مدينة نيويورك

١١- ١٥ فبراير ١٩٥٦ : رش الفريق المشترك بين وكالة المخابرات المركزية والجيش شوارع نيويورك ونفقى هولند ولينكولن، باستخدام حقائب خادعة وسيارة لها كاتم صوت مزدوج[١٦] .

٦ - ١٠ يونيو ١٩٦٦ : سمى تقرير الجيش عن هذا الاختبار " دراسة لتعرض مسافرى مترو الأنفاق فى مدينة نيويورك لخطر هجوم سرى بعوامل بيولوجية ". وتم إطلاق تريليونات من السلالة السوداء من Bacillus Sultilis فى شبكة الأنفاق خلال ساعات الذروة، وكان من وسائل ذلك استخدام مصابيح إضاءة مملوءة بالبكتريا تمت بعثرتها بطريقة تطفلية على مستوى رصيف المشاة فى شبكات تهوية الأنفاق أو جرى

قذفها فى الجزء من المسار الذى تمتد فيه القضبان داخل المحطات، وشوهدت فى التو سحابات من الرذاذ بعد انطلاق البكتريا من مصابيح الإضاءة. وقد لاحظ التقرير أنه " عندما غمرت السحابة الناس، نظفوا ملابسهم ونظروا لأعلى إلى المظلة المشبكة ومضوا فى طريقهم "[١٧] ، ونشرت الرياح الناتجة عن القطارات المارة البكتريا على امتداد المسارات، واستدعى انتقالها أحيانا مرور قطارين، وانتشرت البكتريا من الشارع ١٥ إلى الشارع ٥٨[١٨] ، ولن يعرف أبدا عدد الأشخاص الذين أصبحوا مرضى بعد ذلك من جراء جعلهم حيوانات تجارب دون أن يدروا، لأن جيش الولايات المتحدة الأمريكية لم يبد أقل اهتمام بهذه المسألة.

شيكاغو

الستينيات : كانت شبكة أنفاق مترو شيكاغو مسرحا لتجربة مماثلة أجراها الجيش[١٩] .

أفنية الماشية :

من نوفمبر ١٩٦٤ إلى يناير ١٩٦٥ : أجرى الجيش اختبارات بالرذاذ فوق أفنية الماشية فى تكساس، ميسورى، مينيسوتا، ساوث داكوتا، ايوا ونبراسكا، مستخدما " محفزات غير بيولوجية ضارة بالحيوان "[٢٠] ، وليس من الواضح سبب اختيار الأفنية، وماذا كانت تأثيرات ذلك على اللحوم التى يستهلكها الجمهور.

نورمبرج

كشفت المحكمة العسكرية الدولية فى نورمبرج، ألمانيا، ١٩٤٦- ١٩٤٩، تفاصيل كثيرة عن التجارب الطبية التى أجراها النازى على أشخاص خضعوا لها كرها، مما جعل القضاة يضعون سلسلة من المبادئ أصبحت تسمى " مدونة نورمبرج ، وهى فى الواقع قانون لحقوق الأشخاص الذين يتم اختيارهم لإجراء تجارب طبية. وينص المبدأ الأول للمدونة على : " أن الحصول على الموافقة الطوعية للإنسان الخاضع للتجربة أمر ضرورى بصورة مطلقة ". وبعد ذلك بفترة قصيرة، بدأ البرنامج المشترك بين الجيش الأمريكى ووكالة المخابرات المركزية. وعلى الرغم من أن التجارب لم تكن بالطبع فى أى مكان فى مثل فظاعة تجارب النازى، وأن البشر لم يكونوا موضعا للاختبارات، فإن سلوك بعض المواد التى تطلق فى الهواء، يجعل من يجرون الاختبارات يعرفون أن

أعدادا لم تعلن من البشر قد أصيبت بالتلوث من جراء الاختبارات بصورة مباشرة، ولم يذكر أي من تقارير الاختبارات كلمة عن الحصول على موافقة أي من هؤلاء البشر، وإن لم يكن من أجروا الاختبارات " يعرفون " أن المواد المسببة للتلوث كانت خطرة احتمالا، فإن ذلك لا يمكن أن يرجع إلاّ إلى أنهم لم يبحثوا هذه المسألة، وهذا يماثل القول بأنهم لم يعرفوا لأنهم لم يريدوا أن يعرفوا.

ناهيك بإطلاق الاشعاع فى البيئة

خلال الفترة ١٩٨٤ - ١٩٥٢، أجرت الحكومة عدة عمليات إطلاق متعمدة لمواد مشعة أساسا من الطائرات، والتى طارت ما يصل إلى ١٠ أميال فوق المناطق المأهولة، بغية دراسة أنماط السقاطة المشعة ومعدل تحلل النشاط الإشعاعى، ودراسة جدوى صنع " معدات حرب هجومية عن طريق الإشعاع "[٢١] .

التجريب على البشر مواجهة

من حيث الأعداد المطلقة، لا يمكن أن يكون هناك أى سابقة فى التاريخ كله، لحكومة تجرى تجارب لا تحصى تتسم بالخطورة وانعدام الأخلاق من الناحية الطبية على شعبها نفسه، فطوال عقود بعد الحرب العالمية الثانية، أجرت حكومة الولايات المتحدة تجارب على الملايين من البشر كحيوانات تجارب بالمعنى الحرفى، سواء كانوا من البشر المدنيين والعسكريين، بهدف قياس التأثيرات التى يتحملونها نتيجة (أ) مواد كيميائية وبيولوجية متعددة، بما فى ذلك غازات الأعصاب، (ب) الإشعاع النووى، بما فى ذلك حقن الكثيرين بالبلوتونيوم، (حـ) حشد من أدوية السيطرة على العقل : عقار ال اس دى وغيره من العقاقير المسببة للهلوسة، وكذلك أمزجة كيميائية دخيلة ومتنوعة[٢٢] .

وبالنسبة للتجريب على البشر، فإن الوكالات الحكومية المختلفة اختارت على ما يبدو كحيوانات لتجاربها فى المحل الأول أولئك الذين ليس لهم نفوذ سياسى، مثل الجنود والأنفار رجالا ونساء، المعترضين بوازع من الضمير، نزلاء السجون، السود، الفقراء، المتخلفين عقليا، كبار السن والشباب والمرضى العقليين ...

" إنه كوكتيل صغير سيشعرك بأنك أفضل حالا "، ذلك ما تتذكره هيلين هتشنسون عما قاله لها الطبيب فى يوليو ١٩٤٦، خلال زيارة لعيادة رعاية ما قبل

الولادة فى مستشفى جامعة فاندر بلت. لكن ذلك لم يجعلها أبدا تشعر أنها أفضل. كان الدواء يحتوى على الحديد المشع، كانت واحدة من ٨٢٩ امرأة تناولن جرعات مختلفة من حصة محددة خلال فترة عامين، وقد عانت هنشنسون والطفلة التى حملت بها طوال حياتهما من أدواء غريبة، فقد سقط شعر هتشنسون فى مرحلة ما، وعانت من أنيميا خبيثة، وأصبحت جد حساسة لضوء الشمس، وتعانى ابنتها - التى كبرت الآن - من اضطراب جهاز المناعة وسرطان فى الجلد[٢٣] .

وبحلول عام ١٩٩٩، ربما عرف الرأى العام الأمريكى شيئا ما، عندما أعلن أن المختبر الوطنى فى لوس الاموس التابع للحكومة الفيدرالية فى مكسيكو سيتى، دبّر لإطلاق سلالة من البكتريا فى الجو لاختبار أجهزة جديدة لاكتشاف الحرب البيولوجية، وبلغ احتجاج الرأى العام العنيف حدا أجبره على إلغاء الاختبار، وفى جلسة استماع عامة تهدف لتهدئة مخاوف الرأى العام، سأل أحد مواطنى سانتافى مندوب المختبر : " لو كانت آمنة لهذا الحد لماذا لا تطلقونها فى مكتب شخص ما فى واشنطن العاصمة ؟ "[٢٤] .

فكرة نهائية ... ماذا لو ؟

فى ٩ يونيو ١٩٦٩، شهد الدكتور دونالد ماك آرثر، نائب مدير البحوث والهندسة بوزارة الدفاع أمام الكونجرس بقوله :

خلال من ٥ إلى ١٠ سنوات قادمة، يحتمل أن يصبح فى الإمكان خلق كائنات عضوية دقيقة جديدة معدية قد تختلف فى جوانب مهمة معينة عن أية كائنات عضوية مسببة للمرض نعرفها، والأمر الأكثر أهمية هو أن هذه يمكن أن تكون مقاومة للعمليات المناعية والعلاجية التى نعتمد عليها فى الحفاظ على تحررنا النسبى من المرض المعدى[٢٥] .

الفصل السادس عشر

تشجيع الدول الأخرى على استخدام الأسلحة الكيميائية والبيولوجية

الشرق الأوسط

ورد في ١٩٦٩ أن الجيش الأمريكي يدرب منذ بضع سنوات خبراء أجانب على الحرب الكيميائية والبيولوجية، وقد تلقى ما مجموعه ٥٥٠ أجنبيا من ٣٦ بلدا - منها مصر واسرائيل والعراق والأردن ولبنان والسعودية ويوغوسلافيا وفيتنام الجنوبية - دورات في مدرسة الجيش الكيميائية في فورت ماكيلان في الباما. وقد زعموا أن الخبراء المصريين استخدموا الدراية الفنية الأمريكية الجديدة التي اكتسبوها في تدبير عمليات هجوم بالغاز السام في اليمن في ١٩٦٧، وحقق الصليب الأحمر الدولي في إلقاء الطيارين المصريين علبا تحوي غازات سامة على اليمن، وبعد ذلك، تطوعت وكالة المخابرات بوزارة الدفاع لتؤكد هذا، وقيل : إن ١٥٠ قرويا أصيبوا بالقئ والكحة ونزفوا حتى الموت[1] .

جنوب أفريقيا

وفق شهادة أمام لجنة تقصى الحقيقة والمصالحة في ١٩٩٨، ورد أن الولايات المتحدة شجعت نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا على تنفيذ برنامج للأسلحة الكيميائية والبيولوجية يستهدف سكان البلاد السود، وقد شهد الدكتور ووتر باسون، الجنرال جنوب الأفريقي الذي رأس المشروع منذ بدايته في ١٩٨١، من ملاحظات كتبها في اجتماع مع الماجور جنرال الأمريكي ويليام أوجرسون : " أنه (أوجرسو) يعتقد أن الحرب الكيميائية سلاح استراتيجي مثالي، لأن البنية الأساسية يتم الحفاظ عليها إلى جانب المرافق، والبشر الأحياء فقط هم الذين يتم قتلهم، والمناخ الدافئ لأفريقيا مثالي لهذا النوع من الأسلحة لأن نشر السم يكون أفضل وامتصاصه يتزايد عن طريق التعرق وزيادة تدفق الدم في الأشخاص المستهدفين "[2] .

والواقع أن برنامج جنوب أفريقيا للأسلحة الكيميائية والبيولوجية عمل فى عدد من المشروعات التى حاكت البرامج الأمريكية: استخدام الجنود السود كحيوانات تجارب لتجربة العقاقير؛ تطوير مادة سامة تسبب نوبات وأزمات قلبية؛ مما يبدو سببا " طبيعيا " للموت؛ تلويث مياه الشرب بمسببات الأمراض، استخدام تشكيلة من الغازات السامة لشل وقتل الخصوم فى جنوب أفريقيا والدول المجاورة(٣) .

العـــراق

فى خطاب الرئيس كلينتون عن حالة الاتحاد فى يناير ١٩٩٨، تحدث عن كم يتعين علينا " مواجهة الأخطار الجديدة للأسلحة الكيميائية والبيولوجية، والدول الخارجة عن القانون، والإرهابيين ومرتكبى الجريمة المنظمة الذين يسعون للحصول عليها "، وانتقد العراق بقسوة " لتطويرها أسلحة نووية وكيميائية وبيولوجية " ودعا إلى تدعيم إتفاقية الأسلحة البيولوجية، فمن بين من استمعوا إليه كانوا يعرفون، وكم من وسائل الإعلان تحدث عن، أن الولايات المتحدة كانت هى التى وردت للعراق الكثير من مصادر المواد البيولوجية التى احتاج إليها علماء صدام حسين لتنفيذ برنامج الحرب البيولوجية !!

حسب تقرير وضعته لجنة من مجلس الشيوخ الأمريكى فى ١٩٩٤، فإنه من ١٩٨٥ - إن لم يكن من وقت أسبق - وحتى ١٩٨٩، كان الموردون الأمريكيون من القطاع الخاص يصدرون للعراق كميات تذهب بالألباب من المواد البيولوجية بموجب طلب – مقدم إلى، وتصريح صادر عن – وزارة التجارة الأمريكية. وكان من بين هذه المواد، والتى تسبب عادة موتا بطيئا مصحوبا بعذاب شديد :

- Bacillus Anthracis، التى تسبب الجمرة الخبيثة.
- Clostridinn Botulinum، وهى مصدر التسمم المنبارى.
- Histoplasma Copulatom، وتسبب مرضا يصيب الرئتين والمخ والحبل الشوكى والقلب.
- Brucella Melitenses، وهى بكتريا يمكن أن تدمر أجهزة
- Clostridium Perfringens، وهى بكتريا عالية السمية تسبب أمراضا تشمل الجسم كله.

- Clostridium Letani، وهى مادة مولدة للسموم بدرجة عالية.

وكذلك تم تصدير Escherichia Coli (E. Coli) ؛ ومواد وراثية، والحمض النووى البشرى والبكتيرى، وتم شحن عشرات من العوامل البيولوجية المسببة للمرض إلى العراق خلال الثمانينيات، وقد أوضح تقرير مجلس الشيوخ أن " لم يتم التخفيف من هذه المواد البيولوجية أو إضعافها وكانت قادرة على إعادة إنتاج نفسها ".

وقالت اللجنة : " وقد عُرف فيما بعد أن هذه الكائنات العضوية الدقيقة جدا التى صدرتها الولايات المتحدة كانت مطابقة لتلك التى وجدها مفتشو الأمم المتحدة وأزالوها من البرنامج العراقى للحرب البيولوجية ".

ولاحظ التقرير بعد ذلك أن الصادرات الأمريكية إلى العراق شملت سلائف عوامل الحرب الكيميائية، وخطط لمرافق الحرب البيولوجية والكيميائية ومعدات لملئ الرؤوس الحربية بالكيماويات.

وقد استمرت هذه الصادرات على الأقل حتى ٢٨ نوفمبر ١٩٩٨ على الرغم من حقيقة أنه قد ترامى للأسماع أن العراق كان يشن حربا كيميائية ضد الإيرانيين والأكراد والشيعة منذ مطلع الثمانينيات كجزء من حربه مع إيران [٤]، والمفترض أن استخدام العراق لهذه الأسلحة ضد إيران هو ما كانت واشنطن تتوقع حدوثه.

يتعين احترام نفاق بهذا الحجم

فى الجزء الأكبر من السنوات الست، (٩٢ - ١٩٩٨) ، التى أعقبت حرب الخليج، أجبرت الولايات المتحدة التى كانت تعمل من خلال الأمم المتحدة، العراق على أن يفتح بلاده للتفتيش على " أسلحة الدمار الشامل "ولم يتم استبعاد أى مبنى أو هيكل. ورفض المسئولون الأمريكيون ووسائل الاعلام الأمريكية رغبات الحكومة العراقية فى عدم تفتيش مواقع معينة، ووجدوا فى هذه القضية تسلية كبيرة، وكان الموقف السائد هو " ما الذى لدى صدام ليخفيه ؟ ".

وبعد ذلك أصدر مجلس الشيوخ فى مايو ١٩٩٧، قانونا بتنفيذ " اتفاقية حظر تطوير وإنتاج وتخزين واستخدام الأسلحة الكيميائية وتدميرها " ("الاتفاقية الكيميائية")، وهى معاهدة دولية صدق عليها أكثر من ١٠٠ بلد خلال فترة وجودها التى

بلغت أربع سنوات، لكن مجلس الشيوخ أصرّ على إضافة تعديل قبل التصديق على الاتفاقية.

وينص التعديل الذى أدخله مجلس الشيوخ، القسم ٣٠٧، على " أن الرئيس يمكن أن يرفض طلبا بالتفتيش على أى مرفق فى الولايات المتحدة فى الحالات التى يحدد فيها الرئيس أن التفتيش قد يشكل تهديدا لمصالح الأمن القومى للولايات المتحدة ".

ولم يطالب صدام حسين بأكثر من هذا بالنسبة للعراق.

ويمكن الحدس بأنه بموجب التعديل الذى أدخله مجلس الشيوخ، يتم استبعاد البيت الأبيض والبنتاجون ... الخ، مثلما أصر صدام حسين على استبعاد قصوره الرئاسية، وكذلك الوحدات العسكرية المسئولة عن أمنه الشخصى، التى طالب كولونيل أمريكى بتفتيشها.

وإضافة لذلك، فإننا نعرف الآن أن صدام حسين - بإغلاقه أماكن معينة فى وجه التفتيش - لم يكن مصابا بالبارانويا أو متعسفا كلية حيث أنه تبين فيما بعد أن الولايات المتحدة ظلت بعض الوقت تزود مفتشين معينين بوسائل لزرع معدات التسجيل فى أى مكان قد يصلون إليه.

ومما قد تكون له دلالة أكبر أن دراسة تفصيلية للسنة ونصف السنة الأولى من عمر الاتفاقية قد بينت أن سجل واشنطن فى الامتثال للاتفاقية، كان يدعو للاكتئاب بصورة بالغة، وأنها أرست نموذجا سيئا للدول الأخرى[٥] .

الباب الثالث

الدولة المارقة فى مواجهة العالم

الفصل السابع عشر

موجز تاريخ الولايات المتحدة في التدخلات العالمية، من ١٩٤٥ حتى الآن

نقدم هناك التجميع الأكثر شمولا منه فى أى وقت للتدخلات الأمريكية الخطيرة فيما بعد الحرب العالمية الثانية فى حياة الدول الأخرى، والذى يغطى عددا من الحالات أكبر مما جاء فى كتاب المؤلف، قتل الأمل : التدخل العسكرى الأمريكى وتدخل وكالة المخابرات المركزية منذ الحرب العالمية الثانية (رجاء النظر فى هذا الكتاب للإطلاع على مزيد من التفاصيل بشأن بعض التدخلات والمصادر غير المدرجة أدناه).

الإمبراطورية الرومانية

ليس هناك أى ركن فى العالم لم تدع فيه بأن مصلحة ما تتعرض للخطر أو تتعرض لهجوم فعلى، فإن لم تكن المصالح رومانية، فهى مصالح حلفاء روما، وإن لم يكن لروما حلفاء، فلابد من اختراعهم. وعندما كان من المستحيل كلية اختراع مثل هذه المصلحة لماذا لا يكون الشرف الوطنى قد تعرض للإهانة. لقد كانت هالة من الشرعية تضفى دوما على القتال. لقد كانت روما على الدوام عرضة للهجوم من قبل جيران ذوى عقلية شريرة. لقد كان العالم مليئا بحشد من الأعداء وكان من الواضح أن واجب روما هو التصدى لمخططاتهم العدوانية التى لا شك فيها . وحتى فيما عدا الحالات التى نوقشت بالفعل، هل يمكن القيام هنا بمحاولة لفهم حروب الغزو من وجهة نظر الأهداف المحددة. فلا توجد هنا دولة محاربة بالمعنى الذى نقصده، ولا دولة استبدادية أو أرستقراطية ذات اتجاه عسكرى على نحو خاص فى بدايتها. لذلك ليس هناك سوى

طريق واحد للفهم : البحث فى المصالح الطبقية المحلية، والسؤال عمن هو المرشح للكسب.

جوزيف شومبيتر، ١٩١٩[1]

إن أمريكا حاليا هى القائد لحركة مضادة للثورة على النطاق العالمى فى الدفاع عن المصالح الراسخة. انها تصارع حاليا من أجل ما كانت روما تصارع من أجله. لقد ساندت روما باستمرار الأغنياء ضد الفقراء فى جميع المجتمعات الأجنبية التى وقعت تحت سيطرتها، وحيث إن الفقراء حتى الآن، كانوا دائما وفى كل مكان أكثر عددا من الأغنياء، فإن سياسة روما قامت على عدم المساواة والظلم وأقل قدر من السعادة لأكبر عدد من الناس.

أرنولد توينبى، ١٩٦١ [2]

الامبراطورية الأمريكية :

ستصبح قريبا بلدا يجاورك

الصين ، ٤٥ - ١٩٥١

فى نهاية الحرب العالمية الثانية، تدخلت الولايات المتحدة فى الحرب الأهلية، ووقفت إلى جانب القوميين من أنصار تشانج كاى - شيك ضد الشيوعيين بقيادة ماو تسى تونج، رغم أن الأخيرين كانوا أقرب حلفاء للولايات المتحدة فى الحرب. ومما يفاقم المفارقة، أن الولايات المتحدة استخدمت الجنود اليابانيين المهزومين ليحاربوا إلى جانبها، وبعد هزيمة الجنود القوميين فى ١٩٤٩، لجأ الكثيرون منهم إلى شمالى بورما، حيث اعادت وكالة المخابرات المركزية تجميعهم، وجاءت بمجندين آخرين من أماكن أخرى فى آسيا، وقدمت إمدادات ضخمة من الأسلحة الثقيلة والطائرات. وخلال مطلع الخمسينيات، انطلق هذا الجيش للقيام بعدد من الغارات على الصين، وضم فى بعض الأحيان آلافا من الجنود، يصحبهم مستشارون من وكالة المخابرات المركزية (قتل البعض منهم)، وتم تزويدهم بالمؤن عن طريق إسقاطها من الطائرات الأمريكية.

فرنسا، ١٩٤٧

خاض أعضاء الحزب الشيوعى القتال فى المقاومة أثناء الحرب، على خلاف كثيرين من الفرنسيين الذين تعاونوا مع الألمان، وعقب الحرب اتبع الشيوعيون الطريق القانونى لتكوين نقابات عمالية قوية وتطلعوا للسلطة السياسية، لكن الولايات المتحدة كانت مصممة على حرمانهم من احتلال مكان على المائدة، خاصة لأن بعض النقابات كانت تتخذ خطوات لوقف تدفق الأسلحة للقوات الفرنسية التى كانت تسعى لاستعادة مستعمرتها السابقة فى فيتنام بمعونة الولايات المتحدة. ووجهت الولايات المتحدة مبالغ كبيرة جدا من الأموال للحزب الاشتراكى المنافس الرئيسى للحزب الشيوعى، وأرسلت خبراء من اتحاد العمال الأمريكى، لتقويض سيطرة نقابات الحزب الشيوعى واستوردت محطمى الإضرابات من إيطاليا، وقدمت الأموال والأسلحة للعصابات الكورسيكية لتحطيم الإضرابات الشيوعية، وحرقت مكاتب الحزب وضربت وقتلت الأعضاء والمضربين، وأرسلت فريق حرب نفسية لاستكمال كل هذه الأعمال واستخدمت التهديد بقطع المعونة الغذائية وغيرها، كل ذلك لكى تقوض بصورة خطيرة التأييد الذى يحظى به الحزب الشيوعى ومن مكانته، وقد أفاد كل هذا.

وجاء جزء من تمويل هذه العمليات السرية من أموال مشروع مارشال، الذى ساعد أيضا فى تمويل عمليات الفساد فى الانتخابات الإيطالية فى ١٩٤٨ (انظر ما يلى)، وأنشأت وكالة خاصة بالعمليات السرية اندمجت فيما بعد فى وكالة المخابرات المركزية.(٣) تلك قلة من الجوانب الخفية لمشروع مارشال، الذى اعتبر لفترة طويلة المثال المشرق النزعة الخيرية الإيثارية لأمريكا.

وفى الوقت نفسه، كانت واشنطن تجبر الحكومة الفرنسية على إقالة وزرائها الشيوعيين حتى تحصل على المعونة الاقتصادية الأمريكية، يقول رئيس الوزراء بول رامادييه : " مع كل قرض كنا نحصل عليه كنا نفقد جزءا من استقلالنا ".(٤)

جزر مارشال، ٤٦ - ١٩٥٨

أجرت الولايات المتحدة، تحركها فى ذلك ما تتصوره عن متطلبات الحرب الباردة، عشرات من التجارب على القذائف الباليستية العابرة للقارات والقنابل اليدوية وغيرها من التجارب النووية فى هذا الإقليم الموضوع تحت الوصاية الواقع فى المحيط الهادئ،

بعد إجبار سكان جزر معينة ـ خاصة بيكيني آنول ـ على الاستيطان من جديد في جزر أخرى غير مأهولة. وفي ١٩٦٨ أخبرت إدارة جونسون سكان بيكيني السابقين أن جزيرتهم قد تم تنظيفها وأصبحت آمنة للسكنى، وعاد الكثيرون، فقط ليخبروهم بعد ذلك أنهم تعرضوا لجرعات كبيرة من الإشعاع وأنه يتعين عليهم الرحيل ثانية، وفي ١٩٨٣ أعلنت وزارة الداخلية الأمريكية أن أهل الجزر يمكن أن يعودوا إلى ديارهم فورا، بشرط ألا يتناولوا أية أغذية منتجة محليا حتى أواخر القرن ٢١[٥] ، ولم يعودوا مطلقا.

إيطاليا، ١٩٤٧ ـ السبعينيات

في ١٨٤٧، أجبرت الولايات المتحدة الحكومة الإيطالية على إقالة أعضاء الوزارة الشيوعيين والاشتراكيين للحصول على المعونة الاقتصادية الأمريكية. ومنذ السنة التالية وطوال عقود قادمة، كانت وكالة المخابرات المركزية تستخدم كل حيلة (قذرة) معروفة وتصوب المدافع الثقيلة لحربها الاقتصادية والنفسية الكبيرة على الشعب الإيطالي، في حين تمول سرا مرشحي الحزب الديمقراطي المسيحي – وذلك في كل مرة – كانت الجبهة المؤتلفة بين الشيوعيين والاشتراكيين، أو الشيوعيين وحدهم، تهدد بهزيمة الديمقراطيين المسيحيين الذين تساندهم الولايات المتحدة، وقد أجدى ذلك المرة تلو الأخرى، وتم هذا التخريب للديمقراطية باسم " إنقاذ الديمقراطية " في إيطاليا. كما أسهمت الشركات الأمريكية بملايين كثيرة من الدولارات في المساعدة على استبعاد اليسار من المشاركة في السلطة.

اليونان، ٧٤– ١٩٤٩

تدخلت الولايات المتحدة في حرب أهلية، ووقفت إلى جانب الفاشيين الجدد ضد اليسار اليوناني، والذي كان قد حارب النازي بشجاعة. وانتصر الفاشيون الجدد وأقاموا نظاما وحشيا بدرجة بالغة، أنشأت له وكالة المخابرات المركزية وكالة للأمن الداخلي تتسم بالقمع على النحو الواجب. وطوال الخمسة عشرة عاما التالية، كانت اليونان تعتبر قطعة من أبعادية يتم تطويرها حسب احتياجات واشنطن.

الفلبين، ٤٥ – ١٩٥٣

حاربت المؤسسة العسكرية الأمريكية قوات هوك اليسارية، حتى عندما كانت هذه القوات لاتزال تحارب الغزاة اليابانيين في الحرب العالمية، وبعد الحرب قامت الولايات

المتحدة بتنظيم القوات المسلحة الفلبينية لمواصلة القتال ضد الهوك، وهزمهتهم هم وحركتهم الإصلاحية وتدخلت وكالة المخابرات المركزية بصورة فظة فى الانتخابات، ونصبت عددا من الرؤساء الدمى، وبلغ الأمر ذروته بديكتاتورية فيردناند ماركوس الطويلة، الذى كان التعذيب بالنسبة له هو التخصص الذى برعت فيه الدار(انظر فصل الانتخابات)،

كوريا، ٤٥ - ١٩٥٣

بعد الحرب العالمية الثانية، قمعت الولايات المتحدة التنظيمات الشعبية التقدمية، التى كانت حليفة لها أثناء الحرب ـ بقوة وحشية أحيانا ـ لصالح المحافظين الذين كانوا قد تعاونوا مع اليابانيين. ومن جراء هذا، ضاعت أفضل الفرص لتوحيد الشمال والجنوب، وأدى هذا لعصر طويل من الحكومات الفاسدة والرجعية والقاسية فى كوريا الجنوبية، وإلى التدخل العسكرى الأمريكى الضخم والملىء بجرائم الحرب فى (٥٠ - ١٩٥٣) فى " الحرب الكورية " والتى كانت بعيدة عن اعتبارها مجرد غزو من كوريا الشمالية لكوريا الجنوبية حدث ذات يوم، وهو ما جعلوا العالم يعتقده.

وفى ١٩٩٩، عرفنا أنه - بعد أن بدأت الحرب بقليل - أطلق الجنود الأمريكيون بنادقهم الرشاشة على مئات من المدنيين الذين لا حول لهم، وذلك من بين حوادث كثيرة كهذه، وقتل المئات عندما قصفت الولايات المتحدة عمدا الكبارى التى كانوا يعبرونها[٦] .

ألبانيا، ٤٩ - ١٩٥٣

عن طريق تسريب مقاتلى حرب العصابات المهاجرين، حاولت الولايات المتحدة وبريطانيا الإطاحة بالحكومة الشيوعية وإقامة حكومة جديدة موالية للغرب، وإن كانت مشكلة أساسا من الملكيين والذين تعاونوا مع الفاشيين الإيطاليين والنازيين، وفقد مئات المهاجرين أرواحهم أو جرى سجنهم.

شرقى أوروبا، ٤٨ - ١٩٥٦

حرّض آلان دالاس مدير المخابرات المركزية - فى لعبة شطرنج بارعة - مسئولا أمنيا بولنديا رفيعا ـ جوزيف سوياتلو ـ على استخدام نويل فيلد الأمريكى الذى كان

محل جدل، لنشر البارانويا بين مؤسسات الأمن فى أوروبا الشرقيــة، ممــا أدى لعدد لا يحصى من محاكمات التطهير، وسجن مئات الألوف وحدوث مائة حالة وفاة على الأقل(٧) .

ألمانيا، الخمسينيات

نسقت وكالة المخابرات المركزية حملة واسعة النطاق من عمليات التخريب والإرهاب والحيل القذرة والحرب النفسية ضد ألمانيا الشرقية، وكان هذا واحدا من العوامل التى أدت إلى بناء سور برلين فى ١٩٦١ .

كما أنشأت الولايات المتحدة جيشا مدنيا سريا فى ألمانيا وضع قائمة من ٢٠٠ شخصية قيادية من الديمقراطيين الاجتماعيين، و ١٥ من الشيوعيين وآخرين غيرهم ممن يتعين " إزاحتهم من الطريق " لو قام الاتحاد السوفيتى بغزو.

وكان لهذا الجيش المسلح نظراؤه فى كل أنحاء أوروبا الغربية كجزء من " العملية جلاديو " (عملية المصارعين) التى وضعتها وكالة المخابرات المركزية وإدارات المخابرات الأخرى، وهى لا تخضع للمساءلة عن أعمالها بموجب قوانين أى بلد. وبعد إقامة الناتو فى ١٩٤٩، وضعت عملية جلاديو تحت رعايته سرا، وكان " المصارعون " مسئولين عن كثير من أعمال الإرهاب فى أوروبا، والتى كان من أشهرها تفجير محطة سكة حديد بولونيا بالقنابل فى ١٩٨٠، مما أودى بحياة ٨٦ شخصا، وكان هدف هذه العملية الإرهابية هو إلقاء اللوم فى هذه الأعمال الفظيعة على كاهل اليسار مما يفاقم القلق العام من غزو سوفيتى وفى الوقت نفسه يشوه سمعة مرشحى اليسار فى الانتخابات، إذا كان الناتو يخشى أنه إذا وصل اليسار إلى سدّة الحكم فى أى بلد من أعضائه، فقد يصدر تشريعات قد تشكل تهديدا للناتو أو عملياته فى هذا البلد(٨) .

إيــران، ١٩٥٣

تمت الإطاحة بمصدق رئيس الوزراء فى عملية أمريكية بريطانية مشتركة، وكانت أغلبية كبيرة فى البرلمان قد انتخبت مصدق ليتولى منصبه، لكنه ارتكب غلطة مميتة بأن ترأس الحركة الداعية إلى تأميم شركة النفط المملوكة للبريطانيين ـ وهى شركة النفط الوحيدة العاملة فى إيران – وأعاد الانقلاب الشاه إلى سلطته المطلقة، واستهل فترة من القمع والتعذيب دامت ٢٥ سنة، فى حين عادت ملكية صناعة النفط إلى الأجانب، وحصلت الولايات المتحدة وبريطانيا على ٤٠ فى المائة لكل منهما.

جواتيمالا، ١٩٥٣ - التسعينيات

اختصر ديف بارى بظرفه المعهود مبدأ مونرو إلى ثلاث قواعد بسيطة : ١) الدول الأخرى غير مسموح لها بالتدخل فى الشئون الداخلية للدول الواقعة فى نصف الكرة هذا. ٢) لكننا نحن مسموح لنا بهذا. ٣) ها ها ها ".

فقد أطاح انقلاب نظمته وكالة المخابرات المركزية بحكومة جاكوبو اربنز التقدمية والمنتخبة ديمقراطيا، واستهل فترة امتدت ٤٠ سنة من سرايا الموت العسكرية الحكومية، والتعذيب، والاختفاء، والإعدام الجماعى والقسوة التى لا يمكن تخيلها، بما شمل إجمالا ٢٠٠ ألف ضحية، ويمثل ذلك بلا جدال واحدا من أشد الفصول اللاإنسانية فى القرن العشرين، وكان مبرر الانقلاب الذى قدم على مرّ السنين هو أن جواتيمالا كانت على شفا الوقوع فى أيدى السوفيت وهو التعبير المشهور. والواقع أن اهتمام الروس بهذا البلد كان ضئيلا لحدّ أنهم لم يقيموا معه حتى علاقات دبلوماسية، وكانت المشكلة الحقيقية هى أن اربنز استولى على الأراضى غير المزروعة التابعة لشركة الفواكه المتحدة الأمريكية، والتى كانت تربطها علاقات وثيقة مع صفوة السلطة الأمريكية، وبالإضافة لذلك كان هناك من وجهة نظر واشنطن خطر انتشار النموذج الديمقراطى الاجتماعى لجواتيمالا إلى بلدان أخرى فى أمريكا اللاتينية.

وعلى الرغم من إبرام اتفاق " سلام " بين الحكومة والمتمردين فى ١٩٩٦، ظل احترام حقوق الإنسان مجرد مفهوم فى جواتيمالا؛ وواصلت سرايا الموت عملها بقدر كبير من الحصانة من العقاب ضد النشطاء النقابيين وغيرهم من المنشقين، ولايزال التعذيب يشب برأسه القبيح، ولاتزال الطبقات الدنيا بائسة كما كانت دوما، والمؤسسة العسكرية باقية كمؤسسة مرعبة، وتواصل الولايات المتحدة تسليح وتدريب المؤسسة العسكرية فى جواتيمالا وإجراء التدريبات معها، ولم يتم تنفيذ الأحكام الأساسية لاتفاق السلام المتعلقة بالإصلاح العسكرى[٩] .

كوستاريكا، منتصف الخمسينيات،٧٠ - ١٩٧١

يعتبر القادة السياسيون الليبراليون الأمريكيون، الرئيس خوسيه فيجويرس " الديمقراطى الليبرالى " المثالى، والنوع من رجال الدولة الذى أحبوا أن يعتقدوا- وأحبوا أن يعتقد العالم - أنه الشريك الطبيعى للسياسة الخارجية الأمريكية بدلا من

الحكام الديكتاتورين العسكريين التى استمروا على نحو ما يتفتقون فجأة باعتبارهم حلفاء. ومع ذلك فقد حاولت الولايات المتحدة الإطاحة بفيجويرس (فى الخمسينيات، وربما أيضا فى السبعينيات عندما أصبح رئيسا مرة أخرى) وحاولت اغتياله مرتين. فما السبب ؟ إن فيجويرس لم يكن عنيفا بما يكفى مع اليسار، وجعل كوستاريكا تصبح أول بلد فى أمريكا الوسطى تقيم علاقات ديبلوماسية مع الاتحاد السوفيتى فى أوروبا الشرقية، وإنه كان يتشكك أحيانا فى السياسة الخارجية الأمريكية، مثلما حدث عند غزو خليج الخنازير.

الشرق الأوسط، ٥٦ – ١٩٥٨

كان مبدأ إيزنهاور ينص على أن الولايات المتحدة " مستعدة لاستخدام القوات المسلحة لمساعدة أى بلد فى الشرق الأوسط " يطلب المساعدة لمواجهة عدوان خارجى من أى بلد تسيطر عليه الشيوعية الدولية " وكانت ترجمة ذلك هى أنه لن يسمح لأحد أن يسيطر أو يكون له نفوذ زائد على الشرق الأوسط وحقول النفط فيه إلا الولايات المتحدة، وأن أى شخص يحاول ذلك يكون " شيوعيا " بحكم ذلك التعريف. واتساقا مع هذه السياسة حاولت الولايات المتحدة مرتين الإطاحة بالحكومة السورية، ونظمت عدة استعراضات للقوة فى البحر المتوسط لترويع الحركات المعارضة للحكومات التى تؤيدها الولايات المتحدة فى الأردن ولبنان، وأنزلت ١٤ ألف جندى فى لبنان، وتآمرت للإطاحة بعبد الناصر فى مصر واغتياله للتخلص من دعوته القومية المثيرة للمتاعب فى الشرق الأوسط .

إندونيسيا، ٥٧ – ١٩٥٨

كان سوكارنو ـ مثل عبد الناصر ـ من نوع قادة العالم الثالث الذى لا تستطيع الولايات المتحدة تحمله، وطنى يخدم المصلحة القومية الخطأ، وتبنى سياسة الحياد فى الحرب الباردة بصورة جادة، وقام برحلات إلى الاتحاد السوفيتى والصين وكذلك إلى البيت الأبيض، وأمم ممتلكات خاصة عديدة لهولندا ـ السلطة الاستعمارية السابقة ـ ورفض أن يتخذ إجراءات قمعية ضد الحزب الشيوعى الأندونيسى، الذى كان يسير على الطريق القانونى والسلمى ويحقق مكاسب مدهشة فى الانتخابات ، وكانت مثل هذه السياسات تستطيع بسهولة أن توعز لقادة آخرين فى العالم الثالث " بأفكار

خاطئة ". وهكذا بدأت وكالة المخابرات المركزية فى بعثرة الأموال فى الانتخابات، وخططت لاغتيال سوكارنو، وحاولت ابتزازه بفيلم جنسى زائف، وضمت قواها إلى الضباط العسكريين المنشقين لشن حرب شاملة على الحكومة، بما فى ذلك إلقاء الطيارين الأمريكيين للقنابل، وقد نجا سوكارنو من كل هذا.

هاييتى، ١٩٥٩

استخدمت البعثة العسكرية الأمريكية - التى كانت موجودة فى هاييتى لتدريب قوات الدكتاتور الشهير فرانسوا دوفالييه - قوتها الجوية والبحرية والبرية لسحق محاولة للإطاحة بدوفالييه قامت بها مجموعة صغيرة من أهل هاييتى، يساعدهم بعض الكوبيين وغيرهم من أهل أمريكا اللاتينية.

أوروبا الغربية، الخمسينيات ـــ الستينيات

طوال عقدين، استخدمت وكالة المخابرات المركزية عشرات من المؤسسات والاتحادات الخيرية الأمريكية وما شابه ذلك، وكانت قلة منها من ابتكارها، كقنوات لدفع الأموال لكل ضروب المنظمات فى أوروبا الغربية. وكان المستفيدون من هذا السخاء هم الأحزاب السياسية والمجلات، ووكالات الأنباء، واتحادات الصحفيين وغيرهم والمنظمات العمالية، ومجموعات الطلاب والشباب، وروابط المحامين ومشروعات أخرى، وجميعها مستقلة على نحو حريص، لكنها كانت مع ذلك تخدم جدول أعمال واشنطن للحرب الباردة والعداء للشيوعيين والاشتراكيين، وهو جدول أعمال شمل أيضا أوروبا المتحدة والتى تمت عسكرتها والمتحالفة مع (والخاضعة لسيطرة) الولايات المتحدة، ودعم السوق المشتركة والناتو، وكل ذلك يشمل جزءا من حصن مقاومة التهديد السوفيتى المفترض.

غينيا/ غيانا البريطانية، ٣٥ - ١٩٥٤

جعلت الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى الحياة جدّ صعبة بالنسبة للزعيم المنتخب ديمقراطيا، (تشيدى جاجان)، وطردته فى النهاية من منصبه (انظر الفصل الخاص بالانتخابات)، وكان جاجان قائدا آخر من قادة العالم الثالث استحق غضب واشنطن لمحاولته أن يظل مستقلا ومحايدا، ورغم أنه كان يساريا أكثر من سوكارنو وأربنز، فإن سياسته أثناء توليه منصبه لم تكن ثورية، ومع ذلك ظل مستهدفا، لأنه كان

يمثل أكبر مصدر للخوف تخشاه واشنطن : بناء مجتمع يمكن أن يشكل نموذجا ناجحا بدلا للنموذج الرأسمالى. وقد أصدر جون كنيدى أمرا مباشرا بإزاحته، مثلما فعل أيزنهاور كما هو مفترض.

وبحلول الثمانينيات أصبحت غيانا التى كانت من أكثر البلدان غنى فى المنطقة فى ظل جاجان، واحدة من أكثر البلدان فقرا، وأصبح البشر هم صادراتها الرئيسية.

العراق، ٥٨ - ١٩٦٣

فى يوليو ١٩٥٨، أطاح اللواء عبد الكريم قاسم بالملكية وأقام جمهورية، ورغم أنه كان إصلاحيا، فإنه لم يكن راديكاليا بأى حال من الأحوال، بيد أن أعماله أثارت حماسا ثوريا لدى الجماهير الحاشدة وزادت من نفوذ الحزب الشيوعى العراقى. وبحلول شهر أبريل من العام التالى، كان آلان دالاس مدير وكالة المخابرات المركزية بغلوّه المألوف يخبر الكونجرس بأن الشيوعيين العراقيين أصبحوا قاب قوسين من " السيطرة الكاملة " وأن الوضع فى ذلك البلد كان هو " الأخطر فى العالم حاليا "[١٠] . والواقع أن قاسم كان يهدف إلى أن يكون محايدا فى الحرب الباردة ولم تكن سياسته تجاه الشيوعيين العراقيين متسقة وتسير على منوال واحد، ولم يسمح لهم مطلقا بالتمثيل الرسمى فى وزارته، ولا بالشرعية الكاملة، رغم أنهم كانوا يرغبون فى كلا الأمرين بشدة، وقد حاول الاحتفاظ بالسلطة باستغلال الشيوعيين لمواجهة المجموعات الإيديولوجية الأخرى[١١] .

ووضعت رئاسة الأركان الأمريكية خطة لغزو أمريكى تركى للبلاد بعد انقلاب ١٩٥٨ بوقت قصير، وقد ورد أن التهديدات السوفيتية بالتدخل إلى جانب العراق وحدها هى التى أجبرت واشنطن على التراجع، ولكن فى ١٩٦٠، بدأت الولايات المتحدة فى تمويل فرق حرب العصابات الكردية فى العراق والتى كانت تحارب من أجل تحقيق قدر من الاستقلال الذاتى[١٢] . وقامت وكالة المخابرات المركزية بمحاولة لاغتيال قاسم لم تنجح[١٣] . وجعل الزعيم العراقى من نفسه هدفا مطلوبا بدرجة أكبر، عندما بدأ فى نفس تلك السنة يساعد فى إنشاء منظمة الدول المصدرة للبترول التى تحدت شركات النفط الغربية ذات القبضة الخانقة على تسويق النفط العربى، وأنشأ فى ١٩٦٢ شركة وطنية للنفط لاستغلال نفط البلاد.

وفى فبراير ٣٦٩١ أخبر قاسم الجريدة الفرنسية اليومية، لوموند، بأنه تلقى مذكرة من واشنطن - " بعبارات نادرا ما كانت مستترة - تدعونى لتغيير موقفى، تحت التهديد بفرض عقوبات على العراق ، لقد بدأت كل متاعبنا مع الإمبرياليين (الولايات المتحدة والمملكة المتحدة) فى اليوم الذى طالبنا فيه بحقوقنا المشروعة فى الكويت "[١٤] . (كانت الكويت عنصرا أساسيا فى مخططات الولايات المتحدة والمملكة المتحدة للسيطرة على نفط الشرق الأوسط). وبعد بضعة أيام قليلة من نشر ملاحظات قاسم، تمت الإطاحة به في انقلاب وجرى إعدامه بسرعة، وجرى قتل آلاف من الشيوعيين، وسرعان ما أبلغت وزارة الخارجية الصحافة بسرورها من أن النظام الجديد سيحترم الإتفاقيات الدولية وأنه ليس مهتما بتأميم شركة البترول العراقية، التى كانت الولايات المتحدة من ملاكها الرئيسيين[١٥] ، كما هدأت الحكومة الجديدة مطالبها بشأن الكويت، على الأقل فى الظروف القائمة.

وكشفت أوراق للوزارة البريطانية فى ١٩٦٣- تم رفع السرية عنها - أن الانقلاب حظى بمساندة البريطانيين ووكالة المخابرات المركزية[١٦] .

الاتحاد السوفيتى، الأربعينيات ـ الستينيات

سرّبت الولايات المتحدة مئات كثيرة من المهاجرين الروس إلى الاتحاد السوفيتى لجمع الاستخبارات عن المنشآت العسكرية والتكنولوجية، والقيام بالاغتيالات، والحصول على عينات من وثائق تحقيق الشخصية، ومساعدة عملاء الغرب على الهرَب، والمشاركة فى عمليات التخريب، مثل إخراج القطارات عن القضبان، وإتلاف الكبارى، والقيام بعمليات ضد مصانع السلاح ومحطات القوى، أو التحريض على شن صراع سياسى مسلح ضد الحكم الشيوعى بالتعاون مع حركات المقاومة، كما كانت هناك حملة دعاية هائلة معادية للسوفيت نظمتها وكالة المخابرات المركزية، كشف عنها النشر السرى لما يزيد على ألف كتاب باللغة الانجليزية - لعدد من المؤلفين المشهورين - تم توزيعها فى كل أنحاء العالم، وكذلك مئات أخرى من الكتب نشرت باللغات الأجنبية.

فيتنام، ٤٥ - ١٩٧٣

" إن ما نفعله فى فيتنام هو أن نجعل الرجل الأسود يقتل الرجل الأصفر حتى يستطيع الرجل الأبيض الاحتفاظ بالأرض التى أخذها من الرجل الأحمر ". ديك جريجورى

وقـد بدأ المنحـدر المنزلق عندمـا أخـذت الولايات المتحـدة جـانب الفـرنسـيين المستعمرين السابقين، والخونة المتعاونين مع اليابانيين، ضد هوشى منه وأنصاره، والذى كان قد تعاون بصورة وثيقة مع المجهود الحربى للحلفاء وكان يعجب بكل ما هو أمريكى. لقد كان هوشى منه، فى نهاية المطاف، " شيوعيا " على نحو ما (واحدا ممن يثيرون الانزعاج)، وكان قد كتب عدة رسائل إلى الرئيس ترومان ووزارة الخارجية يطلب فيها مساعدة أمريكا لكى تحصل فيتنام على استقلالها من الفرنسيين وإيجاد حلّ سلمى لبلاده، وتم تجاهل كل تضرعاته، لأنه كان شيوعيا على نحو ما. وقد صاغ هوشى منه إعلان استقلال فيتنام الجديد على غرار نموذج الاستقلال الأمريكى، وبدأه بعبارة " لقد خلق الناس جميعا متساويين .. وقد وهبهم الخالق ".. لكن ذلك لم يكن يساوى شيئا فى واشنطن، لقد كان هوشى منه شيوعيا على نحو ما.

وبعد أكثر من عشرين سنة وبعد أكثر من مليون قتيل، سحبت الولايات المتحدة قواتها العسكرية من فيتنام. ويعتقد معظم الناس أن الولايات المتحدة خسرت الحرب، لكن واشنطن بتدميرها فيتنام حتى أعماقها، وبتسميمها للأرض والمياه والمجمع الوراثى لأجيال قادمة، حققت فى واقع الأمر هدفها الأولى " منع ما كان يمكن أن يشكل صعودا لخيار طيب من التنمية فى آسيا " لقد كان هوشى منه فى نهاية المطاف، شيوعيا من نوع ما.

كمبوديا، ٥٥ – ١٩٧٣

كان الأمير سيهانوك قائدا آخر لم يولع بأن يكون تابعا لأمريكا، وبعد سنوات كثيرة من العداء لنظامه بما فى ذلك مؤامرات للاغتيال وخطة نيكسون كيسنجر سيئة السمعة " لقصف يغطى البلاد كسجادة " فى ٦٩ – ١٩٧٠، أطاحت واشنطن فى النهاية بسيهانوك فى انقلاب تم فى عام ١٩٧٠، وكان هذا هو كل المطلوب لدفع بول بوت وقوات الخمير الحمر التابعة له للدخول فى النزاع، وبعد خمس سنوات، استولوا على السلطة، لكن سنوات القصف الأمريكى أدت إلى تهاوى اقتصاد كمبوديا التقليدى، وتم تدمير كمبوديا القديمة للأبد.

والأمر الذى يصعب تصديقه أن الخمير الحمر تسببوا فى بؤس أكبر لهذه البلاد التعيسة، ومما فاقم المفارقة، أن الولايات المتحدة ساندت بول بوت والخمير الحمر بعد هزيمة الفيتناميين لهم بعد ذلك (انظر الفصل عن " بول بوت ").

لاوس، ٥٧ - ١٩٧٣

حاول اليسار فى لاوس ـ بقيادة الباثيت لاو ـ إتمام التغيير الاجتماعى سلميا، وحقق مكاسب انتخابية ضخمة وشارك فى حكومات ائتلافية، ولكن الولايات المتحدة لم ترض عن هذا، ودبرت وكالة المخابرات المركزية ووزارة الخارجية باستخدام القوة والرشوة وغير ذلك من الضغوط، انقلابات فى ١٩٥٨ و ١٩٥٩ و ١٩٦٠، وفى النهاية كان الخيار الوحيد الذى ترك للباثيت لاو، هو القوة المسلحة. وأنشأت وكالة المخابرات المركزية جيشها السرى الشهير، وبلغ مجموعه ٣٠ ألف جندى جاءوا من كل أنحاء آسيا لخوض المعركة، فى حين أمطرت القوات الجوية الأمريكية فيما بين ١٩٦٥ و ١٩٧٣، شعب لاوس بما يربو على مليونى طن من القنابل، وأجبر الكثير من أبنائه على العيش فى الكهوف سنوات طويلة فى محاولة يائسة للهروب من هول الصواعق النازلة من السماء. وبعد قتل مئات الألوف وتشويه أعداد أكبر من ذلك وقصف عدد لا يحصى من القرى بحيث لم يبق حجر على حجر، سيطرت الباثيت لاو على البلاد، وسارت الأحداث على غرار ما جرى فى فيتنام.

تايلند، ٦٥ - ١٩٧٣

فى حين استخدمت المؤسسة العسكرية الأمريكية هذا البلد لتيسير قصفها اليومى لفيتنام ولاوس بالقنابل، فقد توافر لها الوقت اللازم لمحاولة قمع المتمردين الذين كانوا يقاتلون من أجل الإصلاح الاقتصادى، ووضع حد لقمع الشرطة ومعارضة الوجود العسكرى الأمريكى المستفحل بقواعده الجوية الضخمة وأرصفته البحرية وثكناته ومشروعاته لبناء الطرق وغيرها من المشروعات الكبيرة، والتى كانت على ما يبدو تفكك أوصال البلاد وتسيطر عليها. وفى النهاية وصل عدد العسكريين الأمريكيين فى تايلند إلى ٤٠ ألف جندى إلى جانب أولئك الذين اشتركوا فى النزاع المدنى ـ بما فى ذلك ٣٦٥ من قوات البيريهات الخضراء - والذين كانوا من الناحية الرسمية يسمون المستشارين مثلما حدث فى فيتنام.

ولمحاربة فرق حرب العصابات مولت الولايات المتحدة وسلحت وجهزت ودربت الشرطة والوحدات العسكرية على مقاومة التمرد، وزادت أعدادها بصورة كبيرة، ونقلت قوات الحكومة بطائرات الهليكوبتر إلى مناطق القتال، وكانت موجودة في الميدان، بمستشاري الكتائب كما صحبت القوات التايلندية أحيانا إلى عمليات الاكتساح المناوئة لفرق حرب العصابات. وبالإضافة لذلك، استهل الأمريكيون أنشطة ضخمة للحرب الدعائية والنفسية، وشجعت أمريكا عمليا الحكومة التايلندية على تبني موقف أكثر عنفا(١٧) ، بيد أن النزاع في فيتنام والدور الأمريكي فيه، لم يقاربا مطلقا ما حدث في فيتنام.

وفي ١٩٦٦، أوردت الواشنطن بوست أنه " في رأي بعض المراقبين، أن استمرار الديكتاتورية في تايلند يناسب الولايات المتحدة، حيث إنه يضمن استمرار القواعد الأمريكية في البلاد، وهذا – كما قال مسئول أمريكي بصورة فظة – هو محط اهتمامنا الحقيقي في هذا البلد "(١٨) .

الاكــــوادور

مكن اختراق كل الإدارات الحكومية تقريبا، حتى بما في ذلك المنصبان الثاني والثالث في السلطة، إلى جانب الاستخدام المفرط للحيل القذرة، وكالة المخابرات الأمريكية من الإطاحة بالرئيس خوسيه ماريا فيلاسكو بسبب رفضه مسايرة سياسة الولايات المتحدة تجاه كوبا ولأنه لم ينقض بقسوة على اليسار المحلي، وعندما رفض بديله هو أيضا قطع العلاقات مع كوبا، قدم له قائد عسكري على جدول مرتبات وكالة المخابرات المركزية إنذارا، أذعن له.

الكونغو زائير، ٦٠ – ١٩٦٥ ، ٧٧ – ١٩٧٨

في يونيو ١٩٦٠، أصبح باتريس لومومبا ـ بصورة قانونية ورسمية ـ رئيس وزراء الكونغو بعد الاستقلال عن بلجيكا، وفي احتفالات يوم الاستقلال دعا لومومبا أمام حشد من كبار الشخصيات الأجنبية إلى تحرر البلاد الاقتصادي والسياسي أيضا، وعدد قائمة من المظالم التي ارتكبها ملاك البلاد البيض ضد أبناء الكنغو الأصليين، كان من الواضح أن الرجل " شيوعي ". وكان من الواضح أنه مدان خاصة وأن بلجيكا كانت تحتفظ بثروتها المعدنية الهائلة في إقليم كاتنجا، وكان لمسئولين بارزين في إدارة إيزنهاور علاقات مالية بنفس الثروة.

وبعد أحد عشر يوما، انفصلت كاتنجا، وفى شهر سبتمبر أقال رئيس الجمهورية لومومبا بتحريض من الولايات المتحدة، وتم اغتياله فى يناير ١٩٦١ بمشاركة من وكالة المخابرات المركزية، بعد أن طلب إيزنهاور أن يرحل لومومبا من هذه الحياة، وأعقبت ذلك سنوات طويلة من الصراع الأهلى والفوضى ووصول موبوتو سيسيسكو، الذى لم يكن غريبا على وكالة المخابرات المركزية، للسلطة فى ١٩٦٥ . واستمر موبوتو يحكم البلد (الذى أعيدت تسميته إلى زائير)، لأكثر من ٣٠ عاما، بمستوى من الفساد والقسوة صدم حتى مدربيه فى وكالة المخابرات المركزية، وعاش شعب زائير فى فقر مدقع رغم الثروة الطبيعية غير العادية للبلاد، فى حين أصبح موبوتو مالكا لمليارات كثيرة من الدولارات.

وفى كل من ١٩٧٧ و ١٩٧٨، أغدقت إدارة كارتر المعونات العسكرية الضخمة على زائير، بما فى ذلك نقل قوات مغربية جوا لمساعدة موبوتو على قمع انتفاضات التمرد والبقاء فى السلطة. وقد لاحظ الرئيس جورج بوش فيما بعد أن موبوتو كان " أفضل صديق لنا فى أفريقيا "[١٩] .

فرنسا/ الجزائر، الستينيات

من الواضح أن وكالة المخابرات المركزية قد ساندت انقلابا عسكريا فرنسيا فى الجزائر لمنع استقلال هذا البلد، وذلك لمواجهة تصميم الرئيس الفرنسى شارل ديجول على منحه الاستقلال. فقد كانت الولايات المتحدة تشعر بالقلق من أن تقوم فى الجزائر المستقلة حكومة " شيوعية "، كما كانت واشنطن تأمل فى أن تسقط انعكاسات هذا ديجول، الذى كان يمثل عقبة كئودا أمام خطط الولايات المتحدة للهيمنة على الناتو. وبعد ذلك بسنوات قليلة، بينت الأدلة أن وكالة المخابرات المركزية كانت متورطة فى مؤامرة تم إحباطها لاغتيال الرئيس الفرنسى.

البرازيل، ٦١ - ١٩٦٤

تم توجيه الاتهام للرئيس خواو جولارت بأنه مذنب بارتكاب الجرائم المألوفة: اتخذ موقفا مستقلا فى السياسة الخارجية، استأنف العلاقات مع البلاد الاشتراكية وعارض فرض العقوبات على كوبا، وأصدرت إدارته قانونا يحد من مقادير الأرباح التى تستطيع الشركات متعددة الجنسيات إرسالها خارج البلاد، وتأميم شركة تابعة لشركة

آى تى تى وتشجيع الإصلاح الاقتصادى والاجتماعى. ولم يكن روبرت كنيدى المدعى العام مستريحا لسماح جولارت " للشيوعيين " بتولى مناصب فى الإدارات الحكومية، ومع ذلك فلم يكن الرجل راديكاليا، لقد كان من ملاك الأراضى وأصحاب الملايين وكاثوليكيا يرتدى ميدالية العذراء حول عنقه، بيد أن ذلك لم يكن كافيا لإنقاذه، وتمت الإطاحة به فى ١٩٦٤ فى انقلاب عسكرى بمشاركة أمريكية سرية وبدعم أمريكى لا غنى عنه. وكان الخط الرسمى لواشنطن هو... نعم، لسوء الحظ أن الديمقراطية تمت الإطاحة بها فى البرازيل، ولكن مع ذلك تم إنقاذ البلد من الشيوعية.

وخلال الخمسة عشرة عاما التالية، تم إضفاء طابع مؤسسى على كل سمات الديكتاتورية العسكرية التى ألفتها وأحبتها أمريكا اللاتينية : تم إغلاق البرلمان، وتقليص المعارضة السياسية لحد الخمود، وتعليق التحقيق والمحاكمة عن " الجرائم السياسية "، وتحريم انتقاد الرئيس بموجب القانون، وسيطرة جهات التدخل الحكومية على اتحادات العمال، وتصدى الشرطة للاحتجاجات المتصاعدة وقيام الجيش بإطلاق النيران على الحشود، وإحراق بيوت الفلاحين وهدمها، ومعاملة القسس بوحشية، وكانت هناك حالات اختفاء، وسرايا الموت، ودرجة غير عادية من الفسوق فى التعذيب، وكان لدى الحكومة اسم تطلقه على برنامجها : " إعادة التأهيل الأخلاقى " للبرازيل.

وكانت واشنطن جد سعيدة بذلك، وقطعت البرازيل علاقاتها مع كوبا وأصبحت من أكثر حلفاء الولايات المتحدة جدارة بالثقة فى أمريكا اللاتينية.

بيــرو، ١٩٦٥

أقامت المؤسسة العسكرية الأمريكية " نموذجا مصغرا لفورت براج " فى أدغال بيرو وشرعت فى إبادة عدة مجموعات من قوات حرب العصابات، التى ثارت للتصدى للفقر عميق الجذور الذى كبل الحشود فى بيرو.

الجمهورية الدومينيكية، ٦٣ - ١٩٦٥

فى فبراير ١٩٦٣، تولى خوان بوش منصبه كأول رئيس منتخب بصورة ديمقراطية فى الجمهورية الدومينيكية منذ ١٩٢٤، وبذا تحققت هنا وفى نهاية المطاف ليبرالية جون كنيدى المعادية للشيوعية، والتى ترد على اتهام الولايات المتحدة بأنها لا تساند سوى الديكتاتوريات العسكرية، وكان من المفترض أن تكون حكومة بوش

" فاترينة عرض الديمقراطية " التى طال انتظارها لكى تفضح زيف كاسترو، وكان يعامل أفضل معاملة فى واشنطن قبل توليه منصبه بقليل.

ولخيبة أمل واشنطن، كان بوش صادقا مع معتقداته، فقد دعا للإصلاح الزراعى، وتخفيض إيجارات المساكن، والتأميم المتواضع لمشروعات الأعمال، والسماح بالاستثمار الأجنبى بشرط ألا يكون مفرطا فى استغلال البلاد وغير ذلك من السياسات التى تشكل برنامج أى زعيم ليبرالى فى العالم الثالث جاد بشأن التغيير الاجتماعى، وبالمثل كان جادا بشأن الشئ الذى يسمى الحريات المدنية، فلا يتم اضطهاد ومحاكمة " الشيوعيين "، أو من يوصفون بذلك، إلا إذا انتهكوا القانون.

وأعرب عدد من المسئولين الأمريكيين وأعضاء الكونجرس عن ارتياحهم لخطط بوش، وكذلك موقفه المستقل تجاه الولايات المتحدة، لكن الإصلاح الزراعى والتأميم مسألة حساسة للغاية دوما فى واشنطن، وانطلق الحديث المعهود عن " الشيوعية الزاحفة ". وتعرض بوش الذى وصفته عدة أوساط فى الصحافة الأمريكية بأنه أحمر، لهجمات ضارية.

وفى سبتمبر، تحركت مسيرة الأحذية العسكرية، وتمت الإطاحة ببوش، ولم تفعل شيئا الولايات المتحدة التى كانت تستطيع أن تحبط أى انقلاب فى أمريكا اللاتينية بمجرد التجهم، (وأحدث مظاهر هذا ما جرى فى اكوادور فى يناير ٢٠٠٠، حيث تم إبطال انقلاب عسكرى بصورة فورية تقريبا بعد بضعة اتصالات من المسئولين فى واشنطن).[٢٠]

وبعد تسعة عشر شهرا، انفجرت فى أبريل ١٩٦٥، ثورة شعبية واسعة النطاق، كانت تبشر بإعادة بوش المنفى إلى السلطة، لكن الولايات المتحدة أرسلت ٢٣ ألف جندى لسحقها.

كوبا، ١٩٥٩ وحتى الآن

إن شعار وكالة المخابرات المركزية هو : " إننا نفخر بأننا نطيح بفيدل كاسترو منذ ١٩٥٩ ".

لقد وصل كاسترو للسلطة فى بداية ١٩٥٩ . ومنذ فترة مبكرة ترجع إلى ١٠ مارس عقد اجتماع لمجلس الأمن القومى الأمريكى تضمن جدول أعماله بحث إمكانية

الإتيـان " بحكومـة أخـرى للسلطة فى كـوبا "، وأعـقب ذلك ٤٠ عـامـا من الهـجـمـات الإرهابية وتفجير القنابل والغزو العسكرى الكامل، والعقوبات والحظر والعزل والاغتيال. لقد قامت كوبا بثورة لا تغتفر، تمثل تهديدا خطرا فى أن ترسى " نموذجا طيبا " فى أمريكا اللاتينية.

والجانب الأكثر مدعاة للحزن فى هذا هى أن العالم لن يعرف مطلقا أى نوع من المجتمع كان سيقوم فى كوبا لو تركت لشأنها، وإن لم تكن دوما تحت تهديد المدافع والغزو، ولو كان قد سمح لها بأن ترخى قبضتها فى الداخل. فقد توافرت لها النزعة المثالية والرؤية والموهبة والنزعة الأممية، لكننا لن نعرف أبدا ما كان سيحدث، وبالطبع كانت هذه هى الفكرة.

ويقـول منتـقـدو الحكومـة الكوبيـة : أنهـا ترى وكـالة المخـابرات المركـزية وراء كل مشكلة، والواقع أن الوكالة وراء نصف المشاكل فقط، والمشكـلة هـى أن الحـكـومـة لا تستطيع أن تحدد أى النصفين.

أندونيسـيا، ١٩٦٥

أسفرت سلسلة معقدة من الأحداث، شملت محاولة انقلاب مدعاة وانقلابا مضادا، وربما انقلابا مضادا للانقلاب المضاد، مع وجود بصمات الأصابع الأمريكية ظاهرة فى كل المراحل، عن إزاحـة سـوكـارنو عن السلطة وإحـلال الجنرال سـوهارتـو مـحلـه، هو والمؤسسة العسكرية الأندونيسية، المرتبطة بالمؤسسة العسكرية الأمريكية بصورة وثيقة. وقد أسمت النيويورك تايمز المذبحة التى بدأت على الفور عندئذ للشيوعيين، والمتعاطفين مع الشيوعيين، والمشتبه بأنهم شيوعيون والمشتبه فى أنهم متعاطفون مع الشيوعيين، ومن ليسـوا من كل هؤلاء، " واحـدة من أشـد المذابح وحـشـيـة فى التـاريخ السـيـاسى الحديث ". وتبـدأ تقديرات عـدد من قـتلوا فى خـلال بضـع سنوات قليلة بنصف مليـون لترتفع إلى مليون.

وقد عرف فيما بعـد أن سفـارة الولايـات المتحـدة كانـت قـد صنـفت قوائم " بالشيوعيين "، من أعلى المستويات حتى كوادر القرى، ضمت ما يصل إلى ٥ آلاف اسم، وقـدمـتـهـا إلى الجـيش، الذى طارد هؤلاء الأشـخـاص وقـتلهم. وعندئذ قـام الأمريكيون بشطب أسماء من قتلوا أو أسروا، وقال أحد الدبلوماسيـين الأمريكـيين :

" لقد كانت حقا مساعدة كبيرة للجيش. ربما قتلوا كثيرين من الأشخاص، وربما تلطخ يداى دماء كثيرة، لكن ذلك ليس أمرا سيئا على الإطلاق، فهناك وقت يتعين أن تضرب بشدة فى اللحظة الحاسمة ".

غانـــا، ١٩٦٦

عندما حاول قوامى نكروما تقليل اعتماد بلاده على الغرب بتدعيم الروابط العسكرية والاقتصادية مع الاتحاد السوفيتى، والصين وألمانيا الشرقية، كتب نهايته بالفعل. وأرسل انقلاب عسكرى تسانده وكالة المخابرات المركزية بالزعيم الأفريقى للمنفى، الذى لم يعد منه أبدا . وقد كشفت وثيقة للوكالة رفعت عنها السرية فى ١٩٧٧، أن الوكالة كانت على اتصال وثيق مع المتآمرين العسكريين وأنها كانت تقدم تقارير لواشنطن طوال عام عن خطط العسكريين للإطاحة بنكروما، وكان آخر تقرير من هذا النوع قبل الانقلاب بيوم واحد. وليس هناك أى دليل على أن الوكالة أخطرت نكروما فى أى وقت بهذه المؤامرات[٢١] .

أورجـــواى، ٦٩ – ١٩٧٢

كانت الستينيات هى عصر التوبا ماروس، والتى ربما كانت أقل فرق حرب العصابات الحضرية عنفا وأكثرها مهارة وأوسعها حيلة وأشدها شبها بروبين هود، التى شهدها العالم فى أى وقت، كانوا أطيب وأفضل من أن يسمح لهم بالبقاء، فوصل فريق أمريكى لتزويد الشرطة بالأسلحة والمركبات ومعدات الاتصال، الخ التى كانت فى حاجة إليها، ولتدريبها على تقنيات الاغتيال والتفجيرات وتعليمها أساليب الاستجواب باستخدام التعذيب وإقامة إدارة للاستخبارات تستخدم سرايا الموت. لقد كانت حربا شاملة ضد التوبا ماروس وأى أشخاص يشتبه فى تعاطفهم معها، وخسرت التوبا ماروس.

وفى ١٩٨٨، ذكر إيلاديو مول العميد فى بحرية أوروجواى ورئيس المخابرات السابق - فى شهادة أمام لجنة مجلس النواب بأورجواى - أنه خلال " الحرب القذرة " فى أورجواى (٧٢– ١٩٨٣)، جاءت الأوامر من واشنطن بشأن أسرى التوبا ماروس، وأضاف مول " كانت التعليمات الواردة من الولايات المتحدة بشأن ما يتعين عمله بالنسبة لأسرى فرق حرب العصابات، هى الحصول منهم على المعلومات، وبعد ذلك، فإنهم لا يستحقون الحياة "[٢٢] .

شيلــى، ٦٤ - ١٩٧٣

كان سلفادور الليندى يمثل أسوأ سيناريو بالنسبة لصفوة السلطة فى واشنطن، فمن يمكنه أن يتصور شيئا أسوأ من وجود شخص ماركسى فى السلطة، ماركسى منتخب فى السلطة، شخص يحترم الدستور وتزداد شعبيته. لقد هز هذا أحجار الأساس التى شيد عليها برج العداء للشيوعية : المبدأ الذى تم ترسيخه باجتهاد طول عقود كثيرة، والقائل بأن " الشيوعيين " لا يمكن أن يستولوا على السلطة إلا باستخدام القوة والخداع، وإنهم لا يمكن أن يحتفظوا بهذه السلطة إلا من خلال إرهاب السكان وغسل عقولهم.

وبعد أن خربت وكالة المخابرات المركزية سعى الليندى لانتخابه فى ١٩٦٤، وفشلها فى أن تفعل هذا فى ١٩٧٠ رغم بذلها قصارى جهودها، لم تترك الوكالة وبقية ماكينة السياسة الخارجية الأمريكية حجرا على حجر دون قلبه فى محاولة لزعزعة استقرار حكومة الليندى خلال السنوات الثلاث التالية، مع إيلاء اهتمام خاص لتقويض الاقتصاد وزيادة كراهية العسكريين للنظام. وأخيرا أطاح العسكريون بقيادة الجنرال بينوشيه بالحكومة فى سبتمبر ١٩٧٣، ومات الليندى خلال هذه العملية.

وأغلقوا البلاد وقطعوا اتصالاتها بالعالم الخارجى لمدة أسبوع، فى حين كانت الدبابات تذرع الشوارع والجنود يحطمون الأبواب، وترددت فى أرجاء الإستاد أصوات عمليات الإعدام وتكدست الجثث على امتداد الشوارع وطفت فى الأنهار، وفتحت مراكز التعذيب لتقوم بعملها، وتم تدريب الكلاب على التحرش الجنسى بالنساء السجينات وأطلق لها العنان، وكان الجنود يشقون طوليا أرجل بنطلونات النساء، ويصيحون قائلين : "فى شيلى النساء تلبسن أثوابا !"؛ وعاد الفقراء إلى حالة الطبيعة، وفتح سادة العالم فى واشنطن وفى قاعات التمويل الدولية دفاتر شيكاتهم، وفى النهاية تم إعدام ما يزيد على ٣٠٠٠ شخص، واختفى آلاف آخرون وجرى تعذيب عشرات الآلاف[٢٣] .

وساعد مكتب التحقيقات الفيدرالى الحكومة بمحاولة تعقب اليساريين الشيليين فى الولايات المتحدة، فى حين طمأن وزير الخارجية هنرى كيسنجر بينوشيه : " إننا فى الولايات المتحدة - كما تعرف - متعاطفون مع ما تحاولون عمله هنا، نحن نتمنى لحكومتكم كل الخير "[٢٤] .

اليونان، ٦٧ - ١٩٧٤

وقع انقلاب فى أبريل ١٩٦٧، قبل يومين فقط من الموعد المقرر لبدء حملة الانتخابات الوطنية، وهى الانتخابات التى بدا مؤكدا أنها ستعيد جورج باباندريو الزعيم الليبرالى المحارب القديم إلى منصب رئيس الوزراء. وكان الانقلاب جهدا مشتركا بين البلاط الملكى والمؤسسة العسكرية اليونانية، ووكالة المخابرات المركزية والقوات العسكرية الأمريكية المتمركزة فى اليونان. وقد أعقبه فورا فرض قانون الطوارئ التقليدى، والرقابة، والاعتقالات، والضرب والقتل، وبلغ مجموع الضحايا نحو ٨ آلاف فى الشهر الأول، واصطحب هذا بالمثل بالإعلان التقليدى بأن كل ما جرى كان لإنقاذ البلاد من " استيلاء الشيوعيين عليها ". وأصبح التعذيب، الذى كان يجرى بأكثر الطرق شناعة، وبمعدات قدمتها الولايات المتحدة، روتينا.

إن جورج باباندريو لم يكن راديكاليا بأى حال، كان من النوع الليبرالى المعادى للشيوعية. لكن ابنه اندرياس ـ الوريث الظاهر لأبيه ـ الذى كان إلى اليسار قليلا من أبيه لم يخف رغبته فى الابتعاد باليونان عن الحرب الباردة، وتساءل عن جدوى البقاء فى الناتو، أو على الأقل كدولة تابعة للولايات المتحدة.

وكان أندرياس باباندريو قد اعتقل فى الوقت الذى تم فيه الانقلاب وظل فى السجن ثمانية أشهر، وقام بعد فترة قصيرة من إطلاق سراحه، هو وزوجته مارجريت، بزيارة السفير الأمريكى، فيليبس تالبوت فى أثينا، وقد روى باباندريو ما يلى :

سألت تالبوت عما إذا لم يكن فى مقدور أمريكا التدخل فى ليلة الانقلاب لمنع موت الديمقراطية فى اليونان، وأنكر أنه كان فى مقدورهم أن يفعلوا أى شئ حيال ذلك، ثم سألت مارجريت سؤالا حرجا : ماذا لو كان الانقلاب شيوعيا أو يساريا ؟ ورد تالبوت بدون تردد، بأنهم كانوا سيتدخلون بالفعل، وأنهم كانوا سيسحقون الانقلاب.

جنوب أفريقيا، الستينيات ـ الثمانينيات

تعاونت وكالة المخابرات المركزية بصورة وثيقة مع مخابرات جنوب أفريقيا، وكان من محاور التركيز الأساسية فى هذا التعاون " المؤتمر الوطنى الإفريقى "، المنظمة القيادية لمكافحة الفصل العنصرى التى كانت قد حظرت وتم نفى أعضائها. وتعاونت الوكالة فى قمع الانشقاق الداخلى، وقدمت تحذيرات محددة عن هجمات كان يخطط

لها المؤتمر الوطنى الإفريقى ومعلومات عن أعضاء المؤتمر الذين يقيمون فى البلدان المجاورة، وقدمت معلومات من هذا النوع فى مناسبة واحدة على الأقل عمن يقيمون فى موزامبيق فى ١٩٨١، مما أسفر عن إرسال جنوب أفريقيا لسرية للاغتيال للقضاء على الأفراد الذين يشار إليهم بالبنان. كما كانت الوكالة مسئولة عن القبض على نيلسون مانديلا زعيم المؤتمر، وبالإضافة إلى ذلك، فطوال عدد من السنوات فى السبعينيات والثمانينيات، ساندت الولايات المتحدة جنوب أفريقيا فى الأمم المتحدة، وانتهكت الوكالة حظر الأسلحة الذى فرضته الأمم المتحدة على جنوب أفريقيا (والذى كانت الولايات المتحدة من أنصاره الواضحين) بتزويد هذا البلد سرا بأسلحة ودعم جهوده لتجديد البنية السياسية لجنوبى أفريقيا بطريقة عسكرية[٢٥] .

بوليفيا، ٦٤ – ١٩٧٥

هزمت ثورة شعبية مسلحة فى ١٩٥٢ المؤسسة العسكرية وقلصتها إلى قوة صغيرة عاجزة سيئة السمعة، ولكن تم - بإشراف الولايات المتحدة ومعونتها - تجديد شباب القوات المسلحة بصورة بطيئة وإن كانت واثقة الخطى. وبحلول ١٩٦٤ أصبحت المؤسسة العسكرية - بدعم لا غنى عنه لوكالة المخابرات المركزية - قادرة على الإطاحة بالرئيس فيكتور باز، الذى حددته الولايات المتحدة باعتباره رجلا مشبوها بسبب رفضه دعم سياسات الولايات المتحدة تجاه كوبا، وبعد ذلك استمرت الولايات المتحدة تملى من الذى يقود بوليفيا، لفترة طويلة.

وفى ١٩٦٧، تعقبت عملية نظمتها وكالة المخابرات المركزية، مستخدمة فى ذلك، بعض عملاء الوكالة من الكوبيين المنفيين، تشى جيفارا، مما أسفر عن إعدامه فورا وبدون محاكمة.

استراليا، ٧٢ – ١٩٧٥

وجهت وكالة المخابرات المركزية ملايين الدولارات إلى المعارضة لحزب العمال، لكنها فشلت فى أن تجعله يفشل فى الانتخابات. وعندما تولى الحزب السلطة فى ديسمبر ١٩٧٢، أثار فورا ضغينة واشنطن باستدعاء القوات العسكرية الاسترالية من فيتنام للعودة للبلاد، وشجب قصف الولايات المتحدة لهانوى بالقنابل، وذلك ضمن أعمال أخرى مناوئة للحرب، كما أبدت الحكومة احتراما أقل من المعتاد لألعاب

المخابرات والأمن القومى الأثيرة بالنسبة لقلب وكالة المخابرات المركزية. وبذلك أخذ رئيس الوزراء الجديد إدوار جو ويتلام، يحدد مصيره ببطء وإن كان على نحو مؤكد. وفى النهاية استطاعت المعارضة الأمريكية والبريطانية والاسترالية - من خلال مناورات معقدة تتخطى القوانين - تشجيع الحاكم العام جون كير، الذى كان له تاريخ طويل من التورط مع وكالة المخابرات المركزية، على أن يقيل "بصورة قانونية " ويتلام فى ١٩٧٥ .

العـــراق، ٧٢ - ١٩٧٥

قدم الرئيس نيكسون وهنرى كيسنجر مستشار الأمن القومى، كمجاملة لحليف مهم جدا هو شاه إيران، المعونة العسكرية للأكراد الذين كانوا يقاتلون من أجل استقلالهم الذاتى فى العراق – عدو إيران الدائم – ورغم أن إجمالى المعونة العسكرية بلغ نحو ١٦ مليون دولار، فإن الهدف - الذى لم يكن معروفا للأكراد - لم يكن إكسابهم استقلالهم الذاتى، وإنما استنزاف موارد العراق وإلهائه عن إيران. وتقول مذكرة لوكالة المخابرات المركزية فى ١٩٧٤ : " أن إيران - مثلنا - ترى أن هناك نفعا فى نشوء وضع يمثل مأزقا يتم فيه إضعاف العراق داخليا عن طريق رفض الأكراد التخلى عن الاستقلال الذاتى. إن إيران - ونحن معها - لا نريد أن نرى المشكلة وقد حلت بطريقة أو أخرى ". وقد علقت لجنة بايك التابعة للكونجرس، التى حققت فيما بعد فى أعمال وكالة المخابرات المركزية على ذلك بقولها : " إن هذه السياسة لم تكن لصالح (الأكراد) الذين كان يتم تشجيعهم على مواصلة القتال، لقد كان مشروعنا يهدف للمصلحة الذاتية، حتى فى سياق العمل السرى ".

وفى ١٩٧٥، قربت سياسات النفط بين العراق وإيران، وتخلت الأخيرة، هى والولايات المتحدة، عن الأكراد ليواجهوا مصيرهم الرهيب. وفى مرحلة حاسمة، كان الأكراد يتوسلون لكيسنجر طلبا للمساعدة، لكنه تجاهل التماساتهم كلية، وهلك القسم الأعظم من قوات الأكراد؛ وتم إعدام عدة مئات من قادتهم. وعندما استجوبت لجنة بايك هنرى كيسنجر عن ذلك فيما بعد، أجاب : " يجب عدم الخلط بين العمل السرى وبين العمل التبشيرى "[٢٦] .

البرتغـــال، ٧٤ - ١٩٧٦

أطاح انقلاب عسكرى أبيض وقع فى ١٩٧٤ بالنظام الفاشى الذى ساندته الولايات المتحدة واستمر ٤٨ سنة، والذى كان يمثل الدولة الاستعمارية الوحيدة الباقية

فى العالم. وأعقب ذلك تنفيذ برنامج يركز على تأميم الصناعات الأساسية وسيطرة العمال ووضع حد أدنى للأجور والإصلاح الزراعى وغير ذلك من الإجراءات التقدمية. وأثار ذلك قلق المسئولين فى واشنطن وفى الشركات متعددة القوميات الذين كانوا فى مجلس إدارة هذه المصالح. وأصبحت زعزعة الاستقرار هى النظام اليومى لعملهم: الأعمال السرية، الهجوم فى الصحف الأمريكية، وتخريب النقابات العمالية، ودعم وسائل إعلام المعارضة، والتخريب الاقتصادى من خلال الائتمان والتجارة الدوليين، والتمويل السخى لمرشحين مختارين فى الانتخابات، وحرمان الولايات المتحدة البرتغال من الحصول على معلومات عسكرية ونووية متاحة بصورة شائعة لأعضاء الناتو، وإجراء تدريبات بحرية وجوية للناتو أمام شواطئ البرتغال، مع رسو ١٩ سفينة حربية تابعة للناتو فى مينا لشبونة، والذى اعتبره معظم البرتغاليين محاولة لإرهاب الحكومة المؤقتة[٢٧]، لقد قضى على الثورة البرتغالية بالهلاك، ومولت وكالة المخابرات المركزية مرشحين استولوا على السلطة واحتفظوا بها سنوات طويلة.

تيمور الشرقية، ٧٥ - ١٩٩٩

فى حين كانت تيمور الشرقية تمر بعملية تصفية للاستعمار والاستقلال عن البرتغال فى ١٩٧٥، تشكلت تجمعات سياسية شتى فى الجزيرة، وفى أغسطس حاول أحد الأحزاب ـ حزب UDT ـ القيام بانقلاب على الحكم البرتغالى، وكان من المؤكد تقريبا أن أندونيسيا هى المحرض وراءه، ونشبت حرب أهلية قصيرة، أصبحت اليد العليا فيها لحركة يسارية، فريتلين. وبحلول شهر سبتمبر، سادت فريتلين وأعلنت فى نوفمبر استقلال تيمور الشرقية عن البرتغال، وبعد ذلك بتسعة أيام، غزت أندونيسيا تيمور الشرقية، وقد بدأ الغزو فى اليوم التالى لرحيل الرئيس الأمريكى جيرالد فورد ووزير الخارجية هنرى كيسنجر عن أندونيسيا بعد أن أعطيا للرئيس سوكارنو الإذن باستخدام الأسلحة الأمريكية التى لا يمكن بمقتضى القانون الأمريكى استخدامها فى العدوان. لقد كانت أندونيسيا هى أكثر حلفاء واشنطن قيمة فى جنوب شرق آسيا، وعلى أية حال، لم تكن الولايات المتحدة تعتزم النظر بعين العطف لأية حكومة يسارية[٢٨].

وسرعان ما حققت أندونيسيا سيطرة تامة على تيمور الشرقية، بمساعدة الأسلحة الأمريكية والمساندة الدبلوماسية الأمريكية، وفيما بعد، كتب دانييل موينهان الذى كان

سفيرا للولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة فى ذلك الوقت يقول " إن الولايات المتحدة كانت تود أن تسير الأمور على النحو الذى سارت عليه، وعملت على تحقيق هذا، فقد كانت وزارة الخارجية تريد أن تثبت الأمم المتحدة عجزها فى أى تدبير تتخذه وقد طلبوا منى ذلك، ونفذته بقدر كبير من النجاح "[٢٩] .

وقدرت منظمة العفو الدولية أنه بحلول ١٩٨٩، كانت القوات الاندونيسية قد قتلت ٢٠٠ ألف شخص من عدد من السكان يتراوح بين ٦٠٠ ألف و ٧٠٠ ألف. وعمليا وقفت الولايات المتحدة وحدها فى العالم فى مساندتها المستمرة لادعاءات أندونيسيا فى تيمور الشرقية، وقللت بدرجة كبيرة من قدر المذبحة، وفى الوقت نفسه طفقت تزود أندونيسيا بجميع المعدات الحربية والتدريب الذى تحتاجه لتقوم بالمهمة. وعلى الرغم من الإنكار وادعاء العكس، واصلت واشنطن تقديم هذه المعونة العسكرية حتى أثناء فترة المذابح الضخمة لأنصار الاستقلال فى تيمور الشرقية فى ١٩٩٩ والتى ارتكبها الجنود الأندونيسيون والميليشيات المتحالفة معهم[٣٠] .

وفى ١٩٩٥، قال مسئول كبير فى إدارة كلينتون - وهو يتحدث عن سوهارتو: " إنه النوع الذى نحبه من الأشخاص "[٣١] .

أنجولا، ١٩٧٥ ـ الثمانينيات

ساندت الولايات المتحدة والصين وجنوب أفريقيا طرفا فى الحرب الأهلية، فى حين ساند الاتحاد السوفيتى وكوبا الجانب الآخر، واستطالت الحرب بصورة دموية ورهيبة ولا جدوى منها لعقود، ولاتزال تعتمل، وربما ضاع فيها نصف مليون من الأرواح، وانتشر الجوع وما قيل أنه أعلى معدل ممن بترت أطرافهم فى العالم، وهو ما نجم عن عدد لا يحصى من الألغام البرية. وفى السنوات الأولى، حال هنرى كيسنجر شخصيا دون الوصول لحل سلمى، لكن الرجل كان يسيطر عليه كلية هاجس التصدى للتحركات السوفيتية فى أى مكان فى العالم، كبير أو تافه، حقيقى أو متوهم، ناجز أو متوقع. وفى التسعينيات حاولت واشنطن أن تكبح جماح زبونها، جوناس سافيمبى، رئيس يونيتا، وأن تمنعه من إطالة الحرب، لكنه كان سيصبح من الأفضل كثيرا لشعب أنجولا لو لم تتدخل الولايات المتحدة فى السياسات الأنجولية بداية من أوائل الستينيات، فعندئذ لم يكن الروس ليهتموا، ولا هنرى كيسنجر.

جامايكا، ١٩٧٦

وقف مايكل مالونى رئيس الوزراء فى الجانب الخطأ بالنسبة إلى واشنطن، بدعم الفريق الخطأ فى أنجولا، بإقامة علاقات دبلوماسية مع كوبا، وبالتصدى لشركات الألومنيوم متعددة الجنسيات. واستخدمت الولايات المتحدة عدة تاكتيكات فى محاولة لهزيمة مالونى عندما قدم نفسه لإعادة انتخابه فى ١٩٧٦، لكنها فشلت[٣٢] .

هندوراس، الثمانينيات

حولت الولايات المتحدة هندوراس إلى مستعمرة مباشرة فى أوائل الثمانينيات، وقاعدة عسكرية تضم ألوفا من الجنود الأمريكيين، لمساندة العمليات المضادة للتمرد فى السلفادور وجواتيمالا، ولتعمل فى المحل الأول كمنطقة تجميع للقوات، ومركز للإمداد واللاجئين بالنسبة للكونترا وحربها ضد حكومة نيكاراجوا. ونظرا لأن استمرار مثل هذه العمليات بدون انقطاع كان يتطلب إذعان السكان، فقد قدمت الولايات المتحدة للمؤسسة العسكرية والشرطة فى هندوراس، التدريب والأسلحة والمعدات والأموال لقمع المنشقين بصورة كفء من الأنواع المعادية لأمريكا (والذين يشيرون للبلاد بصورة ساخرة باعتبارها ولاية هندوراس الأمريكية)، وأولئك الذين شاركوا فى حملات للتضامن مع متمردى السلفادور ومع الساندنيستا فى نيكاراجوا، وأولئك الذين جاهدوا من أجل التغيير الاجتماعى فى هندوراس، وإن ظلوا بعيدين عن أن يمثلوا تهديدا بحرب العصابات[٣٣] . وقد لاحظت النيويورك تايمز فى ١٩٩٨، " أن الدبلوماسيين الأمريكيين يمارسون سيطرة على السياسات المحلية فى هندوراس أكثر مما يفعلون فى أى بلد آخر فى نصف الكرة الغربى، وهذه الحقيقة معترف بها بصورة عامة فى الجلسات الخاصة "[٣٤] .

نيكاراجوا، ٧٨ - ١٩٩٠

عندما أطاحت الساندنيستا بدكتاتورية سوموزا فى ١٩٧٨، كان من الواضح لواشنطن أنهم قد يكونون الوحش الذى روعها طويلا - " كوبا أخرى ". وفى ظل الرئيس كارتر، اتخذت محاولات تخريب الثورة أشكالا دبلوماسية واقتصادية، فلمدة ثمانى سنوات طوال ، تعرض شعب نيكاراجوا بصورة رهيبة لهجوم جيش الكونترا الذى كان يعمل وكيلا لواشنطن، والذى تم تكوينه مع رجال الحرس الوطنى الآثمين فى

ظل سوموزا وغيرهم من مؤيدى الديكتاتور. لقد كانت حربا شاملة، تهدف إلى تدمير البرامج الاقتصادية والاجتماعية التقدمية للحكومة، وهدم المدارس والعيادات الطبية، والاغتصاب، والتعذيب، وتلغيم الموانىء، وتفجير القنابل والقصف. لقد كان هؤلاء هم السادة المهذبين الساحرين الذين كان رونالد ريجان يحب أن يسميهم " المقاتلون من أجل الحرية ".

وفى ١٩٩٠، تدخلت الولايات المتحدة بصورة فظة فى الانتخابات الوطنية، مما أفضى إلى هزيمة الساندنيستا[٣٥] .

وكما حدث مع كوبا، فلن نعرف مطلقا نوع المجتمع التقدمى الذى كانت الساندنيستا ستقيمه لو كان قد سمح لها بأن تعيش فى سلام وألا تنفق نصف ميزانيتها على خوض حرب. وقد أعلنت منظمة أوكسفام - وهى منظمة دولية للتنمية - انه من خلال خبرتها فى العمل فى ٧٦ بلدا ناميا، فإن نيكاراجوا كانت فى ظل الساندنيستا " استثناء فى قوة التزام تلك الحكومة، بتحسين أحوال الشعب وتشجيع مشاركته النشيطة فى عملية التنمية "[٣٦] .

وبعد عقد من عودة حكم السوق الحرة، أصبحت نيكاراجوا من أفقر الدول فى نصف الكرة الغربى، ويعانى ما يزيد على نصف سكانها من سوء التغذية وتفشى الأمية.

الفلبين ، السبعينيات ـ التسعينيات

وفيها وقعت أحداث سيناريو آخر من الفقر، والظلم الاجتماعى، وسرايا الموت، والتعذيب، الخ، مما أدى إلى حركة احتجاج ومقاومة مسلحة واسعة النطاق ... وحان الوقت مرة أخرى للمؤسسة العسكرية للولايات المتحدة ووكالة المخابرات المركزية لكى تهب لمعاونة الحكومة فى قمع مثل هذه التحركات. وقد تكشف فى ١٩٨٧ أن إدارة ريجان اعتمدت ١٠ ملايين دولار لخطة مدتها عامان لزيادة مشاركة وكالة المخابرات المركزية فى حملة مضادة للعصيان[٣٧] ، وشنت الوكالة عمليات حرب نفسية واسعة النطاق، وكان المستشارون العسكريون الأمريكيون يصحبون القوات الفلبينية بصورة روتينية خلال مناوراتها[٣٨]، لقد ظلت الفلبين زمنا طويلا الموقع الاستراتيجى الأكثر أهمية لشن الحروب الأمريكية فى آسيا، ومحل عدة قواعد عسكرية أمريكية كبيرة،

كانت موضع احتجاجات كثيرة من قبل المواطنين. وفى ١٩٩١، أخطرت السفارة الأمريكية وسائل الإعلام أن استطلاعات الرأى التى أجرتها السفارة بينت أن ٦٨ فى المائة، ٧٢ فى المائة، بل ٨١ فى المائة من شعب الفلبين يرحب بالقواعد. بيد أن هذه الاستطلاعات لم تجر مطلقا، وقد اعترف مسئول بالسفارة بقوله : " لقد فبركت هذه الأرقام "[٣٩] .

سيشل، ٧٩ - ١٩٨١

كان زعيم البلاد - فرانس البير رينيه - يعيبه بين مثالب أخرى تأخذها عليه واشنطن، أنه اشتراكى، ويأخذ بعدم الانحياز، ويريد تحويل المحيط الهندى إلى منطقة خالية من الأسلحة النووية ولم يكن سعيدا بأن بلده الجزيرة يؤوى محطة لتتبع الأقمار الصناعية تابعة للقوات الجوية الأمريكية. ولهذا تعرض لمختلف مؤامرات زعزعة الاستقرار الأمريكية بدءا من ١٩٧٩، وفى نوفمبر ١٩٨١، ورد أن وكالة المخابرات المركزية كانت وراء غزو قوات المرتزقة للدولة الجزيرة، والتى جاءت أصلا من جنوب أفريقيا ولم تخض سوى معركة مسلحة واحدة فى مطار سيشل[٤٠] .

اليمن الجنوبية، ٧٩ - ١٩٨٤

ساندت الولايات المتحدة القوات شبه العسكرية فى اليمن الجنوبية بهدف تقويض الحكومة التى كانوا يصورونها باعتبارها " تابعا سوفيتيا " يناوئ اليمن الشمالية التى كانوا يعتبرون قادتها " الفتية الطيبين الموالين للغرب ". وجاء التحرك الأمريكى جزئيا استجابة لرغبات المملكة العربية المجاورة، وجزئيا كرد فعل للحرب الباردة. لقد ظل اليمن الشمالية والجنوبية يتقاتلان على نحو متقطع طوال سنوات كثيرة، وأرسلت الولايات المتحدة لليمن الشمالية معونة عسكرية ودربت القوات شبه العسكرية على نسف الكبارى وتنفيذ أعمال التخريب الأخرى فى الجنوب. ففى مارس ١٩٨٢ تم أسر فريق شبه عسكرى يضم ١٣ رجلا فى الجنوب، واعترفوا تحت التعذيب (بأمانة وصدق) بتدريب وكالة المخابرات المركزية لهم وتم إعدام ١٢ منهم، وسرعان ما انتهت العملية. وقد كان ويليام كيسى مدير الوكالة فى ظل ريجان - وهو معاد للسوفيت بالفطرة - مقتنعا بأن أهل اليمن الجنوبية هم جزء من شبكة إرهابية دولية يديرها السوفيت، إلى جانب الكوبيين، والألوية الحمراء الإيطالية والجيش الجمهورى الإيرلندى[٤١] . والواقع

أن الاتحاد السوفيتى كان منذ ١٩٧٩، يقدم المساعدات العسكرية والمستشارين العسكريين لكل من الشمال والجنوب، أحيانا فى نفس الوقت، بل وساعد اليمن الشمالية على إخماد حركة حرب العصابات المنتمية لجناح يسارى[٤٢] . وفى ١٩٩٠ اتحد الشمال والجنوب فى بلد واحد هو جمهورية اليمن، وأصبحت الحرب الباردة مسرحية هزلية.

كوريا الجنوبية، ١٩٨٠

فى مايو، سرحت الولايات المتحدة ـ التى كان لها الكلمة الأولى والأخيرة فى الشئون العسكرية فى كوريا الجنوبية ـ بناء على طلب حكومى بعض القوات الكورية الجنوبية من القيادة الأمريكية الكورية المشتركة والتى كان يستخدمها القائد العسكرى القوى تشون دو هوان لقمع انتفاضة الطلبة والعمال فى مدينة كوانجو[٤٣] . كان المحتجون يضغطون من أجل إنهاء قانون الطوارئ، واعتقال المنشقين وعائلاتهم وأصدقائهم، وتزوير الانتخابات والتعذيب وتجاهل الاحتياجات الاجتماعية. وأعقب ذلك قمع وحشى، وتراوحت تقديرات الأرواح التى أزهقت فيه بين عدة مئات و ٢٠٠٠، مع عدد من الفظائع الجسيمة التى ارتكبتها القوات المسلحة[٤٤] . وجاءت المساندة الأمريكية من إدارة كارتر، التى بشر بها باعتبارها نصيرا لحقوق الإنسان، وأعلن متحدث باسم وزارة الخارجية : " إن موقفنا ـ سواء كان ذلك أمرا طيبا أو سيئا ـ هو أن كوريا حليف فى معاهدة، وأن للولايات المتحدة مصالح أمنية قوية فى هذا الجزء من العالم "[٤٥] .

وفى فبراير ١٩٨١، تم تكريم شون بدعوته للبيت الأبيض كأول زائر من رجال الدول للرئيس ريجان، واشتركت الولايات المتحدة وكوريا الجنوبية فى أول تدريبات عسكرية مشتركة تجريها الإدارة الجديدة، وطلبت الإدارة من الكونجرس أن يرجئ نشر تقريره العالمى السنوى عن حقوق الإنسان إبان بقاء رئيس كوريا الجنوبية فى واشنطن، لتجنب إحراجه، وبلغ التأثر بريجان وهو يشرب نخب شون درجة أعلن معها : " لقد فعلتم الكثير لدعم تقاليد الالتزام بالحرية التى تبلغ من العمر ٥٠٠٠ عام "[٤٦] . وفى ١٩٩٦ أدانت محكمة كورية شون بتهمة الخيانة والقتل وحكمت عليه بالإعدام لدوره فى مذبحة كوانجو.

تشـــاد، ٨١ - ١٩٨٢

لم يعرف هاجس معمر القذافى - الرئيس الليبى - الذى تسلط على إدارة ريجان حدودا : جغرافية أو قانونية أو أخلاقية. كانت ليبيا تحتفظ بقوة عسكرية فى تشاد المجاورة بطلب من حكومتها - التى كانت تواجه متمردين مسلحين - ولتعمل على تحقيق رغبة ليبيا فى وجود حكومة صديقة على حدودها، وكانت الولايات المتحدة تريد أن تستبدل بالحكومة التشادية حكومة ليست صديقة جدا لليبيا، وفى الوقت نفسه تطلق العنان المنفيين الليبيين المعادين للقذافى فى تشاد لتدبير اعتداءات على ليبيا عبر الحدود.

وهكذا استخدمت الولايات المتحدة - إلى جانب فرنسا الدولة الاستعمارية السابقة فى تشاد - الرشاوى والضغوط السياسية لدفع حكومة تشاد لمطالبة الليبيين بالرحيل، وهو ما فعلته ليبيا وهى كارهة، وإحلال قوات من منظمة الوحدة الإفريقية محلهم، وأعطيت للأمم المتحدة ولاية غامضة للحفاظ على الأمن فى تشاد، وثبت أن هذا نوع من حصان طروادة، فقد أعادت وكالة المخابرات المركزية بناء قوة للمعارضة التشادية فى السودان وزودتها بالأموال والسلاح والدعم السياسى والمساعدة الفنية. وعندئذ - ومع عدم قيام منظمة الوحدة الافريقية بأى عمل - نجح هذا الجيش بقيادة حسين حبرى فى الإطاحة بحكومة تشاد فى يونيو ١٩٨٢،[٤٧] وبمساعدة الولايات المتحدة، تسلم حبرى الحكم لمدة ثمانى سنوات، قتلت شرطته السرية خلالها كما تواتر عشرات الآلاف، وعذبت نحو ٢٠٠ ألفا، واختفى عدد غير محدد. وفى ٢٠٠٠، نجح بعض ضحاياه فى التعذيب فى إدانته فى السنغال حيث كان يقطن، وأصبح يدعى " بينوشيه أفريقيا "[٤٨] .

غرينادا، ٧٩ - ١٩٨٣

كم يكون البلد فقيرا وصغيرا وضعيفا ونائيا حتى لا يمثل تهديدا لحكومة الولايات المتحدة ؟ ففى انقلاب وقع فى ١٩٧٩، تولى موريس بيشوب وأنصاره السلطة فى هذا البلد الجزيرة الذى يضم ١١٠ آلاف نسمة، ورغم أن سياستهم لم تكن ثورية مثل سياسة كاسترو، فقد تحركت واشنطن مرة ثانية بدافع من خوفها من قيام " كوبا ثانية "، خاصة عندما قوبل ظهور قادة جرينادا بين الجماهير فى بلدان أخرى فى المنطقة بحماس كبير.

وفور وقوع الانقلاب، بدأت تاكتيكات إدارة ريجان لزعزعة استقرار حكومة بيشوب، مستخدمة جملة مسعورة من تشويه المعلومات والخداع. وفى النهاية جاء الغزو فى أكتوبر ١٩٨٣ الذى وضع فى السلطة أشخاصا يدينون بالفضل لأهداف السياسة الخارجية الأمريكية، وعانت الولايات المتحدة من سقوط ١٣٥ قتيلا وجريحا، كما بلغ عدد المصابين من أهل غرينادا ٤٠٠ شخصا، و ٨٤ كوبيا أساسا من عمال البناء، واصطحب الغزو بمزيد من الأكاذيب الأكثر افتضاحا، التى اختلقتها واشنطن لتبرير انتهاكاتها الجسيمة للقانون الدولى.

سورينام، ٨٢ - ١٩٨٤

دبرت الولايات المتحدة مؤامرة للإطاحة بالحكومة بزعم أنها أخذت تسقط فى " المدار الكوبى "، وكانت تقضى بغزو يقوم به نحو ٣٠٠ شخص، نصفهم من الأمريكيين والأمريكيين الجنوبيين والنصف من أبناء سورينام. وقامت وكالة المخابرات المركزية بالفعل بإبلاغ الكونجرس بخطتها لاستخدام القوة شبه العسكرية، وهو ما صرح به الرئيس ريجان. ولم يتحمس الكونجرس، لكن ويليام كيسى ورعاة البقر التابعين له فى الوكالة مضوا فى طريقهم لتنفيذ مخططهم، ولم يضطروا إلى وقفها إلا بعد أن كشفتها وكالة الأمن الداخلى فى هولندا، وهى الدولة الاستعمارية السابقة فى سورينام عندما كانت تعرف باسم غيانا الهولندية.

ليبيا، ٨١ - ١٩٨٩

كان السبب الرسمى المعلن لكراهية إدارة ريجان العنيفة لمعمر القذافى هو أنه يؤيد الإرهاب. والواقع أن جريمة الزعيم الليبى لم تكن تتمثل فى مساندة الجماعات الإرهابية فى حد ذاتها، وإنما فى مساندة الجماعات الإرهابية الخطأ، أى أن القذافى لم يكن يساند نفس الإرهابيين الذين يساندهم ريجان، مثل الكونترا فى نيكاراجوا، ويونيتا فى انجولا، والمنفيين الكوبيين فى ميامى، وحكومتى السلفادور وجواتيمالا والقوات العسكرية الأمريكية فى غرينادا. وكان المجاهدون فى أفغانستان هم عصابة الإرهابيين الوحيدة التى كان الرجلان يشتركان فى مساندتها.

وفوق كل هذا، فإن واشنطن تشعر بكراهية عميقة الجذور تجاه بلدان الشرق الأوسط المنتجة للبترول التى لا تستطيع أن تمارس سيطرة كافية عليها. كان القذافى

معتدا بنفسه، وأطاح بزمرة حاكمة ثرية وأقام دولة للرفاهية، وكان لابد من إلزامه حده هو وبلاده. وفى ١٩٨١ أسقطت الطائرات الأمريكية طائرتين ليبيتين فى المجال الجوى الليبى، وبعد ذلك بخمس سنوات، قصفت الولايات المتحدة أحد مقار القذافى، وقتلت عشرات من الأنفس، وجرت محاولات أخرى لاغتيال الرجل، وعمليات للإطاحة به، وعقوبات اقتصادية، وحملات كبيرة للتشويه تترى بالسخافات الواحدة تلو الأخرى، بما فى مبالغات مفضوحة عن مساندته للإرهاب، وإلقاء اللوم فى تفجير طائرة بان أميركان رحلة ١٠٣ على ليبيا وتحويله عن إيران وسوريا عندما تطلبت حرب الخليج مساندة البلدين الأخيرين، لقد كانت ليبيا بالنسبة لواشنطن مثل الشمال يشير إليه المؤشر دائما.

فيجى، ١٩٨٧

تمت الإطاحة برئيس الوزراء تيموسى بافرادا فى انقلاب عسكرى فى أبريل بعد شهر فقط من توليه منصبه فى أعقاب انتخابات ديمقراطية، ذلك أن بافرادا الذى ينتمى لحزب العمال، جعل المسئولين فى واشنطن يشعرون بالتعاسة لأنه أعلن انتماءه لحركة عدم الانحياز، بل والأكثر من ذلك أنه تعهد وهو يتولى منصبه بأن يعيد فيجى منطقة خالية من الأسلحة النووية، مما كان يعنى أن السفن التى يتم تشغيلها بالطاقة النووية أو التى تحمل أسلحة نووية لا يمكنها أن ترسو فى موانيها. وعندما اتبع خليفة بافرادا، ر. س. ك. مارا، نفس السياسة فى ١٩٨٢، تعرض لضغط أمريكى كبير للتخلى عنها. وقد أعلن ويليام بود الأصغر السفير الأمريكى السابق فى فيجى فى تلك السنة " إن إنشاء منطقة خالية من الأسلحة النووية أمر لن تقبله الولايات المتحدة، نظرا لاحتياجاتها الاستراتيجية، وينبغى للولايات المتحدة أن تفعل كل ما فى وسعها لدحر هذا التحرك "(٤٩) . وفى العام التالى، تخلى مارا عن هذه السياسة، رغم أنه تولى منصبه باعتباره جزءا من تحالف جعل المحيط الهادئ خاليا من الأسلحة النووية.

وبعد أسبوعين من تولى بافرادا منصبه، زار فيرنون وولترز سفير أمريكا لدى الأمم المتحدة الجزيرة، وكان لنائب مدير وكالة المخابرات الأمريكية السابق تاريخ فى الظهور قبل وقت قصير من عمليات زعزعة الاستقرار التى تقوم بها الوكالة، أو خلالها أو بعدها بوقت قصير. واجتمع وولترز مع بافرادا، بإدعاء مناقشة شئون الأمم المتحدة، كما اجتمع بالمقدم سيتيفينى رابوكا، الرجل الثالث فى قيادة الجيش، وبعد ذلك بأسبوعين، قاد رابوكا انقلابا عسكريا أطاح ببافرادا.

وخلال الشهر الذى بقى فيه بافرادا فى منصبه، تفجرت حملة للتخويف من " الرعب الليبى " فجأة وبصورة لا يمكن تفسيرها فى منطقة المحيط الهادئ. كانت إدارة ريجان قد تعرضت للافتضاح فى الولايات المتحدة بشأن حملتها الزائفة عن الرعب الليبى، وعندما وقع انقلاب فيجى، أشار رابوكا ومؤيدوه إلى " التهديد " الليبى كمبرر للانقلاب "(٥٠) .

وكان هناك الكثير من مثل هذه " المصادفات " فى هذه الدراما، بما فى ذلك ظهور هيئة الوقف الوطنى من أجل الديمقراطية وما تقدمه من تمويل، وبعض رجال مافيا حزب العمال التابعين لوكالة المخابرات المركزية، ووحدات من القوات العسكرية الأمريكية فى المحيط الهادئ فى فيجى قبل الانقلاب(٥١) .

وفى اليوم التالى للانقلاب، أعلن مصدر فى البنتاجون وهو ينفى تورط الولايات المتحدة : " إننا مسرورن نوعا ما ... ففجأة لم تكن تستطيع سفننا أن تذهب إلى فيجى، والآن أصبح ذلك فى مقدورها فجأة "(٥٢) .

بنمــا

بعد أقل من أسبوعين من سقوط سور برلين، أبدت الولايات المتحدة ابتهاجا بأن عصرا جديدا من السلام العالمى أصبح ممكنا حينذاك بغزو بنما، وجعلت واشنطن قاذفات قنابلها تضرب مرة ثانية. وفى ٢٠ ديسمبر ١٩٨٩، أزيل حى سكنى كبير فى مدينة بنما من على وجه الأرض، مما ترك ١٥ ألف شخص مشردين، وعند حساب حصيلة عدة أيام من القتال البرى بين القوات الأمريكية والبنمية، كان العدد الرسمى الذى أعلن عن القتلى من الأهالى هو نحو ٥٠٠ - أى أن ذلك ما اعترفت به الولايات المتحدة والحكومة البنمية الجديدة التى أقامتها. وخلصت مصادر أخرى - فحصت مزيدا من الأدلة - إلى أن الآلاف قد قتلوا، وبالإضافة لذلك، جرح نحو ٣ آلاف بنمى، ومات ٢٣ أمريكيا وجرح ٣٢٤ .

سؤال من مراسل صحفى : " هل كان الأمر يستحق فعلا إرسال الناس لحتفهم فى سبيل هذا، لاعتقال نورييجا ؟ ".

جورج بوش : " إن حياة أى إنسان ثمينة، ومع ذلك يتعين على أن أجيب بنعم، لقد كان الأمر يستحق ذلك ".

لقد كان مانويل نورييجا حليفا ومرشدا لأمريكا سنوات طويلة إلى أن تجاوز العمر الافتراضى للاستفادة منه. لكن من الصعب تصديق أن القبض عليه كان السبب الرئيسى للهجوم، إذ كان بوش يريد أن يبعث برسالة واضحة لشعب نيكاراجوا، الذى كان يزمع إجراء انتخابات خلال شهرين، بأن ذلك سيكون مصيره إذا أعاد انتخاب الساندنيستا، كما أراد بوش أن يستعرض بعض العضلات العسكرية ليرى الكونجرس أن هناك حاجة إلى قوة كبيرة جاهزة للقتال على الرغم من أن " التهديد السوفيتى " كان قد انتهى منذ فترة قريبة جدا. وكان السبب الرسمى لطرد أمريكا لنورييجا هو أنه يتاجر فى المخدرات، وهو ما كانت تعرفه عنه منذ سنوات طويلة ولم يشغلها ذلك إطلاقا، وقد كان فى مقدورها أن تضع يديها على الرجل بسهولة بدون إلحاق مثل هذا الدمار الرهيب بشعب بنما(٥٣) .

أفغانستان، ٩٧- ١٩٩٢

إن الاضطهاد الصارخ للمرأة فى أفغانستان الذى قامت به حركة طالبان الأصولية الإسلامية معروف جيدا، ولم ينشر مثل هذا فى السبعينيات، وفى الثمانينيات كانت فى أفغانستان حكومة ملتزمة بالوصول بهذا البلد المتخلف بصورة لا تصدق إلى القرن العشرين (ناهيك بالقرن ٢١)، بما فى ذلك منح النساء حقوقا مساوية للرجل. بيد أن الولايات المتحدة صبت مليارات الدولارات فى شن حرب رهيبة ضد هذه الحكومة، لمجرد أن الاتحاد السوفيتى كان يساندها. وبمعاونة المعارضة الأصولية، زادت واشنطن عن علم وقصد إمكانية التدخل السوفيتى(٥٤) . وعندما حدث ذلك، أصبحت وكالة المخابرات المركزية هى قائد الأوركسترا الرئيسى : بالضغط الشديد على بلدان الشرق الأوسط للحصول على مساندة مالية ضخمة، وإضافة لذلك الحصول على مساندة مالية من واشنطن، والضغط على، ورشوة، باكستان المجاورة لتؤجر بلدها كمنطقة تجميع للقوات وملاذ، وتوريد ترسانة كبيرة من الأسلحة وتوفير التدريب العسكرى.

وأخيرا " كسبت " الولايات المتحدة والطالبان، وخسرت المرأة وباقى أفغانستان، وقتل أكثر من مليون، وأصيب بالعجز ثلاثة ملايين، وأصبح خمسة ملايين لاجئين، إجمالا نصف السكان.

السلفادور، ٨٠ - ١٩٩٢

حاول المنشقون فى السلفادور العمل من داخل النظام، لكن الحكومة - بمساعدة الولايات المتحدة - جعلت ذلك مستحيلا، مستخدمة التزوير الانتخابى المتكرر واغتيال مئات من المحتجين والمضربين. وفى ١٩٨٠، لجأ المنشقون إلى السلاح، والحرب الأهلية. وردت واشنطن على الفور.

ومن الناحية الرسمية، كان الوجود العسكرى الأمريكى فى السلفادور مقصورا على الصفة الاستشارية، أما الواقع فهو أن العسكريين الأمريكيين ورجال وكالة المخابرات لعبوا دورا أكثر نشاطا على أساس مستمر، وقتل أو جرح نحو ٢٠ أمريكيا فى تحطم طائرة هليكوبتر وطائرة عادية فى رحلة استطلاع أو مهام أخرى فوق ميدان المعركة، وطفت إلى السطح أدلة وفيرة على دور الولايات المتحدة فى القتال البرى أيضا، وانتهت الحرب رسميا فى ١٩٩٢ بهذه النتائج : موت ٧٥ ألف مدنى، استنزاف ستة مليارات دولار من الخزانة الأمريكية، إجهاض التغيير الاجتماعى الهادف، بقاء حفنة من الأثرياء تملك البلاد؛ بقاء الفقراء على حالهم الدائم، استمرار خوف المنشقين من سرايا الموت التابعة للجناح اليمينى، انعدام إمكانية إحداث تغيير اجتماعى عميق فى السلفادور.

غرينادا، ٨٧ - ١٩٩٤

ساندت الولايات المتحدة ديكتاتورية أسرة دوفالييه لمدة ٣٠ سنة، ثم عارضت القس الإصلاحى جان - برتراند اريستيد، وفى الوقت نفسه كانت وكالة المخابرات المركزية تعمل بصورة وثيقة مع سرايا الموت، والقائمين بالتعذيب ومهربى المخدرات. وبهذه الخلفية، وجد البيت الأبيض فى ظل كلينتون نفسه فى ١٩٩٤ فى موقف حرج لاضطراره - بسبب رطانته عن الديمقراطية - إلى الزعم بأنه يؤيد عودة اريستيد المنتخب ديمقراطيا إلى السلطة بعد الإطاحة به فى انقلاب عسكرى فى ١٩٩١. وبعد تأخير عودته لأكثر من عامين، جعلت واشنطن قوتها العسكرية تعيد اريستيد إلى منصبه، ولكن فقط بعد إجبار القس على تأكيد أن لن يساعد الفقراء على حساب الأغنياء، بالمعنى الحرفى، وأنه سيلتزم بصورة وثيقة باقتصاديات السوق الحرة. وكان هذا يعنى أن هاييتى ستستمر فى أن تكون مصنع تجميع لنصف الكرة الغربى، مع

حصول عمالها على أجور لا تكفى لسد الجوع بالمعنى الحرفى. ولو فكر اريستيد فى انتهاك الاتفاق الذى فرض عليه، فقد كان عليه فقط أن ينظر من نافذته، فقد كانت القوات الأمريكية متمركزة فى هاييتى لتذكيره بنهايته.

بلغاريا، ٩٠ - ١٩٩١

فى نوفمبر ١٩٩٩، زار الرئيس كلينتون بلغاريا وأعلن للجماهير فى صوفيا أنه يشيد بها للإطاحة بالشيوعية وإجراء انتخابات نزيهة[٥٥] . لكن ما أهمل ذكره هو أنه بعد أن ظفر الشيوعيون بأحد انتخاباتهم النزيهة، انطلقت الولايات المتحدة للإطاحة بهم.

ففى ١٩٩٠، صب " الوقف الوطنى من أجل الديمقراطية " أكثر من ٥ر١ مليون دولار فى بلغاريا فى محاولة لهزيمة الحزب الاشتراكى البلغارى (الحزب الشيوعى سابقا) فى الانتخابات الوطنية التى جرت فى يونيو ١٩٩٠ . وعلى أساس عدد السكان، فإن هذا يعادل قيام دولة أجنبية بضخ ٣٨ مليون دولار فى حملة انتخابية أمريكية، وكان المستفيد الرئيسى من أريحية الوقف الوطنى من أجل الديمقراطية هو حزب المعارضة الرئيسى، اتحاد القوى الديمقراطية، الذى حصل على ٥١٧ ألف دولار، بالإضافة إلى حصول صحيفته على ٢٣٣ ألف دولار[٥٦] . وكان مما أوقع الصدمة والفزع فى قلب واشنطن أن الحزب الاشتراكى البلغارى فاز.

لكن هذا يجب ألا يحدث، فقد كان الحد الإيديولوجى الأدنى لواشنطن هو أن الحزب الاشتراكى البلغارى لا يمكن أن يعطى ولن يعطى، الفرصة لإثبات أن اقتصادا ديمقراطيا مختلطا له توجه اشتراكى يمكن أن ينجح فى شرق أوروبا فى حين كان النموذج الرأسمالى قد بدأ بالفعل يبدد أوهام الناس بشأنه، وتقدم الوقف الوطنى من أجل الديمقراطية بالمساعدة السخية والنصيحة لمجموعات معينة من المعارضة أثارت حملة لنشر الفوضى استمرت نحو خمسة أشهر : مظاهرات للاقتتال وإثارة الفوضى فى الشوارع، إضرابات عمالية تسبب الشلل، اعتصامات، إضرابات عن الطعام، إحراق المبانى عمدا ... وتم حصار البرلمان، وحوصرت الحكومة ، حتى اضطر الرئيس فى النهاية إلى الاستقالة، وأعقبه بعض وزرائه، وأخيرا تخلى رئيس الوزراء عن منصبه.

وفى ١٩٩١، قذف الوقف الوطنى من أجل الديمقراطية مرة ثانية مئات الألوف من الدولارات فى الانتخابات، وفى هذه المرة فاز ما أسماه الوقف " القوى الديمقراطية ".

ألبانيـــا، ٩١- ١٩٩٢

هذه الحكاية تشبه كثيرا حكاية بلغاريا، فقد فازت حكومة شيوعية بأغلبية ساحقة فى انتخابات مارس ١٩٩١، وأعقب ذلك فورا نشوب قلاقل واسعة النطاق استمرت شهرين، بما فى ذلك مظاهرات الشوارع وإضراب عام استمر ثلاثة أسابيع أدى فى النهاية لانهيار الحكومة الجديدة فى شهر يونيو[٥٧] . وكان " الوقف " هناك أيضا، وقدم ٨٠ ألف دولارا للحركة العمالية و ٢٣ ألف دولار، لدعم برامج الحزب للتدريب والتوعية المدنية[٥٨] .

وأجريت الانتخابات الجديدة فى مارس ١٩٩٢ . وخلال الحملة الانتخابية، كان خبراء الاستراتيجية السياسية والديبلوماسيون الأمريكيون، بمن فيهم السفير الأمريكى، يصحبون صراحة مرشحى الحزب الديمقراطى (المعارض الرئيسى للشيوعيين) فى جولاتهم الخطابية ويعلنون رسالة صريحة وواضحة بأنه إذا فاز الشيوعيون ثانية، فلن تكون هناك معونة أمريكية، " وأن قدرا كبيرا من المستثمرين الغربيين والحكومات الغربية سيحولون معونتهم إلى جهات أخرى ". ومرة أخرى كان الوقف الوطنى من أجل الديمقراطية هناك بكل أنواع اللذائذ من أجل " الفتية الطيبين "، بما فى ذلك سيارات الجيب الشيروكى[٥٩] . وفاز الحزب الديمقراطى.

الصومـــال

كان القصد أن تكون بعثة للمساعدة فى إطعام الحشود الجوعى. وقبل مضى وقت طويل، أخذت الولايات المتحدة تحاول إعادة ترتيب الخريطة السياسية للبلاد، بالقضاء على محمد عيديد، وهو من سادة الحرب، هو وقاعدة سلطته. وفى مناسبات عديدة - بدءا من يونيو - قصفت طائرات الهليكوبتر الأمريكية مجموعات من أنصار عيديد وأطلقت القذائف عليهم، وقتل العشرات. وبعد ذلك فى أكتوبر، أسفرت محاولة جسورة قام بها نحو ١٢٠ من صفوة القوات الأمريكية لاختطاف زعيمين من عشيرة عيديد عن وقوع مذبحة دموية رهيبة، وكان السجل النهائى هو إسقاط خمس طائرات هليكوبتر أمريكية، وقتل ١٨ أمريكيا وجرح ٧٣، وقتل ما بين ٥٠٠ و ١٠٠٠ صومالى وجرح عدد أكبر كثيرا.

ومما يدعو للتساؤل : هل يعادل إيصال الطعام لشعب جوعان فى أهميته حقيقة أن أربع شركات نفط أمريكية عملاقة كانت تحتفظ بحقوق فى التنقيب فى مساحات شاسعة من الأراضى، وأنها كانت تأمل فى أن تضع القوات الأمريكية حدا للفوضى التى كانت تهدد استثماراتها المكلفة بدرجة عالية، كما كانت هناك حاجة البنتاجون المستمرة فى أن يروج لنفسه لدى أعضاء الكونجرس الذين كانوا يحاولون تخفيض الميزانية العسكرية فى عالم ما بعد الحرب الباردة، وكان الاعتقاد بأن الأعمال " الإنسانية " والإنزال البرمائى لقوات البحرية الأمريكية على الشاطئ فى وهج كاميرات التليفزيون، يشكلان عملية ترويج جيدة. وصممت واشنطن العملية بطريقة تجعل العرض يتم بواسطة المؤسسة العسكرية الأمريكية وليس الأمم المتحدة، والتى كان من المفترض أن تندرج تحت إشرافها.

وعلى أية حال، ففى الوقت الذى نزل فيه مشاة البحرية، كان أسوأ ما فى المجاعة قد انقضى، فقد بلغت ذروتها قبل ذلك بعدة أشهر[٦٠] .

العراق، التسعينيات

المستشفيات العقلية والسجون مملوءة بأناس يدعون أنهم سمعوا أصواتا تأمرهم بقتل أشخاص معينين، غالبا أشخاص لم يلتقوا بهم مطلقا، أشخاص لم يلحقوا بهم أى أذى مطلقا، أو هددوهم بالأذى.

وذهب الجنود الأمريكيون للشرق الأوسط ليقتلوا نفس النوع من الأشخاص بعد سماع صوت يأمرهم بقتلهم : صوت جورج بوش.

قصف لا يتوقف طوال ما يزيد على ٤٠ يوما وليلة، ضد بلد من أكثر بلدان الشرق الأوسط تقدما، مما دمر عاصمتها القديمة والحديثة، وجرى فيه إسقاط ١٧٧ مليون رطل من القنابل على شعب العراق، وهو ما يمثل الهجوم الجوى الأكثر تركيزا فى تاريخ العالم حتى ذلك الحين، كما تم استخدام أسلحة اليورانيوم المستنفد التى تحرق الناس وتحولهم رمادا، وتسبب السرطان ومشاكل خلقية عدة، وجرى قصف مرافق الأسلحة الكيميائية والبيولوجية ومرافق النفط، مما أدى إلى تسمم مروع للجو، ودفن الجنود أحياء عمدا، وتم تدمير البنية الأساسية بآثار مروعة على الصحة، وفرضت عقوبات تواصلت حتى القرن ٢١، مما ضاعف المشاكل الصحية ، وتسبب فى موت

أكثر من مليون طفل من جراء كل هذه العوامل، بل وعدد أكبر من الراشدين. وقد ذكرت اليونيسيف فى تقرير لها فى أغسطس ١٩٩٩، أنه فى جنوبى ووسط العراق، زاد معدل وفيات الأطفال دون الخامسة على الضعف فى سنوات العقوبات.

وحتى وقتنا الراهن، واصلت الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى إطلاق القذائف على البلد المسمى العراق الذى احترق وتحول لرماد، حيث تحلق طائراتهما فوق هذا البلد على أساس يومى، وتستمد واشنطن ولندن سلطة القيام بذلك من بعضهما البعض. وفى الشهور الثمانية الأولى من ١٩٩٩، حلقت طائرات البلدين فى نحو ١٠ آلاف طلعة فوق العراق، وألقت أكثر من ١٠٠٠ قنبلة وقذيفة على أكثر من ٤٠٠ هدف، وجرحت أو قتلت مئات كثيرة من الأشخاص، وقد قال العميد الأمريكى وليام لونى قائد هذه العملية :

لو أداروا راداراتهم فإننا سننسف صواريخ سام الملعونة الخاصة بهم، إنهم يعرفون أننا نملك بلدهم، إننا نملك فضاءهم، إننا نملى الطريقة التى يعيشون بها ويتحدثون، وهذا هو الشئ العظيم بالنسبة لأمريكا الآن، ذلك أمر طيب خاصة عندما يكون هناك قدر كبير من النفط الذى نحتاجه[٦١] .

ويمكن القول أن الولايات المتحدة قد أوقعت بالعراق عقابا ونبذا أكثر اتساما بالطابع الانتقامى مما أوقعته بألمانيا أو اليابان بعد الحرب العالمية الثانية.

لقد كتب ناعوم تشومسكى : " تمثل مبدأ رئيسى محرك لسياسة الولايات المتحدة منذ الأربعينيات فى أن موارد الطاقة الهائلة والتى ليس لها مثيل فى منطقة الخليج يجب أن تخضع للسيطرة الفعالة للولايات المتحدة وعملائها، والأمر الحاسم هو ألا يسمح لأى قوة محلية مستقلة بأن يكون لها تأثير كبير على إنتاج النفط وأسعاره ".

ربما تكون تلك هى جريمة العراق وليس أنها غزت الكويت فى ١٩٩٠، وهو غزو شجعت عليه الولايات المتحدة واستثارته الكويت نفسها - الحليف الوثيق لواشنطن - وهو غزو وفر للولايات المتحدة ذريعة كانت تحتاجها للتصرف. لم يكن الغزو العراقى فى نهاية المطاف أكثر مما فعلت أندونيسيا فى تيمور الشرقية، بمباركة من واشنطن.

بيــرو، التسعينيات ــ حاليا

لأكثـر من عـقـد من الزمـان، زودت الولايات المتحـدة بيـرو بسـيل لا ينتـهى من المستشـارين والمدربين العسكريين، وجنود البـحرية وأصـحـاب البـيريهات الزرقـاء، وكل ضروب الأسلحة والمعدات، وطلعات المراقبة، ومحطات الرادار فى الانديز. وكان كل ذلك لواحـد من أشـد النظم ديكتـاتورية وقـمـعـا فى نصف الكرة الغـربى، وهو النظام الذى أدانته منظمة العفو الدوليـة، ومنظمة مـراقبة حـقوق الإنسـان وتقرير مـراقبة حـقوق الإنسان فى الأمريكتين وتقرير وزارة الخارجية عن حقوق الإنسان بسبب سجونه التى تماثل سجون العصـور الوسطى، وما يقوم به من تعذيب روتينى وغير ذلك من انتهاكات حقوق الإنسان، والذى يقوده حاكم مستبد اسمه البرتو فوجيمورى.

مـا هو الغرض الذى قدمت هذه المساندة من أجله ؟ التفسير الرسـمى لواشنطن هو لمحاربة المخدرات، ولكن مـا الذى يمكن أن تدعيه واشنطن وتفكر فيـه، فى حين تم اعتـقال أربعة من ضـبـاط القـوات الجـوية، من بينهم واحـد من الطيـارين العـسكريين الشـخـصـيين لفـوجـيـمـورى بعد العثـور على ٣٨٣ رطلا من الكوكـايين على طائرتهم العسكرية، وفى حين أنه تمت مصادرة الكوكايين من سفن البحرية فى أربع مناسبات، بلغ مـجـمـوعـهـا ٢٢٠ رطلا[٦٢]، وفى حين أن لأقرب مستشـارى فوجيمـورى، فلاديمير مونتسـينو تاريخ معروف بأنه الرأس الكبير فى عمليات المخدرات، وأنه كان من قبل محاميا لمهربى المخدرات؛[٦٣]، وفى حين أن مونتسينو، الذى ظل لفترة طويلة على قائمة مرتبات وكالة المخابرات المركزية. كان يدير إدارة المخابرات، التى كانت أيديها منغمسة تحت المرفقين فى جرة كعك المخدرات وإدانة مجلس الشيوخ الأمريكى علنا فى ١٩٩٩ بسـبب فسـاده، وفى حين كـان مـعـروفـا أن المؤسـسـة العـسـكرية كـانت تزود مـهـربى المخدرات سرا بمعلومات عن الغارات التى ستشن عليهم وكانت تحمى بصورة مادية مخابئ الكوكايين من ضبط الشرطة لها ...[٦٤]

إنهم يفكرون فى المعتاد فى مساعدة الحكومة على قمع حركات حرب العصابات باعتبـار ذلك الأولوية الرئيسـيـة. ففى ١٩٧٩، أمر فوجيمورى بالإعدام العاجل لأربعة عشرة يسـاريا، معظمهم شبان صغار، استولوا على منزل السفير اليابانى للضغط من أجل مراعاة حقوق الإنسان وإجراء تحسينات إدارية، وحاولوا أن يستسلموا سلميا قبل إطلاق النار عليهم بأعـصـاب باردة. وكان الكومـاندوز الذين قـامـوا بالغـارة قد تلقوا

التدريب والمساعدة التكنولوجية الراقية من الولايات المتحدة لتنفيذ عمليتهم، بما فى ذلك طلعات طائرة آريو - ٣٨ ايه التى تستطيع تصوير مبنى وقياس سمك حوائطه، من بين حشد من التفاصيل الأخرى الحاسمة لتخطيط الغارة[٦٥] .

ولم تساعد الولايات المتحدة فى إعدام هؤلاء الشبان بسبب تهريب المخدرات.

المكسيك، التسعينيات الآن

إن حكومة المكسيك " فى حاجة لإبادة متمردى الزاباتيستا لإظهار سيطرتها الفعالة على الأراضى القومية وسياسة الأمن ... (و) وتحتاج لأن تنظر بصورة حريصة فيما إذا كانت تسمح أو لا بانتصار المعارضة إذا فازت بصورة نزيهة فى صناديق الاقتراع ". ذلك ما نقرؤه فى مذكرة كتبها فى ١٩٩٥ ريوردان رويت، وهو مستشار بشأن أسواق أمريكا اللاتينية الناهضة، والذى كان يعمل فى بنك تشيز مانهاتن فى نيويورك[٦٦] .

وكان يتحدث عن حركة السكان من أهل البلد فى المكسيك، الذين كانوا - ولا يزالون - يطالبون بحقوقهم الاقتصادية والسياسية وباستقلالهم الذاتى. بيد أن رغباتهم تتعارض مع احتياجات اتفاقية التجارة الحرة لأمريكا الشمالية والمكونات الأخرى للاقتصاد المعولم، الذى يريد استبعاد وطرد الزاباتيستا من مناطق معينة - أو ألا يطالبوا بالحق فى ملكية الأرض - لأسباب مختلفة، من بينها النفط والموارد الطبيعية الأخرى، وكذلك على وجه القطع المثل الذى تضربه للمكسيكيين الآخرين والفلاحين فى أمريكا اللاتينية. وتدعو خطط اتفاقية التجارة الحرة لأمريكا الشمالية إلى " تحديث " زراعة " الكفاف " التى مارسها أبناء البلد الأصليون منذ زمن طويل، أى انتاج محاصيل تصدير " عالية الأرباح " مثل المطاط والخشب[٦٧] .

وباسم محاربة المخدرات، صبت الولايات المتحدة مئات الملايين من الدولارات على المعونة العسكرية والتدريب العسكرى فى المكسيك، وجاءت بالتكملة المعتادة من عملاء الشرطة الأمريكية والمستشارين العسكريين ورجال مباحث وكالة المخابرات المركزية والقوات الخاصة[٦٨]، ووضعت كل هؤلاء فى خدمة حكومة فاسدة بطريقة مفضوحة، فالمؤسسة العسكرية وشبه العسكرية والشرطة وكثير من هؤلاء أنفسهم متورطون فى تهريب المخدرات، ودبروا المذابح وانخرطوا بصورة منتظمة فى التعذيب وغيره من

انتهاكات حقوق الإنسان[٦٩] . ويدعى الزاباتيستا أن المستشارين الأمريكيين والأرجنتينيين كانوا يقدمون التدريب للقوات شبه العسكرية، وهى القوة الأساسية التى خاضت هذه " الحرب القذرة " الأحدث عهدا، المألوفة للغاية لدى أهل أمريكا اللاتينية[٧٠] .

وشملت المعونة العسكرية الأمريكية تكنولوجيا المراقبة الراقية لتتبع الزاباتيستا فى الغابات والتلال، والمئات من طائرات الهليكوبتر، التى استخدمت فى مهاجمة المجتمعات المحلية بالمدافع الرشاشة، والصواريخ والقنابل. ومثل هذه المعونة والتدريب الأمريكيين لايزالان أمرا شائعا فى العالم الثالث، وفى سلسلة حلقات رائعة عن الموضوع نشرتها الواشنطن بوست فى ١٩٩٨، أوضحت أنه :

(حتى) فى الأماكن التى تكون المعارضة المحلية المسلحة غير ذات شأن أو غير موجودة، فإن القوات الأمريكية تدرب الجيوش على كيفية تتبع الخصوم، ومفاجأتهم بهجمات طائرات الهليكوبتر وقتلهم ببراعة أكبر، أو فى بعض الحالات على كيفية القيام بغارات على المنازل الواحد تلو الآخر فى " معركة حى مغلق " مصممة من أجل المدن[٧١] .

وكان قدر كبير من المعونة العسكرية المقدمة للمكسيك انتهاكا للقوانين التى أصدرها الكونجرس بحظر تقديم المساعدة الأجنبية لوحدات الأمن المتهمة بارتكاب انتهاكات لحقوق الإنسان[٧٢] .

والغريب تماما، أن أحدا لم يتهم الزاباتيستا بالتورط فى تجارة المخدرات، ومن ثم لا يمكن النظر إلى المشاركة الفعالة لواشنطن فى الحرب التى تشن ضدهم إلا من منظور إيديولوجى.

كولومبيا، التسعينيات، الوقت الحاضر

بنهاية العقد، كانت كولومبيا ـ وهى أكثر الأمم عنفا فى العالم ـ قد أصبحت أكبر ثالث متلق للمعونة العسكرية الأمريكية، مع وضع مئات من العسكريين الأمريكيين هناك فى عدد متنام من القواعد العسكرية وقواعد الرادار للمساعدة فى عمليات مكافحة التمرد الموجهة نحو فرق حرب العصابات اليسارية. وساعدت الولايات المتحدة فى غارات القصف بالقنابل التى شنتها الحكومة وفى المهام العسكرية الأخرى بتوفير

طائرات الهليكوبتر والمعلومات الاستخبارية عن حركات حرب العصابات، وصور الأقمار الصناعية واعتراض الاتصالات. وفى بعض المرات، حلقت الطائرات الأمريكية فوق ساحة عمليات القتال. وتدعى فرق حرب العصابات أن الأمريكيين يقومون بعمليات سرية لمكافحة التمرد وحذرت من أنهم سيكونون مستهدفين[٧٣] .

ومرة أخرى كانت " محاربة المخدرات " هى المبرر الذى قدم للرأى العام لاتخاذ جانب أحد الطرفين فى حرب أهلية، وليروج هذه المقولة فى الداخل، يشير بارى ماكفرى - قيصر المخدرات الأمريكى - بصورة روتينية إلى مجموعة حرب العصابات - الجبهة الثورة - على أنهم من " مهربى المخدرات ". لكن المدير المنوب لوكالة مكافحة المخدرات شهد ١٩٩٩ بأن الوكالة " لم تصل بعد حقا إلى استنتاج " بأن " الجبهة الثورية، وجبهة التحرر الوطنى، فى حد ذاتهما كيانان لتهريب المخدرات "[٧٤]، حتى على الرغم من أن فرق حرب العصابات تمول نفسها جزئيا من خلال حماية منتجى المخدرات أو " فرض ضرائب عليهم ".

بيد أن المتلقى الرئيسى للمعونة الأمريكية - وهو المؤسسة العسكرية الكولومبية - متورط فى تهريب المخدرات، ومرتبط فى الوقت نفسه بصورة وثيقة بالقوات شبه العسكرية التى تنشط هى أيضا فى تهريب المخدرات وحماية منتجيها[٧٥] . وفى نوفمبر ١٩٩٨، تبين أن طائرة شحن تابعة للقوات الجوية الكولومبية نزلت فى فورت لودر ديل بفلوريدا، تحتوى على ١٦٣٩ رطلا من الكوكايين - وفى ١٩٩٦، حاول ضباط من القوات الجوية فى كولومبيا تهريب هيروين إلى الولايات المتحدة على ظهر طائرة كان يستخدمها أرنستو سامبر - الذى كان رئيسا حينذاك - [٧٦] وقد وصف مسئول كبير فى إدارة كلينتون سامبر نفسه بأنه مهرب مخدرات[٧٧] .

ومثلما أوضح السناتور باتريك ليهى (ديمقراطى من فيرمونت) فى ١٩٩٩ وهو يتحدث عن كولومبيا : " إن ما نراه حقا هو صعود بسياسة مكافحة التمرد لتتنكر فى ثياب سياسة مكافحة المخدرات "[٧٨] .

وقدرت منظمة العفو الدولية فى تقريرها لعام ١٩٩٤ أنه تم قتل ما يربو على ٢٠ ألف شخص فى كولومبيا منذ ١٩٨٦ أساسا على أيدى المؤسسة العسكرية وحلفائها من أشباه العسكريين - " ليس فى حرب المخدرات وإنما لأسباب سياسية "، وكان

الكثير من الضحايا من " النقابيين والنشطاء فى مجال حقوق الإنسان وقادة حركات الجناح اليسارى القانونية ". ووجهت المنظمة اتهاما بأن " المعدات العسكرية التى توردها الولايات المتحدة، والتى تسلم بصورة مزعومة لاستخدامها لمكافحة مهربى المخدرات، استخدمتها المؤسسة العسكرية الكولومبية لارتكاب هذه الانتهاكات باسم " مكافحة التمرد "[٧٩] . ومثلما حدث فى المكسيك، فإن قدرا كبيرا من هذه المعونة ينتهك القوانين التى أصدرها الكونجرس المتعلقة بحقوق الإنسان، ولا يخفى البنتاجون سخريته من هذه القيود إلا بالكاد[٨٠] .

ذكرت رسالة قدمها فى مارس ١٩٩٧ أعضاء اللجنة الفرعية للعمليات الخارجية بمجلس النواب إلى وزيرة الخارجية أولبرايت أن " جهود حكومة كولومبيا لاتخاذ إجراءات للحد من الانتهاكات المتزايدة التى ترتكبها المجموعات شبه العسكرية، أو للحد من عمليات الإعدام غير القانونية، وحالات الاختفاء والتعذيب والقتل السياسى والأشكال الأخرى من انتهاكات حقوق الإنسان التى ترتكبها قوات الأمن (أى القوات العسكرية النظامية) ليست كافية لتبرير تقديم ما يزيد على ١٠٠ مليون دولار مساعدة عسكرية، واستئناف المعونة المميتة "[٨١] .

بيد أن المعونة المميتة استمرت، وتشك واشنطن فى أن المتمردين الكولومبيين إذا ما استولوا على السلطة فى أى وقت، لن ينصاعوا بطريقة جيدة للاقتصاد المعولم للنظام العالمى الجديد[٨٢] .

يوغوسلافيا، ٩٥ – ١٩٩٩

فى أبريل ١٩٩٦، زار الرئيس كلينتون روسيا خلال توقف مؤقت فى الصراع العسكرى الوحشى بين موسكو وإقليم الشيشان الذى انفصل عنها، وفى مؤتمر صحفى، أعلن الرئيس [٨٣] :

أنتم تقولون أن هناك البعض ممن يحاجون بأننا كان يجب أن نكون أشد انتقادا بصورة علنية، ولكننى أعتقد أن هذا يتوقف على المقدمة المنطقية الأولى لديكم[٨٤]، هل تعتقدون أن الشيشان جزء من روسيا أم لا ؟ ويتعين على أن أذكركم بأنه نشبت لدينا من قبل حرب أهلية فى بلدنا فقدنا فيها – على أساس نصيب الفرد – عددا من الناس أكبر مما فقدناه فى أى من حروب القرن العشرين على أساس مقولة أن إبراهام

ليـــنكولن وهب حـــيــاته من أجـــل ألا يكون لأى ولاية الحق فى الانســحــاب من اتحادنا.[85]

وبعد ذلك بثلاث سنوات دمر كلينتون قدرا كبيرا من الحياة والثقافة المتحضرة اليـوغوسـلافيـة فى " عـمليـة قصف من أجل الإنسانية "، رافضا فى الواقع فكرة أن لسلوبودان مـيلوسـيفـتش الحق فى مـحاولة منع إقليم كـوسـوفـو من الانسـحـاب من جـمـهورية يوغوسلافيا الاتحادية. لقد تدخلت الولايات المتحدة تحت ستار الناتو، فى حرب أهلية أقل عنفا من الحرب الأهلية الأمريكية ، وهى حقا أقل عنفا وأقصر أجلا من عديد من الصـراعات الأهلية الأخرى الجارية فى العالم فى الوقت نفسه، مثلما يحدث فى تركيا وسرى لانكا، أندونيسيا وتيمور الشرقية، وأنجولا وأماكن أخرى فى أفريقيا، وكان العنف المتطرف المفترض (هل من جانب واحد ؟) لصربيا ضد أهل كوسوفو هو الذى مزّق نياط قلوب قادة أمريكا والناتو الرحماء.

وبالنسبة لمن يحاجون بأن الولايات المتحدة لا يمكن أن تنقذ العالم كله وتخلصه، نقول إنه بعيدا عن التقاعس عن إنقاذ شعوب معينة، فإن واشنطن ساندت ـ بصورة نشيطة ـ تركيا وإندونيسيا سنوات طويلة في عمليات القمع العسكرى باستخدام القوة المسلحة التى قامتا بها، وأنها ساعدت كرواتيا على تنفيذ، ثم إخفاء، عمليات التطهير العرقى التى قامت بها للصرب فى كرايينا فى ١٩٩٥[86] . والواقع، إن تركيـا هددت تقريبا بالاعتراض على قرار الناتو بأن تعمل فى كوسوفو ما لم تتم طمأنة أنقرة بأن هذه السياسة لن تطبق مطلقا على معاملة تركيا للأكراد[87] .

ولكن كان من المحتم على الولايات المتحدة أن ترسى مبادئ معينة : ١) أن الناتوـ فى ظل غياب الحرب الباردة والاتحاد السوفيتى وحلف وارسوـ لا يزال له هدف فى الحياة ، ٢) أن للناتو الحق فى التدخل فى أى مكان، حتى خارج حدوده الجغرافية، وبدون التماس تفويض صرح من مجلس أمن الأمم المتحدة، ٣) أن الناتو هو الذراع العسكرى للنظام العالمى الجديد (مقار الشركات الرئيسية الواقعة فى واشنطن العاصمة).

لم تكن يوغوسلافيا ميالة لتقديس هذه المبادئ، كما لم يبد الصرب كما رأينا احتراما للانضمام لنادى حلفاء أمريكا المعولمين باعتبارهم شركاء أصغر مطيعين. كان

معظم صناعاتهم والقطاع المالى لديهم مملوكين للدولة، بل إنهم لم يحظروا كلمة " إشتراكية " من الحديث المهذب بعد. لقد كانوا ديناصورات حقيقة ! كانوا إجمالا هدفا إنسانيا مثاليا للقصف بالقنابل، لم تكن لحقيقة أن ميلوسفتش ديكتاتور أى أهمية إستراتيجية، إلا بالنسبة لقيمتها فى الدعاية.

وهكذا، فإن يوغوسلافيا التى ظلت سنوات طويلة تخشى من هجوم يجئ من الشرق (الاتحاد السوفيتى)، تم تدميرها على أيدى " العالم الحر " الغربى. وبينما كان يجرى تنفيذ هجمات القصف بالقنابل، أصبح التليفزيون الصربى مستهدفا أيضا، لأنه كان يذيع أشياء لا تحبها الولايات المتحدة، وحصدت القنابل أرواح كثيرين من العاملين بالمحطة، وساقى أحد الناجين، واللتين كان ينبغى بترهما لتخليصه من الموت[(٨٨)] .

ومثلما لاحظ روبرت فيسك المراسل الخارجى البريطانى المرموق فإنه " بمجرد أن تقتل الناس لأنك لا تحب ما يقولون، فإنك تغيّر قواعد الحرب "[(٨٩)] .

وربما كان أغرب جوانب النزاع هو فقد الذاكرة الجماعى الذى يبدو أنه حلّ بعدد لا يحصى من الأشخاص الأذكياء حسنى النية الذين كانوا مقتنعين بأن القصف الذى قامت به الولايات المتحدة والناتو تم بعد أن بدأ ترحيل جبرى حاشد لذوى الأصل الألبانى من كوسوفو، وهو ما يعنى القول بأن القصف تم شنه لوقف هذا التطهير " العرقى ". والواقع أن الترحيل الجبرى المنتظم لأعداد كبيرة من الناس لم يبدأ إلا بعد بضعة أيام من بداية القصف، وأنه كان من الواضح رد فعل له، وأنه نجم عن الغضب البالغ وانعدام الحيلة، ويسهل التحقق من ذلك بالنظر فى صحيفة يومية لبضعة أيام قبل أن يبدأ القصف ليلة ٢٣ / ٢٤ مارس، وبعده ببضعة أيام. أو يكفى ببساطة النظر فى الصفحة الأولى من النيويورك تايمز فى عدد ٢٦ مارس والتى جاء فيها :

... مع بدء القصف الذى يقوم به الناتو، يترسخ فى برشتينا (المدينة الرئيسية فى كوسوفو) إحساس متعمق بالخوف من أن الصرب سيصبون الآن جام غضبهم على المدنيين من أصل ألبانى انتقاما (التأكيد مضاف .)

وفى ٢٧ مارس، نجد أول إشارة إلى "المسيرة الجبرية" أو أى شئ من هذا القبيل.

ولكن الصيغة الدعائية ربما جاءت مزوقة، إنها أقرب مثال للاحتيال بكسب الثقة منذ أن نشرت الكنيسة فكرة " عصمة " البابا على السذج.

بكل اللغات، هناك ما هو أكثر من ذلك

بالإضافة إلى ما سبق، هناك بالمعنى الحرفى عشرات من التدخلات الأمريكية الخطيرة الأخرى فى كل ركن من العالم، ضد الحكومات والحركات منذ الخمسينيات فصاعدا، ويبدو أن قدر المروق الأمريكى الذى ينبغى كشف ستره لا متناه، فى حين أن وقت المؤلف متناه، إن طائرة التدخل الأمريكى تطير بدرجة أو بأخرى بفضل الطيار الآلى، الحرب الدائمة من أجل السلام الدائم.

حرب العصابات ومهربى المخدرات

يبدو مسئولو الحكومة الأمريكية عادة تواقين للمطابقة بين فرق حرب العصابات ومهربى المخدرات، سواء كانت المطابقة حقيقية أم لا، كما يحبون استخدام تعبير " إرهابيو المخدرات " فى الحديث عن فرق حرب العصابات، وهذا الرابط اللغوى قد يؤدى وظيفة تتجاوز الوصف البحت. وفيما يلى حديث الكولونيل جون ويجلشتين قائد القوات الخاصة وهو يتحدث فى ١٩٨٧ عن هذه الصلة :

إن التشكيلة القائمة فى ذهن الرأى العام والكونجرس الأمريكى عن هذه الصلة لابد أن تؤدى لضرورة تقديم المساعدة لدحر فرق حرب العصابات/ إرهابيى المخدرات فى نصف الكرة الغربى هذا، وسيجد الكونجرس أنه من الصعب الوقوف فى طريق دعم حلفائنا بالتدريب والمشورة والمساعدة الأمنية الضرورية للقيام بهذه المهمة. إن المجموعات الكنسية والأكاديمية التى تدعم التمرد بصورة صاغرة فى أمريكا اللاتينية سيجدون أنفسهم يقفون فى الجانب الخطأ للقضية الأخلاقية، وفى المحل الأول، إننا نقف فى الموقف الأخلاقى الذى لا يمكن مهاجمته والذى نشن منه جهدا متضافرا نستخدم فيه أصول وزارة الدفاع وغيرها(٩٠) .

متاحف تذكارية للضحايا

ظل محافظو الحرب الباردة عدة سنوات يخططون لافتتاح " المتحف التذكارى لضحايا الشيوعية " قرب المول فى واشنطن. وقد صرح بإقامة هذا المبنى مرسوم أصدره الكونجرس ووقعه الرئيس كلينتون، والأدبيات التى أصدرها مناصروه دفاعا عن هذا المشروع غير دقيقة على نحو فاضح وتندرج تحت بند الدعاية الفجة. ولكن

ليست هذه هى النقطة التى أود إثارتها هنا بقدر توضيح أن الدعوة إلى إقامة متحف تذكارى لضحايا العداء للشيوعية " لتكون على الباب المجاور كموقع مناسب. وستوفر العروض التى تتناول التدخلات الموصوفة أعلاه مع عمليات التعذيب ودعم الإرهاب الواردة فى الفصول الأخرى، مادة أكثر من كافية لملء مبنى كبير الحجم.

الفصل الثامن عشر

إفساد الانتخابات

محظور على أى رعية أجنبية أن تقدم بصورة مباشرة أو من خلال أى شخص آخر أى مساهمة من النقود أو أى أشياء أخرى قيمة، أو تعد صراحة أو ضمنا بتقديم مثل هذه المساهمة، فى ارتباط بالانتخاب لأى منصب سياسى أو فى ارتباط بأى انتخابات رئيسية ...

الفصل ٢، قانون الولايات المتحدة المعدّل، القسم ٤٤١ هـ (أ)

وهكذا، فإن هذا هو الأساس القانونى - إن لم يكن السياسى - للسخط الذى أبداه أعضاء الكونجرس الجمهوريون والديمقراطيون على حد سواء عند اكتشاف أن الصينيين حاولوا استخدام الهبات السرية للحملة الانتخابية للتأثير على السياسة الأمريكية.

بيد أن واضعى السياسة فى واشنطن، احتفظوا منذ وقت طويل بحق غير مقيد فى دفع مبالغ ضخمة من الأموال فى انتخابات البلدان الأخرى (بما فى ذلك أيضا تلك التى تحظر المساهمات الأجنبية) ولوثوا النظام الانتخابى بعدة طرق كما سنرى فيما يلى.

الانتخابات وذلك الشىء المسمى بالديمقراطية

خلال إدارة كلينتون، أعلن الرئيس والزعماء السياسيون الآخرون فى مناسبات عديدة، وكررت ذلك وسائل الإعلام إحساسا بالواجب، الرأى القائل بأن مقولة " أن كوبا هى البلد غير الديمقراطى الوحيد فى نصف الكرة الغربى " هى الحكمة التى يؤمن الجميع بها فى الولايات المتحدة.

ولنفحص هذه المقولة بصورة حريصة لأن لها تداعيات مثيرة للاهتمام بدرجة بالغة.

طوال فترة الثورة الكوبية، من ١٩٥٩ حتى الآن، شهدت أمريكا اللاتينية، عرضا رهيبا من انتهاكات حقوق الإنسان : التعذيب المنتظم والروتيني ؛ حشود من الأشخاص الذين " اختفوا "، سرايا الموت التي تؤيدها الحكومة التي تنتقي أفرادا مختارين، المذابح الحاشدة للفلاحين والطلاب والمجموعات الأخرى، القتل بأعصاب باردة، وكان أسوأ مرتكبي هذه الأعمال خلال هذه الفترة كلها أو في جزء منها، العسكريون والسرايا شبه العسكرية المرتبطة بها في السلفادور وجواتيمالا والبرازيل والأرجنتين وشيلي وكولومبيا وبيرو والمكسيك وأورجواي وهاييتي وهندوراس.

وحتى أسوأ أعداء كوبا لم يتهموا حكومة كاسترو بارتكاب أي من هذه الانتهاكات. وإذا تأمل المرء التعليم والرعاية الصحية - وكلاهما يكفله " الميثاق العالمي لحقوق الإنسان " الذي أصدرته الأمم المتحدة و " الاتفاقية الأوروبية لحماية حقوق الإنسان والحريات الأساسية " - فسيجد " بأنهما كليهما " كما قال الرئيس كلينتون " يعملان [في كوبا] بصورة أفضل منها في معظم البلدان الأخرى(1)، ولتبين أن كوبا حظت خلال أكثر من ٤٠ عاما من ثورتها، بواحد من أفضل سجلات حقوق الإنسان في أمريكا اللاتينية كلها.

وإذا استطاعت الولايات المتحدة على الرغم من هذا السجل، الإصرار على أن كوبا هي " البلد الوحيد غير الديمقراطي " في نصف الكرة الغربي، فإن ذلك يتركنا في مواجهة استنتاج لا مفر منه، هو أن هذا الشئ المسمى " الديمقراطية "، كما يراه البيت الأبيض، ليس له سوى شأن ضئيل، أو ليس له شأن بكثير من حقوق الإنسان التي نؤثرها لأقصى حد. والواقع أن عديدا من الإعلانات الصادرة عن الدوائر الرسمية في واشنطن على مر السنين توضح أن " الديمقراطية " في أحسن الأحوال أو في أقصى الأحوال، معادل للانتخابات والحريات المدنية فحسب، وحتى الوظائف والغذاء والمأوى ليست جزءا من هذه المعادلة.

وهكذا، فإن بلدا تكثر فيه حشود الجوعى والمشردين والمرضى الذين لا يلقون علاجا، والذين يعرفون القراءة والكتابة بالكاد، والعاطلين أو الذين يتعرضون للتعذيب،

والذين يختفى أحباؤهم أو يتم اغتيالهم بتواطؤ من الدولة، يمكن القول بأنها تعيش " ديمقراطية " - بمعناها الإغريقى الحرفى وهو " حكم الشعب " والذى يعنى ضمنا نوع الحياة الذى يريده الناس حقا - بشرط أن يكون لهم كل عامين أو أربعة أعوام الحق فى أن يذهبوا إلى مكان محدد ويضعوا علامة × أمام اسم فرد أو آخر يعد بتخفيف أحوالهم البائسة، ولكنهم بصورة نموذجية لا يفعلون - عمليا - شيئا من هذا النوع. وبشرط أن يوجد فى هذا المجتمع حد أدنى من الحرية على الأقل ، يعد مقدارها إلى حد كبير دالة لثروة المرء، لكى يعرب عن آرائه بشأن أصحاب الحكم والسلطة وإدارة المجتمع، دون خوف لا موجب له من العقاب بغض النظر عما إذا كان الإعراب عن هذه الآراء له تأثير على الأحوال أم لا.

وليس صدفة أن الولايات المتحدة قد عرفت الديمقراطية بهذه الطريقة الضيقة، فطوال الحرب الباردة، كان الوصف المفضل للخصم السوفيتى والدول التابعة له هو أنها تفتقر إلى الانتخابات متعددة الأحزاب " الحرة والنزيهة "، وإلى الحريات المدنية الكافية. بيد أن هذه الدول وفرت لمواطنيها مستوى لائقا نسبيا من المعيشة من حيث فرص العمل والطعام والرعاية الصحية والتعليم ... الخ، بدون التعذيب البرازيلى الموجود فى كل مكان أو سرايا الموت الجواتيمالية. وفى الوقت نفسه، كان كثير من بلدان حلفاء أمريكا فى العالم الثالث إبان الحرب الباردة - أعضاء ما كانت واشنطن تحب أن تشير إليه " بالعالم الحر " - مناطق كوارث بالنسبة لحقوق الإنسان، لا تستطيع أن تتحمل أكثر من ٦٠ ثانية من الديمقراطية عند صناديق الاقتراع وكانت تتحمل الرأى المنشق طالما لم يشكل تهديدا أو يتحول لقوة عارمة.

وبالطبع، فقد تمثلت الطريقة الوحيدة لكسب النقاط فى دعاية الحرب الباردة بصفوف من الفرق مثل هذه، فى تمجيد الفضائل التى يتمتع بها فريقك وإدانة افتقار العدو إليها، ووصف الأولى " بالديمقراطية " والأخيرة " بالشمولية ".

وهكذا، فإن الأمريكيين نشئوا على الاعتقاد المتحمس بأنه لا يمكن تحقيق أى تقدم فى أى مجتمع فى غياب الانتخابات، وتعلموا أن يجعلوا الانتخابات مرادفا للديمقراطية، ومهما نشئوا على التشكك فى الانتخابات المحلية، فإن قلة منهم هى التى تضمر أى شك فى أن النهوض بالانتخابات الحرة والنزيهة كان منذ أمد طويل عقيدة أساسية ومخلصة للسياسة الخارجية الأمريكية.

وفى ضوء هذا، لنفحص السجل التاريخى الفعلى.

الفلبين، الخمسينيات

توالى تلاعب وكالة المخابرات المركزية الصارخ بالحياة السياسية للبلاد، والانتخابات التى يتم التدبير لها بليل بحملات مكثفة لتشويه المعلومات، والتمويل الباهظ للمرشحين، وكتابة خطبهم، ووضع مخدر فى مشروبات أحد المرشحين من خصوم الوكالة حتى يبدو غير متزن، وتدبير اغتيال مرشح آخر. لقد أقامت الوكالة سرا منظمة تسمى الحركة الوطنية من أجل الانتخابات الحرة، باعتبار ذلك أفضل وسيلة لتدعيم جدول أعمالها، وانضم إليها المواطنون حسنو النية فى كل أنحاء البلاد، ووثقت فيها أيضا النيويورك تايمز، فقد أشادت بالتطور السياسى والانتخابى للبلاد، وأعلنت أن : " هناك مبرر لتسمية الفلبين نافذة عرض الديمقراطية فى آسيا "[٢] .

إيطاليا، ١٩٨٤ ـ السبعينيات

انظر الفصل الخاص بالتدخلات.

لبنان، الخمسينيات

قدمت وكالة المخابرات المركزية الأموال لدعم حملات الرئيس كميل شمعون ومرشحين برلمانيين مختارين، ووجهت أموالا أخرى للتصدى لمرشحين لم يبدوا افتتانهم الكامل بتدخل الولايات المتحدة فى لبنان[٣] .

أندونيسيا، ١٩٥٥

أنفقت الوكالة مليون دولار على الحملة الانتخابية لتحالف الوسط فى مسعى لتقليص التأييد الذى يحظى به حزب الرئيس سوكارنو والحزب الشيوعى الأندونيسى[٤] .

فيتنام، ١٩٥٥

كان للولايات المتحدة دور فعّال فى إلغاء الانتخابات المزمعة لتوحيد الشمال والجنوب بسبب تيقنها من أن الزعيم الشيوعى الشمالى هوشى منه سيفوز بسهولة[٥] .

غيانا البريطانية / غويانا، ٥٣ - ١٩٥٤

لمدة ١١ عاما، قطعت ديمقراطيتان من أقدم الديمقراطيات فى العالم، بريطانيا العظمى والمملكة المتحدة، آمادا طويلة لمنع تشيدى جاجان ـ الزعيم الذى انتخب ثلاث

مرات بصورة ديمقراطية - من تولى منصبه، وطردت الولايات المتحدة وبريطانيا جاجان من منصبه خلال هذه الفترة باستخدام تشكيلة واسعة من التاكتيكات ، من الإضرابات العامة وحملات التشويه إلى الإرهاب، والاستخدام الحرفى للقانون البريطانى[٦] .

اليابان، ١٩٥٨ ـ السبعينيات

أفرغت وكالة المخابرات المركزية الخزانة الأمريكية من ملايين الدولارات لتمويل الحزب الديمقراطى الليبرالى المحافظ فى الانتخابات البرلمانية، على " أساس كل مقعد على حدة "، فى حين فعلت كل ما تستطيعه لإضعاف وتقويض المعارضة له، الحزب الاشتراكى اليابانى. وكان النتيجة أن استمر الحزب الديمقراطى الليبرالى فى السلطة ٣٨ سنة، مماثلة لحكم الديمقراطيين المسيحيين فى إيطاليا، الذين رعتهم هم أيضا وكالة المخابرات المركزية، وقد منعت هذه التاكتيكات كل من اليابان وإيطاليا من تنمية نظام حزبى متعدد الأطراف قوى[٧] .

وتتضمن طبعة ٦١ - ١٩٦٣ من تقرير وزارة الخارجية السنوى، علاقات الولايات المتحدة الخارجية، الذى نشر فى ١٩٩٦، تنصلا غير مسبوق يقول إنه - بسبب المواد التى تم إسقاطها - فإن لجنة من المؤرخين المرموقين تعتقد أن " هذا التصنيف المنشور لا يشكل سجلا وثائقيا شاملا ودقيقا ويعتمد عليه للقرارات الأساسية للسياسة الخارجية الأمريكية " ـ كما يقتضى القانون - وتضمنت المواد المحذوفة أعمال الولايات المتحدة من ١٩٥٨ إلى ١٩٦٠ فى اليابان، حسب قول مؤرخ وزارة الخارجية[٨] .

نيبال، ١٩٥٩

اعترفت وكالة المخابرات المركزية بأنها قامت " بعمل سرى " لم تحدده لصالح كويرالا لتساعد حزبه ـ حزب المؤتمر النيبالى ـ على الفوز فى الانتخابات البرلمانية الوطنية، وفاز الحزب بأغلبية المقاعد فى الدورة الجديدة وأصبح كويرالا رئيسا للوزراء، وكانت تلك هى أول انتخابات فى نيبال، وكانت الوكالة هناك لتدشن فيها آليات عمل الديمقراطية المدهشة[٩] .

لاوس، ١٩٦٠

ملأ عملاء الوكالة صناديق الاقتراع بأصوات زائفة لمساعدة فومى نوسافان الرجل القوى الذى اختارته بأيديها، على إقامة حكومة موالية للأمريكان[١٠].

البرازيل، ١٩٦٢

أنفقت وكالة المخابرات المركزية ووكالة التنمية الدولية ملايين الدولارات خلال الانتخابات الاتحادية وانتخابات الولايات لدعم المرشحين المعارضين للرئيس خواو جولارت، كما استخرجت الوكالة من جراب خداعها القذرة ما يفسد حملات مختلف المرشحين(١١) .

الجمهورية الدومينيكية، ١٩٦٢

فى أكتوبر ١٩٦٢– وقبل شهرين من موعد الانتخابات – اجتمع جون بارتلو مارتن سفير الولايات المتحدة مع مرشحى الحزبين الرئيسيين وقدم لهم إشعارا مكتوبا بالإسبانية والانجليزية كان قد أعده، ونقرأ فى جزء منه : " إن من سيخسر فى الانتخابات القادمة، سيقوم بمجرد إعلان نتيجة الانتخابات، بتهنئة الفائز، ويعترف به على الملأ رئيسا لكل الشعب الدومينيكى، ويدعو علنا كل مؤيديه للاعتراف به، وقبل أن يتولى الفائز منصبه، سيقدم مقاعد فى الوزارة للحزب الخاسر، (ويمكن له أن يرفض) "(١٢) .

كما عملت الولايات المتحدة مع الحكومة الدومينيكية بترحيل نحو ١٢٥ شخص ـ من مؤيدى الدكتاتور السابق تروخيللو وكذلك أنصار كاسترو/ الشيوعيين ـ إلى الولايات المتحدة وأماكن أخرى، ولم يسمح لهم بالعودة إلا بعد الانتخابات وذلك " للمساعدة على الحفاظ على الاستقرار حتى يمكن إجراء الانتخابات " كما قال مارتن(١٣) .

ومع تبدل الأمور، فإن الفائز ـ خوان بوش ـ أطيح به فى انقلاب عسكرى وقع بعد سبعة أشهر، وكانت تلك صفعة على وجه الديمقراطية، لم يفعل مارتن ولا أى مسئول أمريكى آخر شيئا إزاءها.

جواتيمالا، ١٩٦٣

أطاحت الولايات المتحدة بنظام الجنرال ميجويل يديجوراس لأنه كان يخطط للتنازل فى ١٩٦٤، تاركا الباب مفتوحا لإجراء انتخابات كانت واشنطن تخشى أن يفوز فيها خوان خوزيه أريفالو، الرئيس السابق، الإصلاحى الليبرالى الذى ينتقد

السياسة الخارجية للولايات المتحدة، ولم يورد خليفة يديجوراس أى ذكر للانتخابات[١٤] .

بوليفيا، ١٩٦٦

أنفقت وكالة المخابرات المركزية ٦٠٠ ألف دولار على الرئيس رينيه بارينتوس ومبالغ أقل عدة أحزاب للجناح اليمينى فى محاولة ناجحة للتأثير على نتيجة الانتخابات القومية، وأسهمت شركة نفط الخليج بمائتى ألف دولار أخرى لبارينتوس[١٥] .

شيلى، ٦٤ - ١٩٧٠

حدثت تدخلات كبيرة من قبل الولايات المتحدة فى انتخابات ١٩٦٤ و ١٩٧٠، وفى انتخابات الكونجرس فى السنوات الفاصلة بينهما، وراح سلفادور الليندى الاشتراكى ضحية فى ١٩٦٤، لكنه فاز فى ١٩٧٠، رغم عملية وكالة المخابرات التى أنفقت عليها عدة ملايين وتعددت أوجهها ضده، ثم دبرت الوكالة سقوطه فى انقلاب عسكرى فى ١٩٧٣[١٦] .

البرتغال، ٧٤ - ١٩٧٥

فى السنوات التى تلت انقلاب ١٩٧٤ ـ والذى قام به ضباط عسكريون يتحدثون حديث الاشتراكيين ـ شحذت وكالة المخابرات المركزية آلة الدعاية لديها فى حين صبت عدة ملايين من الدولارات لدعم المرشحين " المعتدلين "، وبصفة خاصة ماريو سواريز وحزبه المسمى بالاشتراكى، وفى الوقت نفسه شجعت الوكالة الأحزاب الديمقراطية الاجتماعية فى أوروبا الغربية لتقديم مزيد من الأموال لدعم سواريز، وأجدى ذلك، وأصبح الحزب الاشتراكى هو القوة المهيمنة[١٧] .

استراليا، ٧٤ - ١٩٩٥

انظر فصل " التدخلات ".

جامايكا، ١٩٧٦

شنت وكالة المخابرات المركزية حملة لهزيمة الزعيم الديمقراطى الاجتماعى مايكل مالنى عندما رشح نفسه لإعادة انتخابه، شملت نشر المعلومات المشوهة وإرسال

شحنات الأسلحة، وإثارة القلاقل العمالية، وزعزعة الاستقرار الاقتصادى وتقديم الدعم المالى للمعارضة ومحاولات للاعتداء على حياة مالنى. ومع كل هذا، فقد فاز[١٨] .

بنمـــا، ٨٤ - ١٩٨٩

فى ١٩٨٤، ساعدت الوكالة فى تمويل انتصار فى الانتخابات الرئاسية كان موضع شكوك كبيرة لصالح أحد رجال مانويل نوريجا، وصرخت المعارضة قائلة : " لقد حدث تزوير " ولكن البيت الأبيض رحب بالرئيس الجديد. وبحلول ١٩٨٩ لم يعد نوريجا يتمتع بالحظوة لدى واشنطن، لذلك قدمت الوكالة أكثر من ١٠ ملايين دولار للذين عارضوا مرشح نوريجا كما قدمت محطتى إذاعة وتليفزيون سريتين للتأثير على الاقتراع. وعندما " فاز " رجل نوريجا، أعربت واشنطن فى هذه المناسبة عن سخطها الأخلاقى على تزوير الانتخابات[١٩] .

نيكاراجوا، ١٩٨٤ - ١٩٩٠

فى ١٩٨٤، أقنعت الولايات المتحدة سرا تحالف المعارضة الرئيسى بعدم الاشتراك فى الانتخابات التى كانت حكومة الساندنيستا تزمع إجراءها، وذلك فى محاولة لنزع المشروعية عن هذه الانتخابات. وقبل موعد الانتخابات ببضعة أيام قليلة، كشف بعض الأحزاب اليمينية الأخرى المشتركة فى الانتخابات عن أن الدبلوماسيين الأمريكيين ضغطوا عليها لتنسحب من السباق بدورها[٢٠] ، كما حاولت الوكالة قسم صفوف قيادة الساندنيستا بنشر إعلانات زائفة فى صفحات كاملة فى البلدان المجاورة[٢١] ، لكن الساندنيستا فازت بسهولة فى كل انتخابات نزيهة رصدها مئات من المراقبين الدوليين.

وبعد ست سنوات، صبت هيئة الوقف من أجل الديمقراطية ـ وهى البديل الذى أنشأته واشنطن لوكالة المخابرات الأمريكية ـ ملايين الدولارات لهزيمة الساندنيستا فى انتخابات فبراير، وساعد الوقف فى تنظيم المعارضة فى نيكاراجوا فى إطار " التنظيم القومى المتحد "، وقام ببناء الأحزاب والمنظمات التى شكلت هذا التحالف وأيدته. وكان التنظيم القومى المتحد الذى فاز هو الحزب السياسى الوحيد الذى حصل على المعونة الأمريكية، حتى على الرغم من أن ثمانية أحزاب معارضة أخرى قدمت مرشحين[٢٢] .

وربما كـان الأمـر الأكـثـر دلالة عن كل مـا عـداه، هو أنهم جـعلوا الشـعب في نيكاراجوا يعتقد على نحو مؤسف أن نجاح الساندنيستا يعنى استمرار الحرب المدمرة على نحو لا يهدأ التى تشنها واشنطن ضدها.

هاييتى، ٨٧ – ١٩٨٨

بعـد وضع حدّ لديكتـاتورية دوفاليـيـه فى ١٩٨٦، استـعـدت البـلاد لإجـراء أول انتخابات حرة بها فى العام التالى، بيد أن الزعيم النقابى الرئيسى فى هاييتى أعلن أن واشنطن تعمل على تقويض اليسار، وقال إن منظمات المعونة الأمريكية، تشـجع الناس فى الريف على اعـتبـار اليسار كله " شـيوعيا " ورفـضـه. وفى الوقت نفـسـه، انخـرطت الوكـالة فى دعم مـرشـحين مـخـتـارين حـتى أمـرت لجنة المخـابرات بمـجلس الشيوخ الوكالة بالتوقف عن عملها السرى فى الانتخابات[٢٣] .

بلـغـاريـا، ٩٠ –١٩٩١ . وألـبـانيـا، ١٩٩١ – ١٩٩٢

دون أدنى اعتبار لهشاشة هذه الديمقراطيات الوليدة، لعبت الولايات المتحدة دورا رئيسيا فى الإطاحة بحكوماتها المنتخبة، انظر فصل " التدخلات ".

روسـيـا، ١٩٩٦

لمدة أربعة شـهور (مـارس ـ يونيو)، عملت مـجموعة من المسـتشـارين السياسيين الأمريكيين المخضرمين بصورة سرية فى موسكو لدعم حملة بوريس يلتسين لانتخابات الرئاسـة، ورغم أن الأمريكيين كانوا يعملون بصـورة مستقلة، فإن ديك مـوريس ـ المعلم الروحى السياسـى للرئيس كلينتـون ـ عمل كوسيط لهم لدى الإدارة. وأخبر كلينتون نفـسـه يلتـسين فى مـارس أنـه يريد " التـأكـد من أن كل شـئ تفـعله الولايات المتـحدة سيكون له تأثير ايجـابى "، على الحملة الانتخابية الروسية، إذ كـانوا يعتمـدون على بوريس يلتسين فى أن يساير لعبة كرة السوق الحرة المعولة. وكان من المحتم أن يعبر خط الهدف، ودبر المستشارون الأمريكيون فى موسكو عقد قمة بين كلينتون ويلتسين ـ على غرار كذبة أبريل ـ بما يسـمح بالروس " للتصدى للغرب "، مثلما كان يقول الحزب الشيوعى الروسى ـ خصم يلتسين الرئيسى ـ أنه سيفعله لو فاز.

وروج الأمريكيون لأساليب وضع وإبلاغ الرسائل المتقدمة واستطلاع الرأى وتحديد المجموعات التى يتعين التركيز عليها، وتعبئة الحشود، وإرسال الرسائل البريدية المباشرة... الخ، ودعوا إلى فرض مزيد من الهيمنة المنتظمة لوسائل الإعلام التى تملكها الدولة، ونصحوا بعدم إجراء مناظرات عامة مع الشيوعيين. والأهم من كل هذا، أنهم شجعوا حملة يلتسين على " إضفاء طابع سلبى " على الشيوعيين ورسم صورة مروعة لما سيفعله الشيوعيون إذا تولوا السلطة، بما فى ذلك حدوث حالة جيشان وعنف مدنى، وبالطبع العودة إلى أسوأ ما فى الستالينية، ومع التعتيم الإعلامى الحقيقى ضد الشيوعيين، اضطروا للتصدى لهذه الهجمات وصرخوا بالعبارة الروسية التى تعنى " إنه الاقتصاد، أيها الأغبياء ".

ومن المستحيل تقدير قيمة مساهمة المستشارين الأمريكيين فى حملة يلتسين، لأنه لم تتوفر معرفة بالأساليب التى كان يتوقع أن يستخدمها الروس لو تركوا لشأنهم، وكيف كان يتوقع تطبيقها وما ستؤول إليه الأمور. لكننا نعرف أنه قبل مجئ الأمريكيين للحلبة، لم يكن يفضل يلتسين سوى ٦ فى المائة فحسب من هيئة الناخبين. وفى الجولة الأولى من الاقتراع، تقدم على الشيوعيين بنسبة ٣٥ فى المائة مقابل ٣٢ فى المائة، وفاز فى الجولة الثانية بنسبة ٥٤ فى المائة مقابل ٤٠ فى المائة، وأعلنت مجلة تايم " ان الديمقراطية انتصرت "[٢٤] .

منغوليا، ١٩٩٦

عمل الوقف الوطنى من أجل الديمقراطية عدة سنوات مع المعارضة لحزب الشعب المنغولى الثورى الحاكم (الحزب الشيوعى السابق الذى فاز فى انتخابات ١٩٩٢) لتحقيق انتصار انتخابى مفاجئ. وفى فترة السنوات الست التى أفضت إلى انتخابات ١٩٩٦، أنفق الوقف ما يقرب من مليون دولار فى بلد يبلغ عدد سكانه ٥ر٢ مليون نسمة، وكانت أهم نتيجة ترتبت على ذلك هى توحيد المعارضة فى تحالف جديد، الاتحاد الديمقراطى الوطنى. وبالاستعارة من " عقد نيوت جنجريتش مع أمريكا "، وضع الوقف مشروع " عقد مع الناخب المنغولى "، يدعو إلى حقوق الملكية الخاصة، والصحافة الحرة وتشجيع الاستثمار الأجنبى[٢٥] . وكان الحزب الثورى المنغولى قد استن بالفعل إصلاحات اقتصادية على الطراز الغربى، أدت إلى تفشى الفقر وعصفت بكثير من شبكات الأمان الاجتماعية الشيوعية، لكن الحكومة الجديدة وعدت بالتعجيل

بالإصلاحات، بما فى ذلك خصخصة الإسكان(٢٦) ، وشعرت صحيفة وول ستريت جورنال بالنشوة وهى تعلن أن " علاجا بالصدمات " يجرى حاليا ويتطور ليصبح أكثر مدعاة للصدمة، مثلما يتبدى فى بيع المشروعات المملوكة للدولة، وكانت افتتاحية الصحيفة معنونة : " حكمة الاستبس "(٢٧) . وكانت الحكومة الجديدة من النوع الذى تتوقع واشنطن أن تكون مضيافة للشركات الأمريكية ووكالات المخابرات بدرجة أكبر من حكومة الحزب الثورى. والواقع أنه بحلول ١٩٩٨ ، كانت وكالة الأمن القومى قد أقامت محطات استماع إليكترونية فى منغوليا الخارجية لاعتراض اتصالات الجيش الصينى، واستخدمت إدارة المخابرات المنغولية البدو لجمع الاستخبارات فى الصين نفسها(٢٨) .

البوسنة، ١٩٩٨

أصبحت البوسنة فعلا محمية أمريكية، مع تعيين كارلوس وستندورب - الدبلوماسى الأسبانى الذى عين لفرض النتاج الأمريكى : اتفاقيات دايتون للسلام - باعتباره الحاكم العام الاستعمارى. وقبل إجراء انتخابات سبتمبر لحشد من المناصب، استبعد وستندورب ١٤ مرشحا كرواتيا من الترشيح بسبب التغطية المتحيزة - كما أدعى - التى تبثها فى البوسنة محطة تليفزيون كرواتيا المجاورة والتلاعب بجنود الجيش من أصل كرواتى. وبعد الانتخابات، فصل وستندورب الرئيس المنتخب لجمهورية الصرب البوسنية، متهما إياه بزعزعة الاستقرار، وفى هذا السيناريو، دُعى الذين بدا أنهم يساندون ما تريده الولايات المتحدة والدول الغربية الأخرى " بالمعتدلين " وسمح لهم بالتقدم للمناصب والاحتفاظ بها، ووصف الذين تراودهم أفكار أخرى " بالمتشددين " وتعرضوا لخطر مصير آخر. وعندما اختير وستندورب لتولى منصب " الممثل السامى " فى البوسنة فى مايو ١٩٩٧، كتبت صحيفة الجارديان فى لندن تقول " إن وزير الخارجية الأمريكية - مادلين أولبرايت - أشادت بالاختيار. ولكن بعض النقاد يخشون بالفعل من أن يثبت السيد وستندورب أنه ضئيل القدرات وينتهى إلى أن يكون صفرا فى أيدى الأمريكيين "(٢٩) .

أدلة أخرى على غرام واشنطن بالانتخابات

هناك أيضا مناسبات انخرطت فيها الولايات المتحدة - على الرغم من أنها (ربما) لم تتدخل فى الانتخابات - فى الإطاحة بحكومات منتخبة بصورة ديمقراطية، مثلما حدث فى إيران فى ١٩٥٣، وجواتيمالا فى ١٩٥٤، والكونغو ١٩٦٠، والاكوادور ١٩٦١، وبوليفيا ١٩٦٤، واليونان ١٩٦٧ وفيجى ١٩٦٧ .

وفى بلدان أخرى، أسفرت التدخلات الأمريكية عن استبعاد الانتخابات الحرة، أو أى انتخابات، بصورة كاملة لفترات ممتدة طويلا من الزمن، مثلما حدث فى إيران وكوريا الجنوبية وجواتيمالا والبرازيل والكنغو وأندونيسيا وشيلى واليونان.

الفصل التاسع عشر

حصان طروادة : الوقف القومى من أجل الديمقراطية

كم من الأمريكيين يعرفون شيئا عن الوقف القومى من أجل الديمقراطية ؟ إنها منظمة تفعل عادة عكس ما يعنيه اسمها ضمنا على وجه الدقة، وقد أقيم الوقف فى أوائل الثمانينيات فى ظل الرئيس ريجان فى أعقاب كل السلبيات التى تكشفت عن وكالة المخابرات المركزية فى النصف الثانى من السبعينيات. وكان هذا النصف الأخير فترة مرموقة، فقد انهمكت لجنة الكنيسة فى مجلس الشيوخ التى استفزتها حادثة ووترجيت، ولجنة بايك فى مجلس النواب ولجنة روكفلر ـ التى أنشأها الرئيس ـ جميعها فى التحقيق فى أعمال وكالة المخابرات المركزية. وعلى ما يبدو، فإنه كانت تصدر فى كل يوم والثانى عناوين رئيسية للصحف عن اكتشاف شئ ما مشين، بل وسلوك إجرامى، لقد اختلطت الأمور فى الوكالة لسنوات طويلة،واكتسبت الوكالة سمعة نابية بصورة مفرطة، وسببت إحراجا لأصحاب النفوذ.

وكان لابد من عمل شئ ما. لكن ما تم عمله لم يتمثل فى وقف هذه الأشياء المشينة، بل فى تحويل كثير من هذه الأشياء المشينة إلى منظمة جديدة، اسمها له رنين لطيف ـ الوقف الوطنى من أجل الديمقراطية ـ وكانت الفكرة هى أن الوقف سيفعل علنا ما ظلت الوكالة تعمله سرا طوال عقود طويلة، وبذلك تزيل كما هو مأمول، الوصمة المرتبطة بأنشطة الوكالة السرية.

كان ذلك ضربة معلم، فى السياسة، وفى العلاقات العامة وفى السخرية.

وهكذا، ففى ١٩٨٣ أقيم الوقف القومى من أجل الديمقراطية " لدعم المؤسسات الديمقراطية فى كل أرجاء العالم من خلال الجهود الخاصة، غير الحكومية "، لاحظ تعبير " غير الحكومية "، وهو ما يعكس جزءا من الصورة، وجزءا من الأسطورة.

والواقع، أن كل قرش من التمويل الذى قدمته جاء عمليا من الحكومة الاتحادية، كما يتبين بوضوح فى البيان المالى فى كل عدد من تقريرها السنوى. ويفضل الوقف الإشارة إلى نفسه باعتباره منظمة غير حكومية لأن ذلك يساعد على الاحتفاظ بمصداقية معينة فى الخارج قد لا تتوافر لوكالة حكومية أمريكية رسمية، لكن تصنيفه كمنظمة غير حكومية خاطئ، فالوقف منظمة حكومية.

وقد كان الن واينشتين – الذى ساعد فى وضع مشروع التشريع المنشئ للوقف – صريحا تماما عندما قال فى ١٩٩١ : " إن كثيرا مما نفعله اليوم كانت تقوم به وكالة المخابرات المركزية سرا منذ ٢٥ سنة مضت "[١] . والواقع، أن وكالة المخابرات المركزية طفقت تغسل الأموال من خلال الوقف.

وفى البدء كان هناك أربعة متلقين أساسيين لأموال الوقف : المعهد الجمهورى الدولى، والمعهد الديمقراطى القومى للشئون الدولية، وهيئات تابعة لاتحاد العمال الأمريكى ومؤتمر المنظمات الصناعية (مثل المركز الأمريكى من أجل التضامن العمالى الدولى)، وهيئات تابعة لغرفة التجارة (مثل مركز المشروع الخاص الدولى). وبعد ذلك، تصرف هذه المؤسسات الأموال لمؤسسات أخرى فى الولايات المتحدة وفى كل أنحاء العالم، والتى تصرف الأموال بعد ذلك إلى منظمات أخرى.

وقد تدخل الوقف بحشد من الطرق فى الشئون الداخلية للبلدان الأجنبية بتقديم الأموال، والدراية الفنية، والتدريب، ومواد التعليم، والحاسبات الآلية، وآلات الفاكس، وأجهزة النسخ، والسيارات وما إلى ذلك، لمجموعات سياسية مختارة، ومنظمات مدنية، ونقابات عمالية، ووسائل إعلام، الخ. وتتبنى برامج الوقف بصفة عامة الفلسفة الأساسية القائلة بأن مصلحة الشعب العامل وغيره من المواطنين تتحقق على خير وجه من خلال المشروع الحر، والتعاون الطبقى، والمفاوضات الجماعية، والحد الأدنى من التدخل الحكومى فى الاقتصاد ومعارضته الاشتراكية فى أى شكل أو صورة. لقد جعلوا اقتصاد السوق الحرة مرادفا للديمقراطية والإصلاح والنمو، وتم التركيز على مزايا الاستثمار الأجنبى.

ومن ١٩٩٤ إلى ١٩٩٦، قدم الوقف ١٤٥ منحة، يزيد إجماليها على ٥ر٢ مليون دولار للمعهد الأمريكى لتنمية العمل الحر، وهى منظمة استغلتها وكالة المخابرات

المركزية عقودا طويلة لتخريب النقابات العمالية التقدمية[٢] . وقد تضمن عمل الاتحاد داخل نقابات العالم الثالث، جهودا تعليمية كبيرة مماثلة تماما لفلسفة الوقف الأساسية السابق ذكرها، ويتضمن وصف أحد منح الوقف فى عام ١٩٩٦ للمعهد تحديدا لأحد أهدافه : " بناء التعاون فى إدارة النقابات "[٣] . ومثل كثير من الأشياء التى يقولها الوقف، فإن ذلك يبدو أمرا حميدا، إن لم يكن إيجابيا، ولكن هذه العبارة هى كلمات بالشفرة وتعنى " ابق على الإثارة العمالية منخفضة ... لا تهز قارب الوضع القائم "[٤]. إن العلاقة بين الوقف والمعهد تكشف جيدا أن وكالة المخابرات المركزية هى أصل الوقف.

لقد مول الوقف تنظيمات الوسط واليمين العمالية لمساعدتها على مواجهة النقابات الموالية للعمال بصورة نضالية للغاية، وقد حدث هذا فى فرنسا والبرتغال وأسبانيا، بين أماكن أخرى. ففى فرنسا، أيد الوقف خلال الفترة ٨٣ – ١٩٨٤ " منظمة شبه نقابية للأساتذة والطلاب " للتصدى " لمنظمات الأستاذة المنتمية للجناح اليسارى "، وتحقيقا لهذه الغاية، مول سلسلة من الندوات وطبع الملصقات، والكتب والكتيبات مثل " التخريب ولاهوت الثورة " و " الحياد أو الحرية "[٥] (" الحياد " هنا يشير إلى عدم الانحياز فى الحرب الباردة).

ويصف الوقف أحد برامجه فى ٩٧ – ١٩٩٨ بأنه " تحديد العوائق التى تعترض تنمية القطاع الخاص على المستويين المحلى والاتحادى فى جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية، والدفع إلى التغيير التشريعى ... (و) وضع استراتيجيات لنمو القطاع الخاص "[٦] . وقد تلقى منتقدو الرئيس اليوغوسلافى سلوبودان ميلوستفتش منحا من الوقف لسنوات طويلة.

خلاصة القول، إن برامج الوقف تتوافق مع الاحتياجات والأهداف الأساسية للعولمة الاقتصادية للنظام العالمى الجديد، مثلما كانت البرامج طوال سنوات عديدة على نفس موجة السياسة الخارجية الأمريكية.

وبسبب جدل ثار فى ١٩٨٤، عندما استخدمت أموال الوقف لمساعدة المرشح البنمى للرئاسة الذى كان يؤيده مانويل نوريجا ووكالة المخابرات الأمريكية، أصدر الكونجرس قانونا يحظر استخدام أموال الوقف " لتمويل حملات المرشحين للمناصب

العامة ". ولكن ليس من الصعب التوصل لطرق للتحايل على روح مثل هذا الحظر، فمثلما هو الحال بالنسبة للانتخابات الأمريكية، هناك "عملة صعبة" و " عملة ضعيفة ".

ومثلما جرى وصفه فى فصلى " الانتخابات " و " التدخلات " تلاعب الوقف بنجاح بالانتخابات فى نيكاراجوا فى ١٩٩٠ وفى منغوليا فى ١٩٩٦ وساعد على الإطاحة بالحكومات المنتخبة بصورة ديمقراطية فى بلغاريا ١٩٩٠ وألبانيا ١٩٩١ و ١٩٩٢ . وفى هاييتى فى أواخر التسعينيات، انهمك الوقف فى العمل لصالح مجموعات الجناح اليمينى التى اتحدت فى معارضتها للرئيس السابق جان - برتراند ارستيد وإيديولوجيته التقدمية[٨] . واستغل الوقف ثقله فى العملية السياسية - الانتخابية فى بلدان عديدة.

كان الوقف يود أن يجعل العالم يعتقد أنه لا يفعل سوى تعليم ألف باء الديمقراطية والانتخابات لمن لا يعرفونها، لكن فى جميع البلدان الخمسة المسماة فيما سبق، كانت قد أجريت بالفعل انتخابات حرة ونزيهة، وكانت المشكلة من وجهة نظر الوقف هى أن أحزابا سياسية ليست على قائمة الأحزاب المفضلة لديه هى التى فازت فيها.

ويدعى الوقف أنه منهمك فى " بناء المعارضة " و " تشجيع التعددية ". تقول لويز كوان، وهى مسئولة فى برامج الوقف : " إننا نساند الناس الذين بغير هذا لن يكون لهم رأى فى نظامهم السياسى "[٩] . لكن الوقف لم يقدم المعونة لدعم المعارضة التقدمية أو اليسارية فى المكسيك والسلفادور وجواتيمالا ونيكاراجوا أو شرقى أوروبا - وفى الولايات المتحدة بالنسبة لهذا الأمر - حتى على الرغم من أن هذه المجموعات كانت فى أمس الحاجة للأموال ولجعل صوتها مسموعا. بيد أن مجموعات المنشقين ووسائل الإعلام الكوبية تلقت دعما سخيا.

وتواصل تقارير الوقف الحديث عن " الديمقراطية "، ولكن لا يشغل ذهنها سوى مقياس متواضع من الديمقراطية الانتخابية الميكانيكية، وليس الديمقراطية الاقتصادية، أو شئ يهدف إلى تهديد أهل السلطة أو الوضع الحالى للأمور، إلا لو كان ذلك بالطبع فى مكان مثل كوبا.

وقد لعب الوقف دورا مهما فى قضية إيران - كونترا فى الثمانينيات، ومول عناصر أساسية فى شبكة أوليفر نورث المبهمة والمضللة المسماة " مشروع

الديمقراطية "، التى أدت إلى خصخصة السياسة الخارجية الأمريكية، وشن الحروب، وتهريب الأسلحة والمخدرات والانهماك فى أنشطة أخرى لها مثل هذه الجاذبية. وفى مرحلة ما فى ١٩٨٧، أعلن متحدث باسم البيت الأبيض أن من يعملون فى الوقف " يديرون مشروعا للديمقراطية "[١٠] ، وكانت تلك مبالغة، وكان الأكثر دقة هو القول بأن الوقف هو الذراع العلنية لمشروع الديمقراطية، فى حين أن نورث يدير الجانب السرى من الأمور. وعلى أية حال، فإن البيان أثار قدرا أقل من الجدل مما كان سيثيره فى فترة سابقة، تكشف أن وكالة المخابرات المركزية هى التى تقف وراء عملية عديمة الضمير كهذه.

كما شهد الوقف حملات متعددة المستويات لمحاربة التمرد اليسارى فى الفلبين فى منتصف التسعينيات، ومول حشدا من المنظمات الخاصة، بما فى ذلك النقابات ووسائل الإعلام[١١] ، وكان ذلك نسخة مكررة من عمليات الوكالة المعهودة فى أيام ما قبل الوقف.

وفيما بين ١٩٩٠ و ١٩٩٢، منح الوقف ربع مليون دولار من أموال دافعى الضرائب للمؤسسة القومية الكوبية الأمريكية - وهى المجموعة المعادية لكاسترو بصورة متهوسة فى ميامى - ومولت المؤسسة بدورها، لويس بوسادا كاريلس، وهو أحد أشرس الإرهابيين وأشدهم قسوة فى الأزمنة الحديثة، والذى تورط فى نسف طائرة كوبية فى ١٩٧٦، وتسبب فى قتل ٧٣ شخصا. وفى ١٩٩٧، تورط فى سلسلة من تفجيرات القنابل فى فنادق هافانا[١٢] .

إن الوقف، مثله مثل وكالة المخابرات الأمريكية قبله، يسمى ما يفعله مساندة الديمقراطية، وتسميه الحكومات والمنظمات التى يستهدفها الوقف، زعزعة للاستقرار[١٣].



الفصل العشرون

الولايات المتحدة فى مواجهة العالم فى الأمم المتحدة

إن أمريكا ـ كما علمونا جميعنا لما يزيد عن نصف قرن ـ هى قائد " العالم الحر ". وإذا كان ذلك كذلك، فإنه من الصواب أن نسأل : أين الأتباع ؟ أين الدليل على أن وجهة نظر واشنطن العالمية تستميل جمهرة الحكومات والقادة الآخرين بوسيلة أخرى غير كون الولايات المتحدة غوريلا ضخمة يبلغ وزنها ١٠ آلاف رطل ؟ أين الولاء والإعجاب اللذان تولدهما القيادة الفكرية والمعنوية ؟ ولحشد التأييد لحروبها فى كوريا وفيتنام وأفغانستان والخليج الفارسى وفى يوغوسلافيا، كان على الولايات المتحدة أن تلجأ إلى الرشوة والتهديد والمغالطة، وقد وجدت الولايات المتحدة نفسها فى الأمم المتحدة ـ وبصورة منتظمة جديرة بالملاحظة ـ تقف وحدها عادة، وأحيانا ينضم إليها بلد أو بلدان آخران، فى مواجهة قرارات الجمعية العامة الرامية لتعزيز حقوق الإنسان والسلام ونزع السلاح النووى والعدالة الاقتصادية والنضال ضد الفصل العنصرى فى جنوب إفريقيا، وإجرام اسرائيل وغير ذلك من القضايا التقدمية.

ويبين الجدول الوارد فيما بعد جانبا من هذا النمط فى السلوك، وهو يغطى فترة ١٠ سنوات اختيرت تحكميا، من ١٩٧٨ إلى ١٩٨٧، وتتكون من الأقسام التالية :

١٩٧٨ - ١٩٨١ : تم فيها فحص كل الاقتراعات فى الجمعية العامة، ولم

تدرج إلا القرارات التى صوتت فيها الولايات المتحدة وحدها أو انضم إليها بلد أو بلدان آخران.

١٩٨٢ - ١٩٨٣: تم فيها فحص كل الاقتراعات فى الجمعية العامة، ولم تدرج إلا القرارات التى صوتت فيها الولايات المتحدة وحدها بلا .

١٩٨٤ - ١٩٨٧: تم عرض عينة فقط من قرارات الأمم المتحدة، كأساس لبيان التنوع والاختلاف.

وإجمالا تم إيراد نحو ١٥٠ نموذجا، ولم يتم بيان حالات الامتناع عن التصنويت، وصدرت قرارات كثيرة أخرى فى هذه الفترة كانت فيها اسرائيل هى التى صوتت فيها بلا، وكانت الولايات المتحدة هى الممتنع الوحيد عن التصويت.

ولم يدرج هنا الاقتراع على قرارات مجلس الأمن والمجلس الاقتصادى والاجتماعى، لكن هذا الاقتراع يبين نمطا مماثلا جدا. وفى مجلس الأمن، فإن اقتراع الولايات المتحدة كاف بلا شك بالطبع لهزيمة أى إجراء.

لقد أدين غزو الولايات المتحدة لجرينادا فى ١٩٨٣ بصورة شاملة تقريبا فى أمريكا اللاتينية، ولم تعرب عن تأييده إلا الديكتاتوريات العسكرية فى شيلى وجواتيمالا وأورجواى، واقترعت الأمم المتحدة بعدم موافقتها بالأغلبية، ورد الرئيس ريجان على هذا بقوله: " إن مائة بلد فى الأمم المتحدة لم تتفق معنا فى كل شئ طرح عليها وكنا منخرطين فيه، ولم يكدر ذلك صفو إفطارى على الإطلاق "[1] .

لقد قالوا لنا دوما : إن من شرور الدول الشيوعية أنها لا تبالى بالرأى العالمى.

... احترام لائق لآراء الجنس البشرى

إعلان الاستقلال

تاريخ الإصدار	رقم القرار	الاقتراع بنعم - لا
١٩٧٨		
١٥ ديسمبر	٣٣ / ٧٥	١١٩ - ٢ (الولايات المتحدة، إسرائيل)
يحث مجلس الأمن، خاصة الأعضاء الدائمين، على اتخاذ جميع التدابير الضرورية لضمان تنفيذ قرارات الأمم المتحدة المعنية بالسلام والأمن الدوليين		
١٨ ديسمبر	٣٣ / ١١٠	١١٠ - ٢ (الولايات المتحدة، إسرائيل)

أحوال معيشة الشعب الفلسطينى

١٨ ديسمبر ١١٣ ج / ٣٣ ٩٧ - ٣ (الولايات المتحدة، إسرائيل، جواتيمالا)

إدانة سجل إسرائيل لحقوق الإنسان فى الأراضى المحتلة

١٩ ديسمبر ١٣٦ / ٣٣ ٩٧ - ٣ (الولايات المتحدة)

دعوة البلدان المتقدمة لزيادة كمية ونوعية مساعدات التنمية المقدمة للبلدان المتخلفة

١٩٧٩

٢٤ يناير ١٨٣ م / ٣٣ ٩٧ - ٣ (الولايات المتحدة، فرنسا، بريطانيا العظمى)

إنهاء جميع التعاون العسكرى والنووى مع جنوب إفريقيا دولة الفصل العنصرى

٢٩ يناير ١٩٦ / ٣٣ ١١١ - ١ (الولايات المتحدة)

حماية صادرات البلدان النامية

٢٣ نوفمبر ٤٦ / ٣٤ ١٣٦ - ١ (الولايات المتحدة)

نهج بديل داخل منظومة الأمم المتحدة لتحسين التمتع بحقوق الإنسان والحريات الأساسية

٢٣ نوفمبر ٥٢ هـ / ٣٤ ١٢١ - ٣ (الولايات المتحدة، إسرائيل، أستراليا)

عودة السكان الذين طردتهم إسرائيل

١١ ديسمبر ٨٣ ى / ٣٤ ١٢٠ - ٣ (الولايات المتحدة، المملكة المتحدة، فرنسا)

المفاوضات على نزع السلاح ووقف سباق التسلح النووى

١٢ ديسمبر ٩٠ أ / ٣٤ ١١٢ - ٢ (الولايات المتحدة، أسرائيل)

مطالبة اسرائيل بالتوقف عن انتهاكات معينة لحقوق الإنسان

١٢ ديسمبر ٩٣ د / ٣٤ ١٣٢ - ٣ (الولايات المتحدة، المملكة المتحدة، فرنسا)

دعم حظر تقديم الأسلحة لجنوب إفريقيا

١٢ ديسمبر ٩٣١ / ٣٤ ١٣٤ - ٣ (الولايات المتحدة، المملكة المتحدة، فرنسا)

مساعدة شعب جنوب إفريقيا المضطهد وحركته للتحرر

١٤ ديسمبر ١٠٠ / ٣٤ ١٠٤ - ٢(الولايات المتحدة، إسرائيل)

ضد مساندة التدخل فى الشئون الداخلية أو الخارجية

١٤ ديسمبر ١١٣ / ٣٤ ١٢٠ - ٢(الولايات المتحدة، إسرائيل)

المطالبة بإعداد تقرير عن أحوال معيشة الفلسطينيين فى الأراضى العربية المحتلة

١٤ ديسمبر ١١٣ / ٣٤ ١١٢ - ٣ (الولايات المتحدة، إسرائيل، كندا)

تقديم مساعدة للشعب الفلسطينى

١٤ ديسمبر ١٣٦ / ٣٤ ١١٨ - ٢ (الولايات المتحدة، إسرائيل)

السيادة على الموارد الوطنية فى الأراضى العربية المحتلة

١٧ ديسمبر ١٥٨ / ٣٤ ١٢١ - ٢ (الولايات المتحدة، إسرائيل)

إعداد وعقد مؤتمر الأمم المتحدة المعنى بالمرأة

١٧ ديسمبر ١٦٠ / ٣٤ ١٢٢ - ٢(الولايات المتحدة، إسرائيل)

إشراك المرأة الفلسطينية فى جدول أعمال مؤتمر الأمم المتحدة المعنى بالمرأة

١٩ ديسمبر ١٩٩ / ٣٤ ١٢١ - ١ (الولايات المتحدة)

ضمان حقوق البلدان النامية فى المفاوضات التجارية متعددة القوميات ١٩٨٠

٣ نوفمبر ١٣ هـ / ٣٥ ٩٣ - ٣ (الولايات المتحدة، إسرائيل، كندا)

مطالبة اسرائيل بإعادة النازحين

٥ ديسمبر ٥٧ / ٣٥ ١٣٤ - ١ (الولايات المتحدة)

إقامة نظام اقتصادى عالمى جديد لدعم نمو البلدان المتخلفة والتعاون الاقتصادى الدولى

٥ ديسمبر ٧٥ / ٣٥ ١١٨ - ٢ (الولايات المتحدة، إسرائيل)

إدانة سياسة إسرائيل المتعلقة بأحوال معيشة الشعب الفلسطينى

١١ ديسمبر ١١٩ / ٣٥ ١٣٤ - ٣ (الولايات المتحدة، المملكة المتحدة، فرنسا)

تنفيذ إعلان منح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة

١١ ديسمبر ١٢٢ جـ / ٣٥ ١١٨ - ٢ (الولايات المتحدة، إسرائيل)

ممارسات اسرائيل فى مجال حقوق الإنسان فى الأراضى المحتلة (وفى نفس اليوم، قرارين مماثلين، ١٢٢ هـ / ٣٥ - اقتراع ١١٩-٢، ١٢٢ و ٣٥/ - ١١٧-٢)

١١ ديسمبر ١٣٦ / ٣٥ ١٣٢ - ٣ (الولايات المتحدة، إسرائيل، كندا)

التصديق على برنامج عمل النصف الثانى لعقد الأمم المتحدة للمرأة

١٢ ديسمبر ٤٥ / أ / ٣٥ ١١٠ - ٢ (الولايات المتحدة، المملكة المتحدة)

وقف جميع التفجيرات النووية

١٢ ديسمبر ١٥٤ / ٣٥ ١١٠ - ٢ (الولايات المتحدة، ألبانيا)

إعلان عدم استخدام الأسلحة النووية ضد الدول غير النووية

١٥ ديسمبر ١٦٩ حـ / ٣٥ ١٢٠ - ٣ (الولايات المتحدة، إسرائيل، أستراليا)

حقوق الفلسطينيين

١٥ ديسمبر ١٧٤ / ٣٥ ١٢٠ - ١ (الولايات المتحدة)

التأكيد على أن تنمية الأمم والأفراد حق من حقوق الإنسان

١٦ ديسمبر ٢٠٦ ى / ٣٥ ١٣٧ - ٣ (الولايات المتحدة، المملكة المتحدة، فرنسا)

مساعدة شعب جنوب إفريقيا المقهور وحركة تحرره

٢٨ أكتوبر ١٢ / ٣٦ ١٤٥ - ١ (الولايات المتحدة)

مكافحة العنصرية، إدانة الفصل العنصرى فى جنوب إفريقيا

٢٨ أكتوبر ١٣ / ٣٦ ١٢٤ - ١ (الولايات المتحدة)

إدانة تعاون دول معينة وشركات عبر قومية معينة مع حكومة جنوب أفريقيا

٢٨ أكتوبر ١٥ / ٣٦ ١١٤ - ٢ (الولايات المتحدة، إسرائيل)

مطالبة اسرائيل بالتوقف عن الحفر فى مواقع معينة فى القدس الشرقية

٩ نوفمبر ١٨ / ٣٦ ١٢٣ - ١ (الولايات المتحدة)

لدعم الحركات التعاونية فى البلدان النامية (الزراعية، المدخرات والائتمان، الإسكان، حماية المستهلك، الخدمات الاجتماعية، الخ)

٩ نوفمبر ١٩ / ٣٦ ١٢٦ - ١ (الولايات المتحدة)

حق كل دولة فى اختيار نظامها الاقتصادى والاجتماعى وفق إرادة شعبها، بدون تدخل خارجى مهما كان الشكل الذى يتخذه

١٣ أكتوبر ٢٧ / ٣٦ ١٠٩ - ٢ (الولايات المتحدة، إسرائيل)

إدانة اسرائيل على قصف منشأة نووية عراقية

أول ديسمبر ٦٨ / ٣٦ ١٣٣ - ٣ (الولايات المتحدة، المملكة المتحدة، جواتيمالا)

إدانة أنشطة المصالح الاقتصادية الأجنبية فى الأقاليم المستعمرة

٤ ديسمبر ٧٣ / ٣٦ ١٠٩ - ٢ (الولايات المتحدة، إسرائيل)

إدانة سياسة اسرائيل تجاه أحوال معيشة الشعب الفلسطينى

٩ ديسمبر ٨٤ / ٣٦ ١١٨ - ١(الولايات المتحدة، المملكة المتحدة)

وقف كل تفجيرات اختبار الأسلحة النووية

٩ ديسمبر ٨٧ ب / ٣٦ ١٠٧ - ٢ (الولايات المتحدة، إسرائيل)

إنشاء منطقة خالية من الأسلحة النووية فى الشرق الأوسط

٩ ديسمبر ٩٢ ى / ٣٦ ٧٨ - ٣ (الولايات المتحدة، كندا، البرازيل)

عمل على النطاق العالمى لجمع توقيعات تأييد لإجراءات منع الحرب النووية، والحد من سباق التسلح ودعم نزع السلام

٩ ديسمبر ٩٦ب / ٣٦ ١٠٩ - ١ (الولايات المتحدة)

الحث على إجراء مفاوضات بشأن حظر الأسلحة الكيميائية والبيولوجية

٩ ديسمبر ٩٨ / ٣٦ ١٠١ - ٢ (الولايات المتحدة، إسرائيل)

مطالبة الإسرائيليين بشجب امتلاك الأسلحة النووية

١٠ ديسمبر ١٢٠ أ / ٣٦ ١٢١ - ٢ (الولايات المتحدة، إسرائيل)

حقوق الشعب الفلسطينى

١٠ ديسمبر ١٢٠ ب / ٣٦ ١١٩ - ٣ (الولايات المتحدة، إسرائيل)

حقوق الفلسطينيين

١٠ ديسمبر ١٢٠ هـ / ٣٦ ١٣٩ - ٢ (الولايات المتحدة، إسرائيل)

وضع القدس

١٤ ديسمبر ١٣٣ / ٣٦ ١٣٥ - ١ (الولايات المتحدة)

إعلان أن التعليم والعمل والرعاية الصحية والتغذية السليمة، والتنمية القومية، الخ، من حقوق الإنسان

١٦ ديسمبر ١٤٦ أ / ٣٦ ١٤١ - ٢ (الولايات المتحدة، إسرائيل)

اللاجئون الفلسطينيون فى قطاع غزة

١٦ ديسمبر ١٤٦ ب / ٣٦ ١٢١ - ٣ (الولايات المتحدة، إسرائيل، كندا)

حقوق الفلسطينيين النازحين فى العودة لديارهم

١٦ ديسمبر ١٤٦ حـ / ٣٦ ١٢٧ - ٢(الولايات المتحدة، اسرائيل)

الإيرادات المتولدة من ممتلكات اللاجئين الفلسطينيين

١٦ ديسمبر ١٤٦ ز / ٣٦ ١١١ - ٢ (الولايات المتحدة، إسرائيل)

انتهاكات اسرائيل لحقوق الإنسان فى الأراضى المحتلة

١٦ ديسمبر ١٤٧ و / ٣٦ ١٤٤ - ٢ (الولايات المتحدة، إسرائيل)

إدانة إغلاق اسرائيل الجامعات فى الأراضى المحتلة

١٦ ديسمبر ١٤٩ ب / ٣٦ ١٤٧ - ٢ (الولايات المتحدة، إسرائيل)

الدعوة لإنشاء نظام عالمى جديد وأكثر عدلا للمعلومات والاتصالات

١٦ ديسمبر ١٥٠ / ٣٦ ١٣٩ - ٢ (الولايات المتحدة، إسرائيل)

معارضة قرار إسرائيل ببناء قناة تربط البحر المتوسط بالبحر الأحمر

١٧ ديسمبر ١٧٢ جـ / ٣٦ ١٣٦ - ١(الولايات المتحدة)

إدانة عدوان جنوب إفريقيا على أنجولا ودول أفريقية أخرى

١٧ ديسمبر ١٧٢ جـ / ٣٦ ١٢٩ - ٢ (الولايات المتحدة، المملكة المتحدة)

تنظيم مؤتمر دولى للنقابات معنى بفرض عقوبات على جنوب أفريقيا

١٧ ديسمبر ١٧٢ / ٣٦ ١٢٦ - ٢ (الولايات المتحدة، المملكة المتحدة)

تشجيع اتخاذ اجراءات دولية مختلفة ضد جنوب أفريقيا

١٧ ديسمبر ١٧٢ ن / ٣٦ ١٣٩- ١ (الولايات المتحدة)

دعم العقوبات والإجراءات الأخرى ضد جنوب أفريقيا

١٧ ديسمبر ١٧٢ ق / ٣٦ ١٣٨ - ١ (الولايات المتحدة)

وقف تقديم مزيد من الاستثمارات والقروض لجنوب أفريقيا

١٧ ديسمبر ١٧٣ / ٣٦ ٢١٥ - ٢ (الولايات المتحدة، إسرائيل)

السيادة الدائمة على الموارد الوطنية فى الأراضى الفلسطينية وغيرها من الأراضى العربية المحتلة

١٧ ديسمبر ٢٢٦ ب / ٣٦ ١٢١ - ١ (الولايات المتحدة، إسرائيل)

عدم قابلية القانون الإسرائيلى للتطبيق على مرتفعات الجولان

١٨ ديسمبر ٢٣٤ ب / ٣٦ ١٢٧ - ١ (الولايات المتحدة)

تغييرات فى نظام المحاسبة فى الأمم المتحدة للعام ١٩٨٠ - ١٩٨١ - ١٩٨٢ (اقتراح للولايات المتحدة بمفردها)

٢٨ أكتوبر ٧ / ٣٧ ١١١ - ١

ميثاق عالمى لحماية الإيكولوجيا

١٥ نوفمبر ١١ / ٣٧ ١٣٦ -

تنظيم مؤتمر الأمم المتحدة المعنى بخلافة الدول فى احترام ملكية الدولة ومحفوظاتها وديونها

٣ ديسمبر ٣٧ / ٣٧ ١٢٤ - ١

نداء للتصديق الشامل على اتفاقية قمع الفصل العنصرى والمعاقبة عليه

٩ ديسمبر ٦٩ هـ / ٣٧ ١٤١ - ١

تعزيز التعبئة الدولية لمناهضة الفصل العنصرى

٩ ديسمبر ٦٩ جـ / ٣٧ ١٣٨ - ١

مشروع اتفاقية دولية لمناهضة الفصل العنصرى فى الرياضة

٩ ديسمبر ٦٩ حـ / ٣٧ ١٣٤ - ١

وقف تقديم مزيد من القروض والاستثمارات لجنوب أفريقيا

٩ ديسمبر ٧٣ / ٣٧ ١١١ - ١

الحاجة لمعاهدة شاملة لحظر التجارب النووية

٩ ديسمبر ٧٨ أ / ٣٧ ١١٤ - ١

مطالبة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى بتقديم تقرير عن حالة مفاوضاتهما بشأن الأسلحة النووية (امتنع الاتحاد السوفيتى)

٩ ديسمبر ٩٤ ب / ٣٧ ١٣١ - ١

دعم جهود اليونسكو لدعم النظام العالمى الجديد للمعلومات والاتصالات

١٣ ديسمبر ٩٨ أ / ٣٧ ٩٥ - ١

ضرورة إبرام اتفاقية معنية بحظر الأسلحة الكيميائية والبيولوجية

١٦ ديسمبر　　٣٧ / ١٠٣　　١١٣ - ١

وضع مبادئ وقواعد للقانون الدولى فيما يتعلق بالنظام الاقتصادى الجديد

١٧ ديسمبر　　٣٧ / ١٣١　　١٢٩ - ١

تدابير متعلقة بالمجلس المشترك للمعاشات بالأمم المتحدة، بما فى ذلك منع استبعاد موظفين معينين بالأمم المتحدة

١٧ ديسمبر　　٣٧ / ١٣٧　　١٤٦ - ١

الحماية من المنتجات الضارة بالصحة والبيئة

١٨ ديسمبر　　٣٧ / ١٩٩　　١٣١ - ١

إعلان أن التعليم والعمل والرعاية الصحية والتغذية المناسبة والتنمية الوطنية من حقوق الإنسان

٢٠ ديسمبر　　٣٧ / ٢٠٤　　١٤١ - ١

اقتراح باستعراض تنفيذ الحقوق والواجبات الاقتصادية للدول

٢١ ديسمبر　　٣٧ / ١١ / ٢٣٧　　١٣٢ - ١

مدى كفاية مرافق اللجنة الاقتصادية لأفريقيا فى أديس أبابا فيما يتعلق بالمؤتمرات

٢١ ديسمبر　　٣٧ / ٢٥١　　١٤٦ - ١

تنمية موارد الطاقة فى البلدان النامية

٢١ ديسمبر　　٣٧ / ٢٥٢　　١٢٤ - ١

إعادة هيكلة العلاقات الاقتصادية الدولية نحو إنشاء نظام اقتصادى دولى جديد

١٩٨٣

٢٢ نوفمبر　　٣٨ / ١٩　　١١٠ - ١

إتفاقية دولية معنية بقمع جريمة الفصل العنصرى والمعاقبة عليها

٢٢ نوفمبر ٢٥ / ٣٨ ١٣١ - ١

حق كل دولة فى اختيار النظام الاقتصادى والاجتماعى وفق إرادة شعبها بدون تدخل خارجى مهما كان الشكل الذى يتخذه

٥ ديسمبر ٣٩ هـ / ٣٨ ١٤٩ - ١

توزيع المواد وتنظيم المؤتمرات فى حملة مناهضة الفصل العنصرى

٥ ديسمبر ٣٩١ / ٣٨ ١٤٠ - ١

حث مجلس الأمن على النظر فى فرض عقوبات على جنوب أفريقيا احتجاجا على الفصل العنصرى

٥ ديسمبر ٣٩ ك / ٣٨ ١٤٥ - ١

الترخيص باستمرار المشاورات بشأن الإتفاقية الدولية لمناهضة الفصل العنصرى فى الرياضة باستمرارها فى المشاورات

١٥ ديسمبر ٧٠ / ٣٨ ١٤٧ - ١

وجوب استخدام الفضاء الخارجى فى الأغراض السلمية؛ منع سباق التسلح فى الفضاء الخارجى

١٦ ديسمبر ١٢٤ / ٣٨ ١٣٢ - ١

إعلان أن التعليم والعمل والرعاية الصحية والتغذية السليمة والتنمية الوطنية، ألخ، من حقوق الإنسان

١٩ ديسمبر ١٢٨ / ٣٨ ١١٠ - ١

وضع مبادئ وقواعد القانون الدولى فيما يتعلق بالنظام الاقتصادى الدولى الجديد

١٩ ديسمبر ١٥٠ / ٣٨ ١٣٧ - ١

عقد النقل والمواصلات فى إفريقيا

٢٠ ديسمبر ١٨٢ / ٣٨ ١١٦ – ١

حظر تطوير وتصنيع أنواع وشبكات جديدة من أسلحة الدمار الشامل

٢٠ ديسمبر ١٨٣ م / ٣٨ ١٣٣ – ١

مطالبة الدول المالكة للأسلحة النووية بأن تقدم معلومات للتقرير السنوى للأمم المتحدة المعنى بالإجراءات المتخذة لمنع الحرب النووية وعكس اتجاه سباق التسلح

٢٠ ديسمبر ١٨٧ أ / ٣٨ ٩٨ – ١

الحث على تكثيف المفاوضات لإبرام اتفاق حول حظر الأسلحة الكيميائية والبيولوجية

٢٠ ديسمبر ١٨٨ ز / ٣٨ ١١٣ – ١

المطالبة بدراسة عن سباق الأسلحة البحرية

٢٠ ديسمبر ١٨٨ حـ / ٣٨ ١٢٦ – ١

دعم قدرة الأمم المتحدة على التصدى للكوارث الطبيعية وغيرها

١٩٨٤ (قرارات مختارة)

٨ نوفمبر ٩ / ٣٩ ١٣٤ – ٢ (الولايات المتحدة، إسرائيل)

التعاون بين الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية

١٦ نوفمبر ١٤ / ٣٩ ١٠٦ – ٢ (الولايات المتحدة، إسرائيل)

إدانة الهجوم الاسرائيلى على منشأة نووية عراقية

٢٣ نوفمبر ٢١ / ٣٩ ١٤٥ – ١

تقرير اللجنة المعنية بالقضاء على التمييز العنصرى

٥ ديسمبر ٤١١ / ٣٩ ١١٩ – ٢ (الولايات المتحدة، المملكة المتحدة)

إعادة تأكيد حق سانت هيلانه فى الاستقلال

٥ ديسمبر ٤٢ / ٣٩ ١٢١ – ٢ (الولايات المتحدة، المملكة المتحدة)

إدانة مساندة سياسة جنوب إفريقيا تجاه ناميبيا وغيرها

١١ ديسمبر ٤٩ أ / ٣٩ ١٢٧ – ٢ (الولايات المتحدة، إسرائيل)

حقوق الشعب الفلسطينى

١١ ديسمبر ٤٩ د / ٣٩ ١٢١ – ٣ (الولايات المتحدة، إسرائيل)

عقد مؤتمر للسلام فى الشرق الأوسط

١٢ ديسمبر ٦٢ / ٣٩ ١٢٥ – ١

حظر تطوير وصناعة أنواع جديدة من أسلحة الدمار الشامل

١٢ ديسمبر ٦٥ ب / ٣٩ ٨٤ – ١

حظر الأسلحة الكيميائية والبيولوجية

١٣ ديسمبر ٧٢ ز / ٣٩ ١٤٦ – ٢ (الولايات المتحدة، المملكة المتحدة)

العمل الدولى للقضاء على الفصل العنصرى

١٣ ديسمبر ٧٣ / ٣٩ ١٣٨ – ٢ (الولايات المتحدة، تركيا)

قانون البحار

١٤ ديسمبر ٩٥ أ / ٣٩ ١٢٠ – ٢ (الولايات المتحدة، إسرائيل)

انتهاكات اسرائيل لحقوق الإنسان فى الأراضى المحتلة

١٤ ديسمبر ٩٥ حـ / ٣٩ ١٤٣ – ٢ (الولايات المتحدة، إسرائيل)

إدانة محاولات اغتيال العمد الفلسطينيين والدعوة إلى ملاحقة مرتكبيها وتقديمهم للمحاكمة

١٧ ديسمبر ١٤٧ / ٣٩ ٩٤ – ٢ (الولايات المتحدة، إسرائيل)

إدانة رفض إسرائيل وضع مرافقها النووية تحت ضمانات الوكالة الدولية للطاقة الذرية

١٧ ديسمبر ١٤٨ ن / ٣٩ ١٢٣ – ١

حظر الاختبارات النووية، وقف سباق التسلح النووى، نزع الأسلحة النووية

١٧ ديسمبر ١٥١ و / ٣٩ ١٤١ – ١

مطالبة بمواصلة دراسة الأمم المتحدة المعنية بالبحث والتطوير العسكرى

١٧ ديسمبر ١٦١ ب / ٣٩ ١٤٣ – ١

الاحتفال بالعيد الخامس والعشرين لإعلان منح الاستقلال للبلدان والأقاليم المستعمرة

١٨ ديسمبر ٢٢٤ / ٣٩ ١٤٦ – ٢ (الولايات المتحدة، إسرائيل)

المساعدة الاقتصادية والاجتماعية للشعب الفلسطينى

١٨ ديسمبر ٢٣٢ / ٣٩ ١١٨ – ٢ (الولايات المتحدة، إسرائيل)

دعم منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية

١٨ ديسمبر ٢٣٣ / ٣٩ ١٢٠ – ١٢

عقد التنمية الصناعية لأفريقيا

١٨ ديسمبر ٢٤٣ ١٢٣ – ٢ (الولايات المتحدة، إسرائيل)

المسائل الإدارية والمتعلقة بالموظفين فيما يتعلق باللجنة الاقتصادية لغرب آسيا

١٩٨٥

١٣ ديسمبر ١١٤ / ٤٠ ١٣٤ – ١

وحدة وتكامل الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمدنية والسياسية

١٣ ديسمبر ١٢٤ / ٤٠ ١٣٠ – ١

نهج بديلة داخل منظومة الأمم المتحدة لتحسين التمتع بحقوق الإنسان والحريات الأساسية

١٣ ديسمبر ١٤٨ / ٤٠ ١٢١ - ٢ (الولايات المتحدة، إسرائيل)

تدابير يتعين اتخاذها لمحاربة الأنشطة النازية والفاشية والفاشية الجديدة

١٧ ديسمبر ٤٤٥ / ٤٠ ١٣٣ - ١

التعاون الدولى فى المجالات المترابطة للنقود والتمويل والديون وتدفق الموارد والتجارة والتنمية

١٩٨٦

٢٧ أكتوبر ١١ / ٤١ ١٢٤ - ١

منطقة سلام وتعاون فى جنوب الأطلسى

٣ ديسمبر ٦٨أ / ٤١ ١٤٨ - ١

نظام عالمى جديد للمعلومات تقوده اليونسكو، للقضاء على الاختلالات القائمة فى مجالى المعلومات والاتصالات

٤ ديسمبر ٩٠ / ٤١ ١٢٦ - ١

استعراض تنفيذ إعلان تدعيم الأمن الدولى

٤ ديسمبر ٩١ / ٤١ ١١٧ - ١

الحاجة لحوار سياسى موجه نحو تحقيق نتائج لتحسين الوضع الدولى

٤ ديسمبر ٩٢ / ٤١ ١٠٢ - ٢ (الولايات المتحدة، فرنسا)

إنشاء منظومة شاملة للأمن والسلام الدوليين

٤ ديسمبر ١٥١ / ٤١ ١٤٦ - ١

إعلان بشأن الحق فى التنمية

٤ ديسمبر ١٥١ / ٤١ ١٤٨ – ١

تدابير لتحسين الوضع وضمان حقوق الإنسان والكرامة بالنسبة للعمال المهاجرين

٨ ديسمبر ٤٥٠ / ٤١ ١٤٦ – ١

الحماية من المنتجات الضارة بالصحة والبيئة

١٩٨٧

١٥ أكتوبر ٥ / ٤٢ ١٥٣ – ٢ (الولايات المتحدة، إسرائيل)

التعاون بين الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية

١٢ أكتوبر ١٨ / ٤٢ ٩٤ – ٢ (الولايات المتحدة، إسرائيل)

الحاجة للامتثال لمحكمة العدل الدولية فيما يتعلق بالأنشطة العسكرية وشبه العسكرية ضد نيكاراجوا

٢ ديسمبر ٦٩ ى / ٤٢ ١٤٥ – ٢ (الولايات المتحدة، إسرائيل)

دعوة إسرائيل للتخلى عن خطط نقل وإعادة توطين اللاجئين الفلسطينيين من الضفة الغربية بعيدا عن ديارهم وممتلكاتهم

٧ ديسمبر ١٠١ / ٤٢ ١٥٠ – صفر – ١ (الولايات المتحدة هى الممتنع الوحيد)

دعوة لإبرام اتفاقية لحقوق الطفل

٧ ديسمبر ١٥٩ / ٤٢ ١٥٣ – ٢(الولايات المتحدة، إسرائيل)

تدابير لمنع الإرهاب الدولى، دراسة للأسباب السياسية والاقتصادية الكامنة وراء الإرهاب، عقد مؤتمر لتحديد الإرهاب والتمييز بينه وبين نضال الشعوب من أجل التحرر الوطنى

٨ ديسمبر ١٦٢ ب / ٤٢ ١٤٠ – ١

تمويل تدريب الصحفيين ودعم خدمات الاتصالات فى البلدان المتخلفة

١١ ديسمبر ١٧٦ / ٤٢ ٩٤ – ٢ (الولايات المتحدة، إسرائيل)

إنهاء الحظر التجارى على نيكاراجوا

١١ ديسمبر ١٩٨ / ٤٢ ١٥٤ – ١

دعم التعاون الدولى فيما يتعلق بمشكلات الديون الخارجية

١١ ديسمبر ٤٤١ / ٤٢ ١٣١– ١

إعداد محاضر موجزة لمؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية

ضرورة إنهاء الحظر الأمريكى على كوبا

١٩٩٢	٥٩ – ٢	(الولايات المتحدة، إسرائيل)*
١٩٩٣	٨٤ – ٤	(الولايات المتحدة، إسرائيل، ألبانيا، باراجواى)
١٩٩٤	١٠١ – ٢	(الولايات المتحدة، إسرائيل)
١٩٩٥	١١٧ – ٣	(الولايات المتحدة، إسرائيل، اوزبكستان)
١٩٩٦	١٣٨ – ٣	(الولايات المتحدة، إسرائيل، اوزبكستان)**
١٩٧٧	١٤٣ – ٣	(الولايات المتحدة، إسرائيل، اوزبكستان)
١٩٩٨	١٧٢– ٢	(الولايات المتحدة، إسرائيل)
١٩٩٩	١٥٥ – ٢	(الولايات المتحدة، إسرائيل)

* صوتت رومانيا بلا على سبيل الخطأ.

** لأول مرة، تصوت كل بلدان الاتحاد الأوروبى الخمسة عشر بنعم.

وينبغى تذكر أن القادة السياسيين الأمريكيين ووسائل الإعلام الأمريكية ظلا سنوات مغرمين بوصف كوبا بأنها " الدولة المنبوذة دوليا.

الغذاء ليس من حقوق الإنسان

مثلما لاحظنا من قبل، فإنه فى ١٩٨٢ و ١٩٨٣ كانت الولايات المتحدة تقف وحدها فى الاقتراع على إعلان أن التعليم والعمل والرعاية الصحية والتغذية المناسبة والتنمية الوطنية من حقوق الإنسان. وعلى ما يبدو فإنه حتى بعد مرور ١٣ سنة، لم " تلن " المواقف الأمريكية الرسمية، ففى ١٩٩٦، رفضت الولايات المتحدة فى مؤتمر قمة الغذاء العالمية الذى ترعاه الأمم المتحدة تأكيد القمة " لحق كل إنسان فى الحصول على غذاء آمن ومغذ ". وأصرت الولايات المتحدة على ألا يعترف " بالحق فى الحصول على الغذاء "، وقد دافعت واشنطن عن تحرير التجارة باعتباره مفتاح إنهاء الفقر وهو السبب الجذرى للجوع، وأعربت عن مخاوفها من أن يؤدى الاعتراف بالحق فى الحصول على الغذاء إلى رفع دعاوى قضائية من الأمم الفقيرة التى تسعى للحصول على المعونة ووضع أحكام تجارية خاصة(٢) .

بعض البنود الأخرى ربما تكون قد فاتت عليك بشأن الولايات المتحدة فى الأمم المتحدة

فى ١٩٤٩، حثت الولايات المتحدة تريجف لى الأمين العام للأمم المتحدة على الموافقة على إبرام اتفاق سرى مكتوب مع وزارة الخارجية الأمريكية، يتم بمقتضاه " فرز " المتقدمين لمناصب الأمانة العامة للأمم المتحدة وشاغليها دون علمهم، من قبل عملاء أمريكيين، وذلك انتهاكا للحريات الأساسية ولميثاق الأمم المتحدة. ورغم أن الاتفاق كان موجها فى المحل الأول ضد المواطنين الأمريكيين الذين يبلغ عددهم ٢٠٠٠ والذين كانوا يشكلون حوالى نصف العاملين بمقر الأمم المتحدة، فإن تأثير هذا الاتفاق السرى امتد إلى مستخدمى الأمم المتحدة من الجنسيات الأخرى، وتسلل إلى وكالات الأمم المتحدة المتخصصة فى الخارج. وكان الاتفاق محاولة إضفاء طابع رسمى على سياسة كانت راسخة بالفعل : سياسة لوزارة الخارجية ترمى لاستبعاد الأشخاص الملتزمين بالأممية من الخدمة المدنية الدولية وملء مناصب هذه الخدمة بأنصار المواقف الأمريكية(٣) .

وفى ١٩٥٢، أقال لى – على أساس معلومات سرية قدمتها حكومة الولايات المتحدة – ثلاثة من موظفى الأمانة العامة الأمريكيين أثاروا التعديل الخامس أمام

اللجنة الفرعية بمجلس الشيوخ المعنية بالأمن الداخلى، وأجبر سبعة مستخدمين أمريكيين آخرين - فعلوا الشئ نفسه - على الاستقالة بتعويض[٤] .

وفى ١٩٨٣، أخبر نائب السفير الأمريكى لدى الأمم المتحدة أعضاء الأمم المتحدة الآخرين أنهم لو أرادوا نقل مقر الأمم المتحدة خارج الولايات المتحدة، فإن إدارة ريجان لن تفعل شيئا لإيقافهم، وقال تشارلس ليخنشتين : " لن نضع عوائق فى طريقكم، وسيذهب أعضاء البعثة الأمريكية للموانئ لتوديعكم وأنتم تبحرون إلى ما وراء الشمس "[٥] .

الفصل الحادى والعشرون

استراق السمع على الكوكب

إن أى صوت يحدثه وينستون، ويعلو عن مستوى الهمسة المنخفضة جدا سلتقطه، وبالطبع ليس هناك طريقة لمعرفة ما إذا كنت مراقبا أم لا فى لحظة معينة، عليك أن تعايش - تعايشا بحكم العادة التى أصبحت عزيزة - افتراض أن كل صوت تصدره يسمع، وأن كل حركة تقوم بها ترصد، إلا إذا كانت فى الظلام ..

جورج أورويل، ١٩٨٤

لم يكن جورج محقا بشأن الظلام، ذلك أن تكنولوجيا الرؤية الليلية تغدو أقل شبها بالخيال العلمى حتى وأنت تقرأ هذا. لقد كتب عن بلد واحد - الأوقيانوسه - وهى بلا ريب بلد كبير، لكنها ليست العالم كله على وجه التأكيد، هل كان فى مقدوره تخيل ما ستئول إليه الأمور بعد ست عشرة سنة فقط فى المستقبل ؟

هل فى مقدور الناس فى عام ٢٠٠٠ أن يتخيلوا غزوا وانتهاكا أكبر للخصوصية فى الأرض كلها، وفى التاريخ كله.

إن وكالة الأمن القومى، مثل مكنسة شفط كهربائية عملاقة فى السماء تشفط كل ما فيها : الفاكسات، الهواتف المنزلية، الهواتف الخليوية، البريد الإليكترونى، التلكس ... البث بالتوابع الاصطناعية، حركة الاتصالات بالألياف البصرية، اتصالات الميكرويف، الأصوات، النصوص، الصور ... وإذا ما تم هذا بالطاقة الكهرومغناطيسية، فهناك وكالة الفضاء (ناسا) بتقنيتها العالية، تعمل طوال سبعة أيام فى الأسبوع، وعلى مدار أربع وعشرين ساعة يوميا، وبذلك ربما يتم امتصاص مليارات الرسائل يوميا، من يعرف عددها ؟ ليس لأحد من مهرب، لا الرؤساء ولا رؤساء الوزارات، ولا الأمين العام للأمم المتحدة، ولا البابا، ولا ملكة انجلترا ولا مديرو الشركات عبر القومية، ولا الأصدقاء، ولا الأعداء، ولا عمتك لينا ... ولو كان لدى الآلهة تليفونات لرصدوها ...

ربما لا يتم التسجيل لكلبك. إن المحيطات لن تحميك، فالغواصات الأمريكية ملحق بها جيوب للتسجيل لاستراق السمع من الكابلات الموضوعة تحت الماء وهو ما تفعله منذ عقود.

وبموجب نظام له اسم شفرى هو إيشلون، بدأ فى السبعينيات للتجسس على الاتصالات السوفيتية بالتوابع الاصطناعية، تتولى ناسا وشركاؤها الصغار (جدا) فى بريطانيا واستراليا ونيوزيلندا وكندا، تشغيل شبكة من محطات الاعتراض الضخمة والتى تعمل بصورة آلية عالية، وتغطى فيما بينها العالم كله. وكل بلد مشارك فى هذا، ينتهك بطرق متعددة، قوانينه الخاصة وقوانين البلدان الأخرى، والقانون الدولى وعدم وجود إذن تصدره محكمة يبيح مراقبة أفراد معينين مجرد مثال لذلك، ولكن من يتعين عليه أن يوقفهم ؟

فى ١٩٩٩، طلبت لجنة المخابرات المحلية فى الكونجرس الوثائق الداخلية لناسا التى تبين مدى التزامها بالقانون الذى يحظر عليها أن تسترق السمع عمدا على الأمريكيين - سواء فى الولايات المتحدة أو فى الخارج - إلا إذا قدمت الوكالة سببا محتملا للاعتقاد بأنهم عملاء لحكومة أجنبية يقومون بالتجسس أو يرتكبون جرائم أخرى، وماطلت ناسا اللجنة[١] .

وإلى جانب الأفراد والمؤسسات المستهدفة بصورة محددة، فإن نظام إيشلون يعمل عن طريق الاعتراض العشوائى لكميات ضخمة جدا من الاتصالات ويستخدم الحاسبات الآلية لتحديد واستخراج الرسائل المهمة من حشد من الرسائل غير المطلوبة. ويتم فحص كل رسالة يتم اعتراضها : جميع برقيات السفارات، صفقات الأعمال، المحادثات الجنسية، تهانى عيد الميلاد، بحثا عن كلمات دليلية، والتى قد تكون أى شيء يعتقد الباحثون أنه ربما يكون مهما. إن الحاسبات الآلية تستطيع أن " تستمع " الى المكالمات عبر الهواتف وتتعرف على الكلمات الدليلية عندما يتم النطق بها، ويتم استخراج هذه المكالمات وتسجيلها بصورة منفصلة، ليجرى الاستماع عليها كاملة من قبل بشر[٢] . ولا شك أن قائمة الأهداف المحددة فى أى وقت معين واسعة النطاق، وتشمل فى بعض الأحيان أشباه منظمة العفو الدولية وهيئة المعونة المسيحية[٣] .

لكن الأشخاص الذين يديرون إيشلون ليسوا فى الواقع من نوع السوبرمان : إذ يعترفون بأنهم يواجهون مشكلات تقنية خطيرة، بل إن الإرسال عن طريق الألياف

البصرية (التى ترسل حجما هائلا من البيانات الرقمية كتيار من الضوء) يطرح صعوبات أكبر، وتتزايد البيانات التى يجمعونها بصورة أسية غامرة، ويمثل فرز وتحليل اتصالات عشوائية بطريقة مجدية تحديا مذهلا.

ومن جانب آخر ، يؤكد هواينفيلد ديفى من شركة صن ميكروسستمز - وهو خبير تحويل النصوص لرموز سرية - أن هذه الإنذارات التى تثيرها ناسا قد تكون حيلة لتحقيق مصالح ذاتية. " ما تريد الوكالة جعلنا نعتقده - هو أنهم اعتادوا أن يكونوا عظماء، لكنهم فى أيامنا الحالية يجدون مشكلة فى قراءة الصحف، وأصبحت الإنترنت معقدة جدا بالنسبة لهم، وهناك قدر كبيـــر من التـــداول ولا يستطـــيعون أن يجـــدوا ما يريدونه. قد يكون ذلك حقيقيا، ولكن ذلك هو ما طفقوا " يقولونه " لسنوات طويلة. ومما يلائم ناسا أن تجعل الذين تستهدفهم يعتقدون أنها تواجه مشكلة، هذا لا يعنى أنها لا تواجه مشكلة، ولكنه سبب للنظر إلى ما يقوله الرواة الصخابون من الداخل بشك ".[٤] وربما كان فى مقدوره أن يضيف أن إطلاق مثل هذه التحذيرات يفيد أيضا بصورة كبيرة فى وقت إقرار الميزانية.

إن إيشلون يتم تنفيذها دون اعتراف رسمى بوجودها، ناهيك بأى إشراف ديمقراطى عليها أو مناقشة عامة أو تشريعية لما إذا كانت تخدم غرضا إنسانيا أو لا، مما يعنى القول : من الذى أعطى الولايات المتحدة الحق فى أن تفعل ذلك ؟ وعندما أثار أعضاء فى برلمان بريطانيا العظمى التساؤل عن أنشطة ناسا وقاعدتها المتوسعة دوما فى " منوذ هل " - شمال يوركشير - رفضت الحكومة دوما تقديم أية معلومات.

وتعد القاعدة الموجودة فى انجلترا حاليا أكبر محطة استماع لناسا فى العالم. وإذ تمتد على ٥٦٠ اكر، فإن لها مركز عمليات، ومدينة فى الموقع، تتضمن بيوتا وحوانيت وكنيسة ومركزا رياضيا وإمداداتها الخاصة من الكهرباء التى لا تنقطع[٥] .

إن اتساع نطاق شبكة إيشلون العالمية هو نتاج لعقود من نشاط الحرب الباردة المحتدم، ومع ذلك فإنه بانتهاء الحرب الباردة، زادت ميزانيتها بدلا من تخفيضها بصورة كبيرة، ونمت الشبكة من حيث قوتها ومداها، وذلك دليل آخر على أن الحرب الباردة لم تكن معركة ضد شىء ما يسمى " الشيوعية ".

وقد طفق البرلمان الأوروبى يتنبه فى السنوات الأخيرة للتطفل على شئون القارة، وأعدت لجنة الحريات المدنية فى البرلمان تقريرا ظهر فى ١٩٩٨ وأوصى بمجموعة

متنوعة من التدابير للتصدى للقوة المتزايدة لتكنولوجيات المراقبة، ونصحت صراحة بأن " يرفض البرلمان الأوروبى مقترحات الولايات المتحدة بشأن وصول وكالات المخابرات المركزية الأمريكية إلى الرسائل الخاصة عن طريق شبكة الاتصالات العالمية (الإنترنت)"، وحث البرلمان على إجراء استعراض أساسا لمدى انخراط ناسا فى شئون أوروبا مقترحا إما تخفيض أنشطة الوكالة، أو جعلها أكثر انفتاحا للمساءلة، كما شجب دور بريطانيا فى العمالة المزدوجة والتجسس على شركائها الأوروبيين(٦) .

وقد صرح جان - بيير مبليه - وهو محام فرنسى متخصص فى جرائم الحاسب الآلى - لصحيفة الفيجارو الفرنسية بأن : " ذلك يبعث على الصدمة من الأعماق ويجب أن يثير استنكارا عاما. إن لشركاء بريطانيا الأوروبيين الحق فى الغضب الشديد من أن (البريطانيين) لن يتخلوا عن اتفاقهم مع الولايات المتحدة "(٧) .

وقد عبرت عن هذا القلق سرا حكومات وأعضاء الاتحاد الأوروبى منذ نهاية الحرب الباردة، لكن الولايات استمرت فى توسيع المراقبة التى تقوم بها إيشلون فى أوروبا، أساسا لتزايد اهتمامها بالتجسس التجارى لكشف المعلومات الصناعية التى توفر للشركات الأمريكية ميزة على منافسيها الأجانب.

وقد اكتشف خبراء الأمن الألمان أن إيشلون متورطة فى تجسس تجارى ضخم فى أوروبا، وشمل الضحايا شركات ألمانية مثل أنركون التى تقوم بتصنيع مولدات الطاقة من الرياح. ففى ١٩٩٨، طورت أنركون ما كانت تظنه اختراعا سرّيا، يمكنها من توليد الكهرباء من قوة الرياح بسعر أقل كثيرا عن قبل، بيد أنه عندما حاولت الشركة تسويق اختراعها فى الولايات المتحدة، واجهت غريمها الأمريكى، كينث، الذى أعلن أنه حصل بالفعل على براءة اختراع مطابق تقريبا. وبعدئذ حصلت كينث على أمر من المحكمة ضد أنركون لمنعها من بيع معداتها فى الولايات المتحدة. وفى إعلان نادر للرأى العام، وافق موظف فى ناسا رفض أن يعلن اسمه، على ظهور ظله فى التليفزيون الألمانى ليكشف كيف سرق أسرار أنركون، وقال إنه استخدام معلومات تابع صناعى للتجسس على مكالمات خطوط التليفونات ووصلات الحواسب الآلية التى جرت بين معمل بحوث أنركون ووحدة الإنتاج فيها التى تبعد نحو ١٢ ميلا. وبعدئذ تم نقل الخطوط التفصيلية لاختراع الشركة إلى شركة كينث(٨) .

وفى ١٩٩٤، فقدت شركة طومسون وهى شركة مساهمة مقرها باريس، وشركة إيرباص اندسترى، ومقرها فى بلانياك، فى فرنسا عقودا مجزية، اختطفها الغرماء الأمريكيون الذين ساعدتهم معلومات جمعتها سرا ناسا ووكالة المخابرات المركزية[٩] . كما استرقت نفس الوكالات السمع على الممثلين اليابانيين خلال المفاوضات التجارية مع الولايات المتحدة فى ١٩٩٥[١٠] .

وتشكو الصناعة الألمانية من أنها فى وضع معرض للخطر بوجه خاص لأن الحكومة تحظر على إدارات الأمن بها أن تقوم بتجسس صناعى مماثل. وقد أعلن الصحفى أودو اولفكوت - وهو متخصص فى التجسس الصناعى الأوروبى : " أن السياسيين الألمان لازالوا يساندون الفكرة الساذجة بأن الحلفاء السياسيين يجب ألا يتجسسوا على أعمال بعضهم البعض، والأمريكيون والبريطانيون لا تراودهم مثل هذه الأوهام "[١١].

وفى ١٩٩٩، طالبت ألمانيا الولايات المتحدة باستدعاء ثلاثة من عملاء وكالة المخابرات المركزية لأنشطتهم فى ألمانيا التى تضمنت التجسس الاقتصادى. وذكر تقرير إخبارى أن الألمان " يشكون منذ أمد طويل فى القدرات على استراق السمع لمجمع الرادار والاتصالات الأمريكى الضخم فى باد ايبلنج - قرب ميونخ - والذى هو فى الواقع محطة اعتراض تابعة لناسا. وقد تساءل مسئول ألمانى كبير: " أن الأمريكيين يقولون لنا إنه يستخدم فقط لرصد اتصالات الأعداء المحتملين، ولكن كيف لنا أن نتأكد بصورة كاملة بأنه لا يلتقط معلومات نعتقد أنها يجب أن تظل سرية بصورة كاملة ؟ "[١٢] وقد أخبرت واشنطن المسئولين اليابانيين بالقصة نفسها تقريبا فيما يتعلق بأكثر من دستة من قواعد إشارات المخابرات التى سمحت اليابان بإقامتها فى أراضيها"[١٣] .

الاتحاد الأوروبى ومكتب التحقيقات الفيدرالى

برغم كل الهواجس السابق الإعراب عنها، طفق مجلس (أو مجلس وزراء) الاتحاد الاوربى يعمل بصورة وثيقة مع مكتب التحقيقات الفيدرالى منذ مطلع التسعينيات لتطوير شبكة لاعتراض الاتصالات السلكية واللاسلكية فى بلدان الأعضاء لخدمة " مجتمع إنفاذ القانون " (الشرطة، الهجرة، الجمارك، والأمن الداخلى). وعلى النقيض من ذلك، فإن ايشلون يديرها " مجتمع المخابرات العسكرية " وتخدمه.

إن شبكة مراقبة الاتصالات السلكية واللاسلكية للاتحاد الأوروبى - مكتب التحقيقات الفيدرالى كما هى معرفة (التى يشار إليها أحيانا باسم انفوبول) وصلت بالتجسس على الأنترنت لمستوى جديد، إذ يتم تركيب برامج جاهزة متخصصة عند مقدمى خدمة الأنترنت يمكن من السيطرة عليها من بعد (عمليا من قبل وكالات إنفاذ القانون). والنتيجة هى إضفاء الصبغة الآلية على اعتراض الرسائل ولايزال يتعين أن نبحث مدى جدوى هذا من الناحية التقنية.

وبالإضافة لذلك، فإنه إذا كان مقدمو خدمة الأنترنت يقومون بخدمة " التشفير، وضغط البيانات، والترميز لعملائهم، فإنه يتعين عليهم أن يقدموها بصورة مفهومة (بعد حلّ شفرتها) لوكالات إنفاذ القانون، ولن تمنح تراخيص تشغيل جديدة أو يتم مدّ أجل التراخيص القائمة لمقدمى خدمة الأنترنت ومن يتولون تشغيل الشبكات على المستوى القومى إلا إذا امتثلوا.

وفيما يشبه كثيرا إتفاقية الاتحاد الأوروبى - مكتب التحقيقات الفيدرالى – فإن هذه المتطلبات يوحى بها مكتب التحقيقات الفيدرالى. وذلك أمر لا يستطيع المكتب أن يفلت به فى الداخل. وكانت هناك مقاومة قوية من بعض شركات الاتصالات فى أوروبا أيضا، لكن الخطة الرئيسية تنطلق فى طريقها دون أن يقلقها شئ، مقدمة توصيات بإجراء تعديلات فى القوانين الوطنية " لضمان أن تغدو المراقبة ممكنة داخل الشبكات الجديدة "، وتشمل الخطط توسيع الشبكة لتضم بلدانا خارج الاتحاد الأوروبى.

وحتى نهاية ١٩٩٩، لم يكن المشروع النهائى للاتفاقية جاهزا بعد لتقديمه لدول الاتحاد الأوروبى للتصديق عليه، وكان من أسباب التأخير أن إدارات الأمن المختلفة كانت تمارس ضغوطا محمومة لتعظيم نطاق المراقبة لأقصى حد وتقليل الرقابة والخضوع للمساءلة لأدنى حد(١٤) .

التشفيــر

فى سعيها للحصول على المزيد والمزيد من المعلومات الأكثر خصوصية، انخرطت ناسا ومكتب التحقيقات الفيدرالى والعناصر الأخرى لمؤسسة الأمن القومى الأمريكية سنوات طويلة فى حملة لمطالبة صناع وجهات نقل الاتصالات السلكية واللاسلكية بتصميم معداتهم وشبكاتهم بما يعظم قدرة السلطات على تسجيل الرسائل، وفرض

قاعدة وطنية للتشفير المدنى مصممة على نحو يتيح للحكومة أن تفك شفرة الاتصالات المشفرة حسب إرادتها. وكانت سلطة منح أو حجب الموافقة على صادرات شركة ما أداة من أدوات الجزرة والعصا التى استخدمتها مؤسسة الأمن. ويقول بعض القائمين على الصناعة المطلعون على دخائل الأمور إنهم يعتقدون أن بعض الآلات الأمريكية التى ووفق على تصديرها تحتوى على " أبواب خلفية " لناسا (وتسمى أيضا " أبواب مسحورة ").

وطفقت الولايات المتحدة تحاول إقناع بلدان الاتحاد الأوروبى أيضا بأن تسمح بالوصول عن طريق " الأبواب الخلفية " لبرامج التشفير، مدعية أن ذلك لخدمة احتياجات وكالات إنفاذ القوانين. بيد أن تقريرا أصدره البرلمان الأوروبى فى مايو ١٩٩٩ يؤكد أن خطط واشنطن للتحكم فى برامج التشفير الجاهزة ليس لها شأن بإنفاذ القوانين فى حين أنها تتعلق بصورة كاملة بالتجسس الصناعى.

كما أرسلت ناسا عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالى فى بعثات اقتحام يتم عنوة لاقتناص كتب الشفرة من المرافق الأجنبية فى الولايات المتحدة، وأرسلت ضباط وكالة المخابرات المركزية لتجنيد كتبة الاتصالات الأجانب فى الخارج وشراء أسرار شفراتهم، حسبما قال مسئولون مخضرمون فى المخابرات[١٥] .

ومع ذلك، هناك مزيد من التراخيص ؟

طفقت وزارة العدل الأمريكية هى الأخرى تضغط على الكونجرس ليسهل لسلطات إنفاذ القوانين الحصول على أذون تفتيش لدخول البيوت والمكاتب سرا وتعجيز أمن الحاسبات الشخصية باكتشاف كلمات السر وتركيب معدات تبطل برامج التشفير، وذلك كمقدمة لتسجيل الرسائل أو إجراء مزيد من التفتيش[١٦] .

وفى الوقت نفسه، تدير الوكالات الفيدرالية، " أجهزة مجهولة لإعادة إرسال البريد "، وهى كيانات فى الأنترنت تسمح للأشخاص بإرسال البريد الإليكترونى بدون الكشف عن عناوينهم البريدية الإليكترونية الحقيقية. وليس لدى مستخدمى خدمات إعادة إرسال البريد المحددة هذه على النطاق العالمى، أية فكرة عن أن شريكهم فى حماية الخصوصية شبح حكومى أمريكى من نوع ما. وقد يثير هذا فى الواقع مشاكل لبعض المستخدمين، الذين ربما يشمل عددهم منشقين ونشطاء فى مجال حقوق

الإنسان فى بلدان بها حكومات قمعية، والوشاة فى الشركات والوكالات الحكومية، الذين يريدون الإبلاغ عن الجرائم وفظائع الحرب، والمتجولون فى شبكة الشواذ الذين يدردشون وشخصياتهم غفل فى مجتمعات الاتصال المباشر دون خوف من عقاب من جيرانهم أو أرباب عملهم. وبالإضافة لذلك، ورد أن ناسا أبرمت اتفاقيات منذ عدة سنوات مع شركات لوتس وميكروسوفت ونتسكيب تهدف إلى منع البريد الإليكترونى الغفل الآخر، أى بعض مما يخرج عن رقابة ناسا، وازدادت هذه الشركات خضوعا لحكوماتها بأن أدخلت سرا " بابا خلفيا " فى برامجها الجاهزة المبيعة فى الخارج لهزيمة أساليب التشفير. وقد اعترفت لوتس بهذا(١٧) .

ويتمتع مكتب التحقيقات الفيدرالى حاليا بلعبة الأخ الكبير وهى الأحدث لديه: " تسجيل الرسائل الجوال "، الذى يسمح بتسجيل أى صوت قريب من الناحية المادية من الهدف المقصود، بما فى ذلك أصوات الأصدقاء والجيران وشركاء الأعمال، بغض النظر عمن يتحدث فى التليفون، طالما أن الهدف المقصود يستطيع أن يستخدمه(١٨) .

عالم جديد جبان

إن الأمر يبدو كما لو كانت مؤسسة الأمن القومى تعتقد أن لها حقا لا يمكن التنازل عنه فى استراق السمع، كما لو أن هناك تعديلا دستوريا ينطبق على العالم بأسره، ينص على أن " الكونجرس لن يصدر أى قانون يحد من حرية الحكومة فى اعتراض الاتصالات الشخصية للمواطنين ". وقد تم تغيير التعديل الرابع ليصبح : " إن الأشخاص سيكونون آمنين فى شخوصهم وبيوتهم وأوراقهم وممتلكاتهم المنقولة، ضد أى تفتيش أو اعتقال غير معقول، إلا فى حالات الأمن القومى، سواء كانت حقيقية أو مزعومة ".

أسوأ سيناريو ممكن

عندما تركز الشرطة المناوئة للخصوصية على المبررات الأخلاقية والقانونية والمتعلقة بالخصوصية وغيرها من الأسباب لتبرير حملات الصيد الأليكترونى التى تقوم بها، والتى تتسع وتتمدد دوما مثل الكون بعد الانفجار العظيم، فإنها تستند على نحو لا يتغير إلى صيغة ما من مقولة : " إن كان الإرهابيون يخططون لعمل رهيب ويرسلون التفاصيل إلى بعضهم البعض عبر التليفون (الفاكس / البريد الأليكترونى)؛ فإننا نستطيع عن طريق التسجيل لهم أن نكتشف خططهم مقدما وأن نوقفهم ".

وإذا استطاعوا أن يلجئوا لأسوأ سيناريو ممكن - وهو ما لم يحدث مطلقا فى كل الاحتمالات وما لن يحدث إلا إذا كان الإرهابيون جميعا قد ولدوا بالأمس، على المريخ، وكانت السلطات محظوظة بصورة خيالية إلى أبعد حد - فإن آخرين عندئذ يستطيعون أن يجملوا أسوأ سيناريوهاتهم. فعلى سبيل المثال، فإنه فى خلال عمليات استراق السمع التى لا تعد ولا تحصى، قد يتم التقاط معلومات عن أناس يخدعون أزواجهم وزوجاتهم. تخيل ما يحدث فى كل مرة يتسرب فيها هذا: شجار كبير فى البيوت، اكتئاب، سوء معاملة الزوج، الطلاق، القتل، الانتحار... وفكّر فى الأطفال، ناهيك باحتمال الابتزاز أو إجبار شخص ما على الانخراط فى تجسس أو خيانة. وكل ما يتطلبه الأمر لاعتراض اتصال ما هو أن يستخدم أحد الأطراف كلمتين أو ما إلى ذلك من كلمات السر فى " قاموس " ايشلون - " إنه يعيش فى بيت أبيض جميل فى شارع كلينتون، بالقرب منى تماما، إننى لا أستطيع أن أبلغ الهدف هناك فى دقيقتين ".

أكبر عملية خداع استخباراتى فى القرن

طوال عدة عقود – بداية فى الخمسينيات – ظلت شركة كريبتو ايه جى السويسرية تبيع أرقى تكنولوجيا للتشفير وأكثرها أمنا فى العالم، وأقامت الشركة سمعتها وحرصها على شواغل عملائها الأمنية على حيادها فى الحرب الباردة أو أى حرب. وكانت الدول المشترية منها تبلغ نحو ١٢٠ بلدا، من بينها بلدان تشكل هدفا أوليا للمخابرات المركزية مثل إيران والعراق وليبيا ويوغوسلافيا، وبسبب ثقتها فى أن اتصالاتها محمية، تبعث برسائل من عواصمها إلى سفاراتها، وبعثاتها العسكرية، ومكاتبها التجارية، وأوكار تجسسها عبر العالم، من خلال ما تصنعه هذه الشركة من أجهزة التلكس واللاسلكى والفاكس. وبسبب اتفاق سرى بين الشركة وناسا، أصبح الحال كما لو أن هذه الحكومات تسلم رسائلها يدا بيد إلى واشنطن غير مشفرة. وكانت آلات التشفير التى تنتجها " كريبتو ايه جى " تجهز بمعدات قبل بيعها إليها. ومن ثم فعندما استخدامها كان يمكن إرسال مفتاح تشفير عشوائى بصورة آلية وسرية إلى جانب الرسالة المشفرة، وكان محللو ناسا يستطيعون قراءة الرسالة بنفس السهولة التى يقرعون بها صحف الصباح، وكانت المخابرات الألمانية مشاركة فى هذا هى أيضا وربما كانت المالك الحقيقى للشركة.

وفى ١٩٨٦، وبسبب البيانات العامة الأمريكية المتعلقة بتفجير صالة " لابل " للديسكو فى برلين الغربية، بدأ الليبيون يشكون فى أن شيئا فاسدا فى آلات الشركة، وتحولوا إلى شركة سويسرية أخرى، جريتاج داتا سستمز ايه جى. لكن اتضح أن ناسا قد غطت تلك القاعدة أيضا. وفى ١٩٩٢ - وبعد سلسلة من الظروف المثيرة للشك خلال السنوات القليلة السابقة - توصلت إيران إلى استنتاج مماثل لما توصلت إليه ليبيا، واعتقلت موظفا فى شركة كريبتو ايه جى كان فى رحلة عمل إلى إيران، وفى النهاية تم افتداؤه، لكن الحادث أصبح معروفا وبدأت عملية الخداع تنحل بصورة جادة[١٩] .

وندوز ميكروسوفت

وفعلت ناسا شيئا مماثلا مع الحاسبات الآلية. ففى سبتمبر ١٩٩٩ كشف مراسل محقق أوروبى بارز - دنكان كامبل - أن ناسا رتبت مع ميكروسوفت لإدخال " مفاتيح " معينة فى برامج وندوز الجاهزة، فى كل النماذج من ٩٥- أو اس آر ٩ فصاعدا. وقد فكك عالم حاسبات آلية أمريكى - اندرو فيرنانديز من كريبتسونيم فى نورث كارولينا - أجزاء من شفرة تعليمات وندوز ووجد دليل الإدانة، فقد فشل مطورو برامج ميكروسوفت فى إزالة رموز إزالة ميكروفونات التجسس المستخدمة فى اختبار هذه البرامج الجاهزة قبل طرحها. وكان داخل الشفرة رقعة مكتوبة لمفتاحين، إحداهما مسماة " مفتاح " والأخرى " مفتاح ناسا "، وعرض فرنانديز ما وجده فى مؤتمر كان يحضره أيضا بعض مطورى برامج وندوز. ولم ينكر هؤلاء أن مفتاح ناسا كان مبيتا فى برامجهم الجاهزة، لكنهم رفضوا الحديث عما يفعله المفتاح، أو لماذا وضع هناك بدون علم المستخدمين. ويقول فرنانديز أن " الباب الخلفى لناسا " فى معظم الشبكة العاملة المستخدمة فى العالم يجعل " بحكم ضخامته من الأيسر على حكومة الولايات المتحدة أن تصل لحاسبك الشخصى[٢٠] .

وفى فبراير ٢٠٠٠، أعلن أن وكالة الشئون الاستراتيجية - ذراع المخابرات لوزارة الدفاع الفرنسية - أعدت تقريرا فى ١٩٩٩ أكد أيضا أن ناسا ساعدت فى تركيب برامج سرية فى برامج ميكروسوفت الجاهزة، وحسب تقرير هذه الوكالة فإنه " يبدو أن إنشاء ميكروسوفت قد لاقى مساندة ضخمة، ليس أقلها المساندة المالية، من قبل ناسا

وأن شركة آى بى ام أنشئت من قبل نفس الإدارة لتقبل نظام التشغيل م أس ـ دوس (ميكروسوفت) "، وذكر التقرير أنه كانت " هناك شكوك قوية فى انعدام الأمن غذتها الشائعات الملحة عن وجود برامج للتجسس فى ميكروسوفت، ووجود العاملين فى ناسا فى فريق التطوير لدى بل جيتس "، وقال التقرير أن البنتاجون، كان أكبر عميل لميكروسوفت فى العالم[٢١] .

الفصل الثانى والعشرون

الاختطاف والنهب

فى ١٩٦٢، اختطفت الولايات المتحدة نحو ١٢٥ شخصا من الجمهورية الدومينيكية، ونقلتهم إلى الولايات المتحدة وأماكن أخرى.

وتم خطف مهرب مخدرات مشتبه فيه من هندوراس ونقل إلى الولايات المتحدة فى ١٩٨٨، رغم أن دستور هندوراس يحظر ترحيل المواطنين لمحاكمتهم فى بلدان أخرى، ويفترض أن العملية تمت فى هذه الحالة بموافقة حكومة هندوراس تحت ضغط أمريكى.

وفى ديسمبر ١٩٨٩، أحكمت المؤسسة العسكرية الأمريكية وثاق مانويل نوريجا فى بنما وشحنته إلى فلوريدا.

وفى العام التالى، دفعت إدارة مكافحة المخدرات لصائدى المكافآت مبلغا لاختطاف الدكتور هومبرتو الفاريز ماشين من مكتبه الطبى فى جوادا لاجارا بالمكسيك، ونقله جوا إلى البازو وتسليمه للوكالة.

وفى ١٩٩٢ تم تخدير رجل أعمال قبرصى - حسين الخانى - المتهم بانتهاك العقوبات الأمريكية على ليبيا فى جزر البهاما وتم خطفه إلى ميامى.

ويتم شحن أعداد متزايدة من مواطنى كولومبيا المتهمين بجرائم مخدرات، إلى الولايات المتحدة منذ أن نجحت واشنطن فى إجبار الحكومة على إلغاء الحظر على تسليم المتهمين فى ديسمبر ١٩٩٧[١] .

وفى ١٩٩٢، أعلنت المحكمة العليا الأمريكية التى كانت تنظر قضية الفاريز ماشين، أنه وإن كان اختطاف المواطنين الأجانب فى بلادهم " يسبب صدمة " لانتهاكه المبادئ الأساسية للقانون الدولى، فإنه أسلوب مقبول قانونا لإحضارهم لمواجهة

الاتهامات فى محكمة أمريكية لانتهاكهم للقانون الأمريكي. هل كان رئيس المحكمة العليا - ويليام رينكويست - راغبا فى أن يسجل للتاريخ ملاحظته أن معاهدة تسليم المجرمين المبرمة بين الولايات المتحدة والمكسيك يمكن تجاهلها لأن المعاهدة لم تنص صراحة على أن " الاختطاف غير مسموح به "[٢] .

وإذا كانت الذاكرة تسعفنا، فسنتذكر أن الولايات المتحدة خاضت حربا فى ١٨١٢ مع بريطانيا العظمى حول هذه الممارسة.

وإذا كان يمكن أخذ الناس دون عقاب، فلا شك أن أخذ الأوراق والسلع المادية الأخرى أكثر سهولة.

أوروبـــا

فى أيام خمود الحرب العالمية الثانية، هرب قادة هنغاريا الفاشيون إلى الغرب بحمولة قطار من الأسلاب التى تخص البورجوازية اليهودية الهنغارية - من الفراء ومجموعات الطوابع إلى الأعمال الفنية والسجاجيد الشرقية، وعلى الأقل صندوق من خواتم الزواج التى صودرت من ضحايا الهولوكست، ومضى القطار بعيدا حتى وصل إلى النمسا، حيث أوقفتهم قوات الجيش الأمريكى. وخدم الضباط الأمريكيون - واحتمالا الرتب الأدنى كذلك - أنفسهم بأنفسهم وحصلوا على كل ما لذ وطاب. وبعد الحرب، لم يعد سوى قلة ضئيلة جدا من النفائس لأصحابها الأصليين، على الرغم من الالتماسات المتكررة التى قدمتها الجالية اليهودية الهنغارية. وفى ١٩٤٩، نقلت الولايات المتحدة ١١٨١ لوحة من الغنيمة الهنغارية إلى النمسا فى انتهاك للمعاهدات الدولية التى تنص على ضرورة إعادة " الممتلكات الثقافية " التى نهبت خلال الحرب العالمية الثانية إلى " بلد الأصل ". كانت إدارة ترومان ترغب فى أن تحول دون وقوع مثل هذه الكنوز فى أيدى النظم الشيوعية فى شرقى أوروبا؛ ورأت أنه من الأفضل أن تقع فى أيدى النمساويين الذين كانوا بإرادتهم شركاء أدولف هتلر فى جرائمه[٣] .

جواتيمـــالا

فى أعقاب الانقلاب الذى دبرته وكالة المخابرات المركزية فى ١٩٥٤، صادرت الولايات المتحدة كمية ضخمة من الوثائق من الحكومة الجواتيمالية، أساسا بأمل أن تكشف يد المؤامرة الشيوعية الدولية وراء حكومة جاكوبو اربنز، وقد كان هذا فى نهاية

المطاف هو المبرر الرسمى الذى مازالت واشنطن تقدمه حتى الآن للإطاحة باربنز، وإذا كان ذلك هو حقا ما كشفت عنه الوثائق، فلماذا لم يعلن عنه على الملأ.

جرينــــادا

فى خضم الغزو المدمر وغير القانونى بالكامل للجزيرة فى أكتوبر ١٩٨٣، وجدت الولايات المتحدة الوقت اللازم للتنقيب فى ملفات الحكومة والاستيلاء على كمية ضخمة من الوثائق ونقلها لبلادها، وشرع المسئولون فى واشنطن عندئذ فى تقديم وثائق مختارة للصحافة لنشرها - مثل تلك التى تتعلق باجتماعات قادة حكومة جرينادا واتفاقيات التعاون العسكرى مع البلدان الأجنبية - آملين أن يضفى ذلك مصداقية على موقف الحكومة الأمريكية الرسمى القائل بأن كوبا وروسيا كانتا تخططان للاستيلاء على الجزيرة واستخدامها منصة انطلاق لزعزعة استقرار منطقة الكاريبى بأسرها. بيد أن الوثائق لم تقدم دليلا على شئ من هذا[٣] . والواقع، أن مدير وكالة المخابرات المركزية ويليام كيزى كان عليه أن يعترف فيما بعد بأن الوثائق " لم تكن لقية حقيقية "[٤] .

بنمـــا

خلال غزو الولايات المتحدة لها فى ديسمبر ١٩٨٩، صادرت آلاف الصناديق من وثائق الحكومة ورفضت إعادتها[٥] ، وجابت قوات الاحتلال الأمريكية أرجاء الجزيرة متحررة من أى قيود لأى سلطة أعلى، وعلى امتداد طريقهم خدموا أنفسهم بأنفسهم فى الحصول على كل أنواع الوثائق والملفات والمحفوظات من مكاتب أجهزة الإعلام، والأحزاب السياسية (خاصة أحزاب اليسار)، والنقابات العمالية، الخ[٦] .

وصادرت الولايات المتحدة أكثر من ٥٢ ألف سلاح، وكذلك حاملات أفراد مدرعة ومنصات إطلاق صواريخ، وقد طالبت بنما فيما بعد بتعويض عن هذه المواد[٧] .

ولم تتم إعادة أى شئ ولم يتم دفع أى تعويض[٨] .

ألمانيـــا

بعد وقت قصير من انهيار حكومة ألمانيا الشرقية فى ١٩٩٠، استطاعت وكالة المخابرات المركزية الاستيلاء على محفوظات وكالة المخابرات السرية فى البلاد،

ستازى. وخلال السنوات التسع التالية، رفضت الولايات المتحدة إعادة هذه المواد باستثناء أشياء ضئيلة بين الحين والآخر - رغم تكرار طلبات الحكومة الألمانية - بل لقد رفض الرئيس كلينتون بعض الوقت حتى مناقشة المسألة مع جيرهارد شرويدر المستشار الألماني. وأخيرا، أعلنت وكالة المخابرات المركزية فى أكتوبر ١٩٩٩ أنها ستعيد ما يبدو أنه جزء كبير من الملفات، ولكن الوكالة ستحتفظ بعدد كبير من الملفات المختارة. وتضم ملفات الستازى معلومات عن أفراد كثيرين لا تريد الوكالة الكشف عن هويتهم، ويفترض أن من بينهم عملاءها الذين كانوا يتجسسون على ألمانيا الغربية، والذين كانت الستازى تعرفهم، وهناك ملفات أخرى كثيرة يمكن أن تكون قيمة للوكالة لأن الأشخاص الواردة أسماؤهم بها يسهل جدا ابتزازهم، لاستخدامهم من قبل الوكالة لأى هدف تراه[٩] .

العـــراق

فى أعقاب حرب الخليج الفارسى فى ١٩٩١، استولت مجموعات كردية على نحو ١٨ طنا من الوثائق الحكومية العراقية، استحوذت عليها الولايات المتحدة فيما بعد، وتقبع الأوراق حاليا فى جامعة كولوراد فى بولدر وهى متاحة للجمهور[١٠] . ولم يطلب العراق إعادة الوثائق، ربما لإدراكه عدم جدوى هذا الطلب وطابعه المذل.

هاييتـــى

عندما عاد جان برتراند أرستيد للسلطة فى ١٩٩٤، فإن المؤسسة العسكرية الأمريكية خدمت نفسها بنفسها فى الاستيلاء على ما يقدر بـ ١٦٠ ألف وثيقة، وأشرطة سمعية وأشرطة فيديو (بعضها عن جلسات التعذيب) و " صور تذكارية " للضحايا الذين بترت أطرافهم، والتى كانت مملوكة لمنظمات عسكرية وشبه عسكرية فى هاييتى، ورفضت الولايات المتحدة إعادة ما سلبته، إلا إذا تمكنت من اختيار ما تتم إعادته، وتفرض رقابة على ما تشاء، وما لم توافق هاييتى على فرض قيود تفصيلية محددة على استخدام المادة. ان تورط وكالة المخابرات المركزية الذى استمر عقودا مع الحكام الديكتاتوريين المتعددين، ومع القوات المسلحة، وسرايا الموت والقائمين بالتعذيب، ومهربى المخدرات، ومختلف أنواع الفساد، يوفر لواشنطن سببا أكثر من كاف لحجب المادة عن النشر واسع النطاق. بيد أن رينيه ريفال رئيس هاييتى أعلن : " إن موقفنا هو أننا نريد عودة جميع الوثائق، دون تبديل فيها " .

وقد طالبت حكومة هاييتى بالوثائق عدة مرات منذ ١٩٩٥ - فى خطابات علنية ومراسلات سرية - ومؤتمرات صحفية وساحات دولية. وكان من بين مؤيدى طلبها بعثة حقوق الإنسان إلى هاييتى التابعة للأمم المتحدة/ منظمة الدول الأمريكية، وعشرات من الأعضاء الحاليين والسابقين فى الكونجرس الأمريكى، والمجموعات الدينية ومجموعات التضامن فى الولايات المتحدة وفى الخارج، وثلاثة من الحاصلين على جائزة نوبل، ومنظمة العفو الدولية وهيئة مراقبة حقوق الإنسان. وطالبت بعثة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة بإعادة الوثائق حتى يمكن تحديد حقيقة " أين تكمن المسئولية فى كل حالة " عن انتهاكات حقوق الإنسان. وحتى وزارة الخارجية البريطانية أثارت القضية مع وزارة الخارجية الأمريكية. ويقول المنادون بإعادة الوثائق أن عدم وجود أدلة فيما يتعلق ببعض الذين شاركوا فى انقلاب ١٩٩١ الذى أطاح بارستيد المنتخب بصورة ديمقراطية، يسهم فى انعدام الأمن والظلم الذى يحيق بهاييتى حاليا.

وطوال سنوات كثيرة، حاولت هاييتى ومناصروها فى لجنة حقوق الإنسان فى الأمم المتحدة وفى الجمعية العامة الاقتراع على قرار يدعو الولايات المتحدة لإعادة الوثائق، لكن الوفد الأمريكى استطاع أن يناور بالإجراءات لمنع هذا الاقتراع[١١] .

الفصل الثالث والعشرون

كيف أرسلت وكالة المخابرات المركزية نيلسون مانديلا للسجن لمدة ٢٨ سنة

عندما أطلق سراح نيلسون مانديلا من السجن فى فبراير ١٩٩٠، خاطب الرئيس جورج بوش شخصيا هاتفيا زعيم جنوب أفريقيا الأسود ليخبره بأن كل الأمريكيين " مبتهجون لإطلاق سراحه "(١) .

وكان هذا هو نفس نيلسون مانديلا الذى سجن نحو ٢٨ سنة لأن وكالة المخابرات المركزية زودت سلطات جنوب أفريقيا بمعلومات سرية عن المكان الذى يمكن أن تجده فيه.

وكان هذا هو نفس جورج بوش الذى كان ذات مرة رئيس وكالة المخابرات المركزية والذى كان لمدة ثمانى سنوات الرجل الثانى فى السلطة فى إدارة تعاونت وكالة المخابرات المركزية ووكالة الأمن القومى فى ظلها بصورة وثيقة مع إدارة المخابرات فى جنوب إفريقيا، وقدمتا المعلومات عن حزب مانيلا، المؤتمر الوطنى الإفريقى(٢) . كان حزب المؤتمر حركة وطنية تقدمية كان نفوذها محسوسا فى البلدان الإفريقية الأخرى، وبالتالى فقد رأت واشنطن أنها جزء من المؤامرة الشيوعية الأسطورية، وبالإضافة إلى الإيديولوجيا، كان هناك مكون آخر فى قدر الطبخ الذى تأكل منه الولايات المتحدة وجنوب أفريقيا كلتاهما هو أن الأخيرة عملت كمصدر لليورانيوم مهم للولايات المتحدة، وأن الولايات المتحدة كانت أكبر مساند لجنوب إفريقيا فى الأمم المتحدة.

وفى ٥ أغسطس ١٩٦٢، أوقفت الشرطة المسلحة عند متراس على الطريق خارج هاويك/ الناتال، سيارة يقودها نيلسون مانديلا الذى كان مطاردا لمدة ٧ أشهر، ويدعى

أنه سائق لراكب أبيض يجلس فى المقعد الخلفى، ولم يقدم تفسير علنى لكيف تواجدت الشرطة هناك. بيد أنه فى أواخر يوليو ١٩٨٦، ظهرت قصص فى ثلاث صحف فى جنوب إفريقيا (نشرتها بعد ذلك بقليل صحافة لندن، وجزئيا محطة تليفزيون سى بى اس) ألقت ضوءا كبيرا على المسألة، وروت القصص كيف أن مسئولا بوكالة المخابرات المركزية – واسمه دونالد ريتشارد - كان يعمل تحت ستار مستشار رسمى فى ديربان - قدم معلومات سرية للفرع الخاص بأن مانديلا سيتخفى كسائق فى سيارة متجهة إلى ديربان، وقد حصل ريتشارد على هذه المعلومات من واش فى حزب المؤتمر الإفريقى، وبعد ذلك بعام وفى حفل وداع له فى جنوب إفريقيا، فى منزل المرتزق سيء السمعة عميل الوكالة المخابرات المركزية الكولونيل هوار المسمى " الميكروفون المجنون "، ذكر ريتشارد نفسه - ربما بعد أن حلّت الخمر عقدة لسانه - على إسماع بعض الذين كانوا حاضرين أنه كان مفروضا أن يقابل مانديلا فى الليلة المشئومة لكن بدلا من ذلك أبلغ الشرطة، وقد رفض ريتشارد مناقشة المسألة عندما سألته محطة تليفزيون سى بى إس.[٣]

وقد أجرى ألن بيزى مذيع الأخبار فى محطة سى بى اس لقاء مع الصحفى جيمس توملنز على الهواء عندما تفجرت القصة فى ١٩٨٦، وذكر توملنز الذى كان فى جنوب إفريقيا فى ١٩٦٢، أن ريتشارد أخبره بتورطه فى القبض على مانديلا[٤] .

وفى ١٠ يونيو ١٩٩٠، أوردت صحيفة أتلانتا جورنال آند كونستتيوشن أن مسئولا متقاعدا فى المخابرات الأمريكية - لم تحدد هويته - كشف أنه خلال ساعات من اعتقال مانديلا، أخبره بول آيكل وهو عميل كبير فى وكالة المخابرات المركزية : " لقد سلمنا مانديلا إلى فرع الأمن بجنوب إفريقيا، لقد قدمنا لهم كل التفاصيل، ماذا يرتدى، الوقت المحدد من النهار، المكان الذى يتواجد فيه على وجه الدقة، واعتقلوه، وكانت تلك واحدة من أعظم ضرباتنا "[٥] .

وبعد إطلاق سراح مانديلا، وُجّه سؤال للبيت الأبيض عما إذا كان بوش سيعتذر للزعيم جنوب الإفريقى عن تورط الولايات المتحدة فى اعتقاله - فى الاجتماع الوشيك بين الرجلين. وفى هذا الوضع، كان النفى القاطع من البيت الأبيض لتورط أى أمريكى فى الاعتقال، أمرا لابد منه، بيد أن المتحدثة الرسمية - مارلين فيتزووتر - أجابت : " لقد حدث هذا خلال إدارة كنيدى ... لا تحاسبنى عما فعلته زمرة كنيدى "[٦] .

وذكرت وكالة المخابرات المركزية : " إن سياستنا هى عدم التعليق على مثل هذه الإدعاءات "، وهذا هو ما تقوله الوكالة عندما تشعر أنها لن تكسب شيئا بإصدار بيان. وفى عدد من المناسبات الأخرى، علقت الوكالة بالفعل على كل أنوع الإدعاءات، لأنها كانت تعتقد أن ذلك سيخدم هدفها.

وبينما انحسر شباب وصحة مانديللا ببطء خلف جدران السجن، تقاعد رونالد ريتشارد ليعيش فى بلهنية وحرية فى باجوسا سبرنجز، كلورادو. ولايزال يعيش هناك حتى الآن.

الفصل الرابع والعشرون

وكالة المخابرات المركزية :
قل فحسب : ولم لا ؟

خلال ٣٠ عاما أمضيتها في إدارة مكافحة المخدرات والوكالات ذات الصلة، اتضح بصورة ثابتة تقريبا أن المستهدفين الأساسيين بتحرياتي كانوا يعملون مع وكالة المخابرات المركزية.

دنيس دايل، رئيس سابق لوحدة الصفوة في الإدارة[١] .

١٩٤٧ إلى ١٩٥١، فرنسا

قمعت اتحادات المافيا والجريمة الكورسيكية في مارسيليا وصقلية وكورسيكا ـ التي تستفيد من أسلحة وأموال وكالة المخابرات المركزية وحربها النفسية ـ الإضرابات وانتزعت السيطرة على النقابات العمالية من الحزب الشيوعي، وفي المقابل مهدت الوكالة الطريق أمام العصابات لتركها دون مضايقة أو إدانة ولإعادة بناء تجارة الهيروين التي كان قد تم الحدّ منها خلال الحرب ـ " الرابطة الفرنسية للتهريب " الشهيرة التي كانت تسيطر على تجارة المخدرات لما يزيد على عقدين والتي كانت مسئولة عن معظم الهيروين الذي يدخل الولايات المتحدة[٢] .

الخمسينيات لأوائل السبعينيات، جنوب شرق آسيا

أصبح الجيش الوطني الصيني ـ الذي هزمه الشيوعيون في ١٩٤٩ واضطر للخروج للمنفى ـ جزءا من أي جيش تشكله وكالة المخابرات المركزية في بورما لشن حرب على الصين الشيوعية، وأغلقت الوكالة عينيها عن حقيقة أن عملاءها الجدد أخذوا يصبحون بارونات الأفيون في المثلث الذهبي (أجزاء من بورما وتايلند ولاوس) ـ أكبر مصدر للأفيون والهيروين في العالم – وكانت شركة " أير أميركا " وهي شركة الطيران

الأساسية التى تملكها وكالة المخابرات المركزية، تنقل المخدرات من كل أنحاء جنوب شرق آسيا إلى مواقع يتم فيها تجهيز الأفيون وتحويله إلى هيروين، وفى نقط شحن عبر القارات على امتداد طريق الزبائن الغربيين[٣] .

وخلال تورط الولايات المتحدة العسكرى فى فيتنام ولاوس، عملت الوكالة بصورة وثيقة مع أشخاص من قبائل معينة ومع أمراء الحرب المنخرطين فى زراعة الأفيون، وفى مقابل الدعم التعبوى والاستخباراتى من هذه العناصر، قامت الوكالة بحماية عمليات المخدرات الخاصة بهم، وانخرط طيارو شركة اير أميركا مرة أخرى فى نقل الأفيون والهيروين جوا فى كل أنحاء المنطقة لخدمة الاحتياجات الشخصية والمؤسسية لمختلف حلفاء الوكالة العسكريين والسياسيين، وكانوا أحيانا يحشون جيوبهم هم أيضا، وأحيانا كانت الإيرادات تساعد الوكالة فى تمويل عملياتها السرية خارج الميزانية، وأخيرا تبين أن المشروع حول كثيرا من الجنود فى فيتنام إلى مدمنين للهيروين.

ولم تكن العملية نموذجا لعملية تتم بتقدير شخصى، فقد كان يتم تكرير الهيروين فى معمل يقع فى موقع فى مقر الوكالة فى شمالى لاوس، وبعد عقدين من التدخل العسكرى الأمريكى، أصبح جنوب شرق آسيا مصدر ٧٠ فى المائة من الأفيون غير القانونى فى العالم والمورد الأساسى لسوق الهيروين المزدهرة فى أمريكا[٤] .

١٩٧٣ - ١٩٨٠ . *أستراليا*

كان لبنك نوجان هاند فى سيدنى علاقات وثيقة، إن لم تكن حميمة مع الوكالة، وكان من بين مسئولى البنك شبكة من الجنرالات والأدميرالات الأمريكيين ورجال الوكالة السابقين، بمن فيهم ويليام كولبى، الذى كان مديرا للوكالة مؤخرا، والذى كان أحد محامى البنك وكان مايكل هاند الذى شارك فى تأسيس البنك من جنود البيريهات الخضراء عميلا للوكالة مسئولا عن الاتصالات فى لاوس، وعمل مع شركة اير أميركا، وكان كثيرون من المودعين الذين ساعدت نقودهم البنك على البدء فى العمل، من مستخدمى اير أميركا.

وقد توسع البنك سريعا، وافتتح فروعا فى المملكة العربية السعودية وأوروبا وجنوب شرق آسيا وأمريكا الجنوبية والولايات المتحدة، وأصبح أحد البنوك المفضلة لمهربى المخدرات الدوليين (الذين أغراهم نوجان هاند بقوة)، ولمن يقومون بغسل

الأموال، والمتعاملين فى السلاح ووكالة المخابرات المركزية (التى استخدمت البنك للإنفاق على عملياتها السرية). وفى ١٩٨٠ انهار البنك، فى خضم حالات وفيات عديدة غامضة، وأصبحت ديونه ٥٠ مليون دولار[٥] .

السبعينيات والثمانينيات، بنما

لأكثر من عقد كان رجل بنما القوى الجنرال مانويل نوريجا يمثل سندا وعميلا للوكالة تدفع له بسخاء، على الرغم من علم سلطات مكافحة المخدرات الأمريكية منذ فترة مبكرة ترجع إلى ١٩٧١ بأن الجنرال كان متورطا بصورة كبيرة فى تهريب المخدرات وفى غسيل الأموال. لقد يسر نوريجا رحلات طائرات " المدافع مقابل المخدرات " إلى الكونترا فى نيكاراجوا، بأن قدم الحماية والطيارين والملاذ الآمن لزعماء اتحاد المخدرات، والتسهيلات المصرفية السرية للجميع، ومع ذلك، فقد بعث مسئولون أمريكيون - منهم ويليام ويبستر مدير وكالة المخابرات المركزية، وعدة مسئولين فى إدارة مكافحة المخدرات - رسائل إشادة إلى نوريجا لجهوده لإحباط تجارة المخدرات (وإن كان قد فعل ذلك ضد منافسى سادته فى اتحاد ميدلين فقط). وأعلن ويليام كيزى - الذى أصبح مديرا للوكالة فى ١٩٨١ - أنه لم يدن نوريجا لعلاقته بمهربى المخدرات لأن بنما " كانت تقدم مساندة قيمة لسياساتنا فى أمريكا الوسطى، خاصة نيكاراجوا "[٦] .

وعندما أدى التقاء الظروف إلى زوال حظوة نوريجا لدى واشنطن، اضطرت إدارة بوش كارهة إلى الانقلاب عليه، وفى ١٩٨٩، غزت الولايات المتحدة بنما، واختطفت الجنرال وسجنته، وعزت الغزو زورا إلى الحرب على المخدرات فى حين كانت تكمن وراء العملية عدة حتميات خاصة بالسياسة الخارجية، واستمر تهريب المخدرات عبر بنما دون أن يهدأ فى ظل الحكومة الجديدة التى نصبتها الولايات المتحدة[٧] ، ولو كان نوريجا قد أصبح مدمنا للشيوعية بدلا من إدمانه لنقود المخدرات، لكان جنود مشاة البحرية قد نزلوا فى مدينة بنما قبل ذلك بزمن طويل.

وكدليل آخر على مدى عدم قلق المسئولين الأمريكيين فى الواقع بشأن تهريب المخدرات فى حد ذاته - فى تناقض صارخ مع موقفهم العلنى - لنتامل حالة سفير بنما السابق الذى كان مطلق السراح فى واشنطن - ريكاردو بيلونك - فقد ساعد فى تهريب ما يقرب من ٤٠ ألف رطل من كوكايين كولومبيا إلى الولايات المتحدة فى مطلع

الثمانينيات، لكن نظرا لأنه كان فى مقدوره أن يخدم هدفا سياسيا أسمى بالتحول إلى شاهد ملك ضد نوريجا، فقد أفلت بحكم مدته ثلاث سنوات، مقابل ٤٠ سنة لنوريجا. وفى محاكمته، حصل بيلونك على خطابات شهادة لصالحه من الرئيس السابق جيمى كارتر، ووليام روجرز نائب وزير الخارجية السابق، والسفير الأمريكى السابق فى بنما[٨]. وهناك آلاف من الرجال والنساء ينزوون فى السجون الأمريكية، متهمين بجرائم تتعلق بالهيروين، لم يهربوا فى مجموعهم قدر ما هربه بيلونك من كوكايين.

الثمانينيات، أمريكا الوسطى

كانت سياسة واشنطن متسقة : دعهم يهربون المخدرات، دعهم يقتلون ويغتصبون ويعذبون، دعهم يغلقون المدارس والعيادات ... طالما يقومون بحروبنا، إنهم صبياننا، صبياننا الطيبون.

وإذ تسلط هاجس الإطاحة بحكومة الساندنيستا اليسارية فى نيكاراجوا على مسئولى إدارة ريجان، فقد تسامحوا مع، وأغووا، مهربى المخدرات، طالما ساند المهربون الكونترا. ففى ١٩٨٩، خلصت لجنة مجلس الشيوخ الفرعية المعنية بالإرهاب والمخدرات والعمليات الدولية (لجنة كيرى) فى ختام تحقيق استمر ثلاث سنوات إلى إعلان أن :

هناك أدلة كثيرة عن تهريب المخدرات عبر مناطق الحرب من أفراد من الكونترا، وموردى الكونترا، وطيارى الكونترا، والمرتزقة الذين يعملون مع الكونترا، ومؤيدى الكونترا فى ربوع المنطقة ... وقد تقاعس المسئولون الأمريكيون المنخرطون فى العمل فى أمريكا الوسطى عن معالجة قضية المخدرات خوفا من نسف جهود الحرب ضد نيكاراجوا. وفى كل حالة، كان لدى وكالة أو أخرى من وكالات الحكومة الأمريكية معلومات عن التورط سواء أثناء حدوثه أو بعده مباشرة، ولم يكن كبار صانعى السياسة الأمريكية محصنين إزاء فكرة أن نقود المخدرات كانت حلاً مثاليا لمشكلات تمويل الكونترا[٩].

وفى كوستاريكا التى عملت باعتبارها " الجبهة الجنوبية " للكونترا (كانت هندوراس هى الجبهة الشمالية)، كانت هناك عدة شبكات مختلفة لوكالة المخابرت المركزية والكونترا متورطة فى تهريب المخدرات، بما فى ذلك جون هول وهو مصدر قوة للوكالة، وهو أمريكى كانت مزارعه على امتداد حدود كوستاريكا مع نيكاراجوا هى

نقطة التجميع الأساسية لقوات الكونترا. وقد توحدت جهود هول ومؤيدى الكونترا الآخرين المتصلين بوكالة المخابرات المركزية مع جهود جورج موراليس، وهو مهرب مخدرات كولومبى كبير مقره ميامي وافق بعد ذلك على تقديم ما يزيد على ٤ ملايين دولار نقدا للكونترا، وكانت طائرات موراليس تُحّمل بالأسلحة فى فلوريدا، وتطير إلى أمريكا الوسطى وبعدئذ تعود حاملة الكوكايين على متنها[١٠] .

وفى ١٩٨٩- وبعد أن أدانت حكومة كوستاريكا هول بتهمة تهريب المخدرات - استأجرت إدارة مكافحة المخدرات سرا طائرة طارت به بصورة غير قانونية إلى ميامى، وقد أجهضت الولايات المتحدة مرارا وتكرارا جهود كوستاريكا لتسلم هول وإعادته إليها لتقديمه للمحاكمة. وهناك حلقة مخدرات أخرى مقرها كوستاريكا كانت تضم الكوبيين المعادين لكاسترو الذين استأجرتهم وكالة المخابرات المركزية كمدربين عسكريين للكونترا، وكان كوبيون كثيرون متورطين منذ زمن طويل مع الوكالة فى تهريب المخدرات. واستخدموا طائرات الكونترا وشركة للجمبرى مقرها كوستاريكا، كانت تغسل الأموال للوكالة، لنقل الكوكايين إلى الولايات المتحدة[١١] .

وفى هندوراس، أغمضت وكالة المخابرات وإدارة مكافحة المخدرات عيونهما عن تجارة المخدرات الواسعة التى يقوم بها ضباط هندرواس العسكريون ومسئولوها الحكوميون وغيرهم، مقابل السماح للولايات المتحدة بتحويل البلاد إلى قاعدة عسكرية كبيرة. وجندت وكالة المخابرات المركزية نفسها آلان هايد، وهو مهرب رئيسى فى هندوراس - الأب الروحى لجميع الأنشطة الإجرامية حسب تقارير الحكومة الأمريكية - لاستخدام قواربه لنقل إمدادات الكونترا، وفى المقابل، أحبطت الوكالة جهود مكافحة المخدرات التى تستهدف هايد، وذكرت برقية للوكالة أن " رابطة الأعمال التى تجميع بين (هايد والوكالة) موثقة جيدة ويمكن أن تبرهن على صعوبة دحضها فى مرحلة المقاضاة "[١٢] .

وكانت هناك محطات متوسطة أخرى على امتداد طريق الكوكايين السريع، مثل إدارة المخابرات العسكرية فى جواتيمالا، المرتبطة بوكالة المخابرات المركزية بصورة وثيقة، والتى آوت الكثيرين من مهربى المخدرات، وقاعدة ايلوبانجو الجوية فى السلفادور، والتى كانت عنصرا رئيسيا فى التدخل العسكرى الأمريكى ضد فرق حرب العصابات فى البلاد. وقد كتب سيليرينو كاستللو، وهو مسئول سابق فى إدارة مكافحة المخدرات، كان مقره فى السلفادور، يصف كيف كانت طائرات الكونترا تطير شمالا

محملة بالكوكايين، وتنزل محاطة بالحصانة فى مواقع مختلفة فى الولايات المتحدة، بما فى ذلك القاعدة الجوية فى تكساس، ثم تعود محملة بالنقود لتمويل الحرب وكل ذلك تحت حماية مظلة حكومة الولايات المتحدة .

وكان يدير عملية إيلوبانجو، فيلكس رودريجز (ماكس جوميز) الذى كان يرفع تقاريره إلى جورج بوش نائب الرئيس (الرئيس ريجان " قيصر المخدرات ") وإلى أوليفر نورث من العاملين فى مجلس الأمن القومى لريجان، حيث كان نورث يشرف على عمليات الكونترا، (وفى النهاية، أشاد ريجان بالكونترا باعتبارها " المعادل المعنوى لآبائنا المؤسسين "). ونقرأ فى أحد مداخل يوميات نورث، ٩ أغسطس ١٩٨٥، " ربما تستخدم طائرة دى سى -٦ تابعة لهندوراس اعتادت الطيران من نيور أورليانز لنقل المخدرات للولايات المتحدة ".

وكانت وكالة المخابرات المركزية تملك إحدى حظائر مطار ايلوبانجو، وكان مجلس الأمن القومى يدير حظيرة أخرى. وعندما أبلغ كاستللو إدارة مكافحة المخدرات تفاصيل رحلات طائرات الكوكايين من السلفادور إلى الولايات المتحدة، فإن رب عمله تجاهل التقارير بصورة حاسمة، وفى النهاية طرد كاستللو من الوكالة[١٣] .

وعندما كانت سلطة ما فى الولايات المتحدة تقوم بعمليات اعتقال، لعدم الالماع إليها بشأن وصول إحدى رحلات المخدرات، كان يتم شد خيوط قوية لصالح حفظ القضية، والتبرئة، وتخفيض الحكم أو الترحيل. وقد تواتر أن أحد عملاء الجمارك الأمريكية أعفى من منصبه فى تكساس وأعيد لواشنطن لأنه أخذ يحقق بحمية فى صفقات الكونترا فى مجال المخدرات، وهناك أيضا قضية خوزيه بويزو روز – وهو جنرال من هندوراس – حكم عليه للتآمر على قتل رئيس هندوراس، وقد تم تمويل المؤامرة بصفقة كوكايين ضخمة، وتدخل كبار المسئولين فى إدارة ريجان للحصول على تساهل مع بويزو تكريما لخدماته للكونترا. وحصل على حكم بخمس سنوات، فى حين حكم على المتهمين الآخرين بما يصل إلى ٤٠ سنة[١٤] .

وكانت روابط الأعمال فى كل مكان : إذ كانت هناك أربع شركات توزع المعونة " الإنسانية على الكونترا يملكها ويديرها مهربو المخدرات ، وحصلت على عقود من وزارة الخارجية تزيد قيمتها على ٨٠٠ ألف دولار[١٥] ، وكانت شركة سوثرن إير ترانسبورت ـ

وكانت " قبلا " مملوكة لوكالة المخابرات المركزية، وعملت فيما بعد بموجب تعاقد مع البنتاجون - منخرطة بصورة عميقة فى نقل المخدرات أيضا[١٦] .

وقد أبلغ مدع عام سابق فى ميامى لجنة كيرى أن مسئولى وزارة العدل أخبروه أن ممثلى وزارتهم، وإدارة مكافحة المخدرات ومكتب التحقيقات الفيدرالى، اجتمعوا فى ١٩٨٦ " لمناقشة كيف يمكن تقويض جهود كيرى لعقد جلسات استماع "[١٧] .

ولتيسير تجاهل وكالة المخابرات المركزية لتهريب المخدرات مع الاستفادة منها فى نفس الوقت، تفاوض مدير الوكالة ويليام كيزى فى ١٩٨٢ على " مذكرة تفاهم " سرية مع المدعى العام ويليام فرنسن سميث لإعفاء الوكالة من المسئولية القانونية للإبلاغ عن عمليات تهريب المخدرات بالنسبة لأى شخص يعمل لحسابها[١٨] . ولم يلغ الاتفاق بالكامل إلا فى ١٩٩٥ .

التسعينيات، أمريكا الجنوبية

أدين الجنرال الفنزويلى رامون جويلين دافيلا من قبل هيئة محلفين كبرى فى ميامى فى ١٩٩٦ لتهريب ما يصل إلى ٢٢ طن من الكوكايين إلى الولايات المتحدة بين ١٩٨٧ و ١٩٩١ . وفى الوقت الذى انخرط فيه جويلين فى هذا النشاط، كان رئيسا لمكتب مكافحة المخدرات بالحرس الوطنى الفنزويلى وكان ما أسمته صحيفة ميامى هيرالد " الرجل الأكثر مدعاة لثقة وكالة المخابرات المركزية فى فنزويلا "، ووافقت هيئة محلفين كبرى فى ميامى فى ١٩٩٦ لتهريب ما يصل إلى ٢٢ طنًا من الكوكايين إلى الولايات المتحدة بين ١٩٨٧ و ١٩٩١ ووافقت الوكالة، بناء على اعتراضات إدارة مكافحة المخدرات، على إرسال شحنات " خاضعة للمراقبة " من الكوكايين إلى الولايات المتحدة كنوع من العمليات الغامضة لجمع معلومات عن اتحادات المخدرات فى كولومبيا . ولم ترد أخبار عن نوع النجاح الذى حققته هذه العمليات، ولكن حدث فى مناسبة واحدة على الأقل، فى ١٩٩٠، أن شق طن من كوكايين جويلين طريقه لشوارع أمريكا . واعترفت الوكالة فعلا بهذه الحادثة، وصنفتها باعتبارها " سوء حكم وإدارة من قبل عدة مسئولين بالوكالة "[١٩] .

وللاطلاع على مناقشة لكيف تجاهلت واشنطن كثيرا من عمليات تهريب المخدرات التى قام بها المسئولون الحكوميون والعسكريون فى بيرو وكولومبيا والمكسيك فى

التسعينيات بسبب الحملات المعادية لليسار التى كانت تشنها هذه النظم بدعم من الولايات المتحدة، انظر الفصل الخاص " بالتدخلات ".

من الثمانينيات إلى التسعينيات، أفغانستان

ساعدت الوكالة المتمردين المجاهدين المتورطين بصورة جسيمة فى زراعة الأفيون بينما هم يحاربون الحكومة التى يساندها السوفيت، وقد مكنت الحملة السياسية والمساعدة اللوجستية التى قدمتها الوكالة المزارعين من زيادة إنتاجهم بصورة ملحوظة، واستخدمت الشاحنات والبغال، التى قدمتها الوكالة لحمل الأسلحة إلى أفغانستان لنقل الأفيون إلى معامل الهيروين على امتداد الحدود الأفغانية الباكستانية. ويقدر أن الإنتاج وفر ما يصل إلى نصف الهيروين المستخدم سنويا فى الولايات المتحدة وثلاثة أرباع المستخدم فى أوروبا الغربية، واعترف المسئولون الأمريكيون فى ١٩٩٠ بأنهم فشلوا فى تقصى، أو اتخاذ إجراءات ضد، عمليات المخدرات، لعدم رغبتهم فى إغضاب حلفائهم الباكستانيين والأفغان[٢٠] .

ومثلما حدث فى عمليات سابقة متعلقة بالمخدرات، ربما وضع مسئولو الوكالة أيديهم على جزء من أموال المخدرات، واستخدموه فى المساعدة فى تمويل عملياتهم، أو حتى فى تمويل أنفسهم. وفى ١٩٩٣، وصف مسئول فى إدارة مكافحة المخدرات أفغانستان، بأنها كولومبيا الجديدة فى عالم المخدرات[٢١] .

١٩٨٦ إلى ١٩٩٤، هاييتى

فى حين كانت الوكالة تعمل على إبقاء القادة السياسيين والعسكريين المنتمين للجناح اليمينى فى هاييتى فى السلطة، فإنها تغاضت عن تهريبهم للمخدرات. وكان جوزيف ميشيل فرانسوا، الرجل رقم ٣ فى الحكومة العسكرية فى ١٩٩١- ١٩٩٤، يحاط علما بالتفاصيل بانتظام من قبل إدارة مكافحة المخدرات، التى كانت تشاركه الاستخبارات والمعلومات عن عمليات تهريب المخدرات المشتبه فيها فى هاييتى، هذا فى الوقت الذى كان فيه فرانسوا نفسه من أباطرة المخدرات الأساسيين، وكان يعمل مع احتكار مدلين فى كولومبيا. كان فرانسوا جزءا من تنظيم جديد : إدارة المخابرات الوطنية، التى أنشأتها وكالة المخابرات المركزية فى ١٩٨٦ أساسا لمحاربة تجارة

الكوكايين كما ادعت، رغم أن مسئولى هذه الإدارة - فرانسوا وآخرين - كانوا هم أنفسهم متورطين فى التهريب[٢٢] .

الثمانينيات، الولايات المتحدة ووكالة استيراد الكوكايين

إضافة للحالات السابق ذكرها عن الطائرات المحملة بالكوكايين التى كانت تحط فى الولايات المتحدة دون أن تتلقها السلطات، هناك حالة صارخة هى حالة أوسكار دانيلو بلاندون وخوان نوروين مينسيس - وهما من نيكاراجوا ويعيشان فى كاليفورنيا - فلدعم الكونترا (خاصة خلال الفترة التى حظر فيها الكونجرس تمويلها)، وكذلك ليثريا نفسيهما، تحول الرجلان إلى تهريب الكوكايين إلى الولايات المتحدة تحت حماية وكالة المخابرات المركزية، وأدى هذا إلى توزيع كميات ضخمة من الكوكايين فى قلب مدينة لوس انجلس فى وقت كان فيه متعاطو وتجار المخدر يحاولون جعل المسحوق الأبيض فى المتناول بدرجة أكبر بتحويله إلى شذرات صغيرة قوية من " الكراك "، وحول مهربا نيكاراجوا جزءاً من أرباحهما من المخدرات إلى قضية الكونترا فى حين كانا يساعدان فى توفير الوقود لانفجار الكراك الذى يشبه الكارثة فى لوس انجلس ومدن أخرى، وتمكين العصابات من شراء الأسلحة الآلية، أحيانا من بلاندون نفسه.

وكانت العلاقات بين هذين الشخصين من نيكاراجوا ووكالة المخابرات المركزية واضحة بغير جهد، مثلما يتكشف مما يلى:

عندما قبض على بلاندون فى النهاية فى أكتوبر ١٩٨٦ (بعدما استأنف الكونجرس تمويل الكونترا ولم تعد خدماته مطلوبة)، واعترف بجرائم أدت إلى حبس آخرين مدى الحياة، أطلقت وزارة العدل سراحه بتعليق العقوبة دون مراقبة بعد قضائه ٢٨ شهرا فقط خلف القضبان، وبعد ذلك دفعت له ما يزيد على ١٦٦ ألف دولار باعتباره مبلغا وواشيا.

ووفق طلب استدعاء قانونى صدر فى قضية تتعلق بفساد الشرطة فى ١٩٩٠ ، فإنه فى غارة تمت فى ١٩٨٦ على بلاندون الذى يقوم بغسل الأموال، صادرت الشرطة وثائق عديدة تربط كما قيل الحكومة الأمريكية بتجارة المخدرات وغسيل الأموال لصالح الكونترا، وقد ظهر العاملون بوكالة المخابرات المركزية فى دائرة الشرطة خلال ٤٨ ساعة من الغارة واستبعدوا الملفات المضبوطة من حجرة الأدلة، وبناء على طلب من وزارة العدل، أصدر قاضى فيدرالى أمر حظر أى مناقشة للموضوع.

وعندما أدلى بلاندون بشهادته فى ١٩٩٦ باعتباره شاهد الادعاء في محاكمة المخدرات، حصل المدعون الفيدراليون على أمر من المحكمة يمنع محاميى الدفاع من التعرض لعلاقاته مع وكالة المخابرات المركزية.

ورغم إدراج اسم مينسيس فى قوائم كمبيوترات إدارة مكافحة المخدرات باعتباره مهرب مخدرات دوليا كبيرا، وتورطه فى ٤٥ تحقيقا فيدراليا منفصلا منذ ١٩٧٤، فقد عاش علنا وعلى نحو ظاهر للعيان فى كاليفورنيا حتى ١٩٨٩ ولم يمض يوما مطلقا فى سجن أمريكى. وقد اشتكت إدارة مكافحة المخدرات وإدارة الجمارك الأمريكية ودائرة شرطة لوس انجلس، ومكتب مكافحة المخدرات فى كاليفورنيا، جميعا من أن وكالة المخابرات المركزية أو مصالح " أمنية وطنية " لم تحدد، قد أوقفت عددا من التحقيقات بشأن مينسيس.

وأخيرا فإن رابطة المخدرات بين الوكالة والكونترا تجرنا إلى قضية المدعى الأمريكى فى سان فرانسيسكو الذى أعاد ٣٦ ألف دولار إلى تاجر مخدرات من نيكاراجوا تم اعتقاله، كانت قد وجدت فى حوزته، وقد أعيدت النقود بعد أن أرسل اثنان من قادة الكونترا خطابات إلى المحكمة يقسمون فيها أن الأموال سلمت لتاجر المخدرات لشراء إمدادات " لإعادة الديمقراطية فى نيكاراجوا "، وعلى الفور حجبت الخطابات بعد أن استخدم المدعون العامون مرسوم إجراءات المعلومات السرية، وهو قانون يرمى إلى الحفاظ على أسرار الأمن القومى من التسرب خلال المحاكمة. وعندما استعملت لجنة فرعية فى مجلس الشيوخ فيما بعد من وزارة العدل عن سبب هذا التحول غير المألوف فى الأحداث، فقد اصطدمت بجدار السرية، وقد ذكر جاك بلوم، المستشار الرئيسى السابق للجنة كيرى الفرعية بمجلس الشيوخ السابق الإشارة إليها، والتى حققت فى ادعاءات تهريب الكونترا للكوكايين : " لقد تصدت وزارة العدل بقوة لمنعنا من الوصول للأشخاص والسجلات، ومن العثور على أى شىء حول الموضوع، وكان ذلك من أكثر التجارب التى يمكن أن أذكرها مدعاة للإحباط "[٢٣] .

كلما فكرت فى الأمر، أرى الفرق بين القتل غير العمد والقتل العمد ـ إنها النية ـ لم تكن النية هى تسميم الأمريكيين السود وإنما جمع الأموال للكونترا، ولم يبالوا (وكالة المخابرات المركزية) حقا بمصدرها، فإذا كان ذلك يتضمن بيع المخدرات فى مجتمعات السود، فلا بأس، فذلك هو ثمن القبول.

جارى ويبر[٢٤]

الفصل الخامس والعشرون

كونها الدولة الوحيدة العظمى فى العالم يعنى أنه لا يتعين عليها مطلقا أن تعتذر

لن أعتذر مطلقا عن الولايات المتحدة الأمريكية ولا تهمنى ما هى الحقائق.

جورج بوش[١]

كوبا

قال جيمس لورنس كنج وهو قاضى مقاطعة أمريكى فى ١٧ ديسمبر ١٩٩٧ : إن كوبا " فى ازدراء شنيع للقانون الدولى وحقوق الإنسان الأساسية، اغتالت أربعة من البشر فى الفضاء الدولى ". ثم قرر منح ١٨٧ر٦ مليون دولار لأسر الطيارين الكوبيين التى تعيش فى فلوريدا، والذين أسقطت طائرتهم فى فبراير ١٩٩٦ المقاتلات الكوبية وهم فى مهمة جوية، قاصدين كوبا (الواقع أن الحكومة الكوبية لم تفعل أكثر مما تفعله أى حكومة فى نفس الظروف، فقد رأت هافانا أن الطائرات دخلت الفضاء الكوبى، مما يعكس نية معادية خطيرة، وأصدرت للطيارين تحذيرا واضحا: " إنكم تخاطرون ")[٢] . بل إن طائرات لنفس المنظمة توغلت بعيدا فى أراضى كوبا فى مناسبات سابقة وحذرتها كوبا بألا تعود لذلك.

وفى نوفمبر ١٩٩٦، أعطت الحكومة الاتحادية للأسر دفعة مبدئية مقدارها ٣٠٠ ألف دولار من التعويض، وجاءت النقود من أصول كوبا المجمدة[٣] .

تلك هى العدالة بأسلوب العداء للشيوعية.

بيد أن الحكومة الأمريكية تجاهلت كلية القضية التى رفعتها كوبا فى ٣١ مايو ١٩٩٩، فى محكمة فى هافانا للمطالبة بدفع ١٨١ر١ مليار دولار كتعويض أمريكى عن حالات القتل والإصابة التى تعرض لها مواطنون كوبيون خلال أربعة عقود من " الحرب

" التى شنتها واشنطن على كوبا. وقد أوجزت الوثيقة " العدوان " الأمريكى، الذى يتراوح من مساندة مجموعات المتمردين المسلحة داخل كوبا وغزو خليج الخنازير فى ١٩٦١، إلى محاولات التخريب من قاعدة جوانتانا مو البحرية الأمريكية ونشر الأوبئة فى الجزيرة.

وقالت كوبا أنها تطالب بمبلغ ٣٠ مليون دولار تعويضا مباشرا عن كل من ٣٤٧٨ شخصا قالت أنهم قتلوا من جراء الأعمال الأمريكية و ١٥ مليون دولار لكل من المصابين البالغ عددهم ٢٠٩٩ شخصا، وطالبت بمبلغ ١٠ ملايين دولار عن كل شخص قتل و٥ ملايين عن كل شخص أصيب لتعويض المجتمع الكوبى عن التكاليف التى تكبدها نيابة عنهم، وكان ذلك " يقل بصورة ضخمة " عن المبلغ الذى حدده القاضى الأمريكى كنج لكل شخص فى قضية الطيارين، كما أوضحت الوثيقة.

وقدم المسئولون الكوبيون أوراق القضية إلى قسم المصالح الأمريكية فى هافانا، ورفض الأمريكيون قبولها، وعندئذ أعلنت الحكومة الكوبية أنها ستذهب بالقضية إلى محفل دولى(٤) .

فيتنام

فى ٢٧ يناير ١٩٧٣، وقعت الولايات المتحدة فى باريس " اتفاق إنهاء الحرب وإعادة السلام فى فيتنام ". وكان من المبادئ التى وافقت الولايات المتحدة عليها المبدأ المنصوص عليه فى المادة ٢١: " بمقتضى سياسة الولايات المتحدة (هكذا)، فإنها ستساهم فى إبراء جروح الحرب وفى إعادة التعمير فيما بعد الحرب فى جمهورية فيتنام الديمقراطية [فيتنام الشمالية] وفى كل أنحاء الهند الصينية.

وبعد ذلك بخمسة أيام، بعث الرئيس نيكسون برسالة إلى رئيس وزراء فيتنام الشمالية نص فيها على ما يلى : "(١) ستسهم حكومة الولايات المتحدة الأمريكية فى إعادة تعمير فيتنام الشمالية بعد الحرب بدون أى شروط سياسية(٢) ، تبين الدراسات الأمريكية الأولية أن البرنامج الملائم لمساهمة الولايات المتحدة فى إعادة التعمير بعد الحرب سيقع فى نطاق ٣,٢٥ مليار دولار من المعونة التى تقدم كمنحة خلال ٥ سنوات "(٥) .

ولم يدفع مطلقا أى شىء من معونة إعادة التعمير الموعودة، ولن يدفع مطلقا !

بيد أنه ـ ولنلتقط أنفاسنا هنا ـ قامت فيتنام بتعويض الولايات المتحدة، فقد بدأت فى ١٩٩٧ فى دفع نحو ١٤٥ مليون دولار من الديون التى خلفتها حكومة فيتنام الجنوبية المهزومة من أجل المعونة الغذائية والمتعلقة بالبنية الأساسية التى قدمتها أمريكا، وهكذا تسدد هانوى للولايات المتحدة جزءا من تكاليف الحرب التى شنتها ضدها.(٦)

كيف يمكن أن يحدث هذا ؟ إن التعبير القانونى السليم هو " ابتزاز ". وقد شملت جهات التنفيذ فرضا التى استخدمتها واشنطن، البنك الدولى، وصندوق النقد الدولى، وبنك الاستيراد والتصدير، ونادى باريس وبقية المافيا المالية الدولية. فقد قدم للفيتناميين عرض لم يكونوا يستطيعون رفضه: ادفع وإلا عرضت نفسك لأشكال متقنة من التعذيب الاقتصادى، أسوأ كثيرا حتى من عمليات التشويه التى جربتها على أيدى آبائنا الروحيين(٧) .

وفى السفارة الفيتنامية فى واشنطن (مكتب صغير فى عمارة للمكاتب)، أخبر السيد لى دزونج ـ السكرتير الأول لشؤون الصحافة ـ المؤلف فى ١٩٩٧ بأن هذا الموضوع، وكذلك مليارات نيكسون التى لم تدفع، يثير المشاعر فى فيتنام، لكن الحكومة لا حول لها ولا قوة على تغيير الطريقة التى يسير بها العالم.

نيكاراجوا

فى ظل حصار الولايات المتحدة والكونترا التى كانت جيشها العامل بالنيابة عنها والذى استمر عدة سنوات، رفعت نيكاراجوا قضية فى ١٩٨٤ فى المحكمة العالمية (محكمة العدل الدولية)، الهيئة القضائية الرئيسية للأمم المتحدة ـ ومقرها لاهاى فى هولندا ـ لتخليصها من الهجوم الضارى عليها، والذى تضمن تلغيم موانيها، وحكمت المحكمة فى ١٩٨٦ بأن الولايات المتحدة تنتهك القانون الدولى لحشد من الأسباب، وأعلنت أن واشنطن " يتعين عليها أن تكف فورا، وأن تمتنع، عن هذه الأعمال (العدائية)" و " أنها ملزمة بتعويض جمهورية نيكاراجوا عن كل الأضرار ".

واستباقا لهذه القضية، فعلت إدارة ريجان الشىء اللائق والصحيح : أعلنت فى ٦ أبريل ١٩٨٤، أى قبل تقدم نيكاراجوا بالدعوى بثلاثة أيام، أن الولايات المتحدة لن تعترف بولاية المحكمة العالمية فى أمور تتعلق بأمريكا الوسطى لمدة سنتين.

ويجانب التعسف المرعب في هذا الإعلان، فإن حكم المحكمة في ٢٧ يونيو ١٩٨٦، صدر عمليا بعد انقضاء فترة العامين، لكن الولايات المتحدة تجاهلت ذلك على أية حال، ولم تخفف واشنطن أعمالها العدائية ضد نيكاراجوا، كما لم تدفع مطلقا بنسا واحدا للتعويض[٨].

ليبيـــا

أزهق القصف الأمريكي لليبيا في أبريل ١٩٨٦، حياة عشرات من الأشخاص وجرح مائة آخرين أو ما إلى ذلك، وكان من بين القتلى ابنة الزعيم الليبي معمر القذافي الصغيرة، وتم إدخال أبناء القذافي السبعة الآخرين للمستشفى، إذ كانوا يعانون من الصدمة ومن إصابات مختلفة. وبعد ذلك بعام قدمت باسم من قتلوا أو جرحوا دعاوى على البيت الأبيض ووزارة العدل بموجب مرسوم دعاوى الضرر الفيدرالي ومرسوم الإدعاءات الأجنبية، وشمل المدعون الذين طالبوا بدفع ٥ ملايين دولارعن كل حالة قتل خطأ، ليبيين ويونانيين ومصريين ويوغسلاف ولبنانيين[٩]، وقبل مضي وقت طويل، وصل عدد المدعين إلى نحو ٣٤٠، لكن لم يؤد أي من دعاويهم إلى نتيجة في النظام القضائي الأمريكي، مع رفض المحكمة العليا النظر في القضية[١٠].

بنمـــا

في أعقاب الغزو الأمريكي في ١٩٨٩ بسنوات كثيرة – والذي اتسم بقصف مدمر بدرجة عالية ومعارك برية مهلكة – حاول أفرد كثيرون من بنما بمختلف الطرق الحصول على تعويض عن حالات الموت والإصابات التي لحقت بهم وبأعضاء أسرهم، أو تدمير ديارهم ومشروعاتهم، ولكن دعاواهم وقضاياهم اصطدمت بعناد الحكومة الأمريكية. وقد قدمت مؤسسة قانونية أمريكية دعاوى نيابة عن نحو ٢٠٠ بنمي (جميعهم من غير المقاتلين)، أولا في بنما لدى مسئولين أمريكيين ـ بموجب أحكام معاهدة قناة بنما ـ الذين رفضوا الدعاوى، ثم في قضيتين تم رفعهما في المحاكم الأمريكية، وصولا إلى المحكمة العليا، ورفضت المحاكم جميعها النظر في دعاوى كل منهما[١١].

وخلال الفترة من ١٩٩٠ إلى ١٩٩٣، قدم نحو ٣٠٠ بنمي دعوى للجنة الدول الأمريكية المعنية بحقوق الإنسان التابعة لمنظمة الدول الأمريكية، بسبب التوصل لنتيجة

فى تحقيق قضائى تبين أكدت أن الولايات المتحدة انتهكت كثيرا من حقوقهم وأنها مسئولة عن " التعويض العادل " عن ذلك. وفى ١٩٩٣، قضت اللجنة بأن الدعوى " مقبولة "، ولكن حتى خريف ١٩٩٩، كانت القضية لاتزال معلقة لأنه تجرى " دراسة وقائع حالتها الموضوعية "(١٢) . ويجب أن نضع فى أذهاننا أنه على مرّ السنين، اكتسبت الولايات المتحدة نفوذا جامحا على منظمة الدول الأمريكية، يزيد كثيرا عن نفوذ أى عضو آخر، يشهد على ذلك نجاح واشنطن فى تعليق عضوية كوبا فى المنظمة فى ١٩٦٢ وإبقائها كذلك حتى الوقت الراهن على الرغم من تأييد أعضاء المنظمة الآخرين لإعادة عضوية كوبا والذى أعربت عنه علانية مرارا وتكرارا.

وقد ورد تقرير منذ بضع سنوات مضت بأنه قدمت بضع مدفوعات قليلة ـ تحكمية نوعا على ما يبدو ـ من قبل مسئولين أمريكيين " فى المواقع المحددة " إلى بنميين فى بنما. ولكن فى ديسمبر ١٩٩٩، أعلن المكتب الصحفى بوزارة الخارجية بشأن بنما أن " الولايات المتحدة لم تدفع أى تعويض لحالات الموت والإصابة المتعلقة بالمعارك أو لتلف الملكية بسبب عملية القضية العادلة "، (وهذا هو الاسم الساخر الذى أعطى للغزو والقصف الأمريكى)(١٣) . وأضافت وزارة الخارجية، أن بعض المعونة الأمريكية التى قدمت لبنما منذ ١٩٨٩، استخدمته بنما لمثل هذه الأغراض، ويبدو أن وزارة الخارجية عرضت الأمر على هذا النحو، لتوضح للعالم أنهم لا يشعرون بأى ذنب أو مسئولية عما فعلوه بأهل بنما وأنهم لن يخضعوا لأى نوع من الإجبار على دفع أى تعويض.

وفى ٢ ديسمبر ١٩٩٩، فى الذكرى العاشرة للغزو الأمريكى، نزل مئات من البنميين للشوارع للمطالبة مرة أخرى بأن تدفع الولايات المتحدة تعويضا للضحايا المدنيين للقصف.

السـودان

زاد مصنع الشفا للمنتجات الدوائية اكتفاء السودان الذاتى من الأدوية من أقل من ٥ فى المائة إلى أكثر من ٥٠ فى المائة، فى حين أنتج نحو ٩٠ فى المائة من العقاقير المستخدمة لعلاج أكثر الأمراض فتكا فى هذا البلد الفقير بصورة تدعو لليأس. ولكن فى ٢٠ أغسطس ١٩٨٩، رأت الولايات المتحدة أنه من المناسب أن تبعث بأكثر من دستة من صواريخ توما هوك الانسيابية تعربد فى المصنع، وتحرم فى لحظة شعب السودان من الإنجاز الذى حققه. فاستنادا إلى عينة من التربة تم الحصول عليها

بطريقة سرية، ادعت واشنطن أن المصنع كان ينتج أسلحة كيميائية، وفى الوقت نفسه أعطت الولايات المتحدة للعالم انطباعا واضحا بأن مالك المصنع - صالح إدريس - شريك حميم للإرهابيين وأنه متورط فى غسل الأموال، وجمدت واشنطن ٤٢ مليون دولار من حسابات إدريس فى بنوك لندن، ولكن الولايات المتحدة لم تستطع مطلقا أن تبرهن على أى من مزاعمها، فى حين تناقضت كل الأدلة وكل شهادات الخبراء التى أبديت بصورة قاطعة، مع إدعاء إنتاج الأسلحة الكيميائية [١٤] ، وسقطت القضية وانهارت كلية، وفى الوقت نفسه، رفع إدريس قضية لاسترداد أمواله وكذلك للحصول على تعويض عن مصنعه المدمر.

وأخيرا وفى مايو ١٩٩٩، ألغت الولايات المتحدة تجميد حسابات إدريس بدلا من مواجهة قضيته التى كانوا يعرفون أنه ليس لهم سند فيها. ولكن مع نهاية هذا العام، كان لايزال على الولايات المتحدة أن تعتذر للسودان أو إدريس عن تدمير المصنع، وعن الأضرار الخطيرة التى لحقت بسمعته، وكان لايزال يتعين عليها تعويضه عن خسارة المصنع وخسارة الأعمال، وتعويض الموظفين عن وظائفهم ودخولهم، أو الأشخاص العشرة الذين أصيبوا، وكانت درجة عجرفة واشنطن فى المسألة كلها مدعاة للذهول منذ بداية تصرفها. وقد أعلن ميلت بيردن وهو مسئول سابق فى وكالة المخابرات المركزية أنه " لم يحدث أبدا من قبل أن دفعت عينة وحيدة من التربة إلى القيام بعمل من أعمال الحرب ضد دولة ذات سيادة "[١٥] .

العــراق

سخرت الحكومة ووسائل الإعلام الأمريكية كثيرا مما ادعت أنه دعاية مفضوحة من قبل العراق، وهو الإدعاء بأن مرفقا للحرب البيولوجية تم قصفه من خلال حرب الخليج فى ١٩٩١، كان فى الواقع مصنعا لأغذية الأطفال. ولكن حكومة نيوزيلندا – التى زار فنيوها الموقع مرارا وتكرارا - هم ورجال أعمال مختلفون آخرون كانت لهم علاقة وثيقة بالمصنع ، أكدت بصورة قاطعة أنه كان مصنعا لأغذية الأطفال، وقال المقاول الفرنسى الذى بنى المكان الشئ نفسه، ولكن كولين باول رئيس هيئة الأركان المشتركة، أصر على أنه " كان مرفقا للأسلحة البيولوجية، ونحن متأكدون من ذلك "[١٦] . وفيما يتعلق بالمطالبة بالتعويض الأمريكى، فإن ذلك يماثل فرصة خوض حرب برية مع روسيا فى وقت الشتاء.

الصيــن

هل هي استثناء ؟ بعد أن قصفت الولايات المتحدة السفارة الصينية في بلجراد في مايو ١٩٩٩، اعتذرت واشنطن لبكين بصورة مسرفة، وألقت اللوم على قدم الخرائط وما إلى ذلك، ولكن يبدو أن ذلك كان مجرد غطاء لحقيقة أن القصف لم يكن حادثا في الواقع. فقد كشف تقريران وردا في الأوبزرفر التي تصدر في لندن في أكتوبر ونوفمبر، نقلا عن مصادر لمخابرات حلف الأطلنطي والمؤسسة العسكرية الأمريكية أن السفارة استهدفت بعد أن اكتشف حلف الأطلنطي أنها كانت تستخدم لنقل اتصالات الجيش اليوغوسلافي. وقد فعل الصينيون ذلك بعد أن نجحت طائرات حلف الأطلنطي في إسكات محطات الإرسال التابعة للحكومة اليوغوسلافية(١٧) .

وإضافة إلى الحاجة العسكرية، ربما كان هناك هدف سياسي تم تحقيقه، فمن الواضح أن الصين عائق أساسي أمام هيمنة الولايات المتحدة في آسيا، وربما كان قصف السفارة يعكس طريقة واشنطن الآسرة لإخبار بكين أن ذلك مجرد عينة صغيرة لما يمكن أن يحدث لها إذا راودتها أي فكرة في مقاومة القوة الماحقة، وربما كانت القدرة على تحقيق ما هو أفضل من " الإنكار المقنع " لتنفيذ مثل هذا القصف أمر لا يمكن للقادة الأمريكيين مقاومته، فالفرصة لن تتكرر أبدا.

وأعقب جميع " أخطاء " القصف الأخرى التي ارتكبتها الولايات المتحدة وحلف الأطلنطي في يوغوسلافيا، على نحو نموذجي تصريح للمتحدث الرسمي باسمها يقول فيه للعالم : " إننا نأسف لإزهاق الأرواح ". وهذه الكلمات نفسها استخدمها الجيش الجمهوري الأيرلندي في أيرلندا الشمالية في عدد من المناسبات على مرّ السنين في أعقاب عمليات التفجير التي قام بها والتي اتضح أنها أصابت الهدف الخطأ، لكن أعماله سميت على الدوام أعمالا " إرهابية ".

جواتيمـــالا

في ١٠ مارس ١٩٩٩، قال الرئيس كلينتون في خطاب ألقاه في مدينة جواتيمالا أن مساندة الولايات المتحدة لقوى القمع في جواتيمالا " كان خطأ، وأن الولايات المتحدة يتعين ألا تكرر هذا الخطأ ". لكن كلمة " الأسف " لم تخرج من بين شفتي الرئيس، ولا كلمة " الاعتذار "، ولا كلمة " التعويض "(١٨) . إن أربعين عاما من القسوة

غير المقدسة إزاء شعب والتى كانت الولايات المتحدة مسئولة عنها بصورة جلية لا تستحق النطق بالكلمة الصحيحة أو دفع بنس واحد.

لقد كانت هذه هى أول زيارة لرئيس أمريكى لجواتيمالا منذ أن ذهب إليها لندون جونسون فى ١٩٦٨، خلال ذروة القمع التى كانت تقوم بها حكومة دولة عميلة لواشنطن، بالطبع لم يقل جونسون أن سياسة الولايات المتحدة فى جواتيمالا كانت خطأ، مما كان سيعنى الكثير عما قاله كلينتون بعد ٣١ سنة، بيد أن جونسون أخبر سامعيه أنه سمع أن جواتيمالا تسمى " أرض الربيع الدائم "[١٩] .

اليونـــان

أثارت زيارة كلينتون لليونان فى نوفمبر ١٩٩٩ مظاهرات كبيرة وغاضبة معادية لأمريكا، احتجاجا على عمليات القصف التى كانت أمريكا قد قامت بها مؤخرا ليوغوسلافيا والدعم الأمريكى الذى لا غنى عنه للقائمين بالتعذيب المبرزين إبّان حكم الطغمة العسكرية فى ٦٧– ١٩٧٤ . وخلال توقفه الذى استغرق يوما واحدا، وجد الرئيس وقتا ليتحدث إلى مجموعة خاصة. وأخبر مستمعيه أنه " عندما استولت الطغمة العسكرية على السلطة هنا فى ١٩٦٧، سمحت الولايات المتحدة لمصالحها فى مواصلة الحرب الباردة بأن تتغلب على مصلحتها ـ وينبغى أن أقول التزامها ـ فى دعم الديمقراطية والتى كانت فى نهاية المطاف، هى القضية التى خضنا الحرب الباردة من أجلها. ومن المهم أن نعترف بهذا ". وسارع المتحدث باسم مجلس الأمن القومى بإيضاح أن كلام الرئيس عن الطغمة العسكرية السابقة " لم يقصد به الاعتذار "[٢٠] .

وتثور الأسئلة، كيف يمكن أن يتفق خوض الولايات المتحدة للحرب الباردة " لدعم الديمقراطية "، ودعم ليس فقط الحكام الديكتاتوريين وإنما أيضا عشرات من الطغاة الآخرين ؟ هل كان كل ذلك مجرد أعمال " غلط "، كلها " أخطاء "، مثلما حدث فى جوايتمالا ؟ وهل يحق لنا أن نخلص إلى أن التسلسل والتواتر الثابت " للأخطاء " يبين أنها أعمال وسياسة متعمدة ؟ وبالإضافة لذلك، إذا كانت مصالح الولايات المتحدة فى الحرب الباردة " تغلبت " على قضية الديمقراطية، فإنه لابدّ لنا أن نسأل : ما هى تلك المصالح التى تتعارض ـ أو على الأقل لا تنسجم ـ مع الديمقراطية ؟ هذه " المصالح " التى يستند إليها بصورة روتينية، رجال الدولة الأمريكيون، ولكن لا يطلق عليها الاسم الصحيح أبدا (تلميح : اتبع النقود).

وأخيرا، لدينا كلمات الرئيس كلينتون التى قالها فى أوغندا فى مارس ١٩٩٨ :

خلال الحرب الباردة عندما كنا جدّ منشغلين بالمنافسة مع الاتحاد السوفيتى، تعاملنا فى أحيان كثيرة جدا مع بلدان فى إفريقيا وأنحاء أخرى من العالم استنادا إلى أين تقف فى الصراع بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى بأكثر مما استندنا إلى أين نقف فى الصراع من أجل طموحات شعوبها فى أن ترتفع لمستوى كامل قدراتها التى وهبها لها الله(٢١) .

ما الذى يحدث هنا ؟ جواتيمالا، اليونان، أفريقيا، أنحاء أخرى من العالم .. هل يتبرأ الرئيس من نصف قرن من السياسة الخارجية الأمريكية ؟ هل يقول إن الولايات المتحدة ألحقت كل هذا الموت والدمار والتعذيب والمعاناة بالحشود الغفيرة فى العالم لغير سبب وجيه ؟ هل كان كل ما علموه لنا بصورة متقنة عن نبل محاربة شئ اسمه " الشيوعية "، غشا واحتيالا.

لن نعرف مطلقا ما الذى يعتقده ويليام كلينتون حقا عن هذه الأشياء، ربما لا يعرف هو نفسه، لكننا نعرف ما يفعله، ومثلما ناقشنا فى " المقدمة " وفى فصل " التدخلات " فإنه يواصل نفس النوع من السياسات التى يشجبها الآن. وربما يعترف رئيس أمريكى مقبل يوما ما بأن ما فعله كلينتون فى العراق وكولومبيا والمكسيك ويوغوسلافيا وأماكن أخرى كان " غلط " أو " خطأ "، لكن ذلك الرئيس المقبل سيفعل نفس الأشياء " الغلط " هو نفسه فى ركن أو آخر من العالم، حتى وهذه الكلمات تخرج من بين شفتيه، ومن أجل نفس " المصالح ".

الفصل السادس والعشرون

الولايات المتحدة تغزو وتقصف وتقتل من أجل المشروع الحر لكن هل يؤمن الأمريكيون به حقا ؟

منذ نهاية الحرب الباردة، طفق الاقتصاديون والخبراء الماليون الأمريكيون البارزون، ينصحون حكومات شرقى أوروبا والاتحاد السوفيتى السابق بشأن إقامة نظام المشروع الحر وفضائله.

والوقف الوطنى من أجل الديمقراطية الذى تموله الحكومة الأمريكية مشغول بالقيام بالشئ نفسه على أساس يومى فى مختلف أركان العالم.

ولن يخلع البنك الدولى وصندوق النقد الدولى اللذان تسيطر عليهما الولايات المتحدة بركاتهما على اى بلد لا يتبع باقدام اقتصاد السوق.

وترفض الولايات المتحدة أن ترفع الحظر الذى تفرضه وإلغاء كل العقوبات الأخرى على كوبا إلا إذا أنهى الكوبيون تجربتهم الاشتراكية وانخرطوا فى الزفة الرأسمالية.

وكان على رئيس هاييتى (جان برتراند أرستيد) أن يضمن للبيت الأبيض أنه سيتخلى عن نوازعه الاشتراكية ويتبنى السوق الحرة، قبل أن توافق واشنطن على عودته إلى هاييتى فى ١٩٩٤، وتجعل ذلك أمرا ممكنا.

ومن ثم، ستصاب شعوب البلدان الأخرى بالصدمة إذا أدركت أن معظم الأمريكيين فى الواقع لا يؤمنون بنظام المشروع الحر، كذلك سيصاب معظم الأمريكيين بالصدمة.

لا ريب أن استفتاء يسأل عن أمر مثل : " هل تعتقد أنه يتعين على نظامنا الرأسمالى أن يصبح أكثر اشتراكية ؟ " سيقابل برد صاخب هو " لا! ".

ولكن المضى إلى ما وراء الكلمات الطنانة، يبين ما يعتقده الأمريكيون حقا.

العرض والطلب

فى أعقاب الزلزال الكارثة الذى وقع فى لوس انجلس فى ١٩٩٤، تصاعدت صرخة من عدة أوساط : يتعين على المتاجر ألا ترفع الأسعار بهذا القدر بالنسبة لضرورات أساسية مثل المياه والبطاريات والحفاضات، يتعين على المتاجر ألا ترفع الأسعار أصلا فى مثل هذا الوقت. وقال السيناتور ديان فاينشتاين : إن ذلك ليس هو أسلوب كاليفورنيا، وليس الأسلوب الأمريكى، وثار المزيد من الشكاوى عندما رفع ملاك العقارات إيجار الشقق الشاغرة بعد أن أصبحت مساكن كثيرة فى المدينة غير قابلة للسكنى فيها وتذمر الناس قائلين : كيف يجرءون على عمل ذلك ؟ وعندئذ لجأت جمعية كاليفورنيا إلى تجريم قيام التجار بزيادة الأسعار بالنسبة للسلع والخدمات الأساسية بأكثر من عشرة فى المائة فى أعقاب كارثة طبيعية[١] .

وفى مواجهة كل ذلك، لابد للمرء من أن يتساءل : ألم يدرس أى من هؤلاء الناس الاقتصاد حتى فى المدرسة الثانوية ؟ ألم يعرفوا شيئا على الإطلاق عن قانون العرض والطلب ؟ هل يعتقدون أن القانون قد ألغى ؟ هل يعتقدون أنه ينبغى إلغاؤه ؟

وحتى أعضاء الكونجرس يبدو أنهم لا يثقون فى آليات عمل النظام، فهم يبحثون بصورة منتظمة التدابير اللازمة لاحتواء التكاليف المتصاعدة للأدوية والرعاية الصحية واحتمال تنظيم صناعة توزيع بطاقات الأسعار بسبب تلاعب مزعوم فى الأسعار[٢] ، لماذا لا يسمح المشرعون لدينا ببساطة " لسحر السوق " بأن يمارس فعله ؟

دافع الربح

ترك الرئيس كالفين كوليدج للأمريكيين هذه الكلمات المثيرة ليتأملوها " إن الحضارة والأرباح تسيران جنبا إلى جنب "، بيد أنه عندما وبّخت السيدة الأولى هيلارى كلينتون صناعتى الطب والتأمين على وضعهما الأرباح قبل الصحة العامة، فقد أثارت الشك فى ذلك، فقد أعلنت أن " السوق تعرف سعر كل شئ لكنها لا تعرف قيمة أى شئ "[٣] .

وتهاجم النقابات بانتظام الشركات لأنها تقتر فيما يتعلق بصحة العمال وسلامتهم في سعيها لزيادة الأرباح.

ولا يكف دعاة البيئة أبدا عن إدانتهم للصناعة التي تضع الأرباح قبل البيئة.

وأصبح تناطح المحامين رياضة أمريكية حقيقية.

ويصدر القضاة في أحيان كثيرة أحكاما خفيفة على منتهكي القانون إن لم يستفيدوا عمليا من أفعالهم، ويمنعون آخرين من الاستفادة من جرائمهم ببيع حقوق تأليف الكتب والأفلام واللقاءات الصحفية، وقد أصدر مجلس شيوخ كاليفورنيا قانونا بذلك في ١٩٩٤، ينص على وضع أي دخل للمجرمين المدانين في جرائم خطيرة في صندوق استئماني لصالح ضحايا جرائمهم[٤] .

وقد ذكر الرئيس جورج بوش عند إعلانه العفو عن أفراد تورطوا في فضيحة إيران - كونترا : أولا- إن القاسم المشترك لدوافعهم - سواء كانت أعمالهم خطأ أم صوابا هو الوطنية. ثانيا - إنهم لم يستفيدوا ولم يسعوا إلى الاستفادة من مسلكهم[٥] .

وقد قال السناتور السابق روبرت دول النصير المبرز للمشروع الحر، في هجوم على صناعة الترفيه خلال حملته لانتخابات الرئاسة في ١٩٩٦، إنه يريد " أن يوضح لمديري الشركات أنه لابد من وجود حد ما للأرباح ... يجب أن تخضع هوليود للمساءلة عن وضع الأرباح قبل اللياقة العامة "[٦] .

وفي العام نفسه، أعلن عمدة فيلادلفيا، أد رندل - وهو يتحسر على انتقال الشركات للضواحي - والذي اعترف بأن له أسبابا " رشيدة تماما " : " إذا تركنا السوق الحرة تعمل دون قيود، فستموت المدن "[٧] .

وأخيرا، لدينا مناقشة الكونجرس التي دارت في مايو ١٩٩٨ حول فرض عقوبات على البلدان التي تسمح بالاضطهاد الديني، فقد عارضت مصالح الأعمال الأمريكية فرض العقوبات، مما جعل النائب توم كوبورن (ديمقراطي من أوكلاهوما) يصرح : علينا أن نحدد ما نؤمن به في بلادنا، هل نؤمن بالرأسمالية والنقود أم نؤمن بحقوق الإنسان ؟ "[٨] .

لكن كيف يمكن للنظام أن يعمل على نحو مفهوم كما هو مقدر له بدون السعى الحثيث للربح ؟ ليس مجرد الربح، وإنما تعظيم الربح. لا ريب أن محامية مثل السيدة كلينتون تعرف أن حملة الأسهم يمكنهم مقاضاة مسئولى الشركات إذا تجاهلوا هذا القول الفصل، ومع ذلك تشرع هى وكثيرون غيرها فى نسف أحد أعمدة المعبد الرأسمالى.

القدرة على تنظيم المشروعات الخاصة والملكية

وبالمثل، فإن الجمعية الطبية الأمريكية جعلت عمودا آخر من أعمدة المعبد المقدسة هدفا لها - براءات الاختراع التى تعتبر قدس الأقداس لمنظم المشروع المثالى المخترع، فقد أصدرت الجمعية إدانة لاذعة للممارسة متزايدة الشعبية فى استصدار براءات اختراع للطرق الجراحية والطبية الجديدة، قائلة إن ذلك غير أخلاقى ويؤخر التقدم الطبى[٩] . هل يتقلب توماس اديسون فى قبره ؟

ومنذ بضع سنوات قليلة خلت، شعر أهل كليفلاند بالإهانة والخيانة لقيام مالك فريق براونز بنقل فريقه لكرة القدم إلى بالتيمور. لكن ألا يتمثل جوهر الملكية الخاصة فى حق المالك فى استخدام الشئ الذى يملكه بطريقة تفضى لتحقيق أرباح أكبر ؟ ومع ذلك أعلن السناتور جون جلين والنائب لويس ستوكس من أوهيو عن عزمهما تقديم تشريع للحد من نقل مثل هذا الامتياز لمكان آخر[١٠] .

المنافسة والاختيار

أين التقدير للمثل الأعلى المفترض أنه أثير لدى الأمريكيين عن "الاختيار" الأكبر ؟ كم عدد المواطنين الذين يرحبون بالبريد التافه الذى يملأ صناديق بريدهم، أو يتمالكون حواسهم التى تتعقبها وتحيط بها الإعلانات والدعاية التجارية الموجودة فى كل مكان ؟ إن الناس يأسون لوصول السلسلة القومية التى تخنق وتطرد المكتبات المفضلة والأثيرة لديهم والأجزاخانات والمقاهى، ويشكون من " عدم عدالة " هذا الوحش المفترس الذى يمشى مختالا بحذائه عالى الساق ذى المسامير فى النعل وهراوة " الأسعار المخفضة " فى يده، لكن أليست هذه حالة نموذجية كما وصفتها الكتب الدراسية لكيف ينبغى للمنافسة الحرة غير المقيدة أن تعمل ؟ لماذا لا يجل الجمهور ما قد تعلموه جميعا - وهو أن المنافسة تفيد الجميع فى المدى الطويل ؟

والمفارقة هى أن السلاسل القومية ـ مثلها مثل الشركات العملاقة الأخرى التى يفترض تنافسها ـ تلجأ لتحديد الأسعار وأعمال التواطؤ الأخرى، مما يعيد للأذهان ملاحظة جون كينث جالبريث بأنه لا أحد يحب السوق حقا إلا علماء الاقتصاد ولجنة حرية التجارة.

البديل المتمثل فى عدم السعى للربح

ربما ابتعد المواطنون قاطبة عن النظام لمدى أبعد مما يدل عليه كل ذلك، لأنه يبدو أن المجتمع الأمريكى يكن ثقة واحتراما للمنظمات غير الساعية للربح أكثر مما يكنه للمنظمات من النوع الساعى للربح، هل كان الجمهور سيغدو بمثل هذا الكرم إزاء الإغاثة من الكوارث لو كان الصليب الأحمر مشروعا عاديا يسعى للربح ؟ هل كانت إدارة الإيرادات الداخلية ستسمح بإعفائه من الضرائب ؟ لماذا تمنح مكاتب البريد أسعارا أرخص للمنظمات غير الساعية للربح وأسعارا أقل للكتب والمجلات التى لا تحوى إعلانات ؟ وبالنسبة لاختبار الإيدز، هل يشعر الناس بثقة أكبر للجوء لإدارة الصحة العامة بأكثر مما يشعرون باللجوء لمختبر تجارى ؟ لماذا لا يذيع التليفزيون " التعليمى " أو " العام " إعلانات تجارية منتظمة ؟ ما الذى يظنه الأمريكيون فى متطوعى فيالق السلام، ومدرسى المدارس الأولية، والكهنة، والممرضات والإخصائيين الاجتماعيين الذين يطالبون بأكثر من ١٠٠ ألف دولار سنويا ؟ هل يود الرأى العام رؤية الكنائس وهى تتنافس مع بعضها البعض، وتستكمل ذلك بحملات إعلانية عن إله جديد ومحسن.

ويتخلل كل هذه المواقف، ويتم الإعراب عن ذلك بشكل متواتر، رفض قوى للجشع والأنانية فى تناقض صارخ مع حقيقة أن الجشع والأنانية تشكلان الأساس الرسمى والإيديولوجى لنظامنا.

أن الأمر تقريبا كما لو أن لا أحد يتذكر كيف ينبغى للنظام أن يعمل، أو كما لو أنهم يفضلون عدم الوقوف عند ذلك، إلى أين يفضى كل ذلك ؟ هل سينتهى المصلحون الروس إلى أن يصبحوا هم آخر المؤمنين الحقيقيين بالرأسمالية ؟

وسيبدو ـ على مستوى الداخل على الأقل ـ أن الأمريكيين قد ملوا من المشروع الحر ـ فنوع الأمثلة السابق عرضها يتكرر فى وسائل الإعلام فى كل يوم وفى أى يوم،

والمفارقة الكبيرة فى كل هذا أن جماهير الشعب الأمريكى لا تدرك أن مواقفها المختلفة تشكل فلسفة معادية للمشروع الحر، ومن ثم تنزع إلى الاستمرار فى الاعتقاد بالحكمة التقليدية القائلة بأن الحكومة هى المشكلة، وأن الحكومة الكبيرة هى المشكلة الأكبر وأن خلاصهم يأتى من القطاع الخاص، ومن ثم يدعمون صورة مباشرة الإيديولوجية المناصرة للمشروع الحر.

وهكذا، فإن النشطاء الداعين للتغيير الاجتماعى هم الذين يؤمنون بأن المجتمع الأمريكى يواجه مشاكل مروعة لا تستطيع أى شركة أو منظم مشروع حلها مقابل ربح دون أن يقنع الشعب الأمريكى بألا يؤمن حقا بما يعتقد أنه يؤمن به، وأن الإطار العقلى التكميلى للرأى العام - والقائل بأن الحكومة لا تضاهى القطاع الخاص فى كفاءته فى تحقيق الأشياء الكبيرة والمهمة - زائف بالمثل، لأن الحكومة أقامت آلة عسكرية لا تصدق (ولنتجاهل حاليا الغرض الذى تستخدم فيه)، وأنزلت رجالا على القمر، وشيدت سدودا عظيمة، ومتنزهات قومية مدهشة، ونظاما للطرق السريعة بين الولايات، وفيالق السلام، وقروض الطلبة، والضمان الاجتماعى، والتأمين على ودائع البنوك، وحماية صناديق المعاشات ضد تلاعب الشركات، ووكالة حماية البيئة، ومعاهد الصحة القومية، والمعهد السيمثونى، ومؤسسة جى آى بل وكثير غير ذلك. خلاصة القول : إن الحكومة كانت ناجحة تماما فى عمل ما أرادت عمله، أو ما جعلتها الحركات العمالية وغيرها من الحركات تفعله، مثل وضع معايير الأمان والصحة للعمال ومطالبة منتجى الأغذية بإدراج معلومات مفصلة عن مكوناتها.

ويتعين على النشطاء أن يذكروا الشعب الأمريكى بما تعلمه بالفعل ولكن يبدو أنه نسيه : أى أنه لا يريد حكومة أكبر أو حكومة أقل، إنه لا يريد حكومة كبيرة، أو حكومة صغيرة، أنه يريد حكومة تقف إلى جانبه.

بالطبع، ليس هناك شئ مما سبق سيردع الدولة العظمى الوحيدة فى العالم من مواصلة جهادها لفرض الأصولية الرأسمالية على العالم.

سببان أو أكثر لتشدد الجهاد

كان نحو نصف الأمريكيين الراشدين الذين أجرت مسحا لهم مؤسسة هيرست كوربوريشن فى ١٩٨٧ يعتقدون أن القول المأثور لماركس " من كل حسب قدرته، ولكل حسب حاجته " موجود فى الدستور الأمريكى[(١١)]

كان مارك بريجنسكى، ابن زبجنيو باحثا ومحاضرا تابعا لمؤسسة فولبرايت فى مهمة فيما بعد الحرب الباردة فى وارسو، حيث قال : " سألت طلابى أن يعرفوا الديمقراطية، ولما كنت أتوقع مناقشة حول الحريات الفردية والمؤسسات المنتخبة بصورة حقيقية، فقد أدهشنى أن طلابى أجابوا بأن الديمقراطية بالنسبة لهم تعنى التزام الحكومة بالحفاظ على مستوى معيشة معين، وأن توفر الرعاية الصحية والتعليم والإسكان للجميع، أى بعبارة أخرى، الاشتراكية "(١٢) .

الفصل السابع والعشرون

يوم فى حياة بلد حر

إن السؤال مطروح أمامنا بصورة لا تقاوم

كيف يفلتون بذلك ؟

كيف تقود الولايات المتحدة الاقتصادات، وتخرب الديمقراطية، وتطيح بالدول ذات السيادة، وتعذبها، وتستخدم معها العناصر الكيميائية والبيولوجية والإشعاعية ؟ كيف تفعل كل الأشياء غير اللائقة التى وردت تفاصيلها فى هذا الكتاب عادة فى وسط الوهج الكامل لوسائل الإعلام الدولية، بأكثر التناقضات مدعاة للذهول بين الأقوال والأفعال، دون أن تدينها بلا رحمة جماهير العالم الحاشدة، وأى إنسان لديه ضمير اجتماعى، وبدون أن تنبذ كالأبرص ؟ وبدون أن يقدم قادة أمريكا إلى المحاكم الدولية، متهمين بارتكاب جرائم ضد الإنسانية ؟

وليس سرا صمت وتواطؤ – إن لم يكن إعجاب – الحكومات الأخرى وقادتها، فالأمر لا يقتضى سوى شراء بضع رجال مقابل طائرات نفاثة ملساء أو أطنان من القمح، أو إلغاء الديون، أو الاستعانة بالبنك الدولى وصندوق النقد الدولى، لقد تم ترويعهم، وتهديدهم، وابتزازهم، ورشوتهم، وإذكاء غرورهم، ومناصرة نزعاتهم الوطنية المتطرفة وإعطائهم العضوية فى نوادى حلف الأطلنطى الخاصة المقصورة على أعضائها، وفى منظمة التجارة العالمية والاتحاد الأوروبى. وغريبو الأطوار من نوع فيدل كاسترو هم وحدهم الذين لا ينفرون من تجنب المجتمع الدولى الراقى والمحترم لهم.

لكن ما الذى يمنع الغالبية الساحقة من البشرية - بما فى ذلك ضحايا ليس لهم عدد - من أن تهب معترضة، مكتسحة إدعاءات من يزرون بها ويتشككون بل وتتحدى رصاصاتهم ؟

إن الافتتان بالولايات المتحدة - وهى مستعمرة سابقة - أنجزت وعدها بعالم جديد رائع تسوده حياة جديدة، يرجع إلى القرن التاسع عشر، قد بلغ ذرا جديدة مع الانتصار على الفاشية فى الحرب العالمية الثانية، ثم ارتقى مرة أخرى مع السحر التقنى للخيال العلمى، الذى تجسد فى السير على سطح القمر. ونادرا ما نالت من ذلك دعاية الحرب الباردة من قبل السوفيت، ولا حقائق الحرب الباردة، أو أى حقائق.

فطوال عقود منذ نهاية الحرب الباردة، كان الزائرون الغربيون للاتحاد السوفيتى وأوروبا الشرقية يعودون بانتظام بحكايات من نظرائهم المهنيين وعن رجل الشارع. كان المواطنون يرفضون أن يصدقوا أن هناك مشردين فى أمريكا أو أنه ليس هناك تأمين صحى وطنى، كانوا مقتنعين أن ذلك مجرد دعاية شيوعية، كانوا يؤمنون أن القرارات فى المملكة المتحدة وبريطانيا لا تتخذ أبدا بصورة سرية، وأنه إذا كذب رجل السياسة مرة واحدة فيتم إبعاده من منصبه، ويذكرون حالة نيكسون كمثال لذلك " إننا نحصل أحيانا على نسخ من الديلى ميل (وهى جريدة تابلويد تصدر فى لندن) من سفارتكم، إنه لأمر طيب أن تقرأ أخبارا عالمية غير متحيزة "[١] . وبعد انتهاء الحرب الباردة، أخبر رئيس هيئة الأركان السوفيتى، رئيس هيئة الأركان المشتركة الأمريكية كم أدهشه أن الأشخاص المجندين فى المؤسسة العسكرية الأمريكية لا يخافون من التحدث علنا وأن ضباطهم لا يروعونهم ...[٢]

وعلى مر السنين، وجه عدد من قادة العالم الثالث، فى ظل تهديد عسكرى أو سياسى يحدق بهم من قبل الولايات المتحدة، التماسات برفع ذلك عنهم إلى المسئولين فى واشنطن، وحتى للرئيس شخصيا، ومن الواضح أن ذلك كان نابعا عن اعتقاد مفعم بالأمل بأن الأمر مجرد سوء فهم، وأن أمريكا لا تنوى حقا الانقضاض عليهم وسحقهم هم وحركاتهم الداعية للتغيير الاجتماعى، وكان من بين آخرين قدموا التماساتهم، وزير خارجية جواتيمالا فى ١٩٥٤، وتشيدى جاجان من غيانا البريطانية فى ١٩٦١، وموريس بيشوب من جرينادا فى ١٩٨٣[٣] . وتم سحقهم جميعا. وحتى فترة قريبة ترجع إلى ١٩٩٤، نجد حالة قائد متمردى الزاباتيستا فى المكسيك -

سبكوماندور ماركوس - فقد ورد أن ماركوس قال : " إنه يتوقع أن تساند الولايات المتحدة الزاباتيستا بمجرد أن تقتنع وكالات المخابرات المركزية بأن الحركة لا يؤثر عليها الكوبيون أو الروس "، وأضاف ماركوس : " وسيتوصلون أخيرا إلى أن هذه مشكلة مكسيكية، خاصة بقضايا حقيقية وعادلة ... "(٤) .

ومع كل الاحترام الواجب للشجاعة الكبيرة للسنيور ماركوس، لابد للمرء من أن يتساءل بدرجة جادة عن درجة اتفاقه فى هذا مع التاريخ والواقع ومع الأمريكيين الذين يسمونهم جرينجو احتقارا. فلسنوات طويلة، طفقت الولايات المتحدة تزود المؤسسة العسكرية المكسيكية بكل أنواع التدريب والأدوات اللازمة لقتل أنصار ماركوس، والأرجح ماركوس نفسه قبلهم.

وعندما سقطت القنابل الأمريكية على صربيا فى ربيع ١٩٩٩، أعرب كثيرون من الصرب عن صدمتهم ودهشتهم من أن أمريكا - أمريكا المحبوبة محط الإعجاب - يمكن أن تفعل شيئا كهذا، وقد أجرت الواشنطن بوست حوارا مع عائلة فى بلجراد أعلنت فيه الصحيفة : " إنهم يعتبرون أنفسهم موالين للأمريكيين ". وقال الزوج : " من الصعب جدا علينا أن نكره أمريكا، لقد تطلعنا دوما إلى أسلوب الحياة الأمريكى، وليس أسلوب الحياة الروسى "، وأضافت الواشنطن بوست : " إن حقيقة الولايات المتحدة تقصف بلدهم تصدمهم وتحيرهم "(٥) ، وأعلن شاعر صربى من برشتينا عاصمة كوسوفو - يدعى الكسندر سيموفتش - أنه يشعر بانزعاج عميق من القصف الأمريكى الذى يدمر المدينة ويدمر حياته، ومع ذلك، فقد قيل لنا إنه " يحب بوب ديلان والجاز والشعر الغنائى، وفى اللحظات التى لا يزال يسمح لنفسه بأن يحلم فيها، يجد نفسه يعيش فى بلد آخر، مثل الولايات المتحدة "(٦) .

وفى روسيا، عارض معظم الناس القصف بقوة وأصيبوا بالصدمة من أن الولايات المتحدة هى المسئول الرئيسى. إن وسائل الإعلام الأمريكية تخبرنا مرارا وتكرارا أن مستوى المشاعر المعادية لأمريكا فى روسيا كانت هى الأكبر فى الذاكرة، إن الأمر كما لو أن الروس يكتشفون للمرة الأولى أن للولايات المتحدة جانبا عنيفا فيها، ويمكن القول بأن مثل هذه البراءة هى عمليا ضرب من الجنون.

وعندما مزقت القذائف الأمريكية أشلاء السفارة الصينية فى بلجراد، كان رد الفعل بين الصينيين هو عدم التصديق، وهم يسيرون فى مظاهرات احتجاج، إذ قال

طالب فى جامعة بكين : إن تفكيره قال له أولا إن الأمريكيين لا يمكن أن يفعلوا ذلك، لابد أن إرهابيا ما هو الملوم ". لقد شعرت بحزن شديد، لقد شاهدت العديد من الأفلام والأشياء الأخرى الأمريكية وأعتقد أن أمريكا لديها الكثير من الإنسانية ".

وأضاف مسئول صينى كبير : " لقد كنتم المثل الأعلى للكثيرين منا، والآن فإن قنابلكم الغبية قتلت أهلنا ".

وهذا الموقف لم يقتصر على الصينيين الذين لم تطأ أقدامهم الولايات المتحدة. فقد أعلن خريج صينى من جامعة ستانفورد : " لقد اعتدنا الاعتقاد بأن الولايات المتحدة كانت نموذجا، لكنكم الآن قتلتم أهلنا، وتلك نهاية شهر العسل مع أمريكا "(٧) .

إن هذه السذاجة، وقصة العشق هذه مع روح أمريكا، في حين تمس القلوب بالتأكيد فى هذا العالم القديم المتعب، ليسا هما " الحَبَلْ بلا دنس ". إن الولايات المتحدة، هى مخترع ومطور الإعلان الحديث والعلاقات العامة الحديثة، والمنتج والموزع الرئيسى فى العالم للأفلام وبرامج التليفزيون والكتب والمجلات والموسيقى، بمكتبات إدارة الإعلام الأمريكية الموجودة فى أكثر من ١٠٠ بلد، وصوت أمريكا التى يقرب مستمعوها من ٦٠ مليون مستمع. لقد أغرقت الولايات المتحدة - دولة المعلومات العظمى الوحيدة فى العالم - وسائل الإعلام وغزت قلوب وعقول العامة فى كل أنحاء الأرض بهذا السحر، وهى تقوم بكل هذا لأنه جدير بالعناء، على امتداد الأجيال.

وقد لاحظ المؤرخ كريستوفر سمبسون فى دراسته، علم القسر :

ساعدت الوكالات العسكرية ووكالات المخابرات والدعاية، مثل وزارة الدفاع ووكالة المخابرات المركزية فى تطوير كل بحوث جيل ما بعد الحرب العالمية الثانية فى تقنيات الإقناع، وقياس الرأى، الاستجواب، التعبئة السياسية والعسكرية، ونشر الإيديولوجيا والقضايا ذات الصلة "(٨) .

ولم يترك سوى القليل للحظ فى الترويج لأمريكا، وقد أعلنت إدارة كلينتون فى ١٩٩٩ أنها تنشئ فريقا جديدا للإعلام العام الدولى " للتأثير على الجماهير الأجنبية " لمساندة السياسة الخارجية الأمريكية ودحر دعاية أعداء الولايات المتحدة، ويقول ميثاق الفريق أن القصد من السيطرة على " الإعلام العسكرى الدولى هو التأثير على العواطف والدوافع والأهداف والتفكير وأخيرا السلوك لدى الحكومات والمنظمات والمجموعات الأجنبية والأفراد الأجانب "(٩) .

" إنه بلد حر ".

التفكير فيه يجئ مع لبن الأم.

" إنه بلد حر ".

كم مرة يتعين فيها على شخص يشب فى الولايات المتحدة أن يسمع تلك الكلمات قبل أن تستقر بصورة مريحة وعميقة فى الفص من المخ المتعلق "بالحقيقة المتلقاة .. ؟".

" إنه بلد حر ".

كم عدد الأشخاص فى العالم الذين جعلوا من هذا القول المأثور عنصرا أساسيا من قصة عشقهم لأمريكا ؟

" إنه بلد حر ".

إن رسوخ هذا فى عقول كثيرين من الأمريكيين والأجانب - سواء بوعى أو بغير وعى - يعطى للولايات المتحدة حقّا أخلاقيا لتفعل ما تفعله فى باقى وبباقى العالم.

" إنه بلد حر ".

وفيما يلى تصحيح.

لقد توحد المجمع العسكرى الصناعى - علانية وسرا - بصورة قانونية وبصورة غير قانونية، مع مجمع السجون والصناعة، وارتبط بصورة أكبر بالمجمع الوطنى للأمن والشرطة الموجود فى كل مكان، وتشابكت أيديهم بصورة وثيقة بالحرب على المخدرات فى إعلان بالحرب على الشعب الأمريكى وقانون الحقوق. وأقنعت هذه القوة الماحقة ذات السلطان الهائل - التى تأسر الألباب بخلودها وتمجيدها وثرائها - الرأى العام الأمريكى بأنه بدون قواتها العاصفة ستنفتح أبواب جهنم على مصراعيها وأن سلامة وأمن المواطنين قاطبة سيدخلان غرفة العناية المركزة، وفى مسعاها هذا، حصلت على مساعدة لا غنى عنها من الهيئات التشريعية التى تم ترويعها، ومن الهيئة القضائية التى تحكم التقاليد، ووسائل الإعلام المذعنة، ورئيس، بيل كلينتون - على حد تعبير كاتب العمود الصحفى الداعى للحريات المدنية - نات هنتوف - " أوقع خلال هذا القرن أكبر الضرر بحقوقنا وحرياتنا الدستورية "(١٠) .

وفى أى يوم، مثل اليوم الحالى فى الواقع، أو فى يوم من الشهر الماضى، أو العام الماضى، فإن كثيرا مما يلى - وجميعه مستمد بصورة مباشرة من أحداث واقعية، أو ما تكشف عن سنوات قليلة ماضية - يتم فى مكان ما فى الولايات المتحدة، لقد أكدوا لنا المرة تلو الأخرى أن ممارسات معينة قد ألغيت، فقط لنكتشف أنها مازالت تطبق - ربما بتعديلات طفيفة.

وينبغى ملاحظة أن ما هو معروض هنا يتناول أساسا انتهاكات الحريات المدنية ولا يشمل العديد من أشكال الانتهاكات الشائعة والتى تعد اقتصادية بطبيعتها أو تؤثر سلبا على صحة الناس.

ويعكس كثير من الانتهاكات اعتبارات خاصة بالسياسة الخارجية أضفى عليها تحريف محلى للإتيان " بالتهديد " لعقر دار المواطنين الأمريكيين وكسب دعمهم لتلك السياسات.

ليس هناك من هم أكثر خضوعا للاستعباد بلا أمل من أولئك الذين يعتقدون زورا أنهم أحرار.

جوهان ولفجانج فون جوته

- فى كل ولاية تقوم الشرطة أو الحرس الوطنى، وأحيانا قوات الجيش القائمة بالخدمة الفعلية بعمليات مراقبة لا تهدأ للمخدرات بطائرات الهليكوبتر فوق دور الأشخاص وممتلكاتهم، وتقيم حواجز على الطرق، وتستجوب وتحتجز وتضايق وتروع السكان باستعراضات للقوة المفرطة.
- فى مئات من المدن الأمريكية، يخضع الشبان لقانون حظر التجول ليلا، ويتم فى بعضها حظر التجول نهارا أيضا.
- ترفض وكالة المخابرات المركزية ومكتب التحقيقات الفيدرالى الاستجابة لمذكرات إحضار الوثائق التى يستصدرها المحامون الذى يحتاجون إليها فى الدفاع عن عملائهم فى قضايا الأمن القومى فى محاكم الولايات.
- يتعرض سكان الولايات المتحدة لتحرشات وعقوبات متنوعة من الحكومة الفيدرالية بسبب سفرهم أو شحنهم سلعا مختلفة إلى كوبا وليبيا والعراق

وكوريا الشمالية وإيران ويوغوسلافيا أو بلدان أخرى من هذا النوع. ويخاطر الذين يزورون البعثة لدى الأمم المتحدة فى نيويورك أو أقسام رعاية المصالح فى واشنطن التابعة لبعض البلدان، بأن يتم تصويرها وتلقى زيارات أو استدعاءات هاتفية من مكتب التحقيقات الفيدرالى.

تفتح وكالة المخابرات المركزية وتقرأ البريد المرسل إلى، والوارد من، بعض البلدان المعنية، ويفحص مكتب التحقيقات الفيدرالى مراسلات الأمريكيين، المحلية والدولية، لحشد من أولوياته الخاصة به.

فى الولايات الغربية، توقف الشرطة وعملاء دورية الحدود الفيدرالية المشاة وركاب السيارات لمجرد أن شكلهم يبدو أسبانيا، ويطلبون منهم أن يثبتوا أنهم مقيمون فى الولايات المتحدة بصورة قانونية.

يتم إيقاف راكبى السيارات على الطرق السريعة بسبب استخدام الصور الجانبية وبيانات حاملى المخدرات المستندة للعنصر، ويتم تفتيش السود بخلع كل ملابسهم فى الشوارع من قبل الشرطة، التى تسلط الأضواء الساطعة على مناطق التناسل والشرج لديهم.

تقبض الشرطة على الأطفال (دون ١٨ سنة) أساسا من الأمريكيين اللاتينيين والصينيين وتحتجزهم شهورا طويلة فى كل مرة فى ظروف تشبه السجون، ولا تخطرهم بحقوقهم، وتعرقل محاولتهم الحصول على محامين أو تتقاعس عن تيسير اتصالهم مع أقاربهم، وربما تعتقلهم لإجبار والديهم الأجانب ذوى الوضع غير القانونى على القدوم إليهم، حتى يتم القبض عليهم.

تسجل الشركات الخاصة مكالمات الموظفين التليفونية وبريدهم الصوتى، وتقرأ ملفات الكومبيوتر والبريد الإليكترونى الخاصة بهم، وتحصل على وقائع وأحداث مواقع الكومبيوتر التى نظروا فيها، وتصورهم بالفيديو وهم يعملون، وتلاحظهم فى الحمامات وحجرات الدواليب بمرايا يمكن الرؤية من ورائها أو بالكاميرات المخفاة، وتتبع أماكن وجودهم بجعلهم يستخدمون مفاتيح إليكترونية للمرور، وتضع ميكروفونات للتسمع فى

مكاتبهم، وتخضعهم لعمليات تفتيش إليكترونية بالأسلوب الذى يتم فى المطارات، وتجرى اختبارات على بولهم لاكتشاف تعاطيهم للمخدرات، وتجرى عمليات فحص وتدقيق أمنية لخلفياتهم وماضيهم - وكل هذا بغض النظر عما إذا كانوا قد تصرفوا فى وظائفهم بصورة سيئة أم لا، وبغض النظر عما إذا كان عملهم يتضمن خطرا على أى شخص أم لا.

وفى الأكاديمية البحرية فى آنا بوليس، يتم إخضاع مجموعة عشوائية من نحو ٣٠٠ طالب لتحليل البول كل أسبوع، وفى مدارس أخرى، يجبر الطلاب على الخضوع لاختبار للبول للانضمام لفريق السباق، وللانضمام لنادى الشطرنج، وللذهاب لحفلة راقصة، وللذهاب فى رحلة ميدانية وللقيادة إلى المدرسة ومنها، وقد أقرت المحاكم بعض سياسات المدارس هذه.

تجند شرطة الولاية فى نيوجيرسى العاملين فى الفنادق على امتداد نيوجيرسى تيرنبايك وترشوهم ليبلغوا عن النزلاء المشتبه فيهم الذين – ضمن أشياء أخرى – يدفعون مقابل حجراتهم نقدا أو الذين يتلقون مكالمات هاتفية مثيرة. ويسمح مديرو الفنادق لرجال الشرطة - دون إذن قضائى - بفحص إيصالات بطاقات الائتمان وإستمارات التسجيل الخاصة بالنزلاء، وتنظم الشرطة ندوات للمراقبة لتدريب الموظفين على فحص واكتشاف النزلاء الذين تتفق هيئتهم مع هيئة مهربى المخدرات، وتتضمن الهيئة العنصر والتحدث بالإسبانية.

تحتفظ وكالة إدارة الطوارئ الفيدرالية بقائمتها المستوفاة لآخر لحظة بالأجانب والراديكاليين وغيرهم من غير المرغوب فيهم الذين ستتم مطاردتهم واعتقالهم عند وقوع " أزمة وطنية ".

يجبر الأحداث المسجونون فى واحد من أكثر من ٥٠ مما يسمى "معسكرات تدريب مجندى البحرية" على العدو فى عمليات الجرى لاختبار القدرة على التحمل حتى تتلطخ أحذيتهم بالدماء، وقد مات واحد منهم بالفعل من جراء ذلك، وفى مرات أخرى، يقيدون بالأصفاد والقيود الحديدية من أرجلهم وأيديهم.

يتم اعتقال النساء لتعاطي الكوكايين وهن حوامل، حتى لو كان أبناؤهن طبيعيين تماما عند المولد، والواقع أن فكرة " طفل مخدر الكراك " قد تكون أسطورة تماما.

تستخدم فرق العمل التابعة للوكالات الدولية، والفيدرالية، والعسكرية، والتابعة للولايات والعاملة فى مجال تنفيذ القانون محليا والعاملة فى مجال الاستخبارات، وكذلك كيانات خاصة، أموالا وفيرة وقوانين جديدة وتكنولوجيات جديدة وقواعد بيانات جديدة تشبه الأخطبوط التجسس على والتحرش بالنشطاء من مختلف الأنواع : المجموعات المساندة للإيرلنديين وللحق فى الشرق الأوسط، والمدافعون عن حقوق الإنسان وعن حقوق المهاجرين وعن الحريات المدنية، والمطالبون بإصلاح السجون، والمدافعون عن الأقليات والعمال والبيئة وحقوق الحيوان والطاقة النووية والمعادون للأمبريالية، حتى لو لم يكن هناك أى دليل على قيامهم بأنشطة عنيفة أو غير قانونية.

ويسجل مكتب التحقيقات الفيدرالى والشرطة أرقام رخص سيارات الأشخاص الذين يشتركون فى الاجتماعات والمظاهرات، ويجرى تصويرهم، ودفع الأموال للمرشدين للتسلل إلى الجماعات، واقتحام المكاتب لسرقة البريد وقوائم المساهمين، والتنقيب فى الملفات وتنفيذ عمليات " اعتقال لمجرد التحرش " (أى اعتقالات يتم إسقاط التهم الموجهة فيها فيما بعد)، ويتلقى أعضاء هذه المجموعات فرادى زيارات من مكتب التحقيقات الفيدرالى فى منازلهم وأماكن عملهم، أو يرسل المكتب رسائل مجهولة المصدر لزملاء الشخص المعنى تلمح إلى أنه واش فى واقع الأمر، وكذلك إرسال خطابات منتقاة مسمومة بالأكاذيب إلى رب العمل، ومالك الأرض أو الفندق، أو الزوجة بهدف التسبب له فى أكبر معاناة.

يتم احتجاز المسافرين بالمطارات ساعات طويلة، بل وأياما، وتضيع عليهم الرحلة لأن لهم " هيئة الإرهابى " استنادا إلى جنسيتهم، عرقهم، مظهرهم، سلوكهم فى المطار، خط سير رحلتهم ومعايير أخرى، ويتم تفتيشهم ذاتيا، بما فى ذلك البحث فى تجاويف الجسم، والتصوير بالأشعة السينية وإجبارهم على تناول ملين، ورصد حركة أمعائهم.

يطالب مكتب التحقيقات الفيدرالى العاملين بالمكتبات بأن يبلغوا عن الكتب التى يستعيرها أشخاص لهم أسماء أجنبية - خاصة الكتب العلمية والتقنية - (وعندما تم الكشف عن هذا البرنامج وانتقاده، شرع المكتب فى مراقبة النقاد) .

تطالب وكالة مكافحة المخدرات الناشرين بالإبلاغ عن أسماء لأشخاص اشتروا كتابا عن زراعة الماريجوانا.

تصادر الشرطة سيارات زبائن المومسات، ويحدث ذلك أحيانا بعد أن تقوم ضابطة شرطة بإغواء الرجل على أن يقدم لها نقودا مقابل الجنس، ولا يهم إن لم تكن السيارة مملوكة للرجل.

ويجبر ضباط شرطة آخرون المومسات على الإتيان بأفعال جنسية بتهديدهن بالاعتقال إن لم يذعن.

تلاقى النساء الراغبات فى الإجهاض عقبات مروعة تعترض طريقهن تفرضها السلطات الفيدرالية وسلطات الولاية.

يقوم مكتب التحقيقات الفيدرالى أو الشرطة بعملية ترويع بالقبض على مسئول أسود منتخب تعتبر أنه يحظى بقدر من الكاريزما أكثر من اللازم أو " معتد بنفسه " بصورة زائدة (والمثال المتكرر لعمدة واشنطن العاصمة السابق ماريون بارى موحية جدا فى هذا الصدد).

يتم رفض إسكان الناس وتوظيفهم بسبب عنصرهم.

يتم رفض دخول كثيرين من الأكاديميين والنشطاء الأجانب إلى الولايات المتحدة لحضور مؤتمر ما بسبب إيديولوجيتهم و/ أو أن إيديولوجية المؤتمر ليست على هوى وزارة الخارجية.

تواجه الأقليات اللغوية تفرقة وعداء من جانب حركة "اللغة الانجليزية فقط".

يشجع العملاء المحرضون التابعون للحكومة الأمريكية، بعض الناس، مثلما حدث عند تفجير مركز التجارة العالمى أو داخل مجموعات الميليشيا، على القيام بعمليات تفجير أوغير ذلك من الأعمال الإرهابية.

إن القاضى سيحكم بوضعك بالسجن، وعندئذ يحكم مسئولو السجون بوضعك فى الجحيم ... إذ يتم وضع الأصفاد فى أيدى السجناء أو يقيدون من أقدامهم ويجبرون على لحس طعامهم مثل الكلاب من أطباق تدفع تحت وجوههم، ويلقى بالمتهمين بتعاطى المخدرات الذين لا يتسمون بالعنف مع القتلة الخطيرين والمغتصبين واللصوص، رغم أوامر المحاكم بفصلهم... ويرفس الحراس بأقدامهم النزلاء فى مقعدتهم، ويحرضون الكلاب عليهم، ويتم ضرب السجينات واغتصابهن من قبل الحراس، ويجرى بيعهن للسجناء الرجال لممارسة الجنس معهن، ويتم انتزاعهن من مراقدهن ليعملن كمومسات، ويجبرن على التعرى قطعة فقطعة أمام ضباط التأديب (هناك ٤١ ولاية لا تجرم الاتصال الجنسى بين العاملين فى مجال التأديب والتقويم والسجناء)، ويقوم الحراس بتصوير الممارسات الجنسية للنساء، ويتم الإبقاء على السجناء من كلا الجنسين عرايا أو بملابسهم الداخلية فى حين يراقبهم الجنس الآخر، ويتم قتل السجناء الذكور دون عقاب... ويستخدم الحراس القنابل المسيلة للدموع، ويرشون مسحوق جوز الطيب والفلفل على السجناء المقيدين بالأصفاد أو المحبوسين فى زنازينهم، ولا تتم حماية السجناء من الاعتداءات البدنية والجنسية من قبل سجناء آخرين، ويحرض الحراس على إشعال المعارك بين السجناء، ويتم الإبقاء على النزلاء مقيدين بالأصفاد فى الأرجل والسلاسل التى تلتف حول الوسط وقيود الأيدى فى كل الوقت الذى يمضونه خارج زنازينهم، حتى أثناء الاستحمام ... وأعيد استخدام أطقم ومعدات السلاسل، ويخاطر الحراس الذين يبلغون عن سوء معاملة بالتعرض لانتقام المسئولين عن السجن ... ويقدم اتحاد ضباط العقاب والتقويم فى كاليفورنيا مساهمات سياسية كبيرة للمسئولين العامين ووكلاء النيابة حتى يستطيع الحراس أن يواصلوا التصرف دون عقاب.

وعلى نحو متزايد فإن المسجونين فى الولايات المتحدة - ويقترب عددهم حاليا من المليونين - يشهدون حقوقهم وامتيازاتهم وهى تنتهك أو يتم الحد منها بصورة خطيرة فيما يتعلق بالدراسة الأكاديمية والتدريب المهنى

ومواد القراءة والرياضة والتمرينات والمكتبات القانونية للسجون، والحصول على المشورة المجانية، وتيسير الاستئناف فى قضاياهم، والوصول لوسائل الإعلام، ويتم تحميلهم تكاليف الغرف والطعام وزيارات الأطباء ويمنعون من تلقى الطرود، ويجبرون على حلق لحاهم وشعورهم الطويلة ونزع الأقراط، ويقتصر استخدامهم للتليفون على بضع دقائق قليلة كل أسبوع، وتقتصر الزيارة على ساعة شهريا، ويعامل أعضاء الأسرة الزائرون لهم بفظاظة ويخضعون لتفتيش مهين وعلى خلع ملابسهم، ويتم نقل السجناء إلى سجون أخرى بعيدة جدا عن أسرهم، ويتم حرمان المصابين بالإيدز والمرضى بأمراض مميتة من الرعاية الخاصة، ولا تتم مراقبة المصابين بالربو، وتضيع الجرعات الدوائية على الخاضعين لعلاج الأمراض النفسية، ولا يستطيع من يعانون من الضغط العالى الحصول على الغذاء السليم، ويحبس السجناء فى الزنازين إلا بضعة ساعات قليلة أسبوعيا، والإضاءة فيها لمدة ٢٤ ساعة يوميا.

وفى سجن جديد يتم بناؤه فى بيج ستون جاب فى فيرجينيا التى ترتفع ٣٠٠٠ قدم، تطل النوافذ فى كل زنزانة على مناظر فاتنة على الوادى الواقع أسفله، ويخطط مسئولو السجن لطلاء النوافذ باللون الأسود حتى لا يرى السجناء ما بخارجها.

تستولى مستويات مختلفة من الوكالات الحكومية على الحسابات المصرفية للأشخاص الذين يفترض أنهم آباء متهربون من دفع النفقة، ولكن يتبين فيما بعد أنهم ليسوا كذلك.

تجبر المؤسسات التعليمية على السماح لمسئولى التجنيد العسكرى بالدخول لحرمها وممارسة عملهم لتفادى فقد المنح الحكومية المقدمة لمعونة الطلاب وغيرها من الأغراض.

تقوم المؤسسة العسكرية بتنفيذ واحد من تدريبها الحضرية العديدة مثل ذلك الذى وصف فى ماساشوستس : " فى الأسبوع الماضى نزل جنود البحرية من طائرات الهليكوبتر أعلى بعض البنايات، ونزلوا بالحبال إلى

أسفل البنيات واستمتعوا وتباروا فى إطلاق وقذف متفجرات وهمية هنا وهناك، وأيقظوا نصف مدينة لويل، وفى بداية هذه الأمسية اهتز منزلنا واصطكت النوافذ بعنف حيث كانت عدة طائرات هليكوبتر تحلق على ارتفاع لا يزيد على ٢٠٠ قدم ".

وتستخدم المؤسسة العسكرية فى بعض تدريباتها فى الولايات المتحدة ذخيرة حية.

لو أن سائقا أوقفته الشرطة وسجل سوء المعاملة على شريط تسجيل، فإنه عندما يذهب لنقطة الشرطة المحلية ليشكو سوء المعاملة، فإنهم يطالبونه بتقديم شريط التسجيل، فإن فعل ذلك فسيتهم عندئذ بالتسجيل بصورة غير قانونية.

يصعد عملاء وكالة مكافحة المخدرات إلى الحافلات والقطارات التى تسير فيما بين المدن لتفتيش أمتعة الركاب، ويؤكدون للركاب أن كل ذلك يتم " طوعا ".

تصادر سلطات إنفاذ القوانين من مختلف الضروب بصورة روتينية جهاز كومبيوتر من منزل شخص ما متهم بتعاطي شئ ما أو آخر – أيا كان – ويحملون الكومبيوتر إلى المكتب حيث يستطيع الأولاد الطيبون إيجاد الوقت المريح لقراءة بريده الشخصى، ولا يقولون له متى ينتهى كل هذا أو متى يعيدون الجهاز.

فى منطقة ميامى وأقسام من نيوجيرسى يخضع من لا يلتزمون بشدة بسياسة الحزب المعادى لكاسترو لدائرة واسعة من سوء المعاملة، وفى مئات من المناسبات، أدى اقتراح التقارب مع كوبا، والدعوة إلى إلغاء الحظر الأمريكى، وتنظيم رحلة للجزيرة، وشحن أدوية إليها، إلى تفجير بالقنابل وإطلاق الرصاص، والتهديد بالقتل، والاغتيال، والضرب، والطرد من السوق، والفصل من العمل، والحرمان من الحياة، ويحظى مرتكبو هذه الأعمال بحصانة حقيقية من الملاحقة القضائية.

وعلى النقيض من رفع واشنطن لأيديها عن الإرهابيين المعادين لكاسترو، فإنه بموجب قانون مكافحة الإرهاب وسريان عقوبة الإعدام الصادر فى ١٩٩٦، هناك ٣٠ منظمة " إرهابية " أجنبية، رهينة الازدراء الرسمى، ويحظر القانون على الأشخاص " أن يقدموا عن علم الدعم المادى أو أى موارد لمنظمة أجنبية حددت باعتبارها إرهابية ". وهكذا، فإن منح لعب ودمى لملجأ تديره حماس فى الأردن، أو كتب لمدرسة تديرها منظمة الاستقلال الكردية، أو جمع الأموال لأسرى السجناء الإيرلنديين يمكن اعتباره " تواطؤا وارتباطا مع منظمة إرهابية معروفة "، ويخضع للملاحقة القضائية الفيدرالية.

ويموجب هذا التشريع، تم ترحيل عشرات الآلاف من المقيمين بصورة قانونية فى الولايات المتحدة، وكثيرون منهم أمضوا هنا عقدا من الزمان أو أكثر، ولهم أسر وأطفال ولدوا فى الولايات المتحدة، أو حرموا من العودة للبلاد بسبب هذا الارتباط، أو لأنهم أدينوا ذات مرة بجريمة، حتى وإن كانوا قد أمضوا فترة العقوبة، وبغض النظر عن كم من الزمن مضى على ذلك. وكان كثيرون قد أدينوا فى جنح لم يصدر فيها عليهم حكم سوى الخضوع لفترة اختبار مدتها سنة، لكن ذلك سبب كاف للطرد. ومن قبل كان التركيز يتم على القضايا فرادى، ويتم فقط استبعاد الأشخاص الذى يقضى باحتمال أن يكونوا مصدرا للخطر، أما الآن، فبغض النظر عن كل الظروف الأخرى، ينبغى ترحيل هؤلاء الأشخاص، وفى بعض الأحيان يتم اعتقالهم وترحيلهم عندما يتقدمون للحصول على المواطنة.

وتقتحم دوائر الأمن القومى منازل الفلسطينيين، المقيمين بصورة قانونية فى الولايات المتحدة، ويجرونهم خارجها بسبب توزيع مجلة لمنظمة فلسطينية ما أو جمع الأموال لمختلف الأسباب الفلسطينية التى ليس لها صلة بالعنف، ويتم حبسهم لمدة غير محددة، ومصير غير محدد، دون تقديم تهم جنائية ضدهم. (فالأجانب والأغراب لا يتمتعون بقانون الحقوق، مثلما تؤمن وزارة العدل منذ أمد طويل، ومثلما أكدته المحكمة العليا حاليا).

يقوم عملاء حكوميون ومحققون مختصون بفحص قمامتك ، اما خلف منزلك أو فى مقلب القمامة.

يحكم قاض فيدرالى على مواطن أمريكى بستة أشهر من "الحبس الجزئى" و ٣٠٠ ساعة فى خدمة المجتمع المحلى لأنه أوصل بالسيارة مسئولا ليبيا، لم يمنح تأشيرة للدخول، من المكسيك إلى تكساس، أو بطريقة ما غير مؤذية بالمثل، عامل مواطنا من بلد - يعتبر عدوا من الناحية الرسمية - باحترام بسيط لإنسانيته وكرامته.

تعتدى الشرطة على المضربين وتعتقلهم، وتصحب مواكب العمال المناوئين للنقابات إلى المصانع، وبذا تتخذ جانب أرباب الأعمال، مثلما فعلت الشرطة بدون استثناء عمليا طوال ١٥٠ عاما من المنازعات الصناعية فى الولايات المتحدة.

وتستخدم الشركات الكثير مما يزيد على ١٠ آلاف شركة أمن خاصة، توظف نحو ٥ر١ مليون حارس، لقمع أعمال الإضراب وترويع المنظمين النقابيين.

يمسح ضباط تنفيذ القانون، الذين يأخذون جانب أصحاب مشاريع الأخشاب مرة أخرى، بعيدان صغيرة من الخشب أعلاها قطع من القطن مشبعة برذاذ الفلفل (وهو حريف ٦٠٠ مرة أكثر من الفلفل الأحمر)، عيون الأشخاص الذين لم يلجئوا للعنف والمقيدين إلى بعضهم البعض، والذين يعترضون على قطع الشجر الأحمر القديم، ويصرخ المعترضون ويتلوون من الألم مع بدء المحلول تأثيره.

ويموت الناس أثناء حبس الشرطة لهم فى حالات يكون فيها رذاذ الفلفل عاملا مساهما فى ذلك.

تزود المصارف وشركات الهاتف وشركات المرافق وشركات بطاقات الائتمان وشركات الطيرات والحافلات ومنافذ استئجار السيارات ومرافق التخزين والفنادق والنزل وجميع أنواع المؤسسات الخاصة الأخرى، مختلف السلطات المحلية والخاصة بالولايات والفيدرالية بكل المعلومات عن زبائنها بموجب السلطات القانونية المتوسعة دوما التى تمنح لهيئات تنفيذ القانون ونادرا ما تعقد جلسات استماع أو يدور نقاش حول هذا.

وتتطلب الحرب على المخدرات من المصارف والسماسرة والكازينوهات والمؤسسات المالية الأخرى، رصد المعاملات المالية لزبائنها والإبلاغ عن أى نشاط " غير عادى " أو " مشبوه "، وتُغذى بكل هذه المعلومات، شبكة مكافحة الجرائم المالية بوزارة الخزانة التى تمضى أجهزة الكومبيوتر الخاصة بها أيامها فى الربط بين الأفراد والحسابات المصرفية ومشروعات الأعمال والعقارات وغيرهما من الأصول.

تبيع الولايات ما لديها من المعلومات السرية بشأن الأجور وقيادة السيارات وغيرها والخاصة بالمقيمين فيها إلى شركات المعلومات الخاصة وغيرها من المشروعات.

وربما تتكرر نفس سيناريوهات العنف فى طول البلاد وعرضها، فبدون إنذار تقتحم فرق من ضباط فرض النظام بالمدارس أو ضباط الأقاليم المسلحين المدارس بصورة دورية، وتأمر الجميع بالوقوف فى الداخل، وتستخدم الكلاب لتشمم متعلقات الطلاب، وتفحص أجسادهم بأجهزة كشف معدنية. وقد أعربت إحدى مدرسات المدارس الثانوية عن انزعاجها من هذا، وفسرت أن انزعاجها جاء " نظرا لأننى أدرس الدستور " وأعلنت موقفها للسلطات، وأخبر أحد ضباط الشرطة مدير مدرستها أنه بسبب " موقفها " الذى يمثل مشكلة، فإنه يمكن احتجازها أو تقييد حركتها خلال الغارات المفاجئة المقبلة. وخلال غارة لاحقة، كان ابن المدرسة هو الوحيد من بين ١٥٠٠ طالب الذى تم تفتيشه بصورة فردية، وبعد ذلك تم تفتيش السيارات فى الموقف الخاص بالمدرسة، وادعت الشرطة أنها وجدت سيجارة ماريجوانا فى سيارة المُدرّسة، وأوقفها مجلس التعليم وبعد ذلك تم فصلها.

فى مدارس مختلفة يتم إيقاف الطلاب عن الدراسة من أجل جلب زجاجة إدفيل وهو مزيل للألم لا يصرف بروشتة إلى المدرسة، صباغة شعرهم بلون " غير مقبول "، إعطاء زميلة قرص ميدول لتخفيف آلام الدورة الشهرية، جلب " عقاقير " للمدرسة، نقط ليمون، جلب زجاجة نبيذ ملفوفة هدية لعيد الميلاد لأحد المدرسين، وعوقبت تلميذة أخرى لحملها مدية

صغيرة لتقطيع الفاكهة أثناء تناولها الغداء، وعوقب آخر - وهو ولد عمره ٩ سنوات - لأنه لوح بصورة بندقية رسمها فى الفصل، وأعيد صبى عمره ست سنوات لمنزله لأنه طبع قبلة على خدّ فتاة، وتم تجريد فتيات عمرهن ثمانى سنوات من ملابسهن للتفتيش فى المدرسة، بحثا عن نقود مسروقة (ولم يتم العثور عليها)، وتعقد اختبارات للأطفال فى مرحلة الحضانة وقبل الالتحاق بالمدرسة كجزء من فحصهم الجسدى، وتستخدم المدارس الثانوية اختبارا عشوائيا لتحليل النفس لاستشكاف الطلاب الذين شربوا كحولا. وقد تم تجريد فتاة عمرها ١٤ سنة من ملابسها للتفتيش وجرى وقفها عن الدراسة أسبوعين لأنها أخبرت زميلاتها أنها تعرف نشوة المنتشين، وتستجوب الشرطة طلاب المدارس الثانوية عمن يريد أن يعرف ما إذا كان هناك كتب فى الكيمياء عن صناعة القنابل.

وذلك فى حين ألقى القبض على صبى عمره إحدى عشرة سنة واتهم بسفاح القربى لأن جارا رآه يلمس شقيقته الصغرى " بطريقة جنسية " فى فنائهما، وتم احتجازه لمدة ستة أسابيع فى مركز لاعتقال الأحداث وتم تقييده بالأصفاد فى المحكمة فى مناسبة واحدة على الأقل، وقال الصبى وأبواه أنه أنزل الملابس الداخلية لأخته البالغة من العمر خمس سنوات ليساعدها على التبول.

واتهم صبيان عمر الواحد منهما عشر سنوات بارتكاب جناية لأنهما وضعا بعض الصابون فى زجاجة المياه الخاصة بمدرسهما.

تم إيقاف مدرس بمدرسة ثانوية بدون دفع أجره لأنه يعلّم الرياضيات باستخدام مسائل مستمدة من الحياة الحقيقية، مثل " جيروم يريد تقسيم نصف الرطل من الهيروين الذى لديه ليزيد ربحه بمقدار ٢٠ سنت ، فكم عدد الأوقيات التى تحتاج إلى تقسيم ؟ ".

تم تقييد الأحداث فى مدارس الإصلاح من أقدامهم وإلقائهم فى زنازين العزل الانفرادى لمدة أسابيع فى كل مرة، وألبسوهم سترة المجانين، وجعلوهم يقفون وهم يضغطون أنوفهم على الجدران لما يصل إلى ١٦

ساعة يوميا، وقيدوهم إلى الأسرة وهم عرايا، ويتم سجن الأحداث مع المجرمين الكبار حتى لمجرد هروبهم.

يتم عقاب السجناء فى مرافق التقويم بالولايات الذين ينظمون مظاهرة سلمية اعتراضا على نقل زملاء آخرين إلى مناف خارج الولاية ضد إرادتهم، بحبس انفرادى قد يطول لعام، ولا تحسب مدة بقائهم فيه ضمن مدة الحكم، وفق ما تراه إدارة التقويم.

تتلقى محكمة فيدرالية تم إنشاؤها بمقتضى قانون مراقبة المخابرات الخارجية الصادر فى ١٩٧٨، طلبات للتصريح بالمراقبة الإليكترونية داخل الولايات المتحدة وتوافق على ذلك وتبصم عليه، وفى خلال العشرين سنة الأولى لها، تلقت المحكمة نحو ١٠ آلاف طلب من وزارة العدل نيابة عن مكتب التحقيقات الفيدرالى ووكالة الأمن القومى وبكل المقاييس، رفض طلب واحد لأسباب فنية.

ولا يوجد سجل عام من أى نوع عن الحالات الفردية، ولا أى إشراف، وقد وسعت إدارة كلينتون ولاية المحكمة لتسمح لها بالموافقة على الاقتحام، مما يمكن وزارة العدل من تجاوز الإجراءات العادية للحصول على إذن من محكمة، مما يقتضى نوعا من التحديد للبنود التى يتم ضبطها وتفسيرا عن السبب المحتمل للاعتقاد بأن جريمة ما قد ارتكبت.

والمستهدفون بعمليات التسجيل والسطو هذه يمكن أن يكونوا قد وضعوا قيد المراقبة لمجرد مساندتهم أو انتمائهم إلى منظمة لا تنظر الحكومة الأمريكية لسياساتها بعين الرضا. ويستطيع العملاء الفيدراليون حاليا الحصول على أرقام تليفونات المكالمات الصادرة والواردة من أى خطوط يستخدمها أو يطلبها من يشتبه أنهم عملاء أجانب.

(ومحكمة مراقبة الاستخبارات الأجنبية هى مجرد قمة جبل الجليد عندما يتعلق الأمر بتسمع الحكومة الأمريكية على مواطنيها، للحصول على مزيد من التفاصيل، انظر الفصل الخاص " باستراق السمع ").

إن السكر أثناء القيادة الذى كان يحدد بصفة عامة فى الثمانينيات باعتباره تركيز الكحول فى الدم بنسبة ١٥ر٠، أصبح مؤخرا يحدد

بنسبة ١٠ر٠، ثم بنسبة ٨ر٠ فى بعض الولايات، وإن لم تفلح نسبة ٨ر٠، فهل سيهبط بها الكونجرس والولايات إلى ٦ر٠ ثم إلى ٤ر٠؟ وعلى أية حال، فإن السلامة العلمية لهذه الحدود القاطعة كانت موضع تساؤل من الحكومة الفيدرالية نفسها.

ويتم الاستيلاء من قبل الشرطة على سيارات من يضبطون بسبب السكر أثناء القيادة، أحيانا بصورة فورية، وفى بعض الأحيان تحاول الشرطة الاحتفاظ بالسيارة حتى لو أطلق سراح الشخص.

يتم التحرش بالناس واعتقالهم أو مصادرة ممتلكاتهم للمشاركة فى أنواع معينة من المقامرة حتى لو كانت فى بيوتهم الخاصة، وهناك أشكال أخرى من المقامرة التى أضفت عليها الحكومة المحلية أو حكومة الولايات طابعا مشروعا، تمضى فى طريقها فى بلهنية دون التعرض لها.

يذوى مئات من السجناء السياسيين فى السجون الأمريكية، وقد شهدت مجموعات حقوق الإنسان التى تتخذ من الولايات المتحدة مقرا لها أمام لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة فى جنيف، بأن هؤلاء الأشخاص يحتجزون " كنتيجة مباشرة لعمل تم الاضطلاع به لمساندة رؤية سياسية أو اجتماعية ". وهم يعودون للوراء إلى نضالات تحرير السود فى الستينيات والسبعينيات، خاصة أعضاء حركة الفهود السود، وهناك آخرون من النشطاء فى سبيل حقوق أبناء أمريكا الأصليين، ونشطاء فى مناهضة الأسلحة النووية، وخصوم سياسة التدخل الأمريكية فى بورتوريكو وأمريكا الوسطى وأماكن أخرى، وقد تم الإيقاع بعدد من هؤلاء السجناء نتيجة للحيل القذرة لمكتب التحقيقات الفيدرالى بموجب برنامج مكافحة التجسس سئ السمعة، والذى استهدف " تحييد " الفهود السود والراديكاليين البيض.

لقد استخدم كثيرون العنف ضد الملكية، واستخدمته قلة ضد الشرطة، لكن الأشخاص الذين ارتكبوا جرائم لها دوافع سياسية لدعم قضايا يسارية، يتلقون معاملة أكثر خشونة، على نحو يبعث على الصدمة عادة،

عن الذين يرتكبون نفس الأعمال من أجل النقود أو أسباب تتعلق بالجناح اليميني، وقد حكم على كثيرين بأكثر من ٥٠ سنة على أعمال - مثل حيازة المتفجرات - دون أن يكون هناك أى ضحايا، وإذا كان الحكم المعتاد على مثل هذا العمل فى محكمة أو ولاية معينة هو ١٠ سنوات، فإن من يبدءون العام الحادى عشر - وبالتأكيد العام الخامس عشر، هم سجناء سياسيون ، وعادة ليس " أسوأ " السجناء هم الذين يتم الإبقاء بهم فى الحبس الانفرادى، بل السجناء السياسيون، وكذلك محامو القضايا المرفوعة على السجون والنشطاء من أجل المسجونين.

وقد أصدر المؤتمر الحزبى الأسود للمرشحين للكونجرس فى أكتوبر ١٩٩٧، إعلانا يذكر العالم بوجود هؤلاء السجناء السياسيين.

إن الأغراب الذين يجيئون للولايات المتحدة من بلاد يسودها القمع التماسا للجوء السياسى، يواجهون كوابيس من النوع الذى وصفه كافكا، ويلقى بهم فى السجون فى ظروف لا يمكن تحملها بدون توجيه اتهامات جنائية لهم، ويموت البعض منهم بسبب مشكلات صحية لا تلقى علاجا، ويتم نسيانهم إلى أن تتولى منظمة العفو الدولية أو منظمة أخرى لحقوق الإنسان قضيتهم. ويستخدم مكتب التحقيقات الفيدرالى والأمن القومى أدلة سرية - ليس للمتهم أو للمحامى حق فحصها - لاحتجاز هؤلاء الأشخاص وترحيلهم فى النهاية، حتى لو كانوا متزوجين من مواطنين أمريكيين، إن الأغراب هم عادة الذين يشجبون انتهاك حقوق الإنسان فى بلدهم الأصلى ويهربون من التعذيب وغيره من أنواع العقاب من قبل حكوماتهم، التى قد تمارس ضغطا على واشنطن لتصمت وتعيدهم بتقديم أدلة مشكوك فيها.

ويتم رفض دخول كثيرين إلى الولايات المتحدة لأنهم يفتقرون إلى الوثائق السليمة، فى حين أن الكثيرين فى الواقع يهربون من بلادهم بأوراق مزورة، وحتى ١٩٩٩ كانت وكالة الأمن القومى تحتجز ما يزيد على ١٠ آلاف طالب للجوء، وفى شباط / فبراير من ذلك العام، دعا ممثل المفوض السامى لشئون اللاجئين فى واشنطن الولايات المتحدة لوقف احتجاز هؤلاء الأشخاص، وربما يعتبر كثيرون منهم سجناء سياسيين.

يمضى نحو ما يزيد على ١٠ آلاف من عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالى وقتهم يحثون الناس على الإنترنت على دعارة الأطفال كما يستعينون بشواذ يدعون فى الاتصال المباشر على الشبكة أنهم فتيات فى سن الثالثة عشر من العمر لإغراء الرجال على تحديد مواعيد، وعندما يظهر هؤلاء يجرى اعتقالهم.

إن كثيرين من الأجانب الموجودين بصورة قانونية فى الولايات المتحدة ملقى بهم فى السجون متهمين بجريمة ما، بدون إخطار قنصل بلدهم، وبدون إخبار هؤلاء السجناء بأن لهم حق الاتصال بالقنصل، والبعض منهم ينتظر فى طابور الموت.

وتخضع إدارة الضرائب التى تعمل باعتبارها القاضى والمحلف والجلاد دافعى الضرائب لعمليات تحصيل تشبه الكابوس، وتأمرهم بدفع ضرائب غير مستحقة عليهم وتتقاعس عن خصم مدفوعات سددوها، وتستولى على سياراتهم وحساباتهم المصرفية، وتبالغ فى العقوبات الضريبية للوفاء بالحصص المحددة مكتبيا، وتحيل حياة الناس بصفة عامة إلى دمار وخراب، وتتم عمليات المداهمة للمراجعة لشخص ما لأنه ضايق شخصا ما فى مركز عال جدا فى الحكومة.

تدفع جوائز مالية للطلاب الذين يبلغون عن أن زملاءهم يدخنون، يشربون الكحول، يستخدمون المخدرات أو ينتهكون غير ذلك من قواعد المدرسة.

تعلم وكالة مكافحة المخدرات وغيرها من برامج محاربة المخدرات التى تتخذ من مقر المدارس مكانا لها، الأطفال بأن يبلغوا عما إذا كان آباؤهم يتعاطون الماريجوانا وغيرها من المخدرات.

وقد حث عمدة نيويورك المواطنين على التقاط صور للأشخاص الذين يذهبون لمحلات الفيديو الجنسية أو لبارات العراة.

يتم الحكم على مرتكبى جرائم المخدرات للمرة الأولى، الذين لا يحملون سلاحا بما فى ذلك كثيرون كانوا مجرد سعاة لنقلها أو لعبوا دورا هامشيا فى تهريب المخدرات، وغيرهم ممن ليس لهم سجل من العنف أو التورط

فى أنشطة إجرامية متطورة، بمدد طويلة جدا بالسجن، دون أية فرصة للعفو.

وبموجب قانون " الضربات الثلاث "، يحكم على الناس بمدد تصل إلى السجن مدى الحياة من أجل سرقة صغيرة، بالرغم من حقيقة أن قانون الضربات الثلاث كان مكرسا للجرائم العنيفة.

إن نظام هيئة المحلفين الكبرى يندفع فى طريقه كالمجنون لقتل كل من يصادفه. ومن الناحية العملية، فإن كل القضايا الفيدرالية التى استخدمته تحصل على إدانة، إذ لا يحضر فيه لا المتهم ولا محاميه، ومن ثم لايستطيعان مواجهة من يوجه التهم. إن النظام يستخدم كأداة للإرهاب ، فالأقارب يشهدون ضد بعضهم البعض دون الاستفادة من ميزة السرية المتعلقة بأعضاء الأسرة سوى الزوج والزوجة : فالآباء يطلبون للشهادة ضد أبنائهم، والأبناء ضد آبائهم، والأشقاء ضد شقيقاتهم. وهى تفتقر إلى الإجراءات السليمة. إنها أداة سرية أخرى لتوسيع سلطة الفرع التنفيذى.

إن الذين يريدون أن يقوموا بتجارب على عقولهم فى سرية فى منازلهم، وهؤلاء الذين يسعون إلى بلوغ حالة التسامى والنرفانا، تعاقبهم الدولة على خطيئتهم، ويحكم على الشبان بما يصل إلى ٢٠ سنة سجنا لامتلاك ما يقل عن جرام من عقار ال اس دى، دون أن يقوم أى دليل على أنهم ألحقوا الأذى بأى شخص آخر.

تتهم هيئة مراقبة حقوق الإنسان " هيومان رايتس ووتش " حكومات الولايات – مثلما فعلت فى نيويورك – بانتهاك القانون الدولى بالحكم على المتعاملين فى المخدرات بمدد مماثلة للمتهمين الذين يرتكبون جرائم عنف، إن شخصا يدان فى نيويورك ببيع أوقيتين من الكوكايين يحصل على حكم إلزامى مدته ١٥ سنة، وهى نفس العقوبة التى توقع على القاتل.

ينضم مزيد من الولايات إلى نوبة إعلان أسماء وعناوين وسير (ويصطحب ذلك بملعومات خاطئة ضارة) وصور المدانين لجرائم جنسية لباقى

حياتهم، وتطرد هؤلاء الناس من أحيائهم ومن وظائفهم، ويتم القيام بهذا بغض النظر عما إذا كان الرأى العام يعتبر مسبقا أن المتهمين بجرائم جنسية لا يمكن إصلاحهم، وبغض النظر مما إذا كانوا يخضعون للعلاج أم لا.

تم استبعاد مئات من الكتب المدرسية من المقرر الدراسى بسبب شكاوى قدمها الآباء والمجموعات الدينية وغيرهم، كما تتعرض الكتب فى المكتبات العامة للهجوم، وهى كتب لا يفرض على أى إنسان قراءتها، كالروايات المشهورة وغير المشهورة وعدد لا يحصى من كتب التاريخ والدراسات الاجتماعية والجغرافيا وحتى الاقتصاد، كما يتم استهداف الصحف المدرسية، ومواد المقرر الدراسى الأخرى، والموسيقى والفن.

يحرم الأشخاص الذين يريدون إنهاء حياتهم بكرامة وبأقل قدر من المعاناة من الحصول على مساعدة طبيب، بواسطة الهيئات التشريعية للولايات والكنيسة الكاثوليكية ومجموعات المواطنين. ففي أوريجون - وبعد السماح بالانتحار بمساعدة طبيب عقب استفتاء وافق فيه ٦٠ فى المائة على ذلك - حذرت وكالة إنفاذ القانون الأطباء بأن من يساعد شخصا على الانتحار يخاطر بأن يفقد رخصته في كتابة الروشتات، وسواء نفذ ذلك أم لم ينفذ، فإن التهديد سيكون له أثره.

يحرم كثيرون من الأشخاص الذين يمكن أن يخفف عنهم استخدام الماريجوانا أعراضا مرضية مروعة من الحق القانونى فى ذلك، وفى الولايات التى أقر فيها المقترعون مبادرات تشرع الاستخدام الطبى للماريجوانا تثير السلطات العراقيل لجعل ممارسة ذلك أمرا صعبا بقدر ما تستطيع. وفى منطقة واشنطن العاصمة، ألغى الكونجرس عمليا سريان مثل هذا الاستفتاء.

يحرم مرضى السرطان الذين يعانون آلاما مروعة من الحصول على ما يكفى من المورفين لتخفيف معاناتهم لأن " الحرب على المخدرات " حرمت على الأطباء كتابة روشتات بالقدر الكافى منه.

يتم وضع أناس كثيرين فى طابور الموت بتنفيذ حكم الإعدام، والبعض منهم - إن كانوا محظوظين - سينضمون إلى ٧٥ رجلا وامرأة تم إخراجهم من طابور الموت بين ١٩٧٦ و ١٩٩٨، فقد نقضت قضاياهم بعد أن تبين أنهم أبرياء.

تستخدم مئات من المدن فرقا مدربة على أسلحة وتاكتيكات خاصة، استنادا إلى نماذج عمليات عسكرية خاصة، وتعلن أنها ضرب من " الحرب " على الجريمة، وهذه الفرق المتأهبة لإرهاب العدو (المواطنين) بمدافع هجومية آلية ودبابات وأجهزة إطلاق القنابل، تستدعى حتى فى الأوضاع التى لا تمثل أزمة ، وتختار ضاحية ما، وتنقض على أركان الشوارع، وتجبر المشاة على الاستلقاء أرضا وتفتشهم، وتلتقط صورا وتدخل كل ذلك فى قاعدة بيانات الوكالة من محطات طرفية للكومبيوتر فى كل سيارة دورية، وفى أثناء قيامهم بهذه التدريبات، فإنهم لا يتعرضون لأصحاب الثروات المحظوظين.

استبعدت الشرطة السرية مناضلا معروفا، لكنه لا يلجأ للعنف، ويعد خصما للرئيس من مقعده فى المكان الذى كان الرئيس سيلقى فيه خطابا، ثم أطلق سراحه بعد إلقاء الخطاب.

إن المدعى عليهم والسجناء الذين يحضرون جلسات فى المحاكم ولا يراعون وضعهم، يتعرضون لصدمات قوتها ٥٠ ألف فولت بآلة تعذيب تسمى حزام الأمن الإليكترونى.

إن الشباب الذين يلتحقون " بالخدمة الانتقائية "، يعرضون أنفسهم للتجنيد فى حرب تدور مستقبلا خاصة " بالأمن الوطنى " مثلما تحددها الحكومة وحدها ولا تقبل فى ذلك أى حجج معارضة، والتقاعس عن الالتحاق يعاقب عليه بغرامة كبيرة، بالسجن أو الخسارة الدائمة لجميع المعونات المالية الفيدرالية وفرص العمل.

ويتعرض الملتحقون فعلا بالخدمة على أيدى المؤسسة العسكرية لعملية تهدف إلى تحطيم نفوزهم عميق الجذور من قتل الناس الذين لا يعرفونهم

ولا يكرهونهم، وذلك لجعلهم مستعدين للمخاطرة بحياتهم فى القتال فى إحدى حروب " الأمن الوطنى " هذه، التى لا يفهمون الغرض منها على الإطلاق (أو ربما يفهمونها جيدا فقط). ويتم إجبارهم - فى ظل التهديد بالمحاكمة العسكرية والتسريح والترحيل إن لم يكن مواطنا وفى انتهاك لحقوق الإنسان والمعايير الدولية - على تناول عقاقير وطعوم لتجربتها، رغم أن آثارها على الصحة غير معروفة.

يحرم الأغراب من المواطنة لرفضهم الموافقة على حمل السلاح دفاعا عن الولايات المتحدة بسبب معتقداتهم السلامية، وهو سبب غير مقبول فى إدارة الأمن القومى، التى تصر أن يكون ذلك لأسباب دينية.

ولكى يتأهل المواطن للاستفادة من الاعتراض على أساس الضمير، فإن ذلك يعنى معارضة الاشتراك فى كل الحروب، ولا يكون ذلك اعتراضا انتقائيا لحرب معينة، مهما بدت منفردة للشخص، (تم حبس طبيبة من كانساس، كانت برتبة نقيب فى الجيش رفضت الخدمة فى حرب الخليج مصرة على أنها " كارثة صحية عامة "، فى سجن عسكرى لمدة ثمانية شهور، وسعت السلطات الطبية فى كانساس لإلغاء تصريحها الطبى).

إن مختلف فرق الأمن المتعددة وكل أنواع رعاة البقر الرسميين، الذين يرتدون أطقما سوداء والأقنعة وما إلى ذلك، ويشكلون جمهورا حاشدا مسلحا وغوغائيا من العملاء الذين يتصايحون ويتوعدون، فى حين تحوم طائرات الهليكوبتر أعلاهم، يحطمون الأبواب، ويغيرون على الناس فى بيوتهم، ويحطمون الأثاث، ويضربون قاطنيها، ويكبلون أيديهم، ويعاملون بخشونة النساء الحوامل، ويروعون الأطفال، ويفصلونهم عن آبائهم، ويطلقون النار على الناس فيقتلوهم، ويبحثون عن المخدرات أو أشخاص غير موجودين عادة ، ذلك هو الجهاد الذى يترتب على مجرد إلماع من واش.

إن وفرة من الصيادين المسلحين - والذين تقف وراءهم قوة القانون - يشرعون بطريقة مماثلة فى خطف شخص ما، وأحيانا قتل شخص ما، وأحيانا يكون " الشخص الخطأ ".

كما تم غزو مرافق من يتولون تشغيل إذاعات " القرصنة " بعملاء من هيئة الإذاعة والمارشالات الفيدراليين وفرق الأسلحة والتاكتيكات الخاصة، وعملاء الجمارك والشرطة المحلية التى تضم قوة هجوم.

إن أعمال السخرة آخذة فى الازدهار، فالناس مجبرون على العمل مقابل منح الرفاهية، دون أى احتمال لحصولهم على وظيفة حقيقية، وأحيانا بأجور تقل عن الحد الأدنى، أو بدون أى أجر على الإطلاق، ويحكم على المتهمين المدانين " بخدمة المجتمع "، ويضطر من يعترضون بوازع من ضميرهم إلى القيام بخدمة بديلة، لفترة أطول من فترة الخدمة العسكرية، وبذلك يعاقبون على مراعاة ضميرهم، ويحرم النزلاء من مزايا معينة إذا رفضوا العمل فى السجون، وكثيرون منهم ينتجون من أجل الشركات الخاصة التى تدفع لهم أجورا حقيرة، بدون مزايا أو حماية نقابية. (فى بعض الأحيان يتم تصدير السلعة المصنوعة فى السجون، وهو تماما ما تدين الولايات المتحدة الصين بسببه).

تراقب السفارات الأمريكية فى الخارج مسافرين أمريكيين مختارين، يتم تحديدهم بجهد مشترك من مكتب التحقيقات الفيدرالى ومكتب الجوازات فى وزارة الخارجية.

إن إدارة الأمن القومى ودوريات الحدود الأمريكية على الحدود المكسيكية يقتلان أعدادا كبيرة من الراغبين فى أن يكونوا مهاجرين أو يسيئان معاملتهم جسديا، وفى مراكز الإدارة فى كل أنحاء البلاد، يتم احتجاز ٣ آلاف من المهاجرين فى ظروف غير إنسانية، بما فى ذلك دفع أدمغتهم فى المراحيض، وإجبارهم على تعاطى المخدرات وجعلهم يجثون على ركبهم عرايا ويغنون أغنية " أمريكا نمرة واحد ".

يجبر المهاجرون فى السجون على أن يرددوا " أمريكا نمرة واحد " وهم يسيرون والحراس ينخسونهم ويركلونهم.

تحتفظ إدارة الأمن بصورة قانونية بملفات لمستخدمى الوكالات الاجتماعية الذين يعملون مع المهاجرين الذين لا يحوزون وثائق، ويجد المحامون

وغيرهم ممن يعملون لصالح ضحايا سوء المعاملة أنه من المستحيل تقريبا تقـديم شكوى والحـصـول على رد من الإدارة أو دوريات الحـدود، ويتم استبعاد وسائل الإعلام ومجموعات حقوق الإنسان عمليا.

يتم بوحشية سحق المظاهرات ضد مراكز الاحتجاز وممارسات إدارة الأمن الأخرى فى لوس انجلس بواسطة كتيبة من القوات المسلحة الفيدرالية والاتحادية ، سرايا مكافحة الشغب، الوحدات الراكبة، وعملاء إدارة المخدرات ووحدات كوماندو الإدارة، ومدافع المياه، والغاز المسيل للدموع ، ويصاب عدد كبير من المعترضين ويجرى اعتقالهم، ويتم ترحيل بعض ممن لا يملكون وثائق سليمة مباشرة من قسم الشرطة.

ينتظر المتهمون المعزولون فى السجن شهورا طويلة قبل أن تعين لهم المحكمة محاميا، ثم يعانون انتظارا آخرا قبل أن تتاح لهم فرصة الحديث إلى المحامى.

إن فكرة الكفالة تتآكل سريعا، لقد تربينا على الاعتقاد بأنه ينبغى تقديم كفالة معقولة فى غير الجرائم الكبيرة، ولدينا تاريخ طويل فى عدم احتجاز الناس فى الحبس إلى أن تثبت إدانتهم، لكن ذلك لم يعد صحيحا، وندعو المفهوم الجديد " الحبس الوقائى ".

يتم الحكم على المواطنين بمدد طويلة بصورة غير عادية، أحيانا لمدى الحياة، لتقديم معلومات، وأحيانا لمجرد محاولة ذلك، لبلد ليس اسمه الولايات المتحدة. إن الإفصاح عن المعلومات المتوافرة علانية بالفعل فى بعض الحالات، أو التى نزعت عنها السرية قبل الاعتقال، لا يشكل عادة أى ضرر للولايات المتحدة، ولا لأى شخص آخر على سطح الأرض، فيما عدا أن نقلها لبلد غريب يثير حساسيات الذين يلعبون من الناحية المهنية لعبة الأسرار، لعبة الوطنيين ولعبة الأعداء، إن هؤلاء اللاعبين المحترمين مغرمون بإعلان أن " الخيانة " قد سببت " ضررا لا يمكن إصلاحه " أو " دمارا لا يمكن حسابه " للأمن القومى الأمريكى، وفى بعض الأحوال، تكون المعلومات قد نقلت لمكتب التحقيقات الفيدرالى، فى عملية تضليل، ومع ذلك فإن الشخص المضلل يتم إبعاده عدة عقود.

تنهمك الحكومة الفيدرالية في خلق وثائق جديدة، بمعدل يبلغ نحو خمسة ملايين وثيقة في العام، لا تتوافر للمواطنين العاديين في الجمهورية لأنها مختومة بكلمات مثل " سرى "، " سرى جدا "، " لأجهزة الأمن فقط ".

يعانى العاملون في وزارة الدفاع " في المنطقة ٥١ "، في صحراء نيفادا ويموتون من استنشاق الكيماويات السامة التي تنتج عن إحراق نفايات خطرة في حفر مفتوحة ضخمة، وهم يعانون آلاما وأمراضا شديدة ودائمة في الجهاز التنفسي ، ومن السرطان، وآلام الأحشاء الداخلية، وقشور وبثور قبيحة الشكل، وجلد مشقق وينزف " وأنسجة مملوءة بالسميات الصناعية التي نادرا ما تشاهد لدى البشر "، ولكن نظرا للسرية الفائقة التي تحيط المنطقة ٥١، فإنهم لا يستطيعون الحصول على معلومات عن الكيماويات التي تعرضوا لها بغية الحصول على العلاج الطبي الملائم، ولا يستطيعون المطالبة بالتعويض الذي يحصل عليه العاملون بسبب إصابة العمل لأن المنطقة ٥١ لا يمكن فحصها وإجراء تحقيق بشأنها، ولا يخضع المكان لأى قانون معروف، إلا قانون الأمن القومي.

يقتحم ضباط يرتدون سترات رسمية سوداء، وأحذية سوداء عالية، وعلى رءوسهم بيريهات سوداء ولا يحملون رقاعا عليها أسماؤهم، بدون إنذار سجن ما، ويجرون المساجين ـ بعضهم بدون ملابس ـ من أسرتهم، ويقيدونهم بالأصفاد ويضربونهم، ويقفزون على ظهورهم، ويتم خبط رءوس النزلاء بالحيطان، وتسمع أصوات تحطم تبعث على القشعريرة والمرض، ويصرخ السجناء ويلطخ الدم الحيطان والأرض، كل ذلك لإثبات أن مفوض التقويم لا " يدلل " السجناء.

تتبين هيئة مراقبة حقوق الإنسان وغيرها من الهيئات أن الولايات المتحدة تنتهك المادة ١٠ من الاتفاقية الدولية المعنية بالحقوق المدنية والسياسية، التي صادقت عليها الولايات المتحدة في ١٩٩٢، والتي تطالب " بمعاملة " كل السجناء والمحبوسين " بإنسانية واحترام لكرامتهم اللصيقة بالإنسان". (في السنة المالية ١٩٩٩، كان هناك ٢٣٢٤ دعوى باستخدام الوحشية ضد

هيئات الأمن، التى تقتل شخصا ما كل ١٠ أيام فى المتوسط، عادة لا يكون مسلحا، وأحيانا يكون مكبلا، أو فى السجن، ولا يتعرض ضباط الشرطة المتهمون بمثل هذه الأعمال للعقاب، بل تتم ترقية البعض منهم فيما بعد).

إنك تمارس حريتك الثمينة فى الاقتراع فى حين أن المرشحين الوحيدين المعروضين أمامك والذين تتوافر لهم فرص الفوز هم الذين تمكنهم إيديولوجياتهم من جمع نحو نصف مليون دولار للمنافسة على مقعد فى مجلس النواب، ونحو خمسة ملايين دولار لمجلس الشيوخ، ونحو مائة مليون للبيت الأبيض. أو أن يكون المرشحون أنفسهم من أصحاب الملايين العديدة، وهو أمر آخذ فى الازدياد.

وفى كاليفورنيا يتم استيقاف المراهقين والتحرش بهم وتصويرهم واستجوابهم من قبل الشرطة لمجرد أن ملابسهم لها هيئة العصابات أو لها ألوانها.

وفى الصباح الباكر، ينقض نواب الشريف على منازل آباء المشتبه فى أن أبناءهم أعضاء فى عصابات، ويحذرونهم من أنهم إذا لم يتولوا مسئولية أبنائهم، فقد يواجهون تهما جنائية، بل والسجن.

ومثلما هو الحال فى ديترويت ونيويورك وفيلادلفيا ولوس انجلس وانديانا بوليس فى السنوات الأخيرة، تبدى الشرطة فى المدن الكبيرة مستوى لافتا للنظر من الاحتقار لقوانين البلاد : يقدمون معلومات زائفة للمحاكم لضمان الحصول على أذون تفتيش، أو يتصرفون دون الحصول على أذون، ويرتكبون الحلف كذبا على المنصة، ويسمحون باستخدام اختبارات المخدرات الفاسدة فى القضايا الجنائية، ويشنون غارات للبحث عن المخدرات لسرقتها هى والنقود والأسلحة وغيرها من الأشياء القيمة، ويأخذون الأموال والمخدرات من التجار مقابل منحهم حصانة، ويسرقون الناس ويضربونهم فى الشوارع الواقعة فى دوائرهم.

ويبدو نفس الاحتقار لحقوق الأفراد في عديد من بعثات البحث والتدمير التى يقومون بها ضد البيوت الخاصة : يستخدمون طلقات خاصة تطلق من بنادق " محطمة المغاليق " لنسف الأبواب من مفصلاتها، أو ينسفون أقفال الأبواب، ويقذفون " بقنابل يدوية تطلق فرقعة وضوءا خاطفا للأبصار وتحدث انفجارات لترويع الناس وجعلهم يفقدون الاتجاه، ويفتشون السكان بصورة غير قانونية، ويهددونهم ببنادقهم، ويطلقون طلقات على الناس بدون سبب، ويقتلون الناس، ويدسون المخدرات أو أدلة زائفة على الأبرياء ويعتقلونهم، ويتلاعبون بالأدلة، ويجبرون الناس على الخروج وهم عرايا تقريبا، ويقدمون تقارير اعتقال زائفة، وأحيانا لا يوجهون أى تهم بعد كل هذا، ويهاجمون أو يهددون الأشخاص الذين يقدمون شكاوى ضدهم.

أضيفت قضايا جديدة إلى قضايا أكثر من ٦٠ ألف شخص يقاضون مدينة نيويورك بسبب تفتيشهم بخلع ملابسهم بعد اعتقالهم فى جنح صغيرة.

تستخدم شركات العلاقات العامة ـ التى تستأجرها المؤسسات الكبيرة واتحادات مشروعات الأعمال ـ محامين ومخبرين وجواسيس تدفع لهم أجورا باهظة وحملات " جماهيرية " صاخبة للتأثير على وسائل الإعلام والرأى العام ضد النشطاء فى مجال قضايا الغذاء والبيئة وغيرهم والمؤلفين الذين يمثلون تهديدا لأحد زبائنها من أصحاب المصالح الخاصة، فى محاولة لجعل النشطاء يبدون سفهاء إن لم يكونوا مجرمين، وهم يحاولون ممارسة حقوقهم السياسية.

ألغت محطة ان بى سى حديثا لأحد النشطاء المعارضين للأسلحة النووية لأنه انتقد شركة جنرال اليكتريك التى تملك الشبكة ولم ترحب شبكة سى بى اس بأحد النشطاء فى مجال الأسلحة النووية، وبمؤلف، أو معارض للنفقات العسكرية، لأنها مملوكة لشركة وستنجهاوس لأنه هاجمها، فى حين يجد آخرون أبواب محطة ايه بى سى مغلقة أمامهم لأنه عاملوا مجمع ديزنى بغير الاحترام اللائق، والشئ نفسه فى السى إن إن، المملوكة لأخطبوط شركات اول ـ تايم ـ وارنر، فى حين يزيد المعلنون من تأثيرهم

على مضمون القصص الإخبارية (مثلما كتب أ. ج. ليبلنج : " إذا أردت حرية الصحافة فعليك أن تتملكها ").

وخلال غزو أمريكى جديد للخارج، قيدت وسائل الإعلام بشدة بشأن ما يمكن أن تبلغ به الشعب الأمريكى عن الحرب، وتتم مطالبة المراسلين بتقديم ما يكتبونه لرقيب البنتاجون، ويؤمرون بالمكان الذى يستطيعون الذهاب إليه، وبما يمكنهم تصويره، ومن يستطيعون إجراء لقاءات معه؛ ومن لا يستجيبون للتعليمات يتم نقلهم بضغط من البنتاجون على أرباب عملهم.

ينشر مكتب التحقيقات الفيدرالى إعلانات فى الصحف الناطقة باللغتين الفيتنامية والروسية الصادرة فى الولايات المتحدة تطالب المهاجرين بأن يبلغوا عمن يشتبهون فى أنهم جواسيس بين صفوفهم.

يقوم مسئولو السجون سرا بتسجيل اعترافات نزلاء السجون المقدسة للقسس الكاثوليك، وتتم قراءة البريد الشخصى للنزلاء الذين ينتظرون المحاكمة.

يزور مكتب التحقيقات الفيدرالى الصور الفوتوغرافية المستخدمة فى المحاكمات، ويصطنع معمل الجريمة أدلة معيبة علميا ومضللة أو محرفة مستفيدا من القضية التى يرفعها المدعى العام ضد المتهم، بل ويسمح باتهام قاض بناء على أدلة مزيفة، ويقوم موظفو المكتب بتدمير وإتلاف تقارير داخلية حاسمة بالنسبة لعمل المكتب فى قضية معينة ولا يفصحون عن وجوده لوكلاء النيابة أو لمحامى الدفاع، أو يسمح المكتب بشهادة " خبير " غير دقيقة و/ أو غير كاملة خلال إجراءات المحاكمة، وتحريفها بطريقة تُجرّم المتهم ، وقد تمت مضايقة وإيقاف أحد عملاء المكتب المخضرمين قام بفضح ما يجرى.

يتم جمع وتخزين التقارير الطبية التى تحوى أكثر المعلومات الشخصية خصوصية فى بنوك المعلومات التى تحتفظ بها شبكات المستشفيات، وشركات الأدوية وشركات التأمين، وتمارس هذه المنظمات ضغطا متزايدا

على الأطباء والمعالجين للكشف عن معلومات عن مرضاهم، وتطالب الشركات المتقدمين للوظائف بأن يعطوها الحق كاملا فى سجلاتهم الطبية، وتتزايد فرص وكالات إنفاذ القانون ووكالات الأمن الأخرى فى الحصول على هذه المعلومات. ويتم تسويق المعلومات الشخصية لروشتات الأدوية.

تقيم الشرطة المزيد والمزيد من الكاميرات لملاحظة المواطنين فى الشوارع العامة.

يتم إيقاف الطلاب من قبل مدارسهم لرفضهم الوقوف للعلم الأمريكى أو ترديد " التعهد بالولاء للدولة "، أو لشئ كتبوه فى صحيفة المدرسة أو فى صفحاتهم الشخصية المنزلية على الكومبيوتر.

ترسل وكالة الأمن القومى رسائل إلى المهاجرين الذين تقدموا لإضفاء وضع قانونى على وضعهم، وتطلب هذه الرسائل من المهاجرين أن يأتوا إلى المبنى الفيدرالى، وجلب بطاقات الهوية، لتعطيهم الوكالة تصريح عمل صالح لمدة عام، وعندما يصل المهاجر إلى المكتب، يتم فورا اعتقاله وترحيله.

توقف الشرطة السيارات على الطرق، وتسرق النقود وغيرها من الأشياء القيمة من المسافرين، أو تأخذ رشاوى للامتناع عن إجراء عمليات قبض (مزيفة).

ويفتش ضباط الشرطة - المسلحون حاليا بحكم للمحكمة العليا - ممتلكات الركاب فى السيارات لمجرد اشتباههم فى أن السائق فعل شيئا خاطئا.

تصادر سرايا مكافحة الرذيلة السرية، التى يرتدى أفرادها أقنعة سوداء، مئات النسخ من صحف المراهقين من ماكينات بيعها.

يقوم مسئولو الجمارك فى هذه المدينة أو تلك بمصادرة نسخ صحيفة جراما الكوبية، وتصادر الجمارك أجهزة الفيديو التى تؤخذ للعراق من المواطنين الأمريكيين العائدين منه.

يذبل المرضى العقليون فى السجون فى كل أنحاء البلاد ويذوون لعدم تلقى أى علاج ويعانون عادة من سوء معاملة بدنية وجنسية من النزلاء الآخرين والحراس.

يتم تعقيم وإخصاء بعض الأشخاص الذين حكم بأنهم مرضى عقليون أو متأخرون أو الذين يعتبرون " غير متوافقين " بطريقة أو بأخرى بدون معرفتهم فى أركان منعزلة فى مختلفة مؤسسات الدولة.

يقوم عملاء وكالة إنفاذ القانون وغيرهم من عملاء الاتحاد والولايات والشرطة بمصادرة البيوت والقوارب والعربات والطائرات والأثاث والحسابات المصرفية وغيرها من الأصول المملوكة لأشخاص يشتبه فى تورطهم فى تجارة المخدرات، أو المملوكة لأزواجهم، عادة بدون إدانة، وسواء كانت الأصول المصادرة مرتبطة بالجريمة أو لا، وفى أحد الولايات، فقد شخص بيته وعمله لأنه باع جرامين من الكوكايين، وفى ولاية أخرى تتم مصادرة سيارات كثيرة من محال بيع السيارات الجديدة للتقاعس عن الإبلاغ عن المعاملات النقدية التى تزيد على ١٠ آلاف دولار، وفى مكان آخر جردت جدة عمرها ٧٥ عاما من منزلها بسبب ذنوب ارتكبها ابنها الهارب الذى كان يتاجر فى المخدرات.

وتبيع الوكالات الحكومية هذه الأصول وتستخدم عائدها فى أى شئ من سيارات الدورية إلى إقامة الحفلات، وفى مرات تكون القيمة المتوقعة للأشياء المصادرة عاملا محددا لمن تتم الإغارة عليه، وتدس الشرطة بصورة روتينية المخدرات وتزور تقارير الشرطة لإقامة قضية محتملة بالنسبة للمضبوطات النقدية، وتتم مساومات فى القضايا تحابى عادة أساطين المخدرات الذين يرغبون فى التنازل عن أصولهم، وتعاقب " البغال " التى تتولى النقل والتى ليس لديها ما تبادله، وحتى مطلع ١٩٩٩، كان هناك ٢٫٧ مليار دولار فى " صندوق مصادرة الأصول " الحكومى وحده.

يفقد مفهوم الفرص المتساوية فى الحصول على العلاج القانونى والعدل قيمته كل يوم بعد عقد من التخفيضات الحكومية العميقة لبرنامج المعونة

القانونية، مما يسلب الفقراء مما يشكل عادة دفاعهم الوحيد ضد ملاك المنازل، ومدبرى الإفلاس، والزوجات المتواطئات، وغلق رهن البيوت، وغش المستهلك وكثير غير ذلك من المآزق القانونية.

يتم طرد الأشخاص الذين يذهبون لأقسام الشرطة لتقديم شكاوى ضد الضباط ويعاملون بجفاء.

تقوم شرطة لوس انجلس بغارات كوماندو قبل الفجر على أكثر من ١٠٠ بيت فى حملة صيد للأشخاص والمهربات، ولا يغل ذلك الكثير سوى حشود من سكانها الذين تم ترويعهم وإزعاجهم.

فى مدن كثيرة، يتم تجميع المشردين فى متنزهات ومواقع أخرى يفترض أنها مفتوحة للجمهور ويؤخذون إلى أماكن لا تقع فيها أعين المواطنين المحترمين، خاصة السياح عليهم.

يتم اعتقال الأشخاص الذين يجيئون بالطعام إلى المشردين فى المتنزهات، ويتهمون بتقديم طعام دون إذن، وانتهاك الحرمة والتعدى أو أى شئ آخر يمكن للسلطات أن تفكر فيه، وتتم مصادرة معدات الطهى والمركبات.

أوقعت عمليات التوريط التى قام بها مكتب التحقيقات الفيدرالى فى واشنطن العاصمة وفى أماكن أخرى فى حبائلها ضباط شرطة بأن قدمت لهم رشاوى لحماية من يفترض أنهم ناقلون للمخدرات، مما أسفر عن الحكم على الضباط بما يصل إلى ٥٥ سنة سجنا دون إمكان الحصول على عفو- وهو حكم بالسجن مدى الحياة حقا.

وفى ولايات كثيرة، يتم إيقاف رخص القيادة لآلاف من الأشخاص لمدة ستة شهور لأى إدانة تتعلق بالمخدرات سواء كانت جرائمهم تتعلق بتشغيل مركبة آلية أم لا. وفى بعض المواقع، يحرم الطلاب من رخصة القيادة لأن درجاتهم أو سجلات انتظامهم فى المدرسة ليست جيدة بالقدر الكافى.

يتم التحرش بأفراد كثيرين أو اعتقالهم بسبب " إنذار إيجابى " من كلب من كلاب تشمم المخدرات رغم أن دوائر إنفاذ القانون والدوائر العلمية

تعرف من سنوات كثيرة بأن العملة الأمريكية بها قدر من الكوكايين أو غيره من المخدرات ملتصق بها، ففي لوس انجلس وجد أن ما يزيد على ٧٥ فى المائة من كل النقود الورقية المتداولة ملوثة.

- تقع عدة حالات أخرى من وحشية الشرطة المتطرفة مثل حالة رودنى كنج فى لوس انجلس وابنر لويما فى بروكلين، لكن ليس هناك أى كاميرات فيديو أو شهود يلاحظون، أو أن الضحية يموت ويعتبر موته حادثا أو نوبة قلبية.
- أن المسئول العام الذى يشكك فى الحرب على المخدرات يدفع ثمنا مروعا، مثل الجراحة العامة جوسلين الدرز الذى حكم على ابنها بعشر سنوات سجن لبيع ثمن أوقية من الكوكايين لضابط شرطة متخفى، وقد تم اعتقاله بعد البيع بخمسة أشهر، بإذن صدر بعد أسبوع من اقتراح أمه أن تدرس الحكومة تشريع المخدرات.
- ثم هناك شئ اسمه الواكو وتلك كلمة دارجة تعنى الحماقة والسفه.

وهذه هى أيام الأنباء الطيبة

لم تعد السلطات تستطيع أن تدعى أن لها عذرا فى سلوكها يتمثل فى تهديد الراديكاليين المناوئين لحرب فيتنام أو من حركة لحقوق الإنسان. لقد أصبح حزب الفهود السود تاريخا ماضيا، مثله مثل المؤامرة الشيوعية الدولية المزعومة، لقد انتهت الصراعات والنضال فى أمريكا الوسطى. وأثبت ادجار هوفر فى نهاية المطاف أن لديه شيئا مشتركا يربطه بباقى البشر، هو أنه مات.

ومع ذلك، فمن ١٩٩١ إلى ١٩٩٩، ارتفع عدد الأشخاص الذين تضمهم السجون بأكثر من ٥٠ فى المائة.

وبدلا من العثور على شيوعى تحت كل سرير، يجدون حاليا حائزا للمخدرات، ومستخدما لها وتاجرا فيها وشاحنا لها أو ناقلا.. وبدلا من امبراطورية الشر السوفيتية، يرون الآن الدول المارقة تقف هناك، الدول الخارجة عن القانون، الدول المنبوذة - أعداء يحتاجون إلى أسماء مضللة - بكتائبها من الإرهابيين، ومؤيدى

الإرهابيين، ومعارف الإرهابيين، ومهربى الأسلحة النووية، وطالبى اللجوء المشكوك فيهم وغيرهم من الأنواع المعادية للأمريكيين والمناقضة للأمريكيين. وبدلا من المحرضين من دعاة الحقوق المدنية، فإن قوة السلطة الماحقة تنكب على أن تفحص عن كثب عصابات الشباب والمهاجرين وأنصار البيئة ومتلقى منافع الرفاهية، والسجناء وحشد من الأقوام الأخرى الذين يفتقرون للقوة السياسية بصورة صارخة.

إن الذى يحول دون صدمة الأمريكيين من جراء تمزيق قانون الحقوق هو أنه لا يزال يتعين عليهم أن يدركوا النتائج سواء بصورة شخصية أو من خلال شخص ما قريب منهم، بيد أنه يبدو أنه ليس عليهم سوى الانتظار. وفى الوقت نفسه، يظل الأجانب المفتونين بأمريكا، جاهلين وهم سعداء بما سبق بيانه ويحتاجون إلى زرع الحقيقة فى وعيهم.

هوامش

تصدير

(١) Duncan Cambell مقال كتبه , *Guardian* (London), December 19.2001

(٢) US Department of Defense, Defense Science Board, The Defense Science Summer Study Task Force on DOD Responses to Transnational Threats, October Board 1997 1997 يمكن العثور عليه في http://www.acq.osd.mil/dsb/trans.pdf :

(٣) New York Times, March1989 , p.16

(٤) Jim Dwyer et al., *Two Seconds Under the World* (New York, 1994), p.196

(٥) Marc W. Herold, "A Dossier on Civilian Victims of United States' Aerial Bombing of Afghanistan: A Comprehensive Accounting", at: http: \\ www.media-alliance.org/mediafile/20-5/casualties12-10.html

(٦) David Rose, "Attackers did not know they were to die", Observer (London) October 14.2001

(٧) Washington Post, October 2.1999

(٨) الاقتباس الأول: Guardian (London) , December 20.2001، p.16 الاقتباس الثاني US Defense Department briefing, November 1.2001

(٩) *New York Times,* October 28.2001,p. B1

(١٠) Milwaukee Journal Sentinel, October 31.2001 , p.10A

(١١) Fox network: "Special Report with Brit Hume", November 5.2001

(١٢) *Washington Post,* November 12.2001, p.C1

(١٣) *Miami Herald,* September 12.2001, p.23

(١٤) ترجم جوست لانج حوار دير شبيجل ويمكن العثور عليه كاملا في Emperors Clothes website: http://emperors-clothes.com/docs/warn.htm

(١٥) Washington Post, December 26.2001, p.16

(١٦) المرجع المذكور ، ٢٢ ديسمبر ٢٠٠١، ص ١٦

(١٧) مقال من روبرت فيسك *Independent* (London), November 14.2001،

(١٨) انظر مثلا Emperor's Clothes website at http://emperors-clothes.com and http:// www.copvcia.com

(١٩) *Frankfurter Allgemeine Zeitung* (Frankfurt, Germany), September14, 2001

(٢٠) مجلة الواشنطن بوست ، ٣٠ ديسمبر ٢٠٠١ ، ص ٢٧, كان الإرهابى جزءا من مجموعة وضعت بالفعل قنبلة فى رحلة لطائرات الخطوط الجوية الفليبينية ، وانفجرت القنبلة ، وقتلت راكبا أجبرت الطائرة على الهبوط الاضطرارى

(٢١) *Washington Post,* November 28.2001, p.14

(٢٢) *The Times* (London), December 27.2001,p.1; Washington Post, December 28, p.8 2001,

(٢٣) *Washington Post,* December 27.2001, p. C2

مقدمة

(١) Senate Committee on Veterans' Affairs, Is *Military Research Hazardous to Veterans' Health? Lessons Spanning Half a Century,* December 8,1994,p.5

(٢) for the estimated Washington Post, October 2 and 23.1996 and July 31.1997 numbers of affected soldiers.

(٣) *Journal of the American Medical Association* , September 1.1999, p.822

(٤) *Washington Post,* October 19.1999 , p.3

(٥) *Is Military Research Hazardous to Veterans' Health?* op. cit., passim

(٦) John Kenneth Knaus, Orphans of the Cold War (New York, 1999),p.312. Knaus was the CIA officer who spoke to the Dalai Lama.

(٧). Le Nouvel Observateur (France), January 15-21,1998,p.76 هناك على الأقل طبعتان من هذه المجلة، وربما باستثناء وحيد فى مكتبة الكونجرس، فإن الطبعة المرسلة للولايات المتحدة أقصر من الطبعة الفرنسية، ولم يدرج الحوار مع بريجنسكى فى الطبعة الأقصر

(٨) *Washington Post,* January 13.1985, p.30

(٩) *New York Times,* March 12.1996 , p.10

(١٠) "60Minutes", May 12.1996

(١١) للإطلاع على النص الكامل من الجزء المعنى من المذكرة أنظر

p.66 (US edition) ، *The Economist* (London), February 18-21

(١٢) *Washington Post,* April 25.1999 , p.28

(١٣) John Judis, "K Street Gore,"The American Prospect, July-August 1999, p.18-21

(١٤) المرجع المذكور

(١٥) Washington Post, June 18.1999. بعد أن أفسد المعترضون مرارا ظهور آل جور أثناء الحملة، استبعدت أمريكا جنوب أفريقيا من قائمة مراقبة العقوبات (المرجع المذكور، ٤ ديسمبر ١٩٩٩، ص ١٨)

(١٦) لقاء مع ريجان في البيت الأبيض، ٢٩ أكتوبر ١٩٨٥، أذيع في ٣٠ أكتوبر

"The World at One", Radio 4, Great Britain

(١٧) *New York Times,* June 13,1999

(١٨) المرجع المذكور، ١٤ فبراير ١٩٩١، ص ١٦

(١٩) An Oriana Fallaci Interview: Otis Pike and the CIA", *New Republic* (Washington," 1976, p.10 DC), April 3,

(٢٠) مأخوذة عن ديفيد مايكل المحرر السابق بالمخابرات

(٢١) حديث في نادى الصحافة القومي، واشنطن العاصمة، ٢٥ يونيو ١٩٩٩

(٢٢) جملة مأخوذة عن نورمان سولومون ناقد وسائل الإعلام

(٢٣) *NPR Morning Edition.* Mara Liasson, June 11,1999

(٢٤) *Washington Post,* March 27.1999

(٢٥) Adolf Hitler, *Mein Kampf* (Houghton Mifflin Co., Boston, 1971;original version Vol. ,1 chapter 10, p.231 (1925

(٢٦) William Blum, " Hiroshima: Needless Slaughter , Useful Terror " , Covert *Action Quarterly* (Washington,DC), # 53 Summer 1995, p.22-25

(٢٧) William Blum, *Killing Hope:* U.S. Military and. CIA Interventions *Since World War* chapter 27 *II* (Common Courage Press, Monroe, Maine, 1995)

(٢٨) New York Times, March 9, 1982, p.1;March 23. 1982, p.1 and 14;The Guardian Post, May 30.1986 (London) November 3,1983,March 92, 1984; Washington

(٢٩) Los Angeles Times, September 2.1991, p.1

(٣٠) *Vital Speeches of the Day,* May 1, 1990, p.421, speech delivered March 23, 1999

(٣١) للإطلاع على ملخصات رائعة وموجزة عن كيف ولماذا خططت أمريكا وحققت سيطرتها العالمية أنظر :

and Noam Chomsky, *What Uncle Sam Really Wants* (Odonian Press, Berkeley, 1992) Michael Parenti, Against Empire (City Lights Books, San Francisco, 1995)

(٣٢) Thomas Hauser, The Execution of Charles Herman (New York , 1978) , p.191.

(كان هورمان أمريكيا قتله العسكرية في شيلي في أعقاب الإنقلاب)

(٣٣) *New York Times,* February 3,1992, p.8

(٣٤) المرجع المذكـور January ,7,1983, p.4; The Guardian (London), December ,6,1986 (first quote) ; Los angeles Times , October 25 , 1989 , p.7 (second quote) , and October 26 .

(٣٥) AIR FORCE Magazine (Arlington, VA), March 1991, p.81

(٣٦) New York Times, March 21, 1999, p.34

(٣٧) Public Papers of the Presidents of the United States (GPO) ,1993,Vol. I , p.1060-1, July 11

(٣٨) The Economist (London), June 4-10 , 1994 , p.40

(٣٩) WashingtonTimes, August 24 .1999, p.1;

(٤٠) the words are those of the newspaper and may be a paraphrase of the original Washington Post, August 28 , 1999,p.3

(٤١) انظر أيضـا Donald Henderson , " Dangerous Fictions about Bioterrorism " , Washington Post, November 8, 1999, p.21; أنظر أيضـا Roni Kruzman, Koppel's Biowar of the"Worlds'", Extra! (Fairness and Accuracy in Reporting, NY), January/February 2000,p.21

(٤٢) *Washington Post,* October 29, 1999,p.14

(٤٣) Atlanta Journal, August 4, 1999,p.1

(٤٤) ashington Post, August 27, 1999

(٤٥) State Department, "Patterns of Global Terrorism, 1998." released April 1999, can be read on their website.

(٤٦) أنظر مـثـلا Tim Weiner, "Military Accused of Lies Over Arms", New York Times, June 28, 1993. p.10; Tim Weiner, Blank Check (New York, 1990) p.42-43, for CIA's inflated figures regarding Soviets ; Anne H . Cahn, " How We Got Oversold on Overkill", Los Angeles Times, July 23, 1993,about a GAO study; Douglas Jehl & Michael Ross, "CIA Nominee Faces Charges He Slanted Data", Los Angeles Times, September 15, 1991,p.1; Arthur Macy Cox, "Why the U.S., Since 1977, Has Been Misperceiving Soviet Military Strength", New York Times, October 20.1980, p.19 (Cox was formerly an official with the State Department and the CIA)

(٤٧) *The Guardian* (London), January 1, 1999

(٤٨) *Washington Post*, October 2,1998

(٤٩) المرجع المذكور ، September 9.1998, p.17

(٥٠) Mencken: In Defense of Women (1920) MacArthur:William Manchester, American Caesar: Douglas MacArthur, 1880-1964 (Dell, New York, 1978) , p.827

(٥١) Jonathan Vankin, *Conspiracies, Cover-ups and Crimes*: Political Manipulation and *Mind Control in America* (New York, 1991), p.120

(٥٢) المرجع المذكور ص ٤٩ , Parenti

(٥٣) "Pentagon's Planning Guidance for the Fiscal Years 19941999".New *York Times*, March 8.1992 , p.14

(٥٤) .United States Space Command: Vision for 202, توجد المقتطفات بنفس التسلسل فى المطبوع قدمه U.S. Space Command, Director of Plans, Peterson AFB, Colorado, August 1997

(٥٥) كيف ر. هول، مساعد وزير القوات الجوية للفضاء ومدير المكتب الوطنى للاستطلاع، فى حديث أمام نادى الفضاء الوطنى، ١٥ سبتمبر ١٩٩٧

(٥٦) الجنرال جوزيف آشى، كان فى ذلك الوقت رئيسا لأركان القيادة الجوية الأمريكية، ذكر فى *Aviation Week and Space Technology* (New York), August 5,1996. p.51

(٥٧) قرار الأمم المتحدة رقم ١٨٨٤، ١٧ أغسطس ١٩٨٤

(٥٨) من مقدمة الدراسة ، ص ٨ ,The Boston Globe، ٢ مارس ١٩٨٨، ص ٥، وهى تحتوى الفقرة الكاملة تقريبا

(٥٩) لمرجع المذكور ص ٨٠ ,Parenti

الفصل ١

(١) *Washington Post*, August 22,1998

(٢) NBC, "T" show, August 22,1998

(٣) *New York Times*, August 22, 1998, p.15

(٤) *Washington Post*, August 9,1998

(٥) The Nation, April 4, 1998

(٦) *Washington Post*, November 6, 1997

(٧) المرجع المذكور، ١٦ نوفمبر ١٩٩٧

(٨) *Public Papers of the Presidents of the United States* (GPO), 1996,Vol. I, p.437

(٩) *The Independent* (London), March 26, 1996 , p.8

(١٠) *Washington Post*, January 23, 1997 , p.1

(١١) Inter Press Service (headquartered in Rome) report from the United Nations, February 21,2000

(١٢) FBI press release. "FBI Policy and Guidelines", Feb. 16, 1999

الفصل ٢

(١) *Washington Post,* March 14,1996

(٢) *Los Angeles Times*, August 4,1996

(٣) *Washington Post,* August 15,1996 , p.32

(٤) Covert Action Information Bulletin (Washington, DC), #64.Spring 1998, p.29-30

(٥) Mary Anne Weaver, The New Yorker, November 13,1995, p.62 and 64

(٦) *Los Angeles Times,* August 2, 1993,p.12

(٧) Mary Anne Weaver, "Blowback", The Atlantic Monthly, May 1996,p.28

(٨) washing ton Post septemvep 6 , 1996

(٩) *Los Angeles Times*, August 6,1996, p.12

(١٠) New York Times, March 8, 1995,p.12; March 9, p.6

(١١) Los Angeles Times, August 4, 1996,p.1

(١٢) المرجع المذكور، ص ١٧

(١٣) Slovo (Russian newspaper), August 27,1999, as reported by CDI Russia (Center for Defense Information, Washington, DC internet list on Russia); Los Angeles Times, August 4, 1996, p.1; New York Times, September 20,1999, p.9

(١٤) *Los Angeles Times,* August 4,1996, p.1

(١٥) *New York Times Magazine*, March 13,1994, p.54

(١٦) المرجع المذكور

(١٧) المرجع المذكور Los Angeles Times, August 2, 1993,p.12

(١٨) *Las Angeles Times*, August 4, 1996

(١٩) المرجع المذكور March 7,1992, p.14 and August 5,1996

(٢٠) المرجع المذكور، أغسطس ١٩٩٦، ص ١

(٢١) Weaver, *Atlantic Monthly, op.* cit.; Los Angeles *Times, August* 6,1996,p.11

(٢٢) *Washington Post*, May 26 , 1996

(٢٣) المرجع المذكور، ٢٨ أغسطس ١٩٩٩، ص ١٤

(٢٤) *Los Angeles Times, August* 4,1996, p.2

الفصل ٣

(١) أعربت منظمة العفو الدولية فى تقرير فى ٧١ يناير ١٩٩٤، معنون " الكويت : ثلاث سنوات من محاكمات غير عادلة " (Al Index: MDE 17/01/1994) أنها "أعربت عن القلق فى أول يوليو ١٩٩٣ من أن محاكمة ١٤ من المتهمين، يواجه ١٢ منهم عقوبة الإعدام، كانوا قد اتهموا بالمشاركة فى محاولة اغتيال مزعومة للرئيس الأمريكي السابق جورج بوش، قصرت عن أن تفي بالمعايير الدولية". وأشار التقرير مرارا إلى استخدام التعذيب من قبل الحكومة الكويتية للمتهمين بالتعاون مع العراقيين المحتلين فى ١٩٩٠ . ويمكن النظر فى هذا السياق إلى الإدانات اللاحقة واعتراف أحد المتهمين.

(٢) See also The Guardian (London), June 29, 1993, p.9 and June 7,1994, p.9 for further discussion of the questions surrounding the arrests and trial.

(٣) *Washington Post*, June 27,1993

(٣) *Sunday Times* (London), July 6,1975 ,p.1. كان ناروت فى ذلك الوقت يعمل فى مستشفى بحرى أمريكى فى نابلى بإيطاليا، وعرض ملاحظاته فى مؤتمر عقد برعاية الناتو فى اوسلو بالنرويج فى الأسبوع السابق.

(٤) The Select Committee to Study Governmental Operations with Respect to Intelligence Activities (US Senate), Interim Report: Alleged Assassination Plots Involving Foreign Leaders, November 20,1975, p.285

(٥) Washington Post, October 5, 1988, summarizes some of Reagan's executive orders

(٦) *Los Angeles Times*, October 14 , 1989, p.16

(٧) William Corson, The Armies of Ignorance (New York, 1977),p.347

الفصل ٤

(١) جزء مما أعلنته وكالة المخابرات المركزية فى ٢٣ مارس ١٩٩٧، من ١٤٠٠ صفحة من الوثائق السرية المتعلقة بانقلاب ١٩٥٤ فى جواتيمالا طوله ٢٠ صفحة.

(٢) واحد من سبع كتيبات من برنامج المساعدات الاستخبارية الخارجية للجيش معنون "المشروع ١٠"،كتب أصلا بالإنجليزية فى منتصف التسعينيات ، وترجم لاحقا للاسبانية، وقدم للمتدربين على أعمال المخابرات الحربية من أمريكا اللاتينية وغيرها من بلدان العالم الثالث، واستخدم أيضا فى مدرسة الأمريكتين، وبقى مستخدما حتى ١٩٩١ على الأقل، وقد نقح البنتاجون فقرات مختلفة فى النصوص الأصلية فى السبعينيات والثمانينيات، وأعلنه البنتاجون للعامة فى ٢٠ سبتمبر ١٩٩٦ .

(٣) هناك سبعة كتيبات أخرى مشار إليها فى الهامش ٢.

(٤) انتر برس سيرفس (وهى وكالة إنباء معروفة ومحترمة للعالم الثالث مقرها روما)، ١٠ مارس ١٩٩٧، على الانترنت.

(٥) كان كوبارك اسما شفريا تستخدمه الوكالة، ليس له معنى محدد. وهذا كتاب للتدريب من عصر فيتنام، كتب ليستخدم الأمريكيون ضد العدو، وليس لتدريب إدارات المخابرات الأجنبية. أنظر أيضا

New York Times, February 9,1997.

(٦) كثير من المواد فى هذا الكتيب مستمد من كتيب كوبارك السابق مناقشته. وقد ألغيت السرية عن كل من هارتم وكوبارك فى ٤ يناير ١٩٩٧ . وهما يعالجان الاستجواب على وجه الحصر. وقد أعلن البنتاجون أن هارتم تم تعديله فى ١٩٨٥-٤٨ للإثناء عن التعذيب. وذلك بعد ثورة الغضب فى الكونجرس والصحافة على تقنيات الوكالة المستخدمة فى أمريكا الوسطى للإطلاع على مقتطفات أخرى ، أنظر Baltimore Sun, January 27, 1997 and the website of School of the Americas Watch-http://www.soaw.org

(٧) للإطلاع على قائمة كاملة بأساليب التخريب أنظر: Holly Sklar, Washington's War on Nicaragua (Boston, 1988). p.183-4. وللإطلاع على التوضيحات والنص الأسبانى أنظر :

Covert Action Information Bulletin (Washington, DC), #22, Fall 1984 , p . 28

(٨) New York Times, October 71, 1984,p.1 and 12; Sklar, p.177-87

(٩) Sklar, 186

الفصل ٥

(١) Baltimore Sun, June 11,1995 , p.10A

(٢) Washington Post, August 3, 1999,p.10

(٣) James Becket, Barbarism in Greece (New York, 1970) p.xi

(٤) اقترح فى ١٩٨٤، وطبق فى ١٩٨٧، وصار عليه الولايات المتحدة فى ١٩٩٤

(٥) Baltimore Sun, op. cit.

(٦) Amnesty International, Report on Torture (London, 1973), p.77

(٧) Becket, p.15

(٨) Becket, p.16, see also p.127

(٩) Kermit Roosevelt, Countercoup: The Struggle for the Control of Iran (McGraw-Hill paperback, 1981),p.9. Roosevelt was a CIA officer operating in Iran in the 1950s.

(١٠) كان ليف محللا رئيسيا بالوكالة معحنيا بإيران لمدة ٥ سنوات قبل أن يستقيل فى ١٩٧٣ ، وقد أجرى الحوار معه سيمور هيرس، فى النيويورك تايمز ، ٧ يناير ١٩٧٩ .

(١١) Robert Fisk, article in The Independent (London), August 9, 1998,p.19

(١٢) Thomas Powers, The Man Who Kept the Secrets: Richard Helms and the CIA (Pocket Books, New York, 1979) p.155, 157

(١٣) Donald Duncan The New Legions (London , 1967) p.156 - 9 ; وصف لفصل "الاستجواب" الذى حضره والذى كان مكرسا لذوى البيريهات الخضراء.

(١٤) David Wise, "Colby of CIA-CIA of Colby", New York Times Magazine, July 1, 1973, p.33-4

(١٥) Telford Taylor, Nuremberg and Vietnam: an American Tragedy (New York p.148-53 Times, 1970),

(١٦) Richard Harris, Death of a Revolutionary: Che Guevara's Last Mission (New York, 1970) p.185-6

(١٧) A.J. Langguth, Hidden Terrors (New York, 1978) p.285-7; (كان رئيسا لمكتب سايجون فى New York Times in 1965) also see New York Times, August 15,1970

(١٨) Langguth, p.289

(١٩) Manuel Hevia Cosculluela, Pasaporte 11333 : Ocho A (os con la CIA) Havana, 1978), p.284-7. كان هافيا عميلا كوبيا عمل سرا مع متريونى فى اورجواى

(٢٠) Langguth, passim; see index under "torture".

(٢١) Allan Nairn, "C.I.A. Death Squad", The Nation, April 17, 1995 , p.511-13

(٢٢) Washington Post, May 12, 1996 , p.C1' Los Angeles Times , March 31 , 1995 , P . 4

(٢٣) من " بيان من الأخت ديان اورتين، ٦ مايو ١٩٩٦ " وزعه أنصارها فى متنزه لافاييت أمام البيت الأبيض، بينما كانت تقوم بصلاة صامتة هناك.

(٢٤) New York Times, January 11, 1982, p.2

(٢٥) تم عرض "رجل الحرس الوطني" الذي اعتبره "كتيبا" فقط فى فيلم وثائقي تليفزيون عن التعذيب أنتجه وأخرجه ركس بلومستين لتليفزيون تيمس ليمتد (بريطانيا) فى ١٩٨٦ بالتعاون مع منظمة العفو الدولية، نسخة فيديو فى حيازة المؤلف.

(٢٦) Baltimore Sun, lengthy series of articles on US support for Battalion 316, June 11-20, 1995; and January 27 1997,"Torture Was Taught By CIA"; انظر أيضا New York Times, p.20-22 (David Corn) October 24, 1998 and The Nation, November 10,1997,

(٢٧) Philip Wheaton, Panama Invaded (New Jersey, 1992), p.14-15; مأخوذة من شهادة سجلها العاملون فى مركز حقوق الانسان فى أمريكا الوسطى فى سان خوزيه، كوستاريكا، أخذت فى بنما فى ٢٩ يناير ١٩٩٠، من اتصال للصليب الأحمر.

(٢٨) Newsweek, March 22 , 1976,p.28 and 31

(٢٩) "Chicago Police Used Torture, Report Alleges", Los Angeles Times, February 8, 1992 , p.1 and 14

(٣٠) Holly Burkhalter, "Torture in U.S. Prisons", The Nation, July 3, 1995. p.17-18.
كان بوركهالترخ فى ذلك الوقت مدير هيئة مراقبة حقوق الإنسان فى واشنطن

(٣١) أنظر أيضا "Torture in the United States" a report by the Coalition Against Torture and Racial Discrimination, chaired by the World Organization Against Torture, USA (Washington, DC)-www..org

يمكن العثور على أمثلة أخرى للتعذيب الذي مورس فى أمريكا فى الكتاب الحالى فى " يوم فى حياة فى بلد حر".

(٣٢) Washington Post, October 28,1996 والحكم جزء من مرسوم مكافحة الإرهاب وعقوبة الإعدام الصادر فى ١٩٩٦ .

(٣٣) Los Angeles Times, May 13, 1992; Washington Post, July 3, 1995

الفصل ٦

(١) أنظر التدخلات والأقسام الأخرى فى هذا الكتاب. أنظر أيضا Christopher Simpson, Martin Lee, Blowback (New York, 1988), John Loftus, The Belarus Secret (New York, 1982) The Beast Reawakens (Boston, 1997)

(٢) Washington Post, November 21,1971 , p.13

(٣) Los Angeles Times, September 13,1988,p.19. للإطلاع على مزيد من المناقشات لهذه القضية أنظر Russ Bellant, "Old Nazis and the New Right: The Republican Party and Fascists", Covert Action Information Bulletin (Washington, DC)#33 , Winter 1990,p.27-31

الفصل ٧

(١) New York Times, September 20, 1999, p.6

(٢) مقرر O-47 درس فى مدرسة الأمريكتين عندما كانت فى منطقة قناة بنما، Document 5489, February 3, 1977, p.5 كما ذكر فى Penny Lernoux, Cry of the People: The Struggle for Human Rights in Latin America-The Catholic Church in Conflict With U.S. Policy, (Penguin Books, NY, 1982), p.167n; for other course descriptions, see p.180-1,471-3

(٣) New York Times, September 28, 1996,p.22

(٤) Washington Post, February 5, 1968

(٥) Mark Danner, The Massacre at El Mozote (Vintage Books, 1994)

(٦) Washington post November 16 , 1999 p.31, op-ed column by Leo J. O'Donovan, SJ

(٧) انظر أيضا موقع School of the Americas Watch - http://www.soaw.org-Also see
Covert Action Quarterly (Washington, DC), #46,Fall 1993,p.15-19

(٨) ٨ فبراير ١٩٩٩ أمام لجنة القوات المسلحة بمجلس الشيوخ.

(٩) للإطلاع على مزيد من المناقشة أنظر Latin America Working Group (Washington, DC), Just the Facts: A civilian's guide to U.S. defense and security assistance to Latin America and the Caribbean, which tells everything one would want to know about training Latin militaries in the US and abroad -bases, military exercises, human-rights restrictions and much more; can be read in full at http://www.ciponline.org/facts

انظر أيضا سلسلة ممتازة في :

Washington Post, July 12-14, as well as December 13 and 14,1998

(١٠) - New York Times, November 18 , 1999

(١١) Michael Klare and Nancy Stein, "Police Terrorism in Latin America" NACLA's Latin America and Empire Report (North American Congress on Latin America, NY), January 1974, p.19-23, استناد إلى وثائق وزارة الخارجية التي حصل عليها السناتور جيمس أبو رزق في ١٩٧٣، المرجع المذكور، يوليو – أغسطس ١٩٧٣، ص١٣. أنظر أيضا Jack Anderson, Washington Post, October 8,1973, p.C33 ; A.J. Langguth, Hidden Terrors (New York, 1978), p.242-3,

(١٢) New York Times, January 23 ,1975, p.38; January 26, 1975,p.42; NACLA, op. cit., July-August 1976, p.31-2; Langguth, p.301

(١٣) انظر Lawrence Rockwood & Amelia Simpson, "Training the world's police", Foreign Policy m Focus report, Institute for Policy Studies (Washington, DC), forthcoming July 2000

(١٤) Thomas E. Skidmore, Politics in Brazil, 1930-1964(Oxford University- Press, New York, 1967) p.330; أنظر أيضا James Kohl and John Litt, Urban Guerrilla Warfare in Latin America (The MIT Press, Cambridge, Mass., 1974) p.39, الإطلاع على مزيد من المناقشة للتميز القوى الموالي لأمريكا والمعاداة لليسار في مقرر الكلية.

(١٥) Phyllis R. Parker, Brazil and the Quiet Intervention, 1964 (University of Texas Press, Austin, 1979) p.98, cable to State Department , March 4 , 1964

الفصل ٨

(١) Washington Post, December 4,1996,p.1

(٢) Leonard A. Cole, Clouds of Secrecy. The Army's Germ Warfare Tests over Populated Areas (Maryland, 1990), p.12-14

(٣) Washington Post, September 12 , 1999, p.1

(٤) United Nations General Assembly Resolution: "Establishment of a nuclear-weapon-free zone in the region of the Middle East", December 4,1990, Resolution No. 45/52 .

(٥) New York Times, January 24,1991, p.11

(٦) المرجع المذكور، ٢٣ مارس ١٩٩١

(٧) Michael Bilton and Kevin Sim, Four Hours in May Lai (Viking, New York, 1992), P.175, 290-13

(٨) LA Weekly (Los Angeles), March 9-15, 1990 , p.12

(٩) New York Times, January 9,1971,p.3

(١٠) Telford Taylor, Nuremberg and Vietnam; an American Tragedy (New York, 1970),p.140-43

(١١) Far Eastern Economic Review (Hong Kong), October 30,1997,p.15, 20

(١٢) Washington Post, May 25, 1998.p.B4

(١٣) ادين للبروفيسور جوان رويلوف من كلية كين ستيت، نيو هامبشير، للفت انتباهي لهذا المفهوم.

(١٤) نقل هذا و معظم المواد الأخرى المتعلقة بالشكوى المقدمة للمحكمة المذكورة للمؤلف ماندل و مقدمو شكاوى آخرون

(١٥) Press Release from Chief Prosecutor Louise Arbour, The Hague, May 13, 1999 .

(١٦) The Observer (London), December 26,1999; Washington Times, December 30 and 13, 1999; New York Times, December 30,1999

(١٧) Washington Post, May 24, 1999, p.1

(١٨) New York Times, May 13,1999, p.1

(١٩) NATO press conference, Brussels, May 25, 1999

(٢٠) Washington Post, April 22,1999, p.18

(٢١) المرجع المذكور، ٢٠ سبتمبر ١٩٩٩، ص ١

(٢٢) New York Times, December 2,1998 , p.1; January 3,2000

(٢٣) Washington Post, November 18, 1999,p.1

الفصل ٩

(١) The Miami Herald, November 16,1997 أنظر ملاحظات عن الإرهابى المنفى الكوبي لويس بوسادا كاريليس فى "National Endowment for Democracy" chapter.

(٢) Associated Press, Tampa, Fla., July 16, 1997

(٣) ما لم يذكر غير ذلك، فان المعلومات عن الحالات فرادى ترد فيما يلى :

Miami Herald, October 21, 1998, p.11A; Boston Globe, May 2,3 &4, 1999' press releases of the Center for Justice and Accountability (San Francisco) and the Center for Constitutional Rights (New York), which have been involved in lawsuits against several of the individuals named; Covert Action Quarterly (Washington, DC). #65, Fall 1998, p.45

(٤) Guatemalan Human Rights Commission (Washington, DC), Human Rights Update April 12 , 1995

(٥) Noam Chomsky, Z Magazine, March 1992, p.9, based on an interview given by Gramajo to the Harvard International Review

(٦) EFE (Spanish news agency), dispatch from Miami, November 10,1999

(٧) Adam Fifield, "The Apologist in Suburbia", Village Voice (New York), May 5,1998, p.55

(٨) حسب مركز العدالة والخضوع للمساءلة (سان فرانسيسكو)، ادعى هؤلاء الأشخاص أنهم أنفسهم كانوا ضحايا التعذيب، على أيدي الفيتناميين الشماليين و/أو جبهة التحرير الوطني. وخلال علاجهم فى الولايات المتحدة ذكروا استحقاقهم للوم. ولا تريد الوكالة كشف أسماؤهم لان هذه المعلومات تم الحصول عليها فى إطار إكلينيكى.

(٩) Asia Resource Center (Washington, DC),Asia Insights, Summer 1986, passim; Los Angeles Times, many articles throughout the 1980s and later; e.g., August 4, 1985,II, p.1; May 1986,II, p.1; October 17,1987,II, p.8 (editorial); March 24, 1990, p.33 8,

(١٠) New York Times, September 22,1998 , p.12

(١١) هذه المناقشة مستمدة من "Torture in the United States", ورقة انتجها World Extraditions"," Organization Against Torture, USA (Washington, DC), October 1998,part 7, written by Neil Tow.

(١٢) Washington Post, February 5,1997, p.28

(١٣) Associated Press, February 7, 1999

الفصل ١٠

(١) لإلقاء نظرة عامة، أنظر John Pilger, "The Long Secret Alliance: Uncle Sam and Pol Pot", Covert Action Quarterly (Washington. DC),#62,Fall 1997, p.5-9, plus other sources listed below.

(٢) Elizabeth Becker, When the War Was Over: Cambodia and the Khmer Rouge Revolution (Public Affairs, NY, 1998) p.435

(٣) Los Angeles Times, December 5, 1980,I-B, p.1

(٤) Linda Mason and Roger Brown, Rice, Rivalry and Politics: Managing Cambodian Relief (Univ. of Notre Dame Press. 1983,) p.135-6

(٥) William Shawcross, The Quality of Mercy: Cambodia, Holocaust and Modern Conscience (London, 1984),p.289, 395

(٦) New York Times, November 16, 1989,p.16

(٧) Washington Post, July 8, 1985,p.18

(٨) Newsweek, October 10, 1983,p.41

(٩) Los Angeles Times, February 27, 1991

(١٠) San Francisco Examiner, August 12,1990 , p.18

(١١) Los Angeles Times, February 27 , 1991

(١٢) Adam Fifield, "The Apologist in Suburbia". The Village Voice (New York), May 5, 1998, p.55

(١٣) Jack Colhoun, "U.S. Supports Khmer Rouge", Covert Action Information Bulletin (Washington, DC), #34,Summer 1990,p.37-40; Washington Post, January 10, 1999,op-ed by Peter Goodman; New York Times, October 18 , 1989 ,p.29

(١٤) Weekly Compilation of Presidential Documents (GPO), April 16, 1998, p.663

الفصل ١١

(١) The Nation, September 26,1994,p.304

(٢) U.S. Commission on National Security/21st Century. New World Coming (Phase I report) September 15,1999, p.3

(٣) Washington Post, November 16,1998

(٤) Journal of the American Medical Association, August 25,1999, p.761

الفصل ١٢

(١) International Action Center (New York), Metal of Dishonor: Depleted Uranium, p.3-40, 134-149 و فى أماكن أخرى للإطلاع على مناقشة تفصيلية للكيات اليورانيوم المستنفد ومخاطره الصحية والظروف التى تعرض فيها العسكريون الأمريكيون والعراقيون له، ص ١٤٠ – ١٤٤، للإطلاع على مناقشة لجزيئات اليورانيوم التى ينقلها الهواء

The Bulletin of the Atomic Scientists, November/December 1999, p.42-5, أنظر أيضـا and Radioactive Battlefields of the 1990s: The United States Army's Use of Depleted Uranium and Its Consequences for Human Health and the Environment, by the Depleted Uranium Citizens' Network (of the Military Toxics Project), Lewiston, ME, January 16,1996' www.antenna.nl/wise/uranium/dmtp.html

(٢) Bill Mesler, "The Pentagon's Radioactive Bullet", The Nation, October 21,1996, p. 12 - 13.

(٣) The Independent (London), November 10 ,1991, p.2, two articles.

(٤) The Washington Report on Middle East Affairs (established by retired US foreign service officers), July/August 1995, p.105

(٥) Sunday Herald (Glasgow, Scotland), April 4, 1999

(٦) Washington Post, May 29 and August 19,1999

(٧) "Recent Military Accidents In Vieques, Puerto Rico", paper prepared by the office of Puerto Rico's Congressional representative, Carlos Romero-Barcelo, May 1999;Orlando Sentinel (Orlando, Florida), May 1, 1999,p.18; Pacifica Radio, "Democracy Now", July 12 , 1999

(٨) Austin American-Statesman (Austin, Texas), May 1,1999, p.8

(٩) Washington Post, December 4,1999,p.4 and February 1, 2000

(١٠) The Albuquerque Tribune, January 26,1994, P.A1;Uranium Battlefields Home a joint ,&Abroad: Depleted Uranium Use by the U.S. Department of Defense, March 1993 publication of various environmental and community organizations in New Mexico, such as the New Mexico Progressive Alliance for Community Empowerment (pace@nmpace.org); U.S. Army Environmental Policy Institute, Health and Environmental Consequences of Depleted Appendix B Uranium Use in the U.S. Army: Technical Report, June 1995,

(١١) Radioactive Battlefields, op. cit., p.3

(١٢) Mesler, p.12

الفصل ١٣

(١) Rachel Stohl, "Cluster Bombs Leave Lasting Legacy", report of the Center for Defense Information (Washington, DC), August 5, 1999.There are both anti-personnel and anti-material cluster bombs, or they can be combined in one weapon.

(٢) Washington Post, August 3, 1999

(٣) Christian Science Monitor, June 9, 1999, p.11

(٤) المرجع المذكور

(٥) The Guardian (London), June 23, 1999, p.12

(٦) Paul Watson, "Unexploded Weapons Pose Deadly Threat on the Ground", Los Angeles Times, April 28, 1999, p.5

(٧) Handicap International report, 1999 "Living with UXO [Unexploded Ordnance]", funded by United Nations Development Program and the government of Sweden, reported in Earth Times, January 15, 1998

(٨) Center for Defense Information report, op. cit.

(٩) المرجع المذكور

الفصل ١٤

(١) Robert Harris and Jeremy Paxman, A Higher Form of Killing: The Secret Story of Gas and Germ Warfare (London, 1982) p.xi

(٢) Leonard A. Cole, Clouds of Secrecy: The Armys Germ Warfare Tests over Populated Areas (Maryland, 1990), p.18

(٣) Baltimore Sun, August 15, 1980, p.7

(٤) Stephen Endicott and Edward Hagerman, The United States and Biological Warfare: Secrets from the Early Cold War and Korea (Indiana University Press, 1998), p.166-7

فى يناير ١٩٩٨، ادعت صحيفة يابانية أن لديها دستة من الوثائق من أرشيف موسكو يبين إن ادعاءات الصينيين عن الحرب البيولوچية ليس أكثر من خدعة من السوفيت (المرجع المذكور ص ٢٤٨- ٢٤٩). لكن هذا الإدعاء المضاد يثير أسئلة بأكثر مما يقدم إجابات، ليس أقلها: لماذا لم تقل ماكينة الدعاية الأمريكية العملاقة كلمة عن هذه "النتيجة التى تم التوصل إليها" والمفيدة لها بصورة لا تصدق ؟ ولماذا لم تطالب واشنطن موسكو بفتح الأرشيف حتى يمكن التحقق من صحة الوثائق. للإطلاع على ناقشة لهذه القضية، أنظر عرض كتاب اندكوت وهاجرمان الذي قام به بيتربيرنجل فى صحيفة ١/١ فى، ٣ مايو، ١٩٩٩، ص ٢٩- ٣٢ .

(٥) San Francisco Chronicle, October 8,1979,p.13; Washingt on Post, October 9, 1979, p.6

(٦) Endicott and Hagerman, op. cit., p.xi, 49 - 50, 218

(٧) المرجع المذكور، ص ٦٣

(٨) San Francisco Chronicle, April 24,1980. والغريب بدرجة كبيرة، أنه فى ١٩٩٩ فقط، طلبت حكومة كوريا الجنوبية تحقيقا فى تقرير يقول أنه فى أواخر الستينيات، استخدمت القوات المسلحة الأمريكية العنصر البرتقالي ومبيدات أوراق الأشجار السامة على حدود كوريا الشمالية. ويستند التقرير إلى وثائق ألغيت عنها السرية. (Washington Post, November 17, 1999)

(٩) The Michigan Agent Orange Commission , Phsician,s Information for Core - of Vietnam Veterans Exposed to Agent Orange and Other Chemicals, June 1991, p.4-8; Harris and Paxman, p.192-3.

(١٠) حسبما قال Dr. Barry Commoner, director of the Center for Biology of Natural Systems at Washington University, St. Louis, The Guardian (London), February 67,1984.

(١١) Robert Dreyfuss. "Apocalypse Still", Mother Jones (San Francisco), February 2000,p.42ff

(١٢) James Ridgeway, Village Voice, Feb. 5, 1991, p.30;New York Times, September 9,1965

(١٣) John Cookson and Judith Nottingham, A Survey of Chemical and Biological Warfare (London, 1969), p.15-17

(١٤) المرجع المذكور، ص ٣٠

(١٥) April Oliver and Peter Amett, "Did the U.S. Drop Nerve Gas?", Time, June 15,1998,p.37-9

(١٦) The Washington Post Magazine, November 29, 1998, p.20 ff.

(١٧) "Tailwind: Rebuttal to the Abrams/Kohler Report", July 22,1998.can be found on the Internet

(١٨) John Lindsay-Poland, "Toxic Aftertaste", The Progressive, (Madison, WI), December 1998 ,p.24-27; see also Washington Post. January 10,2000,P.14-5

(١٩) The Dallas Morning News, August 20, 1999

(٢٠) Philip Wheaton, Panama Invaded (New Jersey, 1992),p.16-17, citing the monthly magazine El Peri?dico (Panama City), February 1990, p.8. "Bombardean Pacora con substancias quimicas".

(٢١) New York Times, April 28, 1996,p.1.

(٢٢) Taylor Branch and George Crile III, "The Kennedy Vendetta", Harper's (New York), August 1975 , p.52

(٢٣) Washington Post, March 21,1977,p.A18

(٢٤) Warren Hinckle and William Turner, The Fish is Red: The Story of the Secret War Against Castro (Harper &Row, NY, 1981) p.293 استنادا إلى لقاء مع المشارك في Ridgecrest, California, September 27,1975.

(٢٥) San Francisco Chronicle, January 10 , 1977

(٢٦) Bill Schaap, "The 1981 Cuba Dengue Epidemic", Covert Action Information Bulletin (Washington, DC), No. 17,Summer 1982,p.28-31

(٢٧) ورد في موقعهم على الانترنت: http://www.cdc.gov/ncidod/dvbid/dengue.htm

(٢٨) Jane Franklin, Cuba and the United States: A Chronological History (Ocean people died from Press, Melbourne and New York, 1997), p.170. This hook states that 188 people died fromthe dengue epidemic (p.174)

(٢٩) San Francisco Chronicle, October 29, 1980, p.15

(٣٠) Science (American Association for the Advancement of Science, Washington, DC), January 13,1967, p.176

(٣١) Covert Action information Bulletin (Washington, DC), No. 22,Fall 1984, p.35; the trial of Eduardo Victor Arocena Perez, Federal District Court for the Southern District of New York, transcript of September 10, 1984, p.2187-89.

(٣٢) For further details of the State Department's side of the issue, أنظر New York Times, May 7,1997, p.9

(٣٣) Response to authors query, July 29 , 1997 , by FAA spokesperson Hank Price

(٣٤) UN General Assembly document A/52/128, April 29,1997

(٣٥) As reported to the author by the Cuban UN Mission in New York

(٣٦) See, e.g., San Francisco Chronicle, July 28,1981

(٣٧) Washington Post, September 16,1977, p.2

(٣٨) Los Angeles Times, June 18, 1990 , p.1

(٣٩) هناك وفرة من الوثائق حول هذا، أنظر مثلا: Seth Shulman, The Threat at Home: Confronting the Toxic Legacy of the U.S. Military (Beacon Press, Boston, 1992), passim.

الفصل ١٥

(١) New York Times, January 22,1999,p.12

(٢) Biological Testing Involving Human Subjects by the Department of Defense, 1977, Hearings before the Subcommittee on Health and Scientific Research of the Committee on Human Resources, US Senate, March 8 and May 23,1977, p.270

(٣) Leonard A. Cole, Clouds of Secrecy: The Army's Germ Warfare Tests over Populated Areas (Maryland, 1990), chapter1

(٤) San Francisco Chronicle, October 8,1979 , p.13; Washington Post, October 9, 1979,p.6; Scientific American, June 1999, p.70-75

(٥) Cole, chapters 7 and 8; San Francisco Examiner, December 22, 1976,p.1;December 23,1976, p.1; September 17,1979, p.3; October 19,1980

(٦) Cole, Appendix 3 للإطلاع على هذا وشهادة خبير آخر عن الخطر المحتمل لنفس البكتريا، قدمت لمجلس الشيوخ (أنظر الهامش ٢).

(٧) San Francisco Chronicle, December 22 ,1976 , p.1; April 3, 1981, p.12

(٨) Ibid.,April 3,1981; Baltimore Sun, August 15,1980, p.7; Cole, p.60-64

(٩) Cole p.63-65.

(١٠) Washington Post, June 9, 1980 , p.11

(١١) San Francisco Chronicle, October 14 ,1980 , p.12

(١٢) Airport and White House: Washington Post, December 5,1984, p.BI

(١٣) New York Times, September 19 , 1975 , p.14

(١٤) San Francisco Chronicle, December 17,1979, p.5, October 29,1980, p.15

(١٥) للإطلاع على تفاصيل هذه التجربة واعتراض العلماء، أنظر Leonard Cole, The Eleventh Plague(New York, 1997) p.28-31, based on US Army Chemical Corps, Summary of Major Events and Problems, fiscal year 1959, p.101-3

(١٦) San Francisco Chronicle, December 4, 1979, p.12

(١٧) Cole, Clouds of Secrecy, p.65-9

(١٨) New York Times, September 19 ,1975, p.14

(١٩) Washington Post, December 5,1984, p.BI

(٢٠) Biological Testing..., op. cit., p.134. يمكن العثور على قائمة مطولة لمواقع اختبار الأسلحة البيولوجية والكيماوية في الخلاء (لكن بدون تفاصيل) في ص ١٢٤ – ١٤٠، رغم أن القائمة بسبب ما لم تتضمن المناسبات التي استخدم فيها كبريتيد كادميوم الزنك.

(٢١) US General Accounting Office (GAO), Nuclear Health and Safety: Examples of Post World War II Radiation Releases at U.S. Nuclear Sites, November 1993, passim

(٢٢) Senate Committee on Veterans' Affairs, Is Military Research Hazardous to Veterans' Health. Lessons Spanning Half a Century, December 8,1994, passim; US General Accounting Office (GAO), Human Experimentation: An Overview on Cold War Era Programs, September 28,1994, passim; Final Report of the Senate Select Committee to Study Governmental Operations with Respect to Intelligence Activities (The Church Committee), Book 1, Foreign and Military Intelligence, April, 1976, p.385-422; Eileen Welsome, The Plutonium

Files: Americas Secret Medical Experiments in the Cold War, (New York, 1999)passim; Jonathan Moreno, Undue Risk: Secret State Experiments on Humans (W.H. Freeman & Co., 1999), passim; John Marks. The Search for the 'Manchurian Candidate': The CIA and Mind Control (Dell, New York, 1979,) passim; Martin Cannon, "Mind Control and the American Government, Lobster magazine (Hull, England), #23, 1992,p.2-10; and Aaron Epstein,"At Holmesburg Prison, 320 human guinea pigs". Philadelphia Inquirer, November 25,1979,p.1 ff.

(٢٣) From a review of The Plutonium Files, op. cit., by Deborah Nelson. Bookworld (Washington Post), November 21,1999, based on chapter 22 of the book.

(٢٤) Washington Post, June 9, 1999

(٢٥) Hearings before a House Subcommittee of the Committee on Appropriations, "Department of Defense Appropritations for 1970 "

الفصل ١٦

(١) Jack Anderson, Washington Post, October 25, 1969,p.F11; Washington Post, April 14,1998

(٢) Los Angeles Times, August 1,1998

(٣) Covert Action Quarterly (Washington , DC) , #63 , Winter 1998 , p . 29

(٤) U.S. Chemical and Biological Warfare-Related Dual Use Exports to Iraq and their Possible Impact on the Health Consequences of the Persian Gulf War, Senate Committee on Banking, Housing and Urban Affairs with Respect to Export Administration, reports of May 25,1994 and October 7, 1994

(٥) "Rudderless: The Chemical Weapons Convention at 1 1/ Amy E. Smithson, جـــزء من كـby the Henry L. Stimson Center (Washington, DC), 2",published September 1998 مشروعهم بشأن عدم انتشار الأسلحة البيولوجية والكيماوية، يمكن العثور على موجز تنفيذى للتقرير فى http://www.stimson.org/pubs/cwc/execsum.htm

الفصل ١٧

(١) Imperialism and Social Classes, (1955, first published in 1919), p.51

(٢) America and the World Revolution and Other lectures (Oxford University Press, New York. 1962) , p.92-3

(٣) Alfred W. McCoy, The Politics of Heroin: CIA Complicity in the Global Drug Trade (Lawrence Hill Books, NY, 1991), p.54-63; Sallie Pisani, The CIA and the Marshall Plan (University Press of Kansas, 1991), p.99-105 and elsewhere

(٤) New York Times, May 5, 1947 ,p.1;May 11.IV, p.5; May 14 , p . 14 and 24 ; May 17 , p .8; May 18,IV, p.4; May 20,p.2; Howard K. Smith, The State of Europe (London, 1950), p.151 (includes Ramadier quote; similar quote in New York Times, May 20)

(٥) The Guardian (London), November 29, 1983

(٦) Washington Post, September 30,1999 , p.1; Otober 14,p.14;December 29,p.19

(٧) Stewart Steven, Operation Splinter Factor (London 1974), passim.

سيكون من المثير بالنسبة للمطلعين على القصة أن يعرفوا أننى وجدت وثيقة فى الأرشيف القومى تكشف أن وزارة الخارجية كانت تعلم بسجن نويل فيلد فى المجر قبل خمس سنوات من ادعاءها علنا أنها لا تعرف مصيره.

(٨) Operation Gladio: The Observer (London), June 7, 1992;Washington Post, November 14,1990,p.19; Die Welt (Germany), November 14,1990, p.7; Los Angeles Times, November 15, 1990, p.6; Philip Willan, Puppet masters: The Political Use of Terrorism in Italy (London, 1991), chapter 8

(٩) Washington Post, November 14,1991, للاطلاع على بعض جوانب الوضع فى ذلك الوقت، انظر :

Amnesty International Annual Report for Guatemala 1997, 1998,1999 on AI's website

(١٠) New York Times , april 29 , 1959 , p.1

(١١) John Gerassi, The Coming of the New International (New York, 1971), p.245-56, انظر للاطلاع على نظرة عامة على الوضع بما فى ذلك النقد الذاتى، للحزب الشيوعى العراقى

(١٢) Claudia Wright, New Statesman magazine (London), July 15, 1983, p.20. She doesn't say how the Soviets found out about the plan.

(١٣) Los Angeles Times, April 14,1991, p.MI

(١٤) The Monde (France) , February 5 , 1963 , p . 5

(١٥) .State Department statement: Christian Science Monitor, February 13, 1963,p.3

(١٦) The Guardian (London), January 1, 1994, p.5

(١٧) Ralph McGehee, Deadly Deceits: My 25 years in the CIA (New York, 1983), passim. McGehee spent much of his CIA career in Thailand; The Committee of Concerned Asian Scholars, The Indochina Story (Random House, NY, 1970), p.64-69; New York Times, November 27,1966, p.4; Washington Post, November 20 , 1966 p.22 ; December 7 , 1966

(١٨) Washington Post, August 23, 1966

(١٩) اقتباس من بوش: Washington Post, May 21, 1997, column by Nora Boustany

(٢٠) Washington Post, January 23,2000

(٢١) استناد إلى Dave Barry line

(٢٢) CIA internal memorandum of February 25,1966, declassified March 7,1977, received by author as a result of an FOIA request.

(٢٣) Cable News Network en Espanol, July 23,1998; El Diario-La Prensa (New York) July 24, 1998,Clarin (Buenos Aires) July 22, 1998, p.45

(٢٤) Numbers of victims: New York Times, January 3, 2000

(٢٥) FBI: New York Times, February 10, 1999,p.6; Kissinger: US government document declassified in 1999. The Observer (London), February 28, 1999,p.3

(٢٦) New York Times, July 23 1986,p.1; Baltimore Sun, November 12,1995,p.1D; Covert Action Information Bulletin (Washington, DC), #12, April 1981, p.24-27; William Minter. Apartheid's Contras (London, 1994). chapter 6and passim. See also "Mandela" and "United Nations" chapters herein.

(٢٧) Staff Report of the Select Committee on Intelligence, US House of Representatives, 1975,"the Pike Report". This report can be read in hook form: CIA-The Pike Report (Spokesman Books, Nottingham, England, 1977),p.56, 195-8 211-17

(٢٨) Washington Post, October 9,1974,p.36; New York Times, September 25, 1975, p.1; Evans and Novak in Washington Post, October 26,1974,p.19 (NATO information); Facts on File, March 1, 1975,p.131 (NATO exercises). Also see the "Elections" chapter under Portugal.

(٢٩) للإطلاع على تاريخ مفصل لمسألة تيمور الشرقية، أنظر Noam Chomsky and Edward S. Herman, The Washington Connection and Third World Fascism, Volume I (Boston, 1979) p.129-204

(٣٠) Daniel Moynihan with Suzanne Weaver, A Dangerous Place (Boston, 1978), p.247

(٣١) Allan Nairn, "US Complicity in Timor", The Nation, September 27,1999,p.5-6; "U.S. trained butchers of Timor", The Observer (London), September 19,1999

(٣٢) New York Times, October 31,1995,p.3. تم وصف المسؤول بإعتباره شخصا يتعامل عادة مع المسائل الأسيوية. ومن الواضح أنه كان يشير إلى سوهارتو من حيث السياسة الإقتصادية، لكنه أبدى هذه الملاحظة عن الرجل الذى تلطخ ايديه دماء مليون شخص أو أكثر بهذا النوع من عدم الحساسية.

(٣٣) See "Elections" chapter, Jamaica

(٣٤) Holly Sklar, Washington's War on Nicaragua (South End Press, Boston, 1988) see "Honduras" in index; Philip Wheaton, Inside Honduras: Regional Counterinsurgency Base

(Ecumenical Program in Central America and the Caribbean [EPICA], Washington, DC, 1982), passim

(٣٥) New York Times, May 25,1988, p.8

(٣٦) See "Elections" chapter under Nicaragua

(٣٧) Dianna Melrose, Nicaragua: The Threat of a Good Example? (Oxfam, Oxford, UK, 1985), p.14

(٣٨) San Francisco Examiner, March 22,1987, p.1

(٣٩) New York Times, December 2, 1989,p.1

(٤٠) Los Angeles Times, September 28,1991

(٤١) Sunday Tribune (Durban, South Africa), November 29,1981,p.1 and 52

(٤٢) Bob Woodward, VEIL: The Secret Wars of the CIA 1981-1987(New York, 1987),p.78-9, 124-5,215; New York Times, April 8, 1982,p.3

(٤٣) . Fred Halliday, "Russians help to beat leftwing guerrillas", The Guardian (London), May 3,1984, p.7; New York Times, March 19,1980, p.1

(٤٤) New York Times, May 23,1980, p.1

(٤٥) The Milwaukee Journal. August 21,1980, استنادا إلى ملاحظة ثلاثة من العاملين بفيالق السلام الأمريكية في كوريا الجنوبية. وقد كتب اثنان من الثلاثة مقالا عن أحداث كوريا في Covert Action Information Bulletin (Washington, DC), #11,December 1980, p.9-15

(٤٦) State Department quote: The Milwaukee Journal, op. cit. للإطلاع على مناقشة شاملة لعلاقة الولايات المتحدة بكوريا الجنوبية وانتفاضة ١٩٨٠ ، أنظر. Tim Shorrock, "Debacle in Kwangju", The Nation, December 9,1996,p.19-22; Washington Post, March 5, 1996,p.5; Bill Mesler, "Korea and the US: Partners In Repression", Covert Action Quarterly (Washington, DC), # 56,Spring 1996, p.53-57

(٤٧) New York Times, February 2, 1981,p.8, February 3, p.6

(٤٨) Woodward, p.96-7. 157-58,215; Jonathan Bearman, Qadhafi's Libya (Zed Books, London, 1986), p.216-225

(٤٩) New York Times, February 11,2000, p.30, editorial

(٥٠) Speech at the Pacific Islands Luncheon, Kahala Hilton Hotel, Hawaii, February 10, 1982,cited in a September 1989 paper, "Possible Foreign Involvement in the Fiji Military Coup", p.2, by Owen Wilkes, editor of Peacelink and Wellington Pacific Report, both of New Zealand.

(٥١) المرجع المذكور، ص ٦-٧.

(٥٢) The Nation, August 15/22,1987 ,p.117-20; San Francisco Chronicle, June 17,1987; The National Reporter (Washington, DC), Fall 1987, p.33-38; Covert Action Information Bulletin (Washington, DC), #29, Fall 1987, p.7-10

(٥٣) The Sydney Morning Herald (Australia), May 16, 1987, p.1

(٥٤) اللجنة المستقلة للتحقيق فى غزو الولايات المتحدة لبنما: غزو الولايات المتحدة لبنما، الحقيقة وراء عملية القصة العادلة "(South End Press, Boston, 1991) passim; Philip Wheaton, ed., Panama Invaded (The Red Sea Press, New Jersey, 1992), passim .

(٥٥) للإطلاع على دفع الولايات المتحدة للاتحاد السوفيتى للتدخل أنظر ملاحظات بريجنسكى فى المقدمة وأيضا - Robert Gates (former CIA Director), *From the Shadows* (New York, 1996),p.178 "[President] Carter began numerous covert actions to counter Soviet advances... Well before the invasion of Afghanistan, he approved intelligence findings aimed at countering the Soviets... [in] Afghanistan."

(٥٦) November 23, 1999 Washington Post,

(٥٧) National Endowment for Democracy , Washington, DC , *Annual Report, 1990* (October 1, 1989-September 30,1990),p.23-4.

(٥٨) المرجع المذكور،١٩٩١، ص٤١ – ٤٣

(٥٩) Los Angeles Times, June 13,1991, p.14

(٦٠) National Endowment for Democracy, Washington, DC, *Annual Report, 1991* (October 1, 1990-September 30, 1991), p.42

(٦١) *Los Angeles Times*, March 9,1992, p.14

(٦٢) *Mark Bowden, Black Hawk Down* (1999), passim; Stephen Shalom, "Gravy Train: Feeding the Pentagon by Feeding Somalia", November 1993 ,,/at www.zmag.org/zmag/articles/shalomsomalia.html; oil companies: Los Angeles Times, January 18,1993, p.1

(٦٣) Post-war bombing: Washington Post, August 30, 1999, p.3, September 18;Looney: Ibid., June 24, 1996

(٦٤) Pilot and navy ships: *New York Times*, July 29, 1996, p.6

(٦٥) New York Times, editorial, November 25, 1996, p.14

(٦٦) فى ٣٠ يونيو ١٩٩٩ ، أصدر مجلس الشيوخ قانون العلميات الخارجية وتمويل التصدير، ومخصصات البرامج ذات الصلة، ٢٠٠٠، الذى أحتوى على إدانة لإدارة المخابرات SIN ,

(٦٧) *Washington Post*, November 25, 1990,p.18. December 19, 1990, p.25

(٦٨) iF Magazine (Arlington, VA), July-August 1997, *p.24-25, article by William Blum* *on* this incident; *Washington Post*, April 27,1997, p.29 (RU-38A plane)

(٦٩) *National Catholic Reporter*, March 24,1995

(٧٠) *Viva Chiapas!*, Winter 1995/6 , p.1-2, and other issues (a publication of the ecumenical organization Conversion for Reclaiming Earth in the Americas, Takoma Park, MD)

(٧١) أنظر السلسلة فى : Washington Post, July 12-14, 1998

(٧٢) المخدرات: فى أغسطس ١٩٩٩ أتهم المدعى العام السابق لشؤون المخدرات فى المكسيك، ماريو رويز ماسيو، بغسل ٩.٩ مليون دولار من مدفوعات المخدرات المشكوك فيها فى بنك هوستون *Washington Post*, August 28,1999,p.7 أنظر أيضا،عدد ٩ سبتمبر ١٩٩٨، فيما يتعلق بمساعدة العسكريين المكسكين لمهربى المخدرات.

Human rights: Amnesty International, Mexico: The persistence of torture and impunity, (New York, June 1993), passim; also see later Amnesty reports on Mexico

(٧٣) *Viva Chiapas!* op. cit.

(٧٤) *Washington Post* series, op. cit.

(٧٥) كان السناتور باتريك ليفى راعيا أساسيا لمثل هذا التشريع ، والذى أصبحت صيغ مختلفة له قانونا منذ التسعينيات. يمكن قراءة مناقشة لذلك مباشرة على:

http://www.ciponline.org/facts. Also see various editions of Amnesty International's *Human Rights &* US Security Assistance.

(٧٦) *The Dallas Morning* News, March 18,1998

(٧٧) شهادة دونى مارشال أمام اللجنة القضائية بمجلس النواب، اللجنة الفرعية المعنية بالجريمة، ٢٩ يوليو ١٩٩٩، مخطوط لم ينشر بعد ما تم الإطلاع عليه فى مكتب اللجنة.

(٧٨) *Miami Herald*, October 7,1997,p.8a; *Washington Post*, February 24,2000

(٧٩) *New York Times*, November 11,1998 , p.24

(٨٠) *Washington Post*, October 4,1997

(٨١) المرجع المذكور، ١٨ فبراير ١٩٩٩

(٨٢) *Amnesty Action* (AIUSA, NY), Winter 1997 , p.1 and 8 , reiterating the details of the 1994 report

(٨٣) *Washington Post*, December 31,1998

(٨٤) *Colombia Bulletin: A Human Rights Quarterly* (Colombia Support Network, Madison WI), Spring 1997,p.29, article by Carlos Salinas of Amnesty International. للإطلاع على مناقشة أوسع لهذا التدخل، أنظر أعدادا أخرى من هذه المجلة على موقعها http://www.igc.org/csn/index.html

(٨٥) *Public Papers of the Presidents of the United* States (GPO), 1996,Vol. 1,p.614, April 21.

(٨٦) New York Times, March 21,1999,p.1. "التطهير العرقى" هو ما وصفت به المحكمة الجنائية الدولية يوغوسلافيا السابقة.

(٨٧) *Washington Post,* November 8,1998, p.3

(٨٨) *The Independent,* (London), April 24,1999, p.1

(٨٩) المرجع المذكور

(٩٠) *Military Review* (Fort Leavenworth, Kansas), "The Professional journal of the U.S. Army", February 1987, p.46-47

الفصل ١٨

(١) *Miami Herald,* October 17,1997, p.22A

(٢) Joseph Burkholder Smith (former CIA officer), *Portrait of a Cold Warrior* (New York, 1976), chapters 7,15,16,17; Raymond Bonner, Waltzing With a Dictator: The Marcoses and the Making of American Policy (New York, 1987), p.39-42; New York Times editorial, October 16 , 1953,p.26

(٣) David Wise and Thomas Ross, The Invisible Government (New York, 1965) p.337; Wilbur Crane Eveland, Ropes of Sand: America's Failure in the Middle East (W.W. Norton & Co., New York, 1980), p.249-50; New York Times, March 31,1997,p.11

(٤) Smith, p.210-11

(٥) Dwight Eisenhower, The White House Years: Mandate for Change, 1953-1956 p.372 (New York, 1963),

(٦) The Guardian (London), December 28,1984, للإطلاع على وصف تفصيلى على الدوافع النفعية وراء سياسة طرد جاجان، إستنادا إلى وثائق الحكومة البريطانية التى أعلنت فى ١٩٨٤ The Times (London), October 7 and 10,1953;The Sunday Times (London), April 16 and 23, 1967

(٧) New York Times, October 9, 1994,p.1, March 31, 1997,p.11; Los Angeles Times March 20, 1995,p.5

(٨) Washington Post, January 24,1997

(٩) Duane Clarridge with Digby Diehl, A Spy For All Seasons: My Life in the CIA (New York, 199), p.64-6. Clarridge went on to become a high official in the CIA.

(١٠) New York Times, April 25, 1966 , p.20

(١١) Philip Agee, Inside the Company: CIA Diary (New York, 1975), p.321; A.J. Langguth, Hidden Terrors (New York, 1978) p.92

(١٢) John Bartlow Martin, Overtaken by Events: The Dominican Crisis From the Fall

(١٣) المرجع المذكور، ص ٢٤٧– ٤٨

(١٤) Georgie Anne Geyer, Miami Herald, December 24,1966; Steph Schlesinger andd Stephen Kinzer, Bitter Fruit; The Untold Story of the American Coup in Guatemala (New York, 1982) p.236-44; New York Herald Tribune, April 7, 1963, article by Bert Quint, section 2 p.1

(١٥) Washington Post, May 17, 1975;New York Times, May 17-18,1975

(١٦) Covert Action in Chile, 1963-1973 , a Staff Report of the Select Committee to Study Governmental Operations with Respect to Intelligence Activities (US Senate), December 18,1975, passim

(١٧) New York Times, September 25,1975, p.1, January 7, 1976, p.1; The Guardian (London), February 7,1996(review of book about Soares' links to CIA)

(١٨) Ernest Volkman and John Cummings, "Murder as Usual", Penthouse (New York), December 1977. p.112 ff.; David Corn, Blond Ghost: Ted Shackley and the CIA's Crusades (Simon &Schuster, NY, 1994), p.330; Robert Gates (former CIA Director), From the Shadows (New York, 1996,), p.175

(١٩) 1984:Los Angeles Times, March 21,1992, p.2; 1989:U.S. News &World Report, May 1,1989, p.40; Los Angeles Times, April 23, 1989,p.1

(٢٠) New York Times, October 21,1984 , p.12, October 31, p.1

(٢١) Covert Action Information Bulletin (Washington, DC) No. 22, Fall 1984, p.27, contains a reproduction of the advertisement

(٢٢) William I. Robinson, A Faustian Bargain: U.S. Intervention in the Nicaraguan Elections and American Foreign Policy in the Post-Cold War Era (Westview Press, Colorado, 1992) passim; Jacqueline Sharkey, "Anatomy of an Ele ction: How U.S. Money Affected the Outcome in Nicaragua," Common Cause Magazine (Washington, DC) May/June 1990

(٢٣) Los Angeles Times, October The Guardian (London), September 22, 1986; 31,1993, p.1; New York Times, November 1,1993, p.8

(٢٤) Time, July 15,1996.p.29-37; Fred Weir, veteran American correspondent in Moscow, analysis dated July 17,1996,prepared for the Institute for Policy Studies (Washington, DC), Weir at the time was at fweir.ncade@rex.lasnet.ru

من برقية لوزارة الخارجية أعادت صياغة Clinton quote: Washington Star, March 27,1996,p.1, محادثات كلينتون ويلتسين

(٢٥) Washington Post, April 6,1997. The dollar amount is derived from the NED Annual Reports, 1991-1996.

(٢٦) July 3,1996 , p.6, New York Times

(٢٧) July 3, 1996,p.10 , Wall Street Journal

(٢٨) Intelligence Newsletter (Paris), June 18,1998. (رغم أنه نادرا ما يكون معروفا بين غير المتخصصين، فإنه مصدر راسخ ومحترم لمعلومات المخابرات الدولية)

(٢٩) Los Angeles Times, September 12,1998, p.6; March 6,1999,p.6; The Guardian (London), May 31,1997, p.16

الفصل ١٩

(١) Washington Post, September 22,1991

(٢) NED Annual Reports, 1994-96

(٣) NED Annual Report, 1996 , p.39

(٤) للإطلاع على مزيد من المعلومات انظر، Tom Barry, et al., The Other Side of Paradise: Foreign Control in the Caribbean (Grove Press, NY, 1984), see AIFLD in index; Jan Knippers chapter 6; Fred Black, United States Penetration of Brazil (Univ. of Pennsylvania Press, 1977), Hirsch, An Analysis of Our AFL-CIO Role in Latin America (monograph, San Jose, California, 1974) passim; The Sunday Times (London), October 27,1974, p.15-16

(٥) NED Annual Report, November 18, 1983 to September 30, 1984,p.21

(٦) NED Annual Report, 1998, p.35

(٧) انظر، NED annual reports of the 1990s

(٨) Haiti: Haiti Progres (Port-au-Prince, Haiti), May 13-19, 1998

(٩) New York Times, March 31, 1997, p.11

(١٠) Washington Post, February 16, 1987 ; also see New York Times, February 15,1987, p.1

(١١) San Francisco Examiner, July21, 1985, p.1

(١٢) New York Times, July 13, 1998

(١٣) للاطـلاع على منـاقشـة تفصـيلية، بالإضـافة للمصـادر السـابق ذكرها انظر، William I. Robinson, A Faustian Bargain: U.S. Intervention in the Nicaraguan Elections and American Foreign Policy in the Post-Cold War Era (Westview Press, Colorado, 1992), passim

الفصل ٢٠

(١) New York Times, November 4, 1983,p.16

(٢) Washington Post, November 18,1996

(٣) Shirley Hazzard, Countenance of Truth: The United Nations and the Waldheim Case (Viking, New York, 1990), p.7.Hazzard worked at the UN from 1952 to 1962

(٤) New York Times, November 1, 1952,p.1

(٥) The Guardian (London), September 20,1983 .The next day the White House disowned Lichenstein's remark.

الفصل ٢١

(١) Washington Post, November 13,1999

(٢) Overall discussions of ECHELON and related topics:

a) Nicky Hager, Secret Power: New Zealand's Role in the International Spy Network (Craig Potton Publishing, Nelson, NZ, 1996), passim;

b) European Union report, "An Appraisal of the Technologies of Political Control", September 1998. in particular Section 7.4, can be read at http://cryptome.org/ stoa-atpc.htm;

c) European Parliament report, "Interception Capabilities 2000"April 1999,by Duncan Campbell, يمكن قراءته في:

http://www.iptvreports.mcmail.com/ interception_capabilities_2000.htm —Campbell (Summary, paragraph 7)

جاء فيه أن هذا " الاكتشاف للكلمات وتحديدها" ليس ممكنا بعد في المحادثات الهاتفية، ولكن نظم التعرف على المتحدث – في الواقع "بصمة الصوت " – قد استحدثت واستخدمت للتعرف على حديث أفراد مستهدفين ممن يجرون مكالمات تليفونية دولية. بيد أن واين ماديسون، الذي كان محللا لأمن الاتصالات لدى ناسا وهو حاليا زميل أقدم في مركز المعلومات الإلكترونية للخصوصية، واشنطن، أبلغ المؤلف أن اكتشاف وتحديد الكلمات في المحادثات التليفونية تستخدمه ناسا من سنوات كثيرة.

(٣) The Observer (London), June 28, 1992 , p.4

(٤) Seymour M . Hersh , "How the digital age left our spies out in the cold , " The New York , December 6 , 1999 , p.58 - 76 .

(٥) Sunday Times (London) , May 31 , 1998 , p . 11

(٦) The Telegraph (London), dec. 16,1997

(٧) The Independent (London),April 11 , 1998

(٨) Electronic Telegraph (London) , April 11 , 1999

(٩) Washington Post, February 26 , 1995 , p . 1

(١٠) المرجع المذكور، ١٧ أكتوبر ١٩٩٥

(١١) Electronic Telegraph (London), April 11,1999

(١٢) Washington Post, September 30,1999, p.20

(١٣) Hager, المرجع المذكور، ص ٩٤

(١٤) EU - FBI : Statewatch magazine (London) , Vol . 7 , numbers 1.4 ans 5 (1997); Vol.8. numbers 5 and 6 (1998); Voi . 9 , numbers 2.3 and 6 http : // www. statewatch : يمكن قراءة بعض المواد مباشرة على (1999) .

(١٥) "The working document for the Scientific and Technological Options Assessment (STOA) panel", May 14,1999, reported by the Technology News Site, May 18, 1999; STOA is an agency of the European Parliament; Baltimore Sun, December 10, 1995,article beginning on p.1

(١٦) Washington Post, August 20, 1999,p.1

(١٧) Symposium at Harvard Law School, January 28-30,1996: Speakers Paul Strassman of the National Defense University and William Marlowe of Science Application International Corporation both declared that a number of anonymous internet remailers in the US are run by government agencies, including the CIA. Marlowe said that government agencies in Germany, France and elsewhere did likewise. For some notes made of Marlowe's talk, see: http://ksgwww.harvard.edu/iip/GIIconf/gii2note.html (site visited December 1999) see also New 1999, p.C4; Lotus, et al: Wayne Madsen. Computer Fraud & Security York Times, April 19, Bulletin (Oxford, UK) , June 1995; "nterceptions Capabilities 2000 " (see note 2) Technical annexe, sections 42 to 44.

(١٨) USA Today, October 9, 1998, p.10; Washington Post, January 29,1999,p.23, February 13, 1999 ,p.27 (Nat Hentoff)

(١٩) Baltimore Sun, December 10 and 15, 1995, جزء من سلسلة من ستة أجزاء عن NSA; Wayne Madsen. "Crypto AG: The NSA's Trojan Whore?" Covert Action Quarterly

(Washington, DC),#63,winter 1998, p.36-42; Der Spiegel (Hamburg, Germany), September 2,1996, p.206-11

(٢٠) Duncan Campbell's article of September 3,1999 يمكن العثور عليها في:

the website Tech Web: http://www.techweb.com/wire/story/TWB19990903S0014

(٢١) Agence France Presse, February 18 and 21,2000 . Microsoft denied all the charges and the French Defense Ministry said that it did not necessarily stand by the report, which was written by "outside experts".

الفصل ٢٢

(١) Dominican Republic: See Elections chapter for further information; Honduras: New York Times, May 25, 1998,p.8; Mexico: Ibid., April 20, 1990, p.1; Cypriot: Washington Post, April 18, 1999; Colombia: Ibid., October 14,1999,p.1

(٢) Los Angeles Times, June 21,1992, p.MI

(٣) Washington Post, October 15,1999,p.23

(٤) New York Times, November 6,1983,p.1, 18, 19; Casey: Bob Woodward, VEIL: The Secret Wars of the CIA 1981-1987 (New York, 1987) p.294

(٥) Los Angeles Times, June 23,1990

(٦) Philip Wheaton, Panama Invaded (New Jersey, 1992) p.45, 50-1; plus interview of Wheaton by author

(٧) New York Times, March 20,1990, p.8

(٨) كما أخبرت المؤلف فى نوفمبر ١٩٩٩، السفارة اليمنية فى واشنطن

(٩) Washington Post, November 22, 1998, p.2; March 3,1999; October 27, 1999,p.27

(١٠) المرجع المذكور، ٤ سبتمبر ١٩٩٩، ص ٢٦

(١١) Haiti: The Nation, February 26,1996 , p.5; Washington Post, August 3, 1996 ; Agence France Press, February 9,1996, as reported by Haitian Information Bureau, Port-au-Prince, Haiti, February 10,1996; New York Times, November 28,1995.

للإطلاع على تفاصيل أكثر أنظر إعلانات مناصرى هايتى (واشنطن العاصمة) والحملة لإعادة وثائق فى

http://members.bellatlantic.net/advocacy

الفصل ٢٣

(١) Los Angeles Times, February 12,1990

(٢) New York Times, July 23,1986, p.1

(٣) The Guardian (London), August 15 , 1986;The Times (London), August 4, 1986

(٤) CBS-TV interview with Tomlins, August 5, 1986; interview of Pizzey by author,April 25,1999.

(٥) The Atlanta Journal and Constitution, June 11, 1990, p.1

(٦) Los Angeles Times, June 13, 1990,p.12

الفصل ٢٤

(١) Peter Dale Scott &Jonathan Marshall, Cocaine Politics: Drugs, Armies, and the CIA in Central America, (University of California Press, Berkeley, 1991), p.x-xi. Dayle was speaking in 1991 at Fordham University in NY, as part of a panel concerning drugs, organized by the Christic Institute and other groups.

(٢) Alfred W. McCoy, The Politics of Heroin: CIA Complicity in the Global Drug Trade (New York, 1991) P.P43-47, 53-63; Alexander Cockburn and Jeffrey St. Clair, Whiteout: True CIA, Drugs and the Press (Verso, NY/London, 1998).p.137-41

(٣) Christopher Robbins, An America, (New York, 1985) chapter 9; McCoy, chapter 7and elsewhere.

(٤) McCoy, chapters 4, 5 and 7; Robbins, chapters 5 through 9

(٥) Jonathan Kwitny, The Crimes of Patriots: A True Tale of Dope, Dirty Money, and and the CIA (W.W. Norton & Co., New York, 1987)-bank's drug connections: chapter 16 elsewhere; bank's CIA connections: see index, p.404; McCoy, p.46l-78; The Village Voice (New York), July 1-7,1981' CounterSpy magazine (Washington, DC), November 198January 1981,p.30-33

(٦) Casey: Los Angeles Times. April 14,1989 , p.11, derived from the Kerry Report (see below)

(٧) Cocaine Politics, op. cit., chapters 6 and 10; John Dinges, Our Man in Panama (Random House, NY, 1991) passim; Murray Waas"Cocaine and the White House Connection", LA Weekly (Los Angeles), September 30-October 6and October 7-13,1988; National Security

Archive Documentation Packet: "The Contras, Cocaine, and Covert Operations" (Washington, DC, 1996)

Washington Post, November 28,1995,p.3 (٨)

Drugs, Law Enforcement and Foreign Policy, a Report of the Senate Committee (٩) on Foreign Relations, Subcommittee on Terrorism, Narcotics and International Operations, 1989, p.2, 36 41 ("Kerry Report")

Los Angeles Times, April 8,1988 , p.12 (١٠)

Costa Rica/Hull/Cubans: Robert Parry, Lost History: Contras, Cocaine, the Press (١١) &"Project Truth" (The Media Consortium, Arlington, VA, 1999) p.220-223 and elsewhere; Cocaine Politics, op. cit., see "Anti-Castro Cuban s" in index; Martha Honey, Hostile Acts: U.S. Policy in Costa Rica in the 1980s (University Press of Florida, Gainesville, 1994)chapters 8 to U.S. Probing Drug Agent's Activities in"10 and elsewhere; Martha Honey and David Myers, Costa Rica," San Francisco Chronicle. August 14,1991

Cocaine Politics, op. cit., chapters 2 and 3 and elsewhere; Hyde: Peter Dale (١٢) Scott, The Official Story: What the government has admitted about CIA ties to drug dealers (Institute for Policy Studies, Washington, DC, 1999) p.28-9.This monograph is an analysis of two CIA and one Justice Department reports issued in 1997-8 in response to the many allegations of CIA drug connections. See also Lost History, op. cit., passim for an analysis of the government reports.

Ilopango: Celerino Castillo and Dave Harmon, Powder Burns: Cocaine, Contras (١٣) and the Drug War (Mosaic Press, Canada, 1994), p.128-139 and elsewhere; North's diary:Washington Post, October 22 1994,p.11; Guatemala: Frank Smyth, "In Guatemala, The DEA Fights the C1A", New Republic, June 5,1995.

New York Times, April 14, 1989,p.8; Cocaine Politics, op. cit., p.60-62; Customs (١٤) Agent: FBI debriefing of Dennis Ainsworth, California Contra supporter, January 21, 1987,p.8. part of National Security Archive Documentation Packet, op. cit.

Kerry Report, p.42-43; New York Times, April 14, 1989, p.8 (١٥)

Cocaine Politics, op. cit., p.17-18 (١٦)

New York Times, April 14,1989, p.8 (١٧)

Washington Post, March 17,1998 (١٨)

Whiteout, op. cit., p.95-7; Wall Street Journal, November 22,1996; New York (١٩) Times, November 19,1996; Miami Herald, November 23,1996, p.BI

McCoy, p.436-60; Tim Weiner, Blank Check: The Pentagon's Black Budget (٢٠) (Warner Books, NY, 1990) p.151-2; New York Times, June 18,1986; Covert Action Information

Bulletin, (Washington, DC) No. 28, Summer 1987, p.11-12; Los Angeles Times, November 4,1989, p.14; Washington Post, May 13,1990, p.1

(٢١) Los Angeles Times, August 22,1993

(٢٢) New York Times, Nov. 14,1993 ; The Nation, October 3. 1994, p.346; Washington Post, March 8,1997

(٢٣) In the United States: Gary Webb, Dark Alliance: The CIA, The Contras, and the Crack Cocaine Explosion (New York, 1998), passim; San Jose Mercury News, August 18-20,1996, series by Gary Webb, from which his book springs; Cocaine Politics, op. cit., passim; Lost History, op. cit., passim; iF Magazine (Arlington, VA), March-April 1998,September-October 1998, and other issues; The Official Story, op. cit., passim; New York Times, October 10,1998, "C1A said to ignore charges of contra drug dealing in '80s"

(٢٤) Eugene Weekly (Oregon), January 15, 1999, Interview with Webb

الفصل ٢٥

(١) يتحدث كاتب للرئيس في سياق إسقاط طائرة ركاب إيرانية بواسطة سفينة أمريكية، مما أودى بحياة ٢٩٠ شخصا، News week, August 15,1988

(٢) Washington Post, December 18,1987

(٣) New York Times, November 11,1996, p.12

(٤) محادثة للمؤلف مع قسم رعاية المصالح الكوبية في واشنطن، العاصمة

(٥) U.S. Aid to North Vietnam, Hearings Before the Subcommittee on Asian and Pacific Affairs, House Committee on International Relations, July 19, 1977, Appendix 2.

(٦) Los Angeles Times and New York Times, March 11,1997

(٧) للإطلاع على مناقشة لهذا التشويه، أنظر John Pilger, "Vietnam: The Final Battle", Coven Action Quarterly (Washington, DC), #64, Spring 1998, p.54-65

(٨) Holly Sklar, Washington's War on Nicaragua (South End Press, Boston, 1988),p.169-70, 314

(٩) San Francisco Chronicle, April 16, 1987,p.15

(١٠) لقاء أجراه المؤلف مع المدعى العام رمزى كلارك فى ٧ سبتمبر ١٩٩٩ وكان كلارك موكلا عن عديد من المدعين.

(١١) لقاء مع المدعى جون كيوناجا من الأسكندرية، ف أ، ١٠ سبتمبر ١٩٩٩، وكان هو وأخوه ديفيد مدعيين في هذه القضايا، أنظر Los Angeles Times, April 1, 1990; أنظر أيضا The Guardian (London), July 28,1990, p.7; San Francisco Examiner, April 26,1992, p.4

(١٢) لقـــاء مع Elizabeth Abimershad of the IACHR-OAS in Washington, September,
The case is Salas, et al. against United States of America, Case No. 10 , 573 7,1999

(١٣) قرأه على المؤلف فى التليفون فى ٢٢ ديسمبر ١٩٩٩، مكتب بنما فى وزارة الخارجية من إعلان صحفى رسمى

(١٤) The Independent (London), February 15 , 1999, p.12; Seymour Hersh, 'The Missiles of August", The New Yorker, Octobe 12,1998, p34-4l; New York Times, October 21, 1998,p.1 and 8

(١٥) Washington Post, July 25, 1999,p.Fl

(١٦) Peacelink magazine (Hamilton, New Zealand), March 1991,p.19; WashPost, February 8,1991, p.1 (includes Powell remark)

(١٧) "Nato bombed Chinese deliberately", The Observer (London), October17, 1999,and November 28, 1999 أنظر أيضـــا Extra! Update (Fairness &Accuracy in Reporting, New York),December 1999

(١٨) Weekly Compilayion of presidential Documents , March 15 , 1999 , p . 395

(١٩) Public Papers of the Presidents of the United States (GPO), 1968-69, Vol. II, p.800

(٢٠) The Associated Press, dispatch from Athens, Greece, November 20, 1999,by Terence Hunt; Washington Post, November 21,1999

(٢١) Weekly Compilation of Presidential Documents, March 24, 1998,p.491

الفصل ٢٦

(١) Los Angeles Times, January 2,1995,Assembly Bills 36X and 57X

(٢) المرجع المذكور، ٢٩ سبتمبر ١٩٩٤ Washington Post, December 26,1999 , p . 16;

(٣) خطاب فى اوستن، تكساس، ابريل ١٩٩٣، كشف حملتها للرعاية الصحية

(٤) Los Angeles Times, January 2 ,1995, Senate Bill 1330

(٥) New York Times, December 25, 1992

(٦) Washington Post, June 11,1995

(٧) المرجع المذكور، ٥ يوليو ١٩٩٦، عمود كتبه E.J. Dionne Jr.

(٨) المرجع المذكور، ١٥ مايو ١٩٩٨، ص٩

(٩) المرجع المذكور، ٢٠ يونيو، ١٩٩٥

(١٠) المرجع المذكور،٣٠ نوفمبر، ١٩٩٥

(١١) New York Times, June 7,1987,Section 11CN ("Connecticut Weekly - Desk"), p.36 (found in Lexis-Nexis)

(١٢) Los Angeles Times, September 2, 1994

الفصل ٢٧

(١) The Guardian (London), October 11,1984;January 11,1986, p.7

(٢) Los Angeles Times, August 26,1991, p.6

(٣) Guatemala: Stephen Schlesinger and Stephen Kinzer, Bitter Fruit: The Untold p.183; Jagan: Story of the American Coup in Guatemala (Doubleday&.Co., New York, 1982), Arthur Schlesinger, A Thousand Days (Boston, 1965), p.774-9; Bishop: Associated Press, May 29,1983,"Leftist Government Officials Visit United States" (Lexis-Nexis)

(٤) Los Angeles Times, February 24,1994, p.7

(٥) Washington Post, April 19,1999, p.14

(٦) Los Angeles Times, April 4, 1999,p.4

(٧) Washington Post, May 9,1999 ,p.1 and 22

(٨) Christopher Simpson, Science of Coercion (Oxford University Press, NY, 1994), p.4

(٩) Washington Times, July 28,29,30,1999

(١٠) Washington Post, January 2,1999; أنظر أيضا نقد المحامى الدستورى فلويد ابرامز الجاد لسياسات إدارة كلينتون حول قضايا التعديل الأول ، New York Times Magazine, March 30 , 1397,p.42-4

كشاف

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ع)

(غ)

(ف)

(ك)

(ق)

(ل)

(م)

(ن)

(و)

(هـ)

(ى)

المشروع القومى للترجمة

المشـروع القومـى للترجمـة مشـروع تنميـة ثقافيـة بالدرجـة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التـوازن بين المعـارف الإنسـانيـة فى المجـالات العلمـيـة والفنيـة والفكرية والإبداعية .

٣- الانحيـاز إلى كل مـا يؤسس لأفكار التقـدم وحضـور العلم وإشـاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصـول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العـمل على إعداد جيل جديد من المتـرجـمين المتـخصـصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاسـتـعـانة بكل الخـبـرات العـربيـة وتنسـيق الجـهـود مع المؤسسـات المعنيـة بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

العنوان	المؤلف	المترجم
١ – اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ – الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣ – التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
٤ – كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
٥ – ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ – اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ – العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
٨ – مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ – التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠ – خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١ – مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ – طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ – ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤ – التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥ – الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
١٦ – أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عتمان
١٧ – مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨ – الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ – الأعمال الشعرية الكاملة	چورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ – قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١ – خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
٢٢ – مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣ – تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ – ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥ – مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦ – دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ – التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨ – رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ – الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ – الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣١ – مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه – كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب
٣٢ – الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣ – التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣٤ – الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥ – الأسطورة والحداثة	پول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

٣٦ – نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧ – واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٣٨ – نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩ – الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠ – قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١ – ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحي / محمود ماجد
٤٢ – عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
٤٣ – اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	ت : المهدى أخريف
٤٤ – بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلي	ت : مارلين تادرس
٤٥ – التراث المغدور	روبرت ج دنيا – جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦ – عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
٤٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ – حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتى
٤٩ – الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠ – ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١ – مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
٥٢ – العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣ – الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤ – المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
٥٥ – ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦ – الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧ – الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨ – مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩ – المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠ – التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
٦١ – موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور – سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
٦٢ – لذّة النّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣ – تاريخ النقد الأدبى الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ – برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥ – فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦ – خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ – مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدى أخريف
٦٨ – نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩ – العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠ – ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ – السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود

العنوان	المؤلف	المترجم
٧٢ – السياسى العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلى
٧٣ – نقد استجابة القارئ	چين . ب . توميكنز	ت : حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤ – صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	ت : حسن بيومى
٧٥ – فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
٧٦ – چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
٧٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث ج ٣	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨ – العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩ – شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠ – بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمرى
٨١ – الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوى
٨٢ – مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	ت : محمود السيد على
٨٣ – مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالى
٨٤ – موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
٨٥ – منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	ت : عبد الرازق بركات
٨٦ – طول الليل	جمال مير صادقى	ت : أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧ – نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العنانى
٨٨ – الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩ – الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠ – وسم السيف (قصص)	نخبة من كُتاب أمريكا اللاتينية	ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١ – المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢ – أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجل	ت : نادية جمال الدين
٩٣ – محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
٩٤ – الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوى
٩٥ – مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
٩٦ – ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
٩٧ – هوية فرنسا (مج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
٩٨ – الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	نماذج ومقالات	ت : أشرف الصباغ
٩٩ – تاريخ السينما العالمية	ديڤيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
١٠٠ – مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحى
١٠١ – النص الروائى (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
١٠٢ – السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبى	ت : عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣ – قبر ابن عربى يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٤ – أوبرا ماهوجنى	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوى
١٠٥ – مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	ت : عبد العزيز شبيل
١٠٦ – الأدب الأندلسى	د. ماريا خيسوس روبييرامتى	ت : أشرف على دعدور
١٠٧ – صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة	ت : محمد عبد الله الجعيدى

١٠٨ – ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من النقاد	ت : محمود علي مكي
١٠٩ – حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ – النساء في العالم النامي	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١ – المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢ – الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣ – راية التمرد	سادى پلانت	ت : أحمد حسان
١١٤ – مسرحيتا حصاد كونجي وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت : نسيم مجلي
١١٥ – غرفة تخص المرء وحده	فرجينيا وولف	ت : سمية رمضان
١١٦ – امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ – المرأة والجنوسة في الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ – النهضة النسائية في مصر	بث بارون	ت : لميس النقاش
١١٩ – النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهري سنبل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ – الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
١٢١ – الدليل الصغير في كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندي ، وإيزابيل كمال
١٢٢ – نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣ – الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نيقل الكسندر وفنادولينا	ت: أنور محمد إبراهيم
١٢٤ – الفجر الكاذب	جون جراي	ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥ – التحليل الموسيقي	سيدريك ثورپ ديڤي	ت : سمحه الخولي
١٢٦ – فعل القراءة	ڤولفانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧ – إرهاب	صفاء فتحي	ت : بشير السباعي
١٢٨ – الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩ – الرواية الاسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ – الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت : شوقي جلال
١٣١ – مصر القديمة (التاريخ الاجتماعي)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢ – ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣ – الخوف من المرايا	طارق علي	ت : طلعت الشايب
١٣٤ – تشريح حضارة	باري ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥ – المختار من نقد ت. س. إليوت (ثلاثة أجزاء)	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦ – فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٣٧ – مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية	جوزيف ماري مواريه	ت : كاميليا صبحي
١٣٨ – عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تاروني	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ – پارسيڤال	ريشارد ڤاجنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠ – حيث تلتقي الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبوري
١٤١ – اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢ – الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومي
١٤٣ – قضايا التنظير في البحث الاجتماعي	ديريك لايدار	ت : عدلي السمري
١٤٤ – صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدوني	ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥ – موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ – الورقة الحمراء	ميجيل دى ليبس	ت : على عبد الرؤوف اليمبى
١٤٧ – خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	ت : عبد الغفار مكاوى
١٤٨ – القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكى أندرسون إمبرت	ت : على إبراهيم على منوفى
١٤٩ – النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠ – التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت: منيرة كروان
١٥١ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٢ – عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكُتاب	ت : محمد محمد الخطابى
١٥٣ – غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ – مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥ – الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦ – المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت ڤيرمو	ت : مى التلمسانى
١٥٧ – خسرو وشيرين	النظامى الكنوجى	ت : عبد العزيز بقوش
١٥٨ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٩ – الإيديولوجية	ديفيد هوكس	ت : إبراهيم فتحى
١٦٠ – آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت : حسين بيومى
١٦١ – من المسرح الإسبانى	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت : زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ – تاريخ الكنيسة	يوحنا الآسيوى	ت : صلاح عبد العزيز محجوب
١٦٣ – موسوعة علم الاجتماع ج ١	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
١٦٤ – شامپوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	ت : نبيل سعد
١٦٥ – حكايات الثعلب	أ . ن أفانا سيفا	ت : سهير المصادفة
١٦٦ – العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ – فى عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت : شكرى محمد عياد
١٦٨ – دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت : شكرى محمد عياد
١٦٩ – إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت : شكرى محمد عياد
١٧٠ – الطريق	ميغيل دليبيس	ت : بسام ياسين رشيد
١٧١ – وضع حد	فرانك بيجو	ت : هدى حسين
١٧٢ – حجر الشمس	مختارات	ت : محمد محمد الخطابى
١٧٣ – معنى الجمال	والتر ت . ستيس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ – صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت : أحمد محمود
١٧٥ – التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ – نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
١٧٧ – أنطون تشيخوف	هنرى ترويا	ت : حصة إبراهيم منيف
١٧٨ – مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	ت : محمد حمدى إبراهيم
١٧٩ – حكايات أيسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ – قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت : سليم عبدالأمير حمدان
١٨١ – النقد الأدبى الأمريكى	فنسنت . ب . ليتش	ت : محمد يحيى

١٨٢ – العنف والنبوءة	و . ب . ييتس	ت : ياسين طه حافظ
١٨٣ – جان كوكتو على شاشة السينما	رينيه چيلسون	ت : فتحى العشرى
١٨٤ – القاهرة .. حالمة لا تنام	هانز إبندورفر	ت : دسوقى سعيد
١٨٥ – أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت : عبد الوهاب علوب
١٨٦ – معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنوود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ – الأرضة	بُزُرْج علَوى	ت : علاء منصور
١٨٨ – موت الأدب	ألفين كرنان	ت : بدر الديب
١٨٩ – العمى والبصيرة	پول دى مان	ت : سعيد الغانمى
١٩٠ – محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت : محسن سيد فرجانى
١٩١ – الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت : مصطفى حجازى السيد
١٩٢ – سياحتنامه إبراهيم بيك	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
١٩٣ – عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت : محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ – مختارات من النقد الأنجلو–أمريكى	مجموعة من النقاد	ت : ماهر شفيق فريد
١٩٥ – شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
١٩٦ – المهلة الأخيرة	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
١٩٧ – الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت : جلال السعيد الحفناوى
١٩٨ – الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ – تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداوى	ت : جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠ – ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	ت : فخرى لبيب
٢٠١ – الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٢٠٢ – تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٤	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ – الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	ت : جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤ – تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	ت : أحمد محمود هويدى
٢٠٥ – الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى - سفورزا	ت : أحمد مستجير
٢٠٦ – الهيولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	ت : على يوسف على
٢٠٧ – ليل إفريقى	رامون خوتاسندير	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨ – شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	ت : محمد أحمد صالح
٢٠٩ – السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٠ – مثنويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١ – فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	ت : محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢ – قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣ – مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر	ريمون فلاور	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢١٤ – قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	ت : محمد محمود محى الدين
٢١٥ – سياحت نامه إبراهيم بيك جـ٢	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢١٦ – جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٧ – مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت	ت : نادية البنهاوى
٢١٨ – رايولا	خوليو كورتازان	ت : على إبراهيم على منوفى

٢١٩ – بقايا اليوم	كازو ايشجورو	ت : طلعت الشايب
٢٢٠ – الهيولية فى الكون	بارى باركر	ت : على يوسف على
٢٢١ – شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	ت : رفعت سلام
٢٢٢ – فرانز كافكا	رونالد جراى	ت : نسيم مجلى
٢٢٣ – العلم فى مجتمع حر	بول فيرابنر	ت : السيد محمد نفادى
٢٢٤ – دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت : منى عبد الظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥ – حكاية غريق	جابرييل جارثيا ماركث	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٦ – أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	ت : طاهر محمد على البربرى
٢٢٧ – المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	موسى ماردينا ديف بوركى	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٨ – علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت : مارى تيريز عبد المسيح وخالد حسن
٢٢٩ – مأزق البطل الوحيد	نورمان كيمان	ت : أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠ – عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١ – الدرافيل	خايمى سالوم بيدال	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٢٣٢ – مابعد المعلومات	توم ستينر	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣ – فكرة الاضمحلال	أرثر هيرمان	ت : طلعت الشايب
٢٣٤ – الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	ت : فؤاد محمد عكود
٢٣٥ – ديوان شمس تبريزى ج١	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦ – الولاية	ميشيل تود	ت : أحمد الطيب
٢٣٧ – مصر أرض الوادى	روبين فيدين	ت : عنايات حسين طلعت
٢٣٨ – العولمة والتحرير	الانكتاد	ت : ياسر محمد جاد الله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩ – العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلارافر – رايوخ	ت : نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠ – الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	ت : صلاح عبد العزيز محمود
٢٤١ – فى انتظار البرابرة	ك. م كويتز	ت : ابتسام عبد الله سعيد
٢٤٢ – سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	ت : صبرى محمد حسن عبد النبى
٢٤٣ – تاريخ إسبانيا الإسلامية جـ١	ليفى بروفنسال	ت : مجموعة من المترجمين
٢٤٤ – الغليان	لاورا إسكيبيل	ت : نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ – نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت : توفيق على منصور
٢٤٦ – قصص مختارة	جابرييل جرثيا ماركث	ت : على إبراهيم على منوفى
٢٤٧ – الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	وولتر أرمبرست	ت : محمد الشرقاوى
٢٤٨ – حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٢٤٩ – لغة التمزق	دراجو شتامبوك	ت : رفعت سلام
٢٥٠ – علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ت : ماجدة أباظة
٢٥١ – موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٥٢ – رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت : على بدران
٢٥٣ – تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوڤا	ت : حسن بيومى
٢٥٤ – الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ – أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام

٢٥٦ – ديكارت	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ – تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	ت : محمود سيد أحمد
٢٥٨ – الغجر	سير أنجوس فريزر	ت : عُبادة كُحيلة
٢٥٩ – مختارات من الشعر الأرمنى	نخبة	ت : ڤاروچان كازانچيان
٢٦٠ – موسوعة علم الاجتماع ج٢	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٦١ – رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ – مدينة المعجزات	إدوارد مندوثا	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣ – الكشف عن حافة الزمن	چون جريبن	ت : على يوسف على
٢٦٤ – إبداعات شعرية مترجمة	هوراس / شلى	ت : لويس عوض
٢٦٥ – روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصموئيل جونسون	ت : لويس عوض
٢٦٦ – مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت : عادل عبد المنعم سويلم
٢٦٧ – فن الرواية	ميلان كونديرا	ت : بدر الدين عرودكى
٢٦٨ – ديوان شمس تبريزى ج٢	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧٠ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج٢	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧١ – الحضارة الغربية	توماس سى . باترسون	ت : شوقى جلال
٢٧٢ – الأديرة الأثرية فى مصر	س. س. والترز	ت : إبراهيم سلامة
٢٧٣ – الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط	جوان آر. لوك	ت : عنان الشهاوى
٢٧٤ – السيدة بربارا	رومولو جلاجوس	ت : محمود على مكى
٢٧٥ – ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	أقلام مختلفة	ت : ماهر شفيق فريد
٢٧٦ – فنون السينما	فرانك جوتيران	ت : عبد القادر التلمسانى
٢٧٧ – الجينات : الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت : أحمد فوزى
٢٧٨ – البدايات	إسحق عظيموف	ت : ظريف عبد الله
٢٧٩ – الحرب الباردة الثقافية	فرانسيس ستونر سوندرز	ت : طلعت الشايب
٢٨٠ – من الأدب الهندى الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	ت : سمير عبد الحميد
٢٨١ – الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى	ت : جلال الحفناوى
٢٨٢ – طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبيرت	ت : سمير حنا صادق
٢٨٣ – السهل يحترق	خوان رولفو	ت : على البمبى
٢٨٤ – هرقل مجنوناً	يوربيدس	ت : أحمد عتمان
٢٨٥ – رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	ت : سمير عبد الحميد
٢٨٦ – رحلة إبراهيم بك ج٢	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢٨٧ – الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كينج	ت : محمد يحيى وآخرون
٢٨٨ – الفن الروائى	ديفيد لودج	ت : ماهر البطوطى
٢٨٩ – ديوان منجوهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	ت : محمد نور الدين
٢٩٠ – علم اللغة والترجمة	جورج مونان	ت : أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج١	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر
٢٩٢ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج٢	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر

٢٩٣ – مقدمة للأدب العربى	روجر آلان	ت : نخبة من المترجمين
٢٩٤ – فن الشعر	بوالو	ت : رجاء ياقوت صالح
٢٩٥ – سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت : بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦ – مكبث	وليم شكسبير	ت : محمد مصطفى بدوى
٢٩٧ – فن النحو بين اليونانية والسوريانية	ديونيسيوس ثراكس – يوسف الأهوانى	ت : ماجدة محمد أنور
٢٩٨ – مأساة العبيد	أبو بكر تفاوايليوه	ت : مصطفى حجازى السيد
٢٩٩ – ثورة التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	ت : هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠ – أسطورة بروميثيوس مج١	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى وبهاء چاهين
٣٠١ – أسطورة بروميثيوس مج٢	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى ومحمد الجندى
٣٠٢ – فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣ – بوذا	جين هوب وبورن فان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤ – ماركس	ريوس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥ – الجلد	كروزيو مالاپارته	ت : صلاح عبد الصبور
٣٠٦ – الحماسة – النقد الكانطى للتاريخ	چان – فرانسوا ليوتار	ت : نبيل سعد
٣٠٧ – الشعور	ديفيد بابينو	ت : محمود محمد أحمد
٣٠٨ – علم الوراثة	ستيف جونز	ت : ممدوح عبد المنعم أحمد
٣٠٩ – الذهن والمخ	انجوس چيلاتى	ت : جمال الجزيرى
٣١٠ – يونج	ناجى هيد	ت : محيى الدين محمد حسن
٣١١ – مقال فى المنهج الفلسفى	كولنجوود	ت : فاطمة إسماعيل
٣١٢ – روح الشعب الأسود	وليم دى بويز	ت : أسعد حليم
٣١٣ – أمثال فلسطينية	خايير بيان	ت : عبد الله الجعيدى
٣١٤ – الفن كعدم	جينس مينيك	ت : هويدا السباعى
٣١٥ – جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو	ت :كاميليا صبحى
٣١٦ – محاكمة سقراط	أ. ف. ستون	ت : نسيم مجلى
٣١٧ – بلا غد	شير لايموفا – زنيكين	ت : أشرف الصباغ
٣١٨ – الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	نخبة	ت : أشرف الصباغ
٣١٩ – صور دريدا	جايتر ياسبيفاك وكرستوفر نوريس	ت : حسام نايل
٣٢٠ – لمة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٢١ – تاريخ إسبانيا الإسلامية ج٢	ليفى برو فنسال	ت : نخبة من المترجمين
٣٢٢ – وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى	دبليو. إيوجين كليناور	ت : خالد مفلح حمزة
٣٢٣ – فن الساتورا	تراث يونانى قديم	ت : هانم سليمان
٣٢٤ – اللعب بالنار	أشرف أسدى	ت : محمود سلامة علاوى
٣٢٥ – عالم الآثار	فيليب بوسان	ت : كرستين يوسف
٣٢٦ – المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	ت : حسن صقر
٣٢٧ – مختارات شعرية مترجمة	نخبة	ت : توفيق على منصور
٣٢٨ – يوسف وزليخة	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٢٩ – رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	ت : محمد عيد إبراهيم

٣٣٠ – كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شيرد	ت : سامى صلاح
٣٣١ – عندما جاء السردين	ستيفن جراى	ت : سامية دياب
٣٣٢ – رحلة شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٣٣ – الإسلام فى بريطانيا	نبيل مطر	ت : بكر عباس
٣٣٤ – لقطات من المستقبل	أرثر س. كلارك	ت : مصطفى فهمى
٣٣٥ – عصر الشك	ناتالي ساروت	ت : فتحى العشرى
٣٣٦ – متون الأهرام	نصوص قديمة	ت : حسن صابر
٣٣٧ – فلسفة الولاء	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٣٣٨ – نظرات حائرة وقصص أخرى من الهند	نخبة	ت : جلال السعيد الحفناوى
٣٣٩ – تاريخ الأدب فى إيران جـ٣	على أصغر حكمت	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٤٠ – اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربيروجلو	ت : فخرى لبيب
٣٤١ – قصائد من رلكه	راينر ماريا رلكه	ت : حسن حلمى
٣٤٢ – سلامان وأبسال	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٤٣ – العالم البرجوازى الزائل	نادين جورديمر	ت : سمير عبد ربه
٣٤٤ – الموت فى الشمس	بيتر بلانجوه	ت : سمير عبد ربه
٣٤٥ – الركض خلف الزمن	بونه ندائى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦ – سحر مصر	رشاد رشدى	ت : جمال الجزيرى
٣٤٧ – الصبية الطائشون	جان كوكتو	ت : بكر الحلو
٣٤٨ – المتصوفة الأولون فى الأدب التركى جـ١	محمد فؤاد كوبريلى	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٣٤٩ – دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	أرثر والدرون وآخرين	ت : أحمد عمر شاهين
٣٥٠ – بانوراما الحياة السياحية	أقلام مختلفة	ت : عطية شحاتة
٣٥١ – مبادئ المنطق	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٣٥٢ – قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	ت : نعيم عطية
٣٥٣ – الفن الإسلامى فى الأندلس (هندسية)	باسيليو بابون مالدونالد	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٥٤ – الفن الإسلامى فى الأندلس (نباتية)	باسيليو بابون مالدونالد	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٥٥ – التيارات السياسية فى إيران	حجت مرتضى	ت : محمود سلامة علاوى
٣٥٦ – الميراث المر	بول سالم	ت : بدر الرفاعى
٣٥٧ – متون هيرميس	نصوص قديمة	ت : عمر الفاروق عمر
٣٥٨ – أمثال الهوسا العامية	نخبة	ت : مصطفى حجازى السيد
٣٥٩ – محاورات بارمنيدس	أفلاطون	ت : حبيب الشارونى
٣٦٠ – أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ت : ليلى الشربينى
٣٦١ – التصحر : التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	ت : عاطف معتمد وآمال شاور
٣٦٢ – تلميذ بابنبرج	هاينرش شبورال	ت : سيد أحمد فتح الله
٣٦٣ – حركات التحرر الأفريقى	ريتشارد جيبسون	ت : صبري محمد حسن
٣٦٤ – حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	ت : نجلاء أبو عجاج
٣٦٥ – سأم باريس	شارل بودلير	ت : محمد أحمد حمد
٣٦٦ – نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	ت : مصطفى محمود محمد

٣٦٧ – القلم الجرىء	نخبة	ت : البرّاق عبد الهادى رضا
٣٦٨ – المصطلح السردى	جيرالد برنس	ت : عابد خزندار
٣٦٩ – المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	ت : فوزية العشماوى
٣٧٠ – الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	ت : فاطمة عبد الله محمود
٣٧١ – المتصوفة الأولون فى الأدب التركى جـ٢	محمد فؤاد كوبريلى	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٣٧٢ – عاش الشباب	وانغ مينغ	ت : وحيد السعيد عبد الحميد
٣٧٣ – كيف تعد رسالة دكتوراه	أمبرتو إيكو	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٧٤ – اليوم السادس	أندريه شديد	ت : حمادة إبراهيم
٣٧٥ – الخلود	ميلان كونديرا	ت : خالد أبو اليزيد
٣٧٦ – الغضب وأحلام السنين	نخبة	ت : إدوار الخراط
٣٧٧ – تاريخ الأدب فى إيران جـ٤	على أصغر حكمت	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٧٨ – المسافر	محمد إقبال	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٧٩ – ملك فى الحديقة	سنيل باث	ت : جمال عبد الرحمن
٣٨٠ – حديث عن الخسارة	جونتر جراس	ت : شيرين عبد السلام
٣٨١ – أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	ت : رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢ – تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	ت : أحمد محمد نادى
٣٨٣ – هدية الحجاز	محمد إقبال	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٣٨٤ – القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	ت : إيزابيل كمال
٣٨٥ – مشترى العشق	محمد على بهزادراد	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٨٦ – دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ت : ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧ – أغنيات وسوناتات	چون دن	ت : بهاء چاهين
٣٨٨ – مواعظ سعدى الشيرازى	سعدى الشيرازى	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٨٩ – من الأدب الباكستانى المعاصر	نخبة	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٣٩٠ – الأرشيفات والمدن الكبرى	نخبة	ت : عثمان مصطفى عثمان
٣٩١ – الحافلة الليلكية	مايف بينشى	ت : منى الدروبى
٣٩٢ – مقامات ورسائل أندلسية	فرناندو دى لاجرانخا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٣٩٣ – فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	ت : نخبة
٣٩٤ – القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	ت : هاشم أحمد محمد
٣٩٥ – آلام سياوش	إسماعيل فصيح	ت : سليم حمدان
٣٩٦ – السافاك	تقى نجارى راد	ت :محمود سلامة علاوى
٣٩٧ – نيتشه	لورانس جين	ت :إمام عبد الفتاح إمام
٣٩٨ – سارتر	فيليب تودى	ت :إمام عبد الفتاح إمام
٣٩٩ – كامى	ديفيد ميروفتس	ت :إمام عبد الفتاح إمام
٤٠٠ – مومو	مشيائيل إنده	ت : باهر الجوهرى
٤٠١ – الرياضيات	زيادون ساردر	ت : ممدوح عبد المنعم
٤٠٢ – هوكنج	ج . ب . ماك ايفوى	ت : ممدوح عبد المنعم
٤٠٣ – ربة المطر والملابس تصنع الناس	تودور شتورم	ت : عماد حسن بكر

٤٠٤ – تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ت : ظبية خميس
٤٠٥ – إيزابيل	أندريه جيد	ت : حمادة إبراهيم
٤٠٦ – المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٤٠٧ – الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	أقلام مختلفة	ت : طلعت شاهين
٤٠٨ – معجم تاريخ مصر	جوان فوتشركنج	ت : عنان الشهاوى
٤٠٩ – انتصار السعادة	برتراند راسل	ت : إلهامى عمارة
٤١٠ – خلاصة القرن	كارل بوبر	ت : الزواوى بغورة
٤١١ – همس من الماضى	جينيفر أكرمان	ت : أحمد مستجير
٤١٢ – تاريخ إسبانيا الإسلامية ج٣	ليفى بروفنسال	ت : نخبة
٤١٣ – أغنيات المنفى	ناظم حكمت	ت : محمد البخارى
٤١٤ – الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوفا	ت : أمل الصبان
٤١٥ – صورة كوكب	فريدريش دورنيمات	ت : أحمد كامل عبد الرحيم
٤١٦ – مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	ت : مصطفى بدوى
٤١٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث ج٥	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤١٨ – سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية	جين هاثواى	ت : عبد الرحمن الشيخ
٤١٩ – العصر الذهبى للإسكندرية	جون ماريو	ت : نسيم مجلى
٤٢٠ – مكرو ميجاس	فولتير	ت : الطيب بن رجب
٤٢١ – الولاء والقيادة فى المجتمع الإسلامى	روى متحدة	ت : أشرف محمد كيلانى
٤٢٢ – رحلة لاستكشاف أفريقيا جـ١	نخبة	ت : عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٢٣ – إسراءات الرجل الطيف	نخبة	ت : وحيد النقاش
٤٢٤ – لوائح الحق ولوامع العشق	نور الدين عبد الرحمن الجامى	ت : محمد علاء الدين منصور
٤٢٥ – من طاووس حتى فرح	محمود طلوعى	ت : محمود سلامة علاوى
٤٢٦ – الخفافيش وقصص أخرى من أفغانستان	نخبة	ت : محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧ – باندراس الطاغية	باى إنكلان	ت : ثريا شلبى
٤٢٨ – الخزانة الخفية	محمد هوتك	ت : محمد أمان صافى
٤٢٩ – هيجل	ليود سبنسر وأندرزجى كروز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٠ – كانط	كرستوفر وانت وأندزجى كليموفسكى	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣١ – فوكو	كريس هيروكس وزوران جفتيك	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٢ – ماكياڤلى	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٣ – جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	ت : حمدى الجابرى
٤٣٤ – الرومانسية	دونكان هيث وچودن بورهام	ت : عصام حجازى
٤٣٥ – توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ت : ناجى رشوان
٤٣٦ – تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٧ – رحالة هندى فى بلاد الشرق	شبلى النعمانى	ت : جلال السعيد الحفناوى
٤٣٨ – بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	ت : عايدة سيف الدولة
٤٣٩ – موت المرابى	صدر الدين عينى	ت : محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠ – قواعد اللهجات العربية	كرستن بروستاد	ت : محمد الشرقاوى

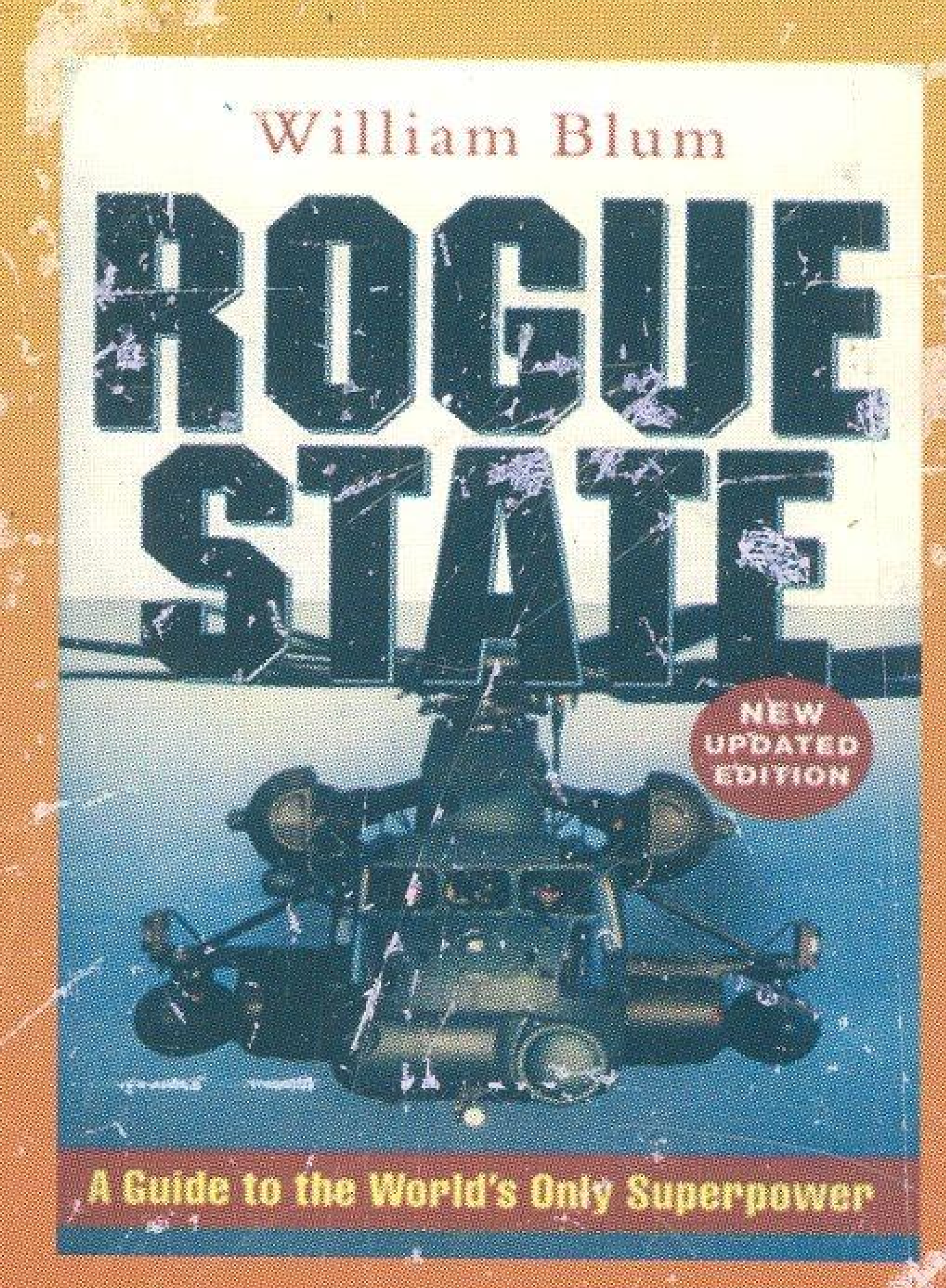
٤٤١ – رب الأشياء الصغيرة	أروندهاتي روي	ت : فخري لبيب
٤٤٢ – حتشبسوت (المرأة الفرعونية)	فوزية أسعد	ت : ماهر جويجاتي
٤٤٣ – اللغة العربية	كيس نرستيغ	ت : محمد الشرقاوي
٤٤٤ – أمريكا اللاتينية : الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	ت : صالح علماني
٤٤٥ – حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلري	ت : محمد محمد يونس
٤٤٦ – التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفري سانت كلير	ت : أحمد محمود
٤٤٧ – نظرية الكم	ج. پ. ماك ايفوي	ت : ممدوح عبد المنعم
٤٤٨ – علم نفس التطور	ديلان ايفانز – أوسكار زاريت	ت : ممدوح عبد المنعم
٤٤٩ – الحركة النسائية	مجموعة	ت : جمال الجزيري
٤٥٠ – ما بعد الحركة النسائية	صوفيا فوكا – ريبيكا رايت	ت : جمال الجزيري
٤٥١ – الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن / بورن ڤان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢ – لينين والثورة الروسية	ريتشارد إبجنانزي / أوسكار زاريت	ت : محي الدين مزيد
٤٥٣ – القاهرة : إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	ت : حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤ – خمسون عامًا من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	ت : سوزان خليل
٤٥٥ – تاريخ الفلسفة الحديثة (مج ٥)	فردريك كوبلستون	ت : محمود سيد أحمد
٤٥٦ – لا تنسنى	مريم جعفري	ت : هويدا عزت محمد
٤٥٧ – النساء في الفكر السياسي الغربي	سوزان موللر اوكين	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٨ – الموريسكيون الأندلسيون	خوليو كارو باروخا	ت : جمال عبد الرحمن
٤٥٩ – نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
٤٦٠ – الفاشية والنازية	ستوارت هود – ليتزا جانستز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٦١ – لكان	داريان ليدر – جودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٦٢ – طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبد الرشيد الصادق محمودي	ت : عبد الرشيد الصادق محمودي
٤٦٣ – الدولة المارقة	ويليام بلوم	ت : كمال السيد

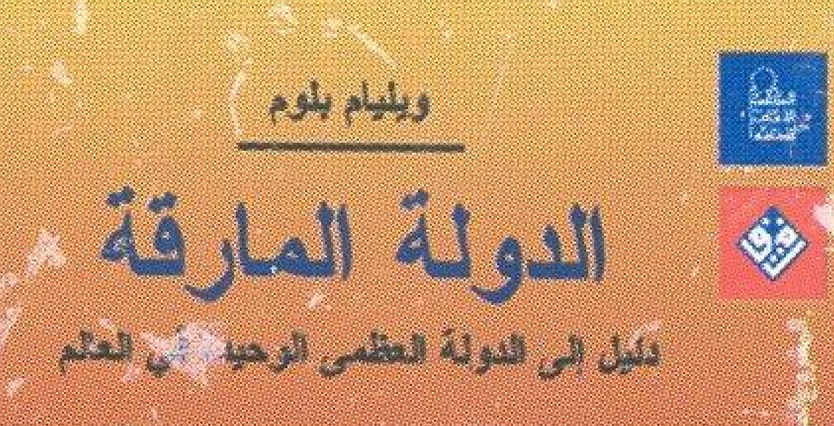
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٤٠٦٤ / ٢٠٠٢

المجلس الأعلى للثقافة









طوال سبعين عاما أقنعت الولايات المتحدة جزءا كبيرا من العالم بأن هناك مؤامرةً دوليةً تتربص بها؛ مؤامرة شيوعية دولية، تسعى على أقل تقدير للسيطرة على الكوكب برمته، لأغراض ليس لها قيم تحقق الخلاص الاجتماعى، وجعلت العالم يعتقد أنه يحتاج إلى الولايات المتحدة بطريقة ما لإنقاذه من غياهب الظلمة الشيوعية، وطفقت واشنطن تقول: «اشتروا أسلحتنا فحسب، اتركوا عسكريينا ومسئولي شركاتنا يذرعون بلادكم طولا وعرضا بحرية، وامنحونا حق الاعتراض على القادة الذين تختارونهم، وفى المقابل سنقوم بحمايتكم».

وكانت هذه أمهر خدعة بشأن الحماية منذ أقنع الرجل المرأة بأنها تحتاج إليه لحمايتها؛ فإذا اختفى كل الرجال بين عشية وضحاها، فكم عدد النساء اللاتى سيخشين السير فى الشوارع؟

تصميم الغلاف / مجاهد العزب